السيد النبهان
رضي الله عنه

نادرة الأزمان العارف بالله المحقق الوارث المحمدي الكامل المجدد

الشيخ محمد بن أحمد بن نبهان الحلبي

الجزء الأول

دار المعرفة
للطباعة والنشر

السيد النبهان رضي الله عنه

السيد النبهان رضي الله عنه

نادرة الأزمان العارف بالله المحقق الوارث المحمدي الكامل المجدد

الشيخ محمد بن أحمد بن نبهان الحلبي

تقديم الاستاذ الدكتور الحفيد

محمد فاروق النبهان

تأليف

هشام عبد الكريم الآلوسي

تدقيق

الشيخ معن حسين نعناع الحلبي

الدكتور حامد فرحان الفهداوي

عني بترقيم آياته وتخريج احاديثه

الشيخ احمد فائق جواد العاني

الجزء الأول

الطبعة الثانية

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م

منقحة ومدققة

خطوط الغلاف والصفحة الأولى للخطاط العراقي: أحمد سامي الجميلي عفرالله له ولوالديه.

+٩٦٤٧٨٠٩١٣٢٨٣٧

المراسلة: مدرسة دار نهضة العلوم الشرعية النبهانية - سورية - حلب - الكلتاوية

هاتف ٠٠٩٦٣٢١٣٦٢٢٧٠٠

هشام عبد الكريم الآلوسي - العراق - الفلوجة

Hisham_alosy@yahoo.com ٠٠٩٦٤٧٩٠١٦٠٥٤٠٤

دار المعرفة
بيروت - لبنان

مكتبة أسامة بن زيد
حلب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ
يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

صدق اللّه العظيم

[يونس: ٦٢-٦٣]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدّمة الأستاذ الدكتور محمّد فاروق أحمد النّبهان

حفيد السيّد النبهان رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فقد طلب منّي الأخ العزيز هشام بن عبد الكريم الآلوسي أن أكتب له مقدِّمة الطبعة الثانية لكتابه «السيّد النبهان رضي الله عنه» بعد تنقيحه الطبعة الأولى وتصحيحها، ولابدَّ لي أن أستجيب، فهو محبٌّ صادقٌ، والمحبُ مؤثِّر في غيره لأنه صادق في طلبه، فتصفَّحتُ الكتابَ ورأيت حجم ما بذله في جمع مادّته العلمية، واعتمد - بالإضافة إلى مشاهداته - على مصدرين: **الرواية فيما يتعلق بالأحداث والوقائع، وسماع كلام الشيخ رضي الله عنه من الأشرطة المسجّلة**، وهذا يحتاج إلى جهد كبير في جمع الأقوال واستخلاص الأفكار المرادة، إذ مجالس الشيخ رضي الله عنه متواصلة فإذا جلس فسرعان ما يشرع في الحديث موجّهاً كلامه إلى الحاضرين الذين يتوافدون عليه، يستمعون بأدب وكأنَّ على رؤوسهم الطير، وهو رضي الله عنه يحب الأدب ويسترسل في حديثه لساعاتٍ في ليلٍ أو نهارٍ من غير توقف! وإخوان الشيخ رضي الله عنه يتلقون كلامه رضي الله عنه بقلوبهم، ويتفاوتون في مدى استفادتهم، بمقدار استعدادهم وصدقهم، فيخرجون في نشوة روحية ونفسية تبقى ملازمة

لهم، فما أَجمل تلك المجالس، التي ما زلتُ أحنُّ إليها وأشعر بالدفء الروحي الذي كان يغمر فيها الجميع، ومن غاب عنها اشتاق إليها كما تشتاق النبتة إلى الماء لكي تغالب الجفاف، لكن ليس كل الناس يستشعر هذا الدفء، ولا كلُّ من يقرأ هذا الكتاب سيفهم ما فيه من إشارات، إذ لابدَّ من وجود الاستعداد النفسي والروحي لتلقي هذه الأحاديث، فمن وجد حلاوتها فليحمد الله على ما أكرمه الله به من قابليات تدلّ على طهارةٍ قلبية، وصفاءِ نفس، إذ القلوب الطاهرة تجد حلاوة كلام أهل الله الذين خصّهم الله تعالى بالرعاية، وأما المحجوبون عن الله فيضيقون بما يسمعون، وإذا سمعوا فلا يفهمون، وهؤلاء هم مرضى القلوب.

وإنّ شخصية الإنسان مؤثّرة في فكره، فما يصدر عنه هو نتاج تَفاعلٍ داخلي بين الشخصية والعوامل المؤثرة في تكوينها، وقد اختار الشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ منهجاً متميزاً في سلوكه وفكره، صوفيةً ناهضة بالهمّة، متمسِّكةً بالشريعة، مؤمنةً بالعلم كوسيلة للمعرفة، وبالعمل كثمرةٍ من ثماره، وهذه صوفيةٌ محببةٌ إلى النفوس بانفتاحها على المجتمع، واعتدال مزاجها في معايير السلوك، وتركيزها على أهمّية العمل الصالح في العلاقات الإنسانية، وإيمانها الراسخ باحترام الإنسان.

لقد بذل الأخ الشيخ هشام الآلوسي جهداً كبيراً في نقل كلام الشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى من يريد سماعه، والمتكلم مهما كان فصيحاً أو بليغاً لا يمكنه أن يُشْعِرَ المستمعَ بحلاوةِ كلامِهِ إذا لم يكن المستمع طاهر القلب نقي الفؤاد، والعقلاء في الغالب محجوبون بالمقاييس الحسيّة المُدْرَكَة بالعقول عن تجليات القلوب الصافية المتعلقة بالله تعالى.

لا أودُّ أن أتحدث عن أفكار الشيخ النبهان ﵁ ، فقد أُخطئ في الفهم والاستنتاج، وقد يكون العلم الذي شُغلِتُ به قد حجبني عن معانٍ روحية أكثرَ أهميّة مما شُغلِتُ به، وأنا مَدينٌ لسيّدي الجدّ السيّد النبهان ﵁ بالكثير من ملامح أفكاري المرتبطة باحترام الحياة، وكرامة الإنسان، وبالقيم الإسلامية الأصيلة. وأترك للقارئ أن يقرأ كلام الشيخ ﵁ ويتأمل، فقد يجد فيه ما لم نجد نحن من المعاني والدلالات، وكل إنسان يأخذ بمقدار فهمه سواء في المعاني الظاهرة أو الباطنة.

ويُسعدني أن أقدِّمَ إلى القارئ المتطلّع للمعرفة الروحية كتاب «**السيد النبهان** ﵁ » في طبعته الثانية وأشكر الأخ الشيخ هشام عبد الكريم الآلوسي العراقي على هذا الجهد الصادق لإعداده وتنقيحه وتوثيق رواياته.

وأدعو الله تعالى أن يجزي سيّدنا الشيخ محمّد النبهان - طيَّب الله ثراه - خير الجزاء عمّا قدّمه للأمّة بأسرها، وأن يوفّقنا جميعاً لما يحبّه ويرضاه، ويجعل عملنا خالصاً لوجهه، إنّه وليّ التوفيق، والحمد للهربّ العالمين.

حلب

٧ جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ

٢٨ - ابريل - ٢٠١٢ م

د. محمد فاروق النبهان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم، على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

فهذه سيرة علم من أعلام الإسلام، وسيّد من سادات الصوفيّة العظام، وارثٍ لسيّدنا محمّد عليه الصلاة والسلام.

الشخصيّة الفذّة التي تهابها الملوك والرؤساء والأمراء، والولاية الكبرى التي تغبطها العلماء والأولياء، والرجولة التي تنبض كمالاً، وتفيض رحمة، وتشهد لها المواقف.

النّور الذي شعّ في جبين حلب الشهباء ليوقظ أمّة بعد أن رقدت، وينهض بها بعدما وهنت، ويسير بها في مسالك الهدى والفلاح.

وانطلاقاً من البداية... رأى رضي الله عنه وهو في ريعان الشباب أمّة غافلة، ومجتمعاً ضائعاً يحكمه الفرنسيّون، وتتجاذبه التقاليد والعادات البالية، وخليط المعتقدات والأفكار، فآثر المحجّةَ البيضاء، واجتنب الخليط، وعَرَفَ الإسلام: نوراً إلٰهياً جامعاً للكمالات كلّها، فالتزم به من الوجوه جميعها، وأعطاه الأولوية دون كلّ مآربه، ولم يدعْ نصيباً لغيره على سُلَّم مطالِبه.

عاش رضي الله عنه حصانة فكريّة وعقائدية وأخلاقية، بكل ما تعنيه هذه

الكلمات من معانٍ وأبعاد، ووعى الظرف زماناً ومكاناً يهتف به أن املأني قبل فوات الأوان، فابتدأ مرحلة التغيير في النفس قولاً وفعلاً وحالاً وخلقاً ونيةً، جاعلاً من ظرفه ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٧-٨]. وأفرد قلبه وقالبه لدائرة تجرُّد كامل، موحّداً همّه وهمّته في شأن واحد، هو الله سبحانه، تاركاً الدنيا بكلّ ما فيها من مغريات وأهواء، وأمضى زهرة شبابه في العزلة والخلوة وطلب العلم، مستغرقاً بالله ورسوله، مهتماً بتزكية نفسه، يترقى في آفاق سيره وسلوكه، فانجلت بصيرته وصفت سريرته، وطهّره الله من الأغيار، وعبّأ قلبه بالأسرار، وأوصله إلى حضرة الشهود، فنال ما نال وظفر بالمراد.

وفي الأربعين من عمره رضي الله عنه ظهر في قلب مجتمعه متحققاً بمرتبة العبدية، حاملاً لواء الوراثة المحمّدية، مجدداً للدهر، داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فانطلق بعزيمة لم تفتر، وهمّة لا نظير لها، متحمّلاً الصعاب، صابراً على الأذى، آخذاً بكلّ مُستطاع من الأسباب، فكانت ثمرات أتعابه ونتائج مقدّماته طاقةً تتفجر، وهالةً تتوهج، وينابيع تتدفق، وأياديَ تفيض بالخير، لتمسح دمعة الحزن عن كلّ بائس، وتداوي مرضى القلوب والنفوس بالخدمة والنصيحة، وهو ليس بالبعيد عنهم في الطوارئ، وإنما هو الفارس في كلّ ميْدان، وصاحب الراية في كلّ موقف، فهدى الله به كثيراً من الناس، وأبان طريقة محمّدية ربّى على نهجها أمّة مهديّة، تجسّد فيها قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق، لا يضرّهم من خذلهم، حتى يأتيَ أمر الله وهم كذلك**»[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٦٧) برقم: (٦٨٨١)، ومسلم (٣/ ١٥٢٣) برقم: (١٩٢٠).

وأحدث رضي الله عنه ثورة اجتماعية ونهضة إنسانية ومشاريع إصلاحية تعجز عن النهوض بها دولة آنذاك، وهذا كلّه دون أن يؤلّف حزباً أو يتسلّم وزارة، وكان لـ (حلب الشهباء) شرفُ احتضانه، فشمخت به، وحظيت بعصرها الذهبي، حتى أصبحت حلب هي السيّد النّبهان، والسيّد النّبهان حلب، وذلك شأن رجالٍ ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبۡدِيلࣰا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. فهو ميم لدائرة الكمال، الّتي تمدّ خيوط نورها إلى كلّ نقاط المحيط، تجذبها وتحرّك كوامنها، حتى يتبدّى منها ذلك النور.

فعالم النفس: يلاحظه طبيباً متفرّداً بعلل النفوس وعلاجها.

وعالم الاجتماع: يذهل لعلاقاته النزيهة، وخدمته الصادقة، إذ يجده وحدة طوارئ عامة لكلّ محتاج وذي فاقة.

والاقتصادي: يتعرف إلى مصرف ربّاني، رأس مالهِ مُهيّأً للصرف في وجوه البِر، وهو لا يكتفي بما يَرد إليه من استثمارات وهبات بل ينفق كلّ ما عنده ويستدين.

والسياسي: يعجب للهيمنة والإدارة والدراية، والحكمة والعدل وحسن المعاملة والرعاية والتأثير على التيّارات السياسية.

والقانوني: لا يرى فيه إلّا منهج حياة مستقى من دين الله، يعتمد الالتزام به على الحب والإجلال.

والفيلسوف: ينتقل من حيرته بإشكالاته إلى حيرة بشخصية الرجل الّذي يجد الحلّ عنده لكلّ ما أشكل عليه.

وليس لمدّعي المدنية الزائفة وعديم الإنسانية من حظّ عند هذا الولي الكبير إلّا التوبة والندم والاعتراف بالخطأ والتقصير.

وهكذا شأن شخصية الوراثة المحمّدية، تخلَّق وتحققَ بالعبدية، واستغرقت روحَه وكيانَه الكمالات المحمّدية، يقول عن نفسه: (لو غاب عنّي رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين). فهو حجّة على من سواه، ويغترف منه كلّ من رآه.

وكان لمعالم شخصيّته وما ظهر عنها من مثل عليا وكمالات، وما بدر منها من مواقف ومآثر ومنجزات الدافع للشروع بمؤلَّف عنه، يجمع من مآثره وتعاليمه وتوجيهاته ما يردُّ الإنسان إلى فطرته وإنسانيته، ويبعث فيه روح التمسك بالكتاب والسنّة في ميادين الحياة جميعها، ويضع الخطّة والمنهجية والموازين لسالكي طريق القوم أهل الله وعامّة المسلمين والإنسانيين، وليعلم الذين وهنوا أنّ الأمّة التي كانت ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] لا زالت وستبقى بعون الله تزهو وتفخر، وإنّ رحمها المحصن لَينجب، وسماءَها لَتمطر، وأرضَها لتزهر برجالٍ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

صراع الخواطر:

بتُّ ليلةً في صراع الخواطر، فخاطر يقول لي: من أنت لكي تكتب وكيف يمكنك أن تكتب؟ أشفقْ على نفسك لا تتطفلْ، لا قِدَم لك في التأليف ولا سابقة! أأنت الّذي تكتب؟ أنّى لصفرٍ أن يحيط بتلك الشخصية الفذّة!

وخاطر يردُّ: نعم صحيح، لكنّ الصفرَ إذا وُضِعَ عن يمين الواحد أصبح عشرة، وكلّما عَظُم عجزك تضاعفت همّتك وقوتك، وكلّما تعددت أصفارك كبر الرقم عندك، وحسبك الله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] ألم ترَ الّذين كتبوا عن سيّدنا رسول الله ﷺ لم يبلغوا ساحل قدْره، ولو أحجموا لانحجبت عنّا أخباره وسيره ﷺ. فأنت لا تقدم في كتابك سيّدنا النبهان رضي الله عنه، ولكنْ تقدم ما يمكنك عن السيّد النبهان.

وقارعتُ ليلي بين هذا الخاطر وذاك، تارة في قعر واد، وأخرى على قمّة جبل، تُرى ماذا أصنع؟ فعرض لي خاطر جديد تذكرت فيه حديثه رضي الله عنه عن الخواطر.. إذْ قسّمها رضي الله عنه إلى أربعة: رحماني، وملكي، ونفساني، وشيطاني، وعليك أن تُميّزَ بينها! فرأيته رضي الله عنه بعد شروق الشمس واقعةً[1] ونودي علي فدخلت فإذا به رضي الله عنه جالس على كرسيٍّ وأمامَه طاولة، فسلّمت على حضرته وبادرت أطلب الإذن بالكتابة.. فقلت: سيّدي، يخطرُ لي أن أكتبَ عنكم للناس كتاباً، قال رضي الله عنه: (ما عليه شيء، ما عليه شيء)، قلت: سيّدي، إذا كان المتكلّمُ جنابكم والكلامُ كلامكم وأنا ليس لي وجود فيه وإنما كالآلة سأكتب، فأجاب رضي الله عنه: (كلامي كلامي)، كان ذلك في سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م بعد ثمانية أشهر من وفاته رضي الله عنه على وجه التحديد.

وباشرتُ الجمع عنه.. فرأيته ثانية قلت: سيّدي، سأكتب عنكم للناس كتاباً، فأجاب بقوّة: (اُكتب، قلت: إذا أكتب فهل أنا ممدود؟ فأجاب بقوّة: ممدود)..

---

(١) الواقعة هي ما يشاهد بين اليقظة والمنام، وكان سيّدنا النبهان رضي الله عنه يقول: الواقعة أقوى من اليقظة، الواقعة هي الحق.

ثمّ رأيته ثالثة فقال: (أنا أمرتك أن تكتب عنّي للناس كتاباً).

وأردت المتابعة في حلب لكنّ غلْق الحدود بين سوريّة والعراق سنة ١٩٨٠م وما بعدها حال دون ذلك.

ثمّ مضى عام أو أقل وسائق الخواطر يعاتبني، ألست مأموراً بالكتابة؟ فكيف تسكن؟ هبْ أن القطيعةَ بين البلدين ستطول، وأن الحدود لن تُفتَح، فهل ستترك ما أُمِرْتَ به؟ أم تكمل وتتوكل على الله. !

فابتدأت الجمع الثاني. . فسمعته ﷺ يتحدث في درس مسجّل (من يكتب عن شيخه كتاباً بمجلّد أو مجلّدين فيتعصب لشيخه واللهِ العظيم يُطرَد). ومن خلال الربط بين عبارات الإذن والأمر والتحذير من التعصب يكون رضي الله عنه قد نصب لي صراط التأليف ووضع لي خطّة من ثلاث نقاط:

الأولى: ألّا يكون لنفسي وجود أو حظ في الكتاب وإنّما كالآلة الكاتبة.

الثانية: أن أعتمد كلامه رضي الله عنه بقوله: (كلامي كلامي).

الثالثة: ألّا أتعصب فأُطرد.

ولم يتوقف عند رسم الخطّة، وإليك بعض متابعاته، تحيّرت في علاقته بالشيخ محمّد الهاشمي رحمه الله تعالى، ومدّة سلوكه عليه، فرأيته رضي الله عنه فأوضح لي تلك العلاقة، وأنّها لم تكن إلّا تلمذة جلسة لأقلّ من الساعة، فوجدت المطابقة حين استمعت لحديثه عنها في درس مسجّل وفيه: أن الله وهبه فيها من الفتوحات ما تعجّب منه الشيخ الهاشمي رحمه الله.

رأيته رضي الله عنه في ليلتين متتاليتين الأولى مناماً والثانية واقعةً، ففي الأولى:

وضعت بين يديه السجلّ الّذي كنتُ أجمع فيه كلامه وأخباره، فأمسك به ونظر فيه وابتسم، ثمّ أعاده لي وكأنه أشفق عليّ. وفي الثانية قلت: سيّدي هذا هو الكتاب الّذي نجمع فيه العلوم عن جنابكم.. فأمسك به يتصفح ويقرأ: فوجد رواياتٍ لشيخ ينسب نفسه إليه، فأخذ قلماً (من خشب) وصار يخطّ ويسوّد، فواللهِ لم يتركْ منها حرفاً، وسمى لي ذلك الشيخ! وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (خلِّ يولّي...! هو وإخوته كذّابين). فأخليت الكتاب منه ومن رواياته. ثمّ تابع نظره وتوجيهه حتى العنوان، وصدرت الطبعة الأولى (السيّد النّبهان)[1] طبعة بغداد، فكانت مدخلاً إلى هذا الكتاب.

وحين تلمّست تعطّشاً للمزيد، تحتّم عليّ إضافة ما ادّخرت، مع حاجة مُلحّة إلى دراسة أعمق لمعالم تلك الشخصيّة، وهيهاتَ هيهاتَ أن يحيط الصفر بالواحد، أو يبلغ قاع البحر من توسّد على الساحل، وكيف السبيل إلى العوم في بحر زاخر بالحقائق والعلوم، وهو يقذف درراً من الأذواق والفهوم، تعجز قوارب أقلامنا عن السباحة في مبدئه، فضلاً عن الغوص في أعماقه!

وبداهةً فإن دائرة البيت لا تحيط بدائرة المدينة، ودائرة الأرض لا تحيط بدائرة السماء، وها أنا ذا في قعر وادٍ، وقد شخصت عينايَ إلى شلاّلٍ عذب مدهش، ينهمر ماؤه من فوق جبل أشمّ، في شخصية فذّة وصوفيّة صادقة، فلا أنا قادر على احتضانه بقلمي، ولا أنا مستوعبٌ حسنَه بكَلِمي، فما هو المنحى وقد مضى على المؤلَّف الوجيز عشر سنين؟

---

(١) طبع بمطبعة الخلود ببغداد سنة ١٩٩٢م، وهو بمنزلة المدخل لطبعتنا هذه الموسعة، فمن اطلع عليه ووجد اختلافاً في اسم أو تأريخ فليعتمد ما يجده هنا فإنه مصحح.

فأدركني الله تعالى بعنايته الإلٰهية، وتألفت لجنة للإشراف في حلب لكنّ العمل توقف بعد شهر ونصف الشهر[١]. وتواصل في الفلوجة وبغداد، وبعد أن بلغ الكتابُ النصاب قيّض الله تعالى لمراجعته خليّة علم وفهم واذواق، من عِليْة القوم في سورية والعراق، أخصّ منهم فضيلة الشيخ الدكتور الحفيد محمّد فاروق النّبهان حفظه الله، والشيخ الدكتور محمود أحمد الزين، والشيخ الدكتور عثمان عمر بن محمّد الويسي، والشيخ الدكتور علي أحمد مشاعل الجيلاني، حيث أسهموا بملاحظات، أخذتُ منها ما رأيته يخدم مقاصد الكتاب، وأدعو الله تعالى لي ولهم ولكلّ من أسهم بكتابة دروسه المسجلة ﷺ بالعفو والعافية وحسن الختام.

واجتهدت في أن يكون البحث مناراً لطالبي طريق القوم أهل الله، متسلسلاً مع الزمن، مركّزاً على عرض الفتوحات، ليتعرّف الناس من خلاله إلى قبس من شأن الأولياء وما آتاهم الله من فضله من مراتب وهبات.

وربّما تُشكِل على بعض من يتطلع في الكتاب عبارةٌ يعجز عن فهمها،

---

(١) لجنة الإشراف على الكتابة في حلب ثلاثة: الشيخ معن حسين نعناع، والشيخ أحمد دبّاغ، والشيخ بشير جانات. وقد جاء من بعدهم، الحاج رياض طعمة، والسيد الحفيد عمّار بن عبد الله «أبي الشيخ» والدكتور عبد الله ناشد، والشيخ رجب الهيب والشيخ أحمد محمد عبوش، أما **لجنة العمل في العراق** فهم: الشيخ عماد محمّد فرحان، والمهندس الكهربائي الشيخ عادل سعود آل قزان العاني، والشيخ أحمد فائق جواد العاني، والشيخ إبراهيم شريف الراوي، والمهندس رياض صبحي محمّد علي الجبوري، وعقيلته المهندسة أم مصطفى، والمهندس الزراعي سداد حسين المختار، والمهندس محمّد أحمد رجب التكريتي، والمهندس خالد يوسف القاضي، جزاهم الله تعالى خير ما يجزي أحبابه وأولياءه إنه سميع مجيب.

لكونها خارج الصورة التي ارتسمت عن الإسلام في خلده، لهذا أقول: ليس من الضرورة أن يدرك أي إنسان كلّ شيء، وليس ملزماً أن يفهم المرء كلّ ما يصدر عن أولياء الله تعالى، لا سيّما أنّهم يتحدّثون من حضرة العرفان ومناهل الإحسان التي غابت عمّن دونهم من أهل مرتبتي الإسلام والإيمان.

وقد يؤاخذني محب، لاعتمادي حرفية النص، فعذري أن النصّ أمانةٌ علمية، تحمل نَفَس صاحبه، أمّا فهوم الناس وتحليلاتهم فمتنوعة، والفهم والتحليل قد يوافقان مراد صاحب النص أو يخالفانه، لذلك أهدف إلى تثبيت النصّ وتحريك معانيه مع المحافظة على نفَس قائله فيه رَضِيَ الله عَنْهُ.

أو ربّما يعترض عليّ آخر، لأنّي أسهبت في ذكر حقائق وفتوحات عميقة، رافقتْ أغلب بحوثِ الكتاب، فأقول: ليس من الإنصاف أن يُختصَر السموّ الروحي ومواهبُ البصيرة، ليظهر الإسلام مجرّداً عنها، إرضاء لمن لم يفقهْ معنى البصيرة القلبية، أو لم يذق مشارب القوم أهل الله، حينئذٍ تُنكَر المعجزات والكرامات، ويتجسد الدين بمجموعة أزهار مصنّعة لا عطر فيها ولا حياة، وبذلك جاءت مسيرة البحث عنه رَضِيَ الله عَنْهُ بين غصن يافع، وزهر ناصع، إلى ثمر نافع، إلى روض بستان لكلّ الخيرات، ومنبع لكلّ الكمالات، في سلسلة حلقات ذهبية متصلة، ظهرت كأنها قصيدة فنيّة رائعة، يعشق التغني بها كلّ محب لله تعالى ورسوله والأولياء، ويترنم بصفحات تأريخها من يتلذذ بالمعاني والعبر، ويتمعن في أفنان نسيجها وعقود جمانها كلّ متطلع لخدمة الإنسانية والكمالات المحمّدية.

وإني حينما أوُرِد نصوص كلامه رَضِيَ الله عَنْهُ، لا أنقل إلا ما سمعته منه مشافهة، أو ما هو مسجّل في دروسه، أو مما أخذته عمّن أثق به. وحسبي أنْ أدّيتُ الممكن ومن يؤدِّ الممكنَ يُعذَرْ بغيره.

وقد جاء البحث في سبعة أقسام في جزئين، وهي:

الجزء الأول:

القسم الأول: إشراقات البداية.

القسم الثاني: فجر دعوته وطريقته.

القسم الثالث: إضاءات الولاية.

القسم الرابع: نوافذ الدراية.

الجزء الثاني:

القسم الخامس: مسالك العناية.

القسم السادس: إطلالات النهاية.

القسم السابع: الموقظة في رؤية الرسول ﷺ في اليقظة.

وبعد أن ظهرت طبعة (دار المعرفة) الأولى أمدّنا الله تعالى بالجديد، وتضافرت الجهود في سورية والعراق، فانفتحت أمامنا نوافذ للمزيد في (دائرة بحوث نبهانية) بأجزاء أخرى تحمل العنوان نفْسَه وَفْق خطّة تُكمِل المسار وتَشع بالأنوار بإذن الله تعالى، اللهمّ إنّ هذا الكتاب وما يليه، هو محضُ فضلك يا أكرم الأكرمين، وصلّ اللهمّ على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المؤلف
هشام عبدالكريم الألوسي(*)
27 رمضان 1433 هـ

(*) انظر التعريف بالمؤلف بنهاية الجزء الثاني.

هذه الشخصية في منظور المعاصرين

- (المجموعة العلمية التي في صدري، ما عاصرني فيها أحد، لا في الشاميين، ولا في العراقيين، ولا في المصريين، وجدت من يفوقني في فن من الفنون، إلا أنني مثل الشيخ محمّد النّبهان ما رأيتُ)[١].

الشيخ قاسم القيسي/ مفتي العراق

- (أنتم لا تفهمون هذا الرجل، أنتم تقبّلون يده، وأنا أقبّل يده ورجله)![٢]

الولي الكبير الشيخ أحمد الحارون/ دمشق

- (هذا الرجل أمره عجيب غريب، ما قطعناه في سنوات قطعه الشيخ محمّد النّبهان في ساعات).

- (الشيخ النّبهاني غريب غريب غريب، نحن مع هذا العمر الطويل لم نتمكن من الوصول إلى ما وصل إليه في نصف ساعة)[٣].

شيخ الطريقة الشاذلية في بلاد الشام:
الشيخ محمّد الهاشمي الشاذلي التلمساني/ دمشق

(١) مسجلة في مذاكرة لسيّدنا النّبهان رضي الله عنه وحدثني بها الشيخ محمود مهاوش الكبيسي قال: قال لي الشيخ قاسم.. وذكر بقية الرواية.

(٢) حدثني بها الحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس الكبيسي، قال: صحبت سيّدنا النّبهان رضي الله عنه في زيارة للشيخ أحمد الحارون بدمشق.. وذكر بقية الرواية.

(٣) مسجلة في درس ومذاكرة لسيّدنا النّبهان رضي الله عنه.

- (غرة ذي القعدة ١٣٧٠هـ ٤/٨/١٩٥١م يوم السبت، كان مما يستحق التسجيل هذا اليوم زيارة الشيخ محمّد النّبهان في بيته، وهو رجل يمتاز بقوّة إيمانه، وتأمله في القرآن، ويظهر أنّه من طراز خاص، يفتح عليه في الدين ويتكلّم فيه عن يقين)[١].
- (كنت أرى أنّ الصوفيَّ إنسانٌ خمول، فأفهمتني بحالك أن الصوفي هو ذو الهمّة العالية والنشاط)[٢].

الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي/ رئيس ندوة علماء الهند

- (المرشد الكبير العارف بالله الشيخ النّبهاني، هو نور تلك البلاد)[٣].

الشيخ أمجد محمّد سعيد الزهاوي، أول رئيس لرابطة علماء العراق

- (يا شيخ محمّد، أنا ما جئت من دمشق إلى حلب لأسمع من فلان أو فلان، والله ما جئت إلا لأسمع صوت سيّدنا محمّد ﷺ من على لسانك)[٤].

ولي الله السيّد مكي الكتاني/ دمشق

---

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي: المتوفى يوم الجمعة ٢٣/ رمضان/ ١٤٢٠هـ، الموافق ٣٠/ كانون الأول/ ١٩٩٩م، له سبعمائة مؤلف، انظر كتابه: مذكّرات سائح في الشرق الأوسط، الطبعة الثالثة فقط: ص: ٣٣٧.

(٢) كاتبنا بهذه الرواية الشيخ الدكتور محمود أحمد الزين الحلبي قال: سألت الشيخ الندوي أنا والشيخ عثمان عمر الويسي عنها فقال: (الآن كنت أحدّث الحاضرين عنها) وكان مع الحاضرين الشيخ محمّد عبد الرحمن الويسي.

(٣) مقطع من رسالة للشيخ أمجد الزهاوي رحمه الله تعالى بخط يده إلى الشيخ محمّد محمود الصواف رحمه الله تعالى.

(٤) حدثني بهذه الرواية الشيخ محمّد منير حداد خطيب جامع الكلتاوية رحمه الله تعالى قال: حضر عند سيّدنا علماء من كل سورية لأخذ رأيه في أمر يهم المسلمين، فتحدث كل واحد منهم بحديث. . . وذكر مقالة السيّد الكتاني.

- (طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

يا شيخ، أرسلت لك سلاماً مع الريح! قال ﷺ : وصلني! ثمّ قال لأصحاب سيّدنا ﷺ : هنيئاً لكم بصحبة هذا الشيخ)[١].

المدرس بالمسجد الحرام
الشيخ علوي بن عباس المالكي

- (أليس من فضل الله علينا يا سيّدي، أن نأتي من العراق ونجلس عند قدميك)![٢].

الشيخ الشهيد البطل المجاهد
عبد العزيز عبد اللطيف البدري/ بغداد

- (والله لا شكّ أن الشيخ محمّد النّبهان من أكابر الأولياء، وكلّ من صحبه نال به منزلة عظيمة.
أنا أعتقد والله علاّم الغيوب أن الشيخ محمّداً النّبهان خاتم الأكابر من الأولياء)[٣].

---

(١) حدثنا بهذه الرواية الشيخ عبد الله حديد جِلْ، الفرضي في جامع الفلوجة الكبير في العراق، الذي حج مع سيّدنا ﷺ حجته الثانية.
(٢) مسجلة بصوته في مذاكرة مع سيّدنا ﷺ .
(٣) سمعت العبارة الأولى من الشيخ عبد الكريم بيارة، في الحضرة القادرية سنة ١٩٨٨م، وحدّثني بالثانية منها الشيخ ذاكر عودة الحنفي، المدرس بإعدادية الدراسات الإسلامية في الفلوجة، سمعها منه مباشرة.

الشيخ السيّد محمّد النّبهان نوّر الله روحه فرد من أفراد وأقطاب آخر الزمان)[١].

الشيخ عبد الكريم محمّد الملقب عبد الكريم بيارة
المدرّس في الحضرة القادرية ورئيس رابطة علماء العراق

- (يا حضرة الشيخ، مجيئك هذا إلى العراق سَيُسَجَّلُ في التأريخ)[٢].

علاّمة العراق: الشيخ فؤاد أحمد شاكر آل أبي الثناء الآلوسي/ بغداد

- (يا أستاذ، أرجعتني لحقيقتي! يا أستاذ، أرجعتني لنفسي)[٣].

الفيلسوف الإسلامي مالك بن نبي[٤]/ الجزائر

---

(١) حدثنا الشيخ جمال شاكر محمود النزال إمام وخطيب وشيخ الجامع الكبير في الفلوجة قال: كنا في زيارة لحضرة الشيخ عبد الكريم بيارة فقال: والله لا شك... إلى بقية الرواية.

(٢) حدثني بها الشيخ خليل محمّد الفياض الكبيسي من الفلوجة قال: لما قدم سيّدنا ﵁ إلى العراق أول مرة قال الشيخ الآلوسي:.. وذكر بقية الرواية.

(٣) مسجلة بصوت سيّدنا ﵁ في أحد دروسه.

(٤) مالك بن نبي: مفكر وفيلسوف إسلامي جزائري، ولد بها في مدينة (قسنطينة) سنة ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م، درس القضاء في المعهد الإسلامي المختلط، وتخرج مهندساً ميكانيكياً في معهد الهندسة العالي في باريس، زار مكة، وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره باللغة الفرنسية، نحو ثلاثين كتاباً، جلّها مطبوع، ترجم بعضها إلى العربية، وكان من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، وتولى التعليم العالي بوزارة الثقافة والإرشاد القومي سنة ١٩٦٤م وتوفي ببلده سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣ م/ انظر كتاب (الأعلام) للزِركلي.. قام بجولة في بلاد الشام، يتفقد فيها أحوال المسلمين وعلماءهم، ووصل الكلتاوية واجتمع بسيّدنا النّبهان ﵁، قال ﵁: جاءني مالك بن نبي الجزائري =

- (العارف بالله تعالى الشيخ محمّد بن أحمد بن نبهان الحلبي، جذب قلوب الخلائق صالحهم وطالحهم، نفع الله به العباد، بجاه سيّد المرسلين ﷺ)(١).

الشيخ عبد العزيز السالم السامرائي/ الفلوجة

- (زرت الشيخ محمّداً النّبهان في حلب، فوجدته شعلة نور، وآية من الآيات لا تُدرك! بلغ مرتبة من الكمال لا يدانيه فيها شيء)(٢).

الشيخ الحسني الحضرمي، الحبيب السيّد عبد القادر السقاف/ نزيل جدّة

= الفيلسوف المشهور: وأنا أبين صفات الرسول ﷺ وهيمنة الرسول ﷺ وأنه لا يحب قتل الكافر، وإنما يحب قتل كفر الكافر، وإذا به يقول: يا أستاذ: أرجعتني لحقيقتي، يا أستاذ أرجعتني لنفسي! وصار يبكي! ولدى مغادرته حلب إلى دمشق سأله بعض تلاميذ سيّدنا رضي الله عنه: ماذا حصلتَ من جولتك في بلاد الشام؟ فأجاب: لو لم أستفد إلا كلمات سمعتها من فم السيّد النّبهان لاكتفيت.

(١) نقلتها من (كشكول رقم ٣) للشيخ عبد العزيز السالم السامرائي رحمه الله تعالى بخط يده رحمه الله.

(٢) سيد السادة الحضارمة نزيل جدة في المملكة العربية السعودية، يرجع نسبه إلى السلالة العلوية الحسنية لآل بيت رسول الله ﷺ، بحر علم وأدب، وكنز وتقى وورع، إذا رأيته لا تشك في كونه من أولياء الله بل من أكابرهم، وله تلاميذ ومريدون وأصحاب لشدة أدبهم معه يدعونه بالوالد أو الحبيب. التقيت به في المدينة المنورة مرات عدة سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م وهو في الثمانين من عمره (وكان أحد اللقاءات في بيت الشيخ عثمان عمر محمّد الويسي بجامع الخير في منطقة باب العوالي) فحدثني قائلاً: زرت الشيخ محمّد النّبهان بحلب قبل وفاته بشهر ونصف تقريباً، فرأيته شعلة نور وآية من الآيات لا تدرك، بلغ مرتبة من الكمال لا يدانيه فيها شيء، سألني رضي الله عنه فقال: يا سيد عبد القادر، ماذا قال عنا الشيخ عمر بامخرمة؟ قلت: سيّدي، نعم، موجود عندنا في حضرموت، ديوانه لا يزال مخطوطاً بثلاثة مجلدات وفيه ثلاث أو أربع قصائد في فضيلتكم وكان يتوجه إلى بلاد الشام وينادي: يا ابن نبهان يا ابن نبهان. =

- (أنا دلّال ناصح، الشيخ النّبهاني وارث الرسول ﷺ.

أوصيكم يا أولادي كما أوصي نفسي بصحبة الشيخ النّبهاني رضي الله عنه في حياتي وبعد مماتي)[١].

الولي الشهير: الشيخ محمّد عبد الله الفياض الكبيسي/ الفلوجة

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [الطارق: ١-٣]

أتدرون من هو النجم الثاقب؟ هذا هو النجم الثاقب.. وأشار إلى سيّدنا النّبهان رضي الله عنه)[٢].

- (ومن حَلَبٍ جاءَ الهدى لقلوبنا
فقلنا لَهُ: فافتح تعاليمَ ذِي اللُّبِّ
تقدَّم أيا نبهان إنا بحاجةٍ
إلى من يدلّ المرشدين إلى الربّ)[٣]

الشيخ حامد الملاّ حويش، إمام وخطيب الحضرة القادرية/ بغداد

= والشيخ عمر بامخرمة: من أولياء القرن العاشر الهجري، بينه وبين سيّدنا رضي الله عنه أربعمائة سنة، شهرته في بلاد اليمن وحضرموت، بالحب الإلهي أكثر من شهرة ابن الفارض بمصر، له ديوان شعر بلهجته الدارجة، لا يزال مخطوطاً، ذكر فيه كثيراً من أولياء العصور التي جاءت بعده، ترجمته في ج ١ من تاريخ شعراء حضرموت، للشيخ عبد الله بن محمّد السقاف، وفي رحلة الشيخ عبد الله بن محمّد باكثير ص: **٣٠** طبعة مصر. وفي النور السافر في مناقب القرن العاشر للسيد العيدروسي ص: **٢٧٨**.

(١) سمعتها منه رحمه الله، وقرأتها مكتوبةً عنه وصية بخط ولده الشيخ خليل.

(٢) قالها الشيخ حامد الملا حويش في خطبة الجمعة في الحضرة القادرية، ترحيباً بقدومه أول مرة إلى العراق سنة ١٩٦٢م.

(٣) البيتان من قصيدة نظمها الشيخ حامد الملاّ حويش، رحمه الله، ترحيباً بالسيّد النّبهان (أثناء=

- (هذا كان حبيب قلوبنا)[١].

المحدِّث بالحرمين الشريفين: العلامة السيّد محمّد المنتصر الكتاني

- (أطعمت الشيخ محمّداً النّبهان «حبحب» ثمّ صببت على يديه، ومن غير شعور منّي أخذت غسيل يديه وشربته، الشيخ من الواصلين، الشيخ من الواصلين...).

العالم الرباني الشيخ محمّد زكريا البخاري/ المدينة المنورة[٢]

- (إنّني أتشفّع إلى الله عَزَّوَجَلَّ في صلاة القيام بالشيخ محمّد النّبهان[٣] أنا

= زيارته الأولى للعراق، وألقاها في منزل الشيخ محمّد عبد الله الفياض الكبيسي في الفلوجة، والشيخ حامد الملا حويش مشهور بالولاية.

(١) حدّثني بها الشيخ عثمان عمر بن محمّد الويسي، المدرس في ثانوية طيبة بالمدينة المنورة، قال: قلت للشيخ الكتاني: أنا من تلاميذ الشيخ النّبهاني، فقال: .. وذكر بقية الرواية.

(٢) ولد الشيخ محمّد زكريا البخاري في مدينة (مرغيلان) من أعمال بخارى سنة ١٣٢٧هـ ١٩٠٩م، وحين بلغ الثالثة والعشرين من عمره توفي والده، وفي الخامسة والعشرين: اصطحب والدته وهاجر إلى المدينة المنورة مشياً على الأقدام، ولم يزل في طيبة مجاوراً حتى توفي فيها سنة ٢٠٠٥م وهو مأوى الأولياء وكهف الصالحين، ولم يخرج من المدينة المنورة طيلة سبعين سنة من حياته، إلا للحج مرتين ومرة واحدة زار فيها بلاد الشام وبيت المقْدِس، حدثني بهذه الرواية عنه الشيخ عثمان عمر محمّد الويسي قائلاً: (أكرمني الله تعالى فترة إقامتي في المدينة المنورة بزيارة الشيخ محمّد زكريا البخاري مرات عديدة، وكلما ذكرت لفضيلة الشيخ أنني من أتباع العارف بالله السيّد النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، يذكر لي زيارة سيّدنا له مع الشيخ عمر الملاحفجي ويقول: أطعمت الشيخ محمّداً النّبهان (حبحب).. يقولها بغبطة وسرور،كلما زاره واحد من تلاميذ السيّد النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .. والحبحب: هو البطيخ الأحمر في الحجاز، أو (الجبس) في سوريا، أو (الرقّي) في العراق.

(٣) حدثنا بهذه الرواية الشيخ رجب اللهيب قائلاً: قال لي الشيخ محمّد أسعد العبجي مفتي الشافعية بحلب وهو من أساتذة السيّد النبهان في العلم: ...وذكر بقية الرواية.

أصعد إلى الكلتاوية وأستفيد)[(١)].

مفتي السادة الشافعية: الشيخ محمّد أسعد العبجي/ حلب

- (هذا الرجل نحن نتبارك به)[(٢)].

الشيخ العلامة نجم الدين الواعظ/ مفتي بغداد

- (أنا لا أردُّ على وليٍّ من أولياء الله تعالى) قال الراوي: ومن أعلمك بأنّه ولي وهل اجتمعتَ به؟ فأجاب: (لا. .لم أجتمع به جسماً ولكن ما انفصلت عنه روحاً)[(٣)].

الحافظ المفسّر الشيخ محمّد عبد العزيز الشنقيطي/ مكة المكرمة

---

(١) مسجلة في مذاكرة لسيّدنا النّبهان ﷺ . . أجاب فيها الشيخ أسعد العبجي على سؤال من شخص: لماذا تصعد إلى الكلتاوية والشيخ النّبهاني أحد تلاميذك؟. وكان الشيخ أسعد لا يغيب عن حلقة الذكر في الكلتاوية إلا نادراً حتى سنواته الأخيرة.

(٢) حدثني بها الحاج عثمان بن عبد الله الفياض الكبيسي بالفلوجة، سمعها مشافهة من الشيخ الواعظ.

(٣) حدثنا بهذه الرواية الدكتور نوفل ناصر عبد الحميد الناصر من حلب قائلاً: حجّ والدي بيت الله الحرام في عام ١٩٦٩م، والتقى هناك بالشيخ محمّد عبد العزيز الشنقيطي، وهو عالم كبير يحفظ القرآن الكريم وموطّأ الإمام مالك، وكان يتحدث في تفسير آيات من سورة يوسف، حتى وصل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] فبرّأ سيّدنا يوسف على أنه نبي معصوم، واتّهم السيّدة زليخة! وهنا استوقفه والدي قائلاً: سمعنا من شيخنا غير هذا، فهو يُبرّئ سيّدنا يوسف كما تفضّلتَ على أنه نبي معصوم ولا تخطر له الفاحشة، ويبرئ السيّدة زليخة أيضاً، ودليله في ذلك: أنه تزوجها فيما بعد، فردّ عليه الشيخ بقوله: إن الأنبياء يتزوجون كافرات، كما هو في امرأتي نوح ولوط، فقال والدي: صحيح أن النبيّ يتزوج كافرة، ولكن لا يتزوج امرأة مطعونةً في شرفها وعفّتها، والمعروف في العقائد أن النبيّ لا يتزوج إلا عفيفة، لكي لا ينفر الناس=

- (نحن علماء ورق، والشيخ النّبهاني عالم رباني)[١].
- (قلت للشيخ محمّد النّبهان: إن الله وضع لك القبول في القلوب)[٢].

الشيخ المجاهد حسن حبنّكة/ دمشق

- (الشيخ محمّد النّبهان إحسان يمشي على الأرض)[٣].

الأديب الشيخ علي الطنطاوي/ نزيل مكة المكرمة

= منه، كما أن النبيّ يمرض لكن لا يصاب بمرض منفّر، فاندهش الشيخ من الجواب! وقال له: من شيخك؟ فقال: شيخي سيّدي محمّد النّبهان، فرفع الشيخ الشنقيطي يديه وقال: أنا لا أردّ على ولي من أولياء الله تعالى! قال الوالد مندهشاً: وكيف عرفت أنه ولي وهل اجتمعت به؟ أجاب: لم أجتمع به جسماً، ولكن ما انفصلت عنه روحاً! وفي سنة ١٩٦٧م حين تآمر عليه الأعداء يريدون قتله! ذهبتُ بنفسي إلى سيّدنا محمّد ﷺ فخاطبته وقلت: يا سيّدي يا رسول الله، إن الأعداء قد تآمروا على ابنك محمّد النّبهان يريدون قتله! فأجاب عليه الصلاة والسلام يقظة: لا تخف، إن ولدنا محمّداً النّبهان في أمانِنا!

(١) حدثنا بهذه الرواية الشيخ رجب الهيب قائلاً: أخبرني الأخ زياد نصّار الدمشقي أحد تلامذة الشيخ حسن حبنكة رحمه الله تعالى قال: قلت للشيخ حسن حبنّكة رحمه الله بعد درس الفقه بعد الفجر: سيّدي: أطال الله عمركم، جنابكم شيخ علماء دمشق، وسيّدنا الشيخ محمّد النّبهان: شيخ علماء حلب، فقال: لا يا بني! أخطأت القياس.. وذكر بقية الرواية.

(٢) كاتبنا بها الشيخ الدكتور محمود أحمد الزين قال: سمعتها من الشيخ حسن حبنكة أثناء زيارتي له في بيته بدمشق.

(٣) وتمامها: زار الشيخ الطنطاوي سيّدنا رضي الله عنه في الكلتاوية، فبادره رضي الله عنه بسؤال على غير عادة الناس: كيف قلبك مع الله؟! فأخذت العبارة مأخذها منه، وطار بها إلى إذاعة دمشق، وألقى بها موعظة ذكر فيها: لم تعجبني كلمة من أحد، مثل كلمة الشيخ محمّد النّبهان، بعد أن رمى علي السلام سألني: كيف قلبك مع الله؟. ذكرها رضي الله عنه في أحد دروسه العامة.

- (قابلت الملك فيصل الأول ملك العراق وزرت الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود في الحجاز، والتقيت بملوك آخرين ووزراء، فاكتفيت بمصافحتهم ولم أقبّل يد أحد منهم، ولكنني حين رأيت الشيخ محمّداً النّبهان قبّلت يده).

أمير قبائل زوبع في العراق: الشيخ سليمان بن ظاهر المحمود الضاري[١]

- (هو أكبر مني وأنا وُلدتُ قبله)!![٢].

الشيخ كامل السرّميني/ حلب

- (ظهر الآن رجل كراماته ظاهرة وباطنة، لم يقف على قراره أحد حتى الآن، هو الشيخ محمّد النّبهان)![٣].

الشيخ الصالح العالم محمّد الجبريني/ حلب

---

(١) حدثنا بهذه الرواية الشيخ خليل بن محمّد الفياض الكبيسي من الفلوجة بالعراق، والحاج ذيب محمّد الذيبان السرّحان بن معيوف بن حمد بن ظاهر المحمود من أبناء عمومة الشيخ سليمان الضاري رحمه الله.

(٢) حدثنا بهذه الرواية وكتبها بخط يده الشيخ عثمان عمر بن محمّد الويسي قال: كنت في المدينة المنورة، فالتقيت في باب السلام بالشيخ كامل السرّميني الحلبي فسألته: هل أنت أكبر أم السيّد النّبهان؟... وحدثني بمثلها أيضاً الشيخ عثمان عمر الويسي، عن الشيخ أحمد معوّد رحمه الله إمام جامع العثمانية بحلب قال: سألته عن سيّدنا النّبهان رضي الله عنه فأجابني: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله، وكنت إذا أردت زيارة سيّدنا فالمسافة التي بيني وبينه لا تقطع عادة إلا بثلاثة أرباع الساعة، لكنها تُقطَع معي بعشرة دقائق، كيف؟ لا أدري!

(٣) حدثنا بهذه الرواية الشيخ خليل محمّد الفياض عن والده.

- (يا سيّدي أنا مصطفى أفندي «برّة»، أما هنا بين يديك فلا وجود لي)![١].

الفقيه الحجة في الفقه الإسلامي والموسوعة العلمية
الشيخ الدكتور مصطفى أحمد الزرقا ووزير العدل السوري السابق

- (أُدع الله لي يا سيّدي أن يحشرني تحت لوائك يوم القيامة)[٢].

وكتب له رسالة يقول له فيها:

(سيدي مربي السالكين، ومرشد الكاملين، المستمد من بحر سيّد المرسلين، المربي الكبير، العلّامة، الأستاذ الشيخ محمد أفندي حفظه الله، المعيد المبدي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

تشرفنا بزيارتكم في محلكم المبارك، لا زال، ولا يزال إن شاء الله

(١) حدثنا بهذه الرواية الحاج أحمد الأفندي الحلبي، إنَّ الفقيه ابن الفقيه كما يسميه سيّدنا ﷺ نطق بهذه الكلمات في إحدى زياراته لسيّدنا في الكلتاوية فنهض ﷺ واستقبله قائلاً: أهلاً بالشيخ مصطفى أفندي وبعد جلوسه كرر عليه الطلب ثلاثاً، لأن يتحدث للحضور، لكنه بقي صامتاً، ثم قال: يا سيّدي مصطفى أفندي برة، ومعنى (برّة) أي: لا وجود له في الكلتاوية بين يدي سيّدنا ﷺ، وتتمة الحديث كما ورد في الرواية أعلاه.

(٢) حدّثني الشيخ الدكتور محمود فجال أحد أصحاب سيدنا الأوائل المعروفين بصدق الصحبة معه ﷺ قال: كنت أطلب العلم عن الشيخ عبد الوهاب، وأحدثه عن شيخي وسيّدي محمّد النّبهان ﷺ، فطلب مني أن أعرفه إليه، فاستأذنت سيدنا لزيارته، فرحب سيّدنا بذلك، وحين اجتمعا تحدث الشيخ (دبس وزيت) بما اختص به من علوم، ثم سكت، فتحدث سيّدنا ﷺ في المحبة الإلٰهية ومراتب الإحسان، فدهش الشيخ به، وقال له: ادع الله لي يا سيّدي أن يحشرني تحت لوائك يوم القيامة. وقد قال عنه سيدنا ﷺ: الشيخ عبد الوهاب، نادرة في العلماء. وأضاف فضيلة الشيخ الدكتور محمود قال: إن الشيخ عبد الوهاب كان معروفاً من الأبدال.

عامراً بالإرشاد والمواعظ، ونشر العلم والفضيلة بوجودكم، ونسأله تعالى أن يديم نفعكم، وأن يمدّنا من أنواركم وبركاتكم، ويحشرنا جميعاً، تحت لواء سيّد المرسلين ﷺ)[١].

الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت
(المكنّى بأبي حنيفة الصغير)[٢]. دمشق

- (السيّد النّبهان أخذ عقلي ولبّي، وهذا الرجل أجمل من رأته عيني، وكنت أتمنى أن أقضي مدّة حياتي في سورية، لأجل السيّد النّبهان، مع احترامي للحرمين الشريفين اللذين بقيت فيهما مدرساً ثلاث سنوات)[٣].

الشيخ الدكتور محمّد توفيق السبع، مصر

- (هؤلاء هم الملوك، ما هو نحن الملوك، وهؤلاء لا ينازعهم على ملكهم أحد).

(١) حدثنا الشيخ الدكتور محمود أحمد الزين قال: رأيت صورة رسالة الشيخ عبد الوهاب رحمه الله التي أرسلها إلى سيدنا رضي الله عنه عند أستاذنا الدكتور محمود فجّال حفظه الله وفيها يخاطب سيدنا بقوله الذي ذكرناه.

(٢) قال عنه سيدنا النبهان رضي الله عنه : (الشيخ عبد الوهاب نادرة العلماء).

(٣) حدثنا بهذه الرواية الشيخ فيصل جمعة طه قال: كنا في مدينة طنطا بمصر، أنا والشيخ علاوي علوش والشيخ عماد سلامة - وبعضهم مدرس في المدرسة الكلتاوية في حلب - فالتقينا بالعالم الشهير الشيخ الدكتور محمّد توفيق السبع، فتعرف إلينا، ولما علم بأننا من تلاميذ السيّد النّبهان رضي الله عنه ذكر ما رويناه أعلاه.

- (والله يا وليدي هو الملك، ويا ليتني تشرّفت بخدمته)[(١)].

الملك فيصل آل سعود/ ملك المملكة العربية السعودية

- (أنا أرضى أن يكون الشيخ محمّد النّبهان حكماً فيما بيننا)[(٢)].

الملك الحسين بن طلال/ ملك المملكة الأردنية الهاشمية

(١) انظر: بحث حجّته الثانية ﷺ في: فصل أسفاره، القسم الثالث من هذا الكتاب.

(٢) حدثنا بهذه الرواية، الأستاذ المرحوم حسان فرفوطي، عضو الهيئة الإدارية في جمعية النهضة الإسلامية بحلب، وأحد مدرسي الكلتاوية، قال: وهذه المسألة جرت بين الملك حسين بن طلال رحمه الله وحكومة الأتاسي الذي وقف إلى جانب منظمة التحرير الفلسطينية، حين اختلف معها، وقد أكد هذه الرواية لنا الشيخ الدكتور محمود أحمد الزين.

القسم الأول

إشراقات البداية

الفصل الأول

فتى حلب

- نسبه ومولده.
- نشأته.
- سفرةٌ إلى حمص.
- ليس كمثله تاجر.
- عمارة لخدمة العشيرة.
- هاتف من العناية الإلٰهية.
- خطوة على المفترق.

نسبه رضي الله عنه

هو سيّدنا الشيخ محمّد بن أحمد بن نبهان ومنه عرف بالنّبهان والنّبهاني ونبهان بن خضر، وَبهِ يدعى قومه بالخضيرات ويرجع نسبهم إلى القبائل الزبيدية، وهم أربع شعب: أكبرهم: حسين الملقب بـ(الحوت) والثاني: حسن، والثالث: أحمد الملقب بـ(غانم) لكرمه، ورابعهم: نبهان.

أما من جهة أمّه فوالدته فاطمة بنت محمود بن عبد العزيز بن خشمان، من ذرّية الإمام إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمّد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن سيّدنا الإمام الحسين رضي الله عنه بن سيّدنا علي كرم الله وجهه، وأمّه الأولى سيّدة نساء العالمين السيّدة فاطمة الزهراء البتول بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان رضي الله عنه يعتز بانتسابه هذا ويقول: (سيّدتنا فاطمة أمي، وآل البيت أخوالي).

منازل عشيرته في شرق مدينة حلب باتجاه الرقة وجدّه نبهان يسكن قرية تسمى «الصفّة»، أما منازل أخواله ففي جنوب شرقي المدينة.

مولـده رضي الله عنه

ولد غصن الكمال يوم الخميس في الثامن من ربيع الأول سنة ١٣١٨هـ الموافق للخامس من تموز سنة ١٩٠٠م[(١)] في محلة (باب النيرب) بمدينة (حلب) من بلاد الشام، ولم يكن حمله متعباً لوالدته، قال رضي الله عنه: (قالت لي أمّي رحمها الله: أنت خفيف خفيف يا ابني، ما لاقيتُ ثقلاً فيك أبداً).

وباب النَيْرب: أحد الأبواب العشرة القديمة لمدينة حلب وهي: باب الله، باب النيرب، باب النصر، باب الفرج، باب الأحمر، باب قنسرين، باب أنطاكية، باب جنين، باب المقام، باب الحديد.

وباب النَيرب: حيٌّ شعبي كبير في جنوب مدينة حلب، يتفرع إلى أزقّة ضيّقة ومساكن مزدحمة، وفي وقت إقامة سيّدنا فيها يكسو الربيع سطوحها بحلّةٍ خضراء لكونها من طين، تجمع قاطنيها ببقيّة أهل حلب صفات العروبة، الشرف، والكرم، والشجاعة، وتميّزهم صلابة وجلادة، فهم معروفون بشدّة بأسهم، وسرعة ثورتهم، وموسومون بقوّة لهجتهم، وطريقة تحدّثهم، وكثرة نزاعاتهم، تغلبهم الطبيعة القبلية؛ لأن أكثرهم من أبناء القبائل ووجهائهم، ومنهم والد السيّد النّبهان رضي الله عنه شيخ الخضيرات.

---

(١) حدثنا الشيخ خليل محمّد الفياض الكبيسي من الفلوجة بالعراق قال: كنا أنا ووالدي عند سيّدنا في حلب، فسأل رضي الله عنه عن سنة ولادة والدي؟ فقلنا: سنة ١٣٢٠هـ، فقال رضي الله عنه: (أما أنا فقد ولدت في سنة ١٣١٨هـ). وقد سألت ابن سيّدنا أحمد أبا فاروق عن ولادة سيّدنا؟ فقال: إن عمّي الحاج علي قد ولد سنة ١٣٢٠هـ وإن والدي قبله بسنتين.
وسألته رضي الله عنه عن يوم ولادته، فأجاب وكتب بخط يده: يوم ٨ من ربيع الأول.

نشأته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

في ذلك الحيّ نما رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ونشأ، وفي أسرة تتمتّع بوجاهة وغنى زها وتلألأ، فوالده أحمد الليرات(١) مع أنّه أمّي لا يقرأ ولا يكتب، فهو زعيم قومه ومرجعهم، صاحب ثروة طائلة، بيته للحاضر والبادي، والناس عليه بين رائح أو غادٍ، لأخذ المشورات والفصل في الخصومات، ولهذه الأمور مع ما أضفى عليه أبواه من حب وحنان أثرٌ كبير في تنمية عوده وإشراقة بدايته، إذ هو صبيّ مدلل ومرفَّه، ظهر أثر النعمة على هيأته، إذا تجوّل في دروب الحي تشخص إليه أعين من يراه، ومع أنّه كثير الحركة والنشاط إلا أن ألعابه وحركاته بريئة ومهذّبة، وفي أحواله جميعها تحفُّ به عناية الله وترعاه.

واستأثرت لعب القلل والأكعاب(٢) وطائرات الورق ببعض وقته لكن ألعابه هذه تزامنت ودخوله في الكتّاب، وهو ما زهّده بتلك اللعب فتركها بين الخامسة والسادسة من عمره، وكان انتماؤه إلى الكتّاب بدافع من ذاته لم يدفعْه إليه أو يلزمه به أحد، وهو ما جعله أحرص أقرانه وأسبقهم إلى حلقة الشيخ، يقف في عتمة الفجر على باب المسجد قبل أن يُفتَح، ويتلقّى دون تغيّب أو انقطاع، ويتمنّى ألّا يكون في الأسبوع يوم عطلة لئلا يتأخر عن التلقي والقراءة، وحفظ قبل كل شيء دعاءً يبدأ به جزء (ألف باء) يقرؤه

(١) يلقب بالليرات لكثرة ليرات الذهب عنده.

(٢) القلّة: قطعة صغيرة من الخشب مدببة الطرفين، ترمى إما باليد وإما بضرب طرفها بعصا كبيرة، لتطير ويتسابق الصبيان للإمساك بها، وهذا هو المعروف في حلب قديماً باسم (التوش). وأما الأكعاب: فهي أجزاء عظمية من أيدي الأغنام وأرجلها.

شيخ الحلقة ويترنّم: (يا فتّاح يا رزاق يا عليم، يا كريم يا رحيم يا الله، ربّ يسّر ولا تعسّر رب تمم بالخير آمين).

وما إن أتمَّ على الشيخ أربعة أجزاء (عمَّ وتبارك وقد سمع والذاريات) أكمل بنفسه قراءة الأجزاء الستة والعشرين، وأسمعها لمعلّمه، فختم القرآن الكريم قراءة وتجويداً في فترة هي دون السنة، ثمّ تعلم بعدها قواعد الحساب[(١)].

ولمّا بلغ السابعة أصبح مفتاح المسجد القريب بيده يفتح ويقفل وينظِّف ويخدم، مواظباً على الصلاة منذ نعومة أظفاره.

ومن صغره يحب الرسول ﷺ ويحبُّ الأولياء، قال رضي الله عنه : (أنا رأس مالي من صغري محبة الرسول ﷺ ومحبّة الأولياء)..

كما يحبّ المنسوبين لآل البيت النبوي، فإذا رأى أحداً متوّجاً بعمامة خضراء اعتقده وليّاً لله تعالى، يجذب قلبه ولا يحطُّ نظره حتى تغيب عنه رؤيتُه.

وأصحابه قِلّةٌ قال رضي الله عنه : (أصحابي قليلون، وأكثر أيّامي أمشي وحدي، وإذا مشيت مع أحد فمع الأكبر منّي، وما خطر لي يوماً أن أمشي مع أصغر منّي، وأنا أصلّي من صغري، وما حكم عليّ رفاقي أبداً بل أنا حاكمٌ عليهم).

وكان في بعض أوقاته رضي الله عنه يذهب إلى خيمة (كركوظ وعيواظ) وهي مسرح شعبي يجتذب الناشئة للتسلية، ويدار من تحت الخيمة لتظهر على

(١) تلقى مبادئ القراءة والكتابة وتلاوة القرآن الكريم وتجويده على الشيخ عبد الوهاب المصري، والشيخ أحمد حميده الناصر.

جوانبها خيالاتٌ بأشخاصٍ وهيئاتٍ مختلفة، يدور الحوار فيها بين كركوظ الصغير وعيواظ الكبير، أما الذي يحرّك ويسكّن الدُّمى من تحت الخيمة فشخص يُدعى (أبو يوسف) لا غيره، وحين عرف رضي الله عنه من يحرّك ويسكّن خلص إلى فهم دقيق وتوحيد عميق أن المحرّك والمسكّن في خيمة الوجود كلّه هو الله سبحانه، لا إلٰه إلا الله، أحد أحد، ليس معه أحد، وأن الخلق كلّه قائم بسرّ الله تعالى فإذا سحب منه السرّ فليست إلا دُمىً أو جلدات معلّقة، قال رضي الله عنه : (آه.. عرفنا ما في الخيمة غير أبي يوسف، وهي خيمة الوجود، ما فيها غير الله هو الذي أمرَنا وهو الذي نهانا) فذلك هو توحيد الفطرة الذي ملأ قلبه في الصغر.

كما أنّه شجاع لا يخاف، يراهن على وصوله وحيداً في العتمة والبرد والمطر إلى البستان الفلاني ليضع فيه علامةً.. وإذا اختلف مع صديق في مسألة أخذ بيده إلى شيخ علم ليحكم بينهما، معتقداً بنقاء فطرته أن شيخ العلم لا يتكلّم إلا الحق والصدق، قال رضي الله عنه : (كنت أعتقد العالِم عبارة عن ملَك يمشي على وجه الأرض).. تلك هي أيام الصبا.

ثمّ دخل المدرسة الابتدائية، وتلقى بعض دروسه فيها باللغة التركية على زمن العثمانيين.

ومن الغريب أن تسمع عن فتىً تزوج قبل بلوغه، إذْ أسرع أبواه بتزويجه في الثانية عشرة من عمره[1] بالسيّدة مريم قاسم الخضيرات[2] وهي

---

(١) ورد في سيرة سيّدنا عبد الله بن عمرو بن العاص أنه لم يكن بين مولده ومولد أبيه غير اثنتي عشرة سنة، أخرجه البخاري عن الشعبي، انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ج/٣ ص: ٣٥٢.

(٢) من بنات عمومته رضي الله عنه .

أقلّ منه بسنتين، حرص والده على تزويجه لأن الذرّية جاءته على كبر السن، وليس من الزواج الأول[١].

ومنذ حداثة سنّه يتعشق الكمالات الإنسانية، ويتلذذ بمكارم الأخلاق المحمّدية، صادق، عفيف أديب، شديد الحياء، جدّه جدٌّ، وهزله جدٌّ،لم تنخدش فطرته بعيب، ولم تتغبّر جوهرته بصبوة، قال رضي الله عنه : (كان عندي إيمان فطري، فطرتي ما انخدشت).

لسان حاله:

ومذ كنت طفلا فالمعالي تطلُّبي

وتأنف نفسي كل ما هو واضع[٢]

وعُرِف الفتى بشجاعة نادرة، طُويت على قوّة في الجسم، وسرعة في الجري، ومهارة في المصارعة، ودقّةٍ في الرماية، وفروسية عجيبة، وتفوّقٍ

(١) تزوج والده من اثنتين: ابنة خاله حميدو، وابنة عمّه حسن، فلم تنجبا.. وتزوج بالثالثة والدة سيّدنا رضي الله عنه وسائر إخوته وأخواته، أما سبب ارتحال أبيه من قرية (الصفّة) إلى محلة (باب النيرب) في حلب فكان إثر مشاجرة مع ابن أخيه، وقبل زواجه بأمّ أولاده.

(٢) من عينية سيّدنا عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط سيّدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ولد سنة ٧٦٧هـ - ١٣٦٥م وتوفي سنة ٨٣٢هـ - ١٤٢٨م. ودفن في جانب الرصافة من بغداد ما بين باب المعظَّم والباب الشرقي، وهو من أكابر الصّوفية، وقصيدته العينية فريدة في الحب الإلٰهي، قال عنه سيّدنا النّبهان رضي الله عنه : الشيخ عبد الكريم الجيلي كان في المرتبة الثانية في التحقيق بعد الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي. له مؤلَّفات كثيرة قيّمة منها: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، والكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمٰن الرحيم، والمناظر الإلٰهية، ورسالة السفر القريب، وشرح مشكلات الفتوحات المكية، والكمالات الإلٰهية في الصّفات المحمّدية، والناموس الأعظم والقاموس الأقدم.. والكثير غيرها.

في ترويض الخيل وتطبيعها، قال ﵁: (وكنت لا يسبقني أحد بسرعة الجري، ولا يرميني أحد في المصارعة، وفي ركوب الخيل قليل من هو مثلي، وفي ضرب النيشان(١) أرمي إبرة).

وألزم نفسه بتدريب عنيف يشبه لعب الحبشة(٢) أو كمن يتهيأ لقتالٍ في سوح الجهاد.

قال ﵁: (من صغري أحمل فرداً «أي مسدساً» أخاف على حالي، ولا أحد يقدر أن يلحق بي، ربّما الخيّال لا يلحقني! وما جاءني يوم اعتديت فيه على أحد ولا أعرف الاعتداء أبداً).

وفي بعض ملاطفته لزوجه كان يسابقها(٣)، ويسمح لها أن تسبقه مراعاةً لصغر سنّها فتلومه زوجة أبيه قائلةً: إذا سمحتَ لها أن تغلبك فسوف تبقى معها مغلوباً ما حييت! إلّا أنّ الواقع أثبت خلاف ما أوصت به.

سفرةٌ إلى حمص

ولمّا بلغ ﵁ خمس عشرة سنة وفد إلى حمص سنة ١٩١٥م الشريف حسين وولده فيصل الأول رحمهما الله تعالى، فخرج إليهما مع جمع من

(١) النيشان: لفظ عربي فصيح يعني: الهدف.
(٢) من ممارسات الصحابة وتدريباتهم على القتال بالسيوف والحراب.
(٣) اقتداءً برسول الله ﷺ في مسابقته ﷺ للسيدة عائشة، حيث يقول: يقولون سابق رسول الله ﷺ زوجته عائشة، قال ﵁: (لا.. ما سابق زوجته، سابق طفلة ليربطها به. أنا سابقت ابن الحاج فوزي شمسي، لن ينسى هذا الطفل أنه سابق الشيخ محمّداً النّبهان، فكان الغرض من المسابقة التنزل لعقل الصغير وربطه به).

وجهاء حلب وشبابها.. فأحبّه الملك فيصل[١] كثيراً، بعد أن اختبر الحاضرين بالفروسية والرماية، فوجده أسبقهم وأدقَّهم في الإصابة، ثمّ أجلسه الشريفان بينهما.

وعند المساء ذهب من كان معه، إلى أماكن اللهو والنزهة، ولم يبق في دار إقامته إلّا عجوز هي صاحبة المنزل تأتيه، وتقول: شيخي الصغير، هل أعبئ لك الإبريق لتتوضأ؟ فيجيبها: نعم. ويصلّي وحده!

ثمّ رجع إلى حلب وبحوزته ما شاء الله من الذخيرة، ابتاعها من حمص لسلاحه.

ليس كمثله تاجر

ولِما يعرِفه عنه والده من صدق وأمانة ورجاحة عقل ورزانة، ولكونه أكبر أبنائه[٢] أوكل إليه إدارة عمله في التجارة[٣] في خان لبيع المحاصيل، فأثمر حسن خلقه وتعامله في البيع والشراء والاقتضاء عن كثرةٍ في الزبائن وبركةٍ في المال؛ إذْ هو تاجرٌ لا يقصد زيادة أموال أبيه، بل ليجعل من الخان دائرةَ عملٍ خيري لإعانة المعوزين والمنكوبين، يهدي ويقرض ويتصدّق.. جاءه ذو حاجة لثلاثمائة وستين ليرة ذهب، فأقرضه المبلغ

(١) الملك فيصل الأول: أول ملك على سوريّا والعراق بعد سقوط الدولة العثمانية سنة ١٩٢٠م.
(٢) إخوته رضي الله عنه أربعة: علي وحسن وعبد المجيد وجميل.
(٣) ومعظم أعماله التجارية في الحبوب والبذور.

كلّه، ووهب لقصّاب مبلغاً يشتغل فيه، وجعل لآخر مثل سابقه، فتضايق والده رَحِمَهُ اللَّهُ، إذْ ساوره شكٌّ أنَّ المال سيتلف بين قرضٍ وصدقة، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يقول لي والدي رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تقرضْ! وأنا أقرضُ، ولا أطالبُ أحداً!).

وحين أدرك عدم رضا والده صار يحدّث نفسه: كيف يكون عندي مال، ويأتيني صاحب أو محتاج فأمنعه؟ يا رب، أنا هذه الدنيا لا تعجبني، فخذني إلى دنيا غيرها..

ويرِد على قلبه أنْ: ما خُلقت للتجارة يا محمّد. ويستشعر من داخله فقدان شيء قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وكنت أحسُّ من داخلي أنني مضيّع شيئاً، أبحث عنه فلا أعلم ما هو)..

ومن خلال هذا الخاطر أو ذاك يتطلع إلى نقلة لعالم ليس فيه دنيا ولا تجارة.

عمارة لخدمة العشيرة

وفي آخر سنة له في التجارة كان والده في الثمانين من عمره وهو بحاجة إلى ولده لا للتجارة فحسب، وإنما ليعينه في زعامة العشيرة ويخلفه فيها.

وفي قرية الصفّة حيث منازل قومه، عمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى بناء مَضيف؛ يجمع إليه الكلمة فيه، حتى إذا اكتمل العمار وآن أوان افتتاحه للاجتماعات: حدث أمرٌ..!

هاتف من العناية الإلهية

في مقهى إلى الغرب من باب الفرج يقضي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعض أمسياته، والمقهى آنذاك منتدى الأقارب والأصحاب، خالٍ من اختلاط النساء بالرجال.

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (رحنْا، قعدْنا قبل المغرب في مقهى «الشاه بندر» أنا ورفيقي «علي أبو اصطيف» وأنا أصلّي، ولا أمشي إلا مع من هو أكبر منّي، لكن القيادة لي دائماً، فنظرت في الساعة فلم يبقَ للمغرب إلّا خمس دقائق، فقمت فقال: إلى أين؟

قلت: إلى الصلاة.

قال: آلآن وقت الصلاة؟

قلت: آلآن وقت قهوة؟ أنا عندي مقاهي الدنيا كلّها لا تعدل ذرّة من الصلاة.

قال: أترجع؟

قلت: نعم سأرجع.. فجئت جامع (الملاّ خانة المولوية) فصليت، ثمّ سرتُ في طريق العودة إلى المقهى، وأنا أستغفر الله، إذْ كان لي بعد المغرب وِرْدُ استغفارٍ سبعين مرّة، وصلاة على النبيّ سبعين مرّة، ولا إلٰه إلا الله سبعين مرّة، وإذا أنا بيدين قوّيتين لا أراهما تمسكان بي وتفتلاني[1] من المغرب إلى المشرق، وصوت قوي من داخلي أسمعه بكل ذرّاتي: أين

(١) تفتلاني: يعني تديراني.

رائح؟ أين رائح؟ من القهوة للجامع سلّمنا لك، أما من الجامع إلى القهوة فلا!! وما رأيت أحداً حولي ولا من بعيد! جاءني النور فأحاطني من رأسي إلى قدمي، وما بقي في دماغي عالم ولا دنيا ولا أعرف شيئاً! كأنّ واحداً فتلني من باب الفرج إلى باب النيرب بقوّة أربعين حصاناً..

وبينما أنا ماشٍ إلى البيت، جاءني أبو مرّة(١) في الطريق فقال لي: أين قولك لصاحبك نعم سأرجع؟ ألست صادقاً؟ ألست أميناً؟ ألم تعطِ وعداً وأنت لا تخلف الوعد..؟ لكنّ واردي قوي فلم يقف أمامه شيء!.

وصلت إلى البيت، وبعد قليل أُذّن للعشاء فصلّيت، وإذا بالباب يُطرَق فعرفت أنّه صاحبي، وخرجتُ فإذا هو: عليٌّ، فأراد أن يحكي(٢) فقلت: اسكت لا تحكِ أنا أحكي! صار معي كذا وكذا. فسكت كأنّك صببتَ عليه ماءً بارداً (والنعمين منه!)(٣).

فلم يعد ﵁ إلى المقهى بعدها... تُذكِّرُنا حالته بسيّدنا إبراهيم بن أدهم ﵁ وما كان عليه من إمارة وغنىً ودلال، وحب للخيل والصيد والتجوال، فسمع هاتفاً (وهو على جواده) يقول له يا إبراهيم ما خُلِقتَ لهذا. ثلاثاً..! فنزل عن جواده، وتعرّف إلى راعٍ فبادله الثياب، وتبرأ مما كان عليه وهام.

وكذلك فعل سيّدنا النّبهان ﵁ إذ تبرأ من التجارة والإمارة، مخلّفاً الدنيا والاشتغال بالأدنى ومجالس باب النيرب وراء الوراء، متوجهاً بهمّته

---

(١) أبو مرّة: إبليس.
(٢) يحكي: يتكلّم.
(٣) يعني: أنعم به مرتين.

إلى الله عازماً على طلب العلم.. دون تأثرٍ بصاحب أو جليس أو أمرٍ من قريب أو غريب، وتلك مناسبة بينه وبين سيّدنا إبراهيم بن أدهم أشار إليها رضي الله عنه قائلاً: (الشيخ إبراهيم بن أدهم وجواده، أنا محمّد بن أحمد النّبهان جرت معي، هذه اسمها عناية، قبل أن أدخل العلم بشيء قليل، قبل أن أدخل العلم بأشهر).

ثمّ جاءت ليلة النصف من شعبان، والناس على فطرتهم يترقبون تلك الليلة المباركة ليجتمعوا في المساجد يجهرون بسورة (يس) ويعيدونها، ويتضرّعون عَقِب كلّ تلاوةٍ بدعاء (إلٰهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شهر شعبان المعظّم التي يُفرَق فيها كل أمْر حكيمٍ ويُبرَم..). ليلةٌ عظيمةٌ اعتاد الناس قيامَها وصيامَ نهارها(١)، فحضر رضي الله عنه حفلَها فاجتذبه إلى الله ورسوله حنانٌ واحتواه نحيب، وهكذا ربّنا يستجيب لتكون الليلة فرقاناً،

---

(١) أخرج ابن ماجه في باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان (١/ ٤٤) برقم: (١٣٨٨): عن سيّدنا علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له! ألا من مسترزق فأرزقه! ألا من مبتلى فأعافيه! ألا كذا ألا كذا.. حتى يطلع الفجر**»، وأحاديث قيامها كثيرة منها الصحيح والضعيف.
وأما الصيام ففيه حديث يقول فيه النبيّ ﷺ لبعض أصحابه: «**هل صمت من سُرّة شعبان؟**» قال: لا! قال: «**فإذا أفطرتَ فصم مكانه**». صحيح مسلم باب صوم سرر شعبان (٢/ ٨٢٠) برقم: (١١٦١) و(١١٦٢): وسُرّة الشيء: وسطه، وجاء في رواية عنه في المسند المستخرج على صحيح مسلم: (**هل صمتَ من سَرر شعبان؟**) وظاهر معناه أنه آخره، حيث يستسر الهلال فلا يظهر، لكن ترجّح تفسيره لأوسط شعبان لأن مسلماً روى حديثاً: (لا تقدموا صيام رمضان بيوم ولا يومين) وهذان الأخيران هما السرار، ولأن السرّة هي الأوسط فاتفاق معنى الروايتين أولى.. ينظر الحديث (لا تقدموا..) في مسند الإمام أحمد ابن حنبل (٢/ ٥٢١) رقم: (١٠٧٦٥).

تأخذ به إلى ما كان يبحث عنه ويحسّ بفقده، وعزم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على طلب العلم والتفرغ له.

ففزع والده وجزع حين علم بعزمْه دخول مدارس الشرع، لأنّه أكبر إخوته، والعمل كلّه بعهدته، فكيف ينصرف لطلب العلم!، فتوسط لدى فضيلة الشيخ نجيب سراج الدين رَحِمَهُ اللهُ (١) لعله يقنع ولده بالتراجع عن عزيمته، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (قال لي الشيخ نجيب رَحِمَهُ اللهُ : يا بني، إرضاء والدك فرضٌ والعلمُ فرض، احضر للعلم كلَّ يوم ساعة.. قلت: لا تكفيني!

قال: اجعل النهار نصفين بين العلم والتجارة، قلت: جَبَسَتان(٢) لا تحملان في كف، وإني أريد العلم.

وحين أدرك الشيخ صدقَ إرادتي قال: أودُّ أن أعلِّمك علماً، قلت: تفضّلْ.

قال: قل كلّ يوم: اللهمّ ارزقني العلم النافع. ثلاث مرات، يَرضى والدُك، ويُفتَح عليك بفتوح العارفين.

قلت: على رأسي، هذه أتمكن منها!!

ثمّ أرسلت صاحبي إلى مفتي حلب آنذاك الشيخ أحمد الكردي رَحِمَهُ اللهُ (٣)

---

(١) الشيخ نجيب سراج الدين: أحد علماء حلب الصالحين الكبار، وهو والد العلامة الشيخ عبد الله سراج الدين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(٢) مفردها: جبَسَة، من اللهجة الدارجة في بعض بلاد الشام، تطلق على البطيخ الأحمر، أو (الرقّي) عند العراقيين، أو (الحبحب) عند أهل الحجاز.

(٣) الشيخ أحمد الكردي: مفتي حلب التقي الورع العابد، كان صلباً في كلمة الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، وفتواه هذه مبنية على أن الوالد غير مضطر إليه، بل يمكن الاعتماد على أبنائه الآخرين في التجارة. وإن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فسأله لأجلي وجعل السؤال عن نفسه، فقال: والدي غنيّ، أمّي لا يقرأ ولا يكتب، وأنا أكبر أولاده، وأشتغلُ بتجارته، وأرغبُ في طلب العلم، لكنّه لا يرضى! فقال له: اطلبْ العلم رضيَ أبوك أو لم يرضَ... فوجدتُه أشجعَ الشجعان).

خطوةٌ على المفتَرق

جاءت خطوته التالية (الانتقال إلى طلب العلم والطريق) نتيجة تمنياته وتأمّلاته، وثمرةً لإشراقة بدايته ومقدّماته، مع أن الحالة الأولى ليست منفصلة عمّا بعدها، بل هي بمنزلة الأرضية الصلبة والقاعدة المتينة لمستقبل حياته وتطلعاته، إذ هو فتى حلب كرماً وشرفاً وشجاعةً، وصدقاً وأمانةً وفروسيةً، وهو ملتزم بالصلاة، ولوع بكتاب الله، ملازم لجملة أذكار وأوراد، متعلم بما يحمل على الاستقامة قبل أن يدخل مدارس العلم، وسالك قبل أن يتعهده شيخ أو ينتمي إلى طريق، والرؤيا صادقة عنده كاليقظة لصفاء قلبه، لكنّ خطوته هذه ضرورة يحتّمها تلازم العلم والسلوك التام.

ومن عجيب التقدير الإلٰهي أن يُلحَق البيت الذي أنشأه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لخدمة العشيرة، بعمارة مسجد القرية بعد أن لحق صاحبه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالمساجد لطلب العلم.

الفصل الثاني

في ميادين العلم والسلوك الصوفي

- في مدرسة القرناصية.
- في الشرعية الخسروية.
- في طريق القوم أهل الله.
- حديث لخادمه.
- نفحة من جامع باب الأحمر.
- أدب يا هو.
- صدق عجيب.
- زاد الطريق.
- الصدق متبوع بالابتلاء.
- جائزة الابتلاء.
- في الأزهر الشريف.

في مدرسة القرناصية

في سنة ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م دخل ﷺ القرناصية الشرعية المجاورة لجامع الإسماعيلية بحلب، ومع أوّل قدم وضعها في طلب العلم باشر وصيّة شيخه وواظب عليها، وجعل همَّه العلم الذي يوصل إلى المعلوم سبحانه، لا العلم الذي تُبتَغى به الشهادة والجاه والمعاش، قال ﷺ : (أنا دخلت العلم للعلم، ولأنّ الله تعالى أمر بطلب العلم، من طلب العلم ليتعيّش به لا عيّشه الله تعالى)، قال عليه الصلاة والسلام: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[(١)]. وضمّ إلى هذا المبدأ السامي غاية الأدب والحياء، مع كونه جادّاً حازماً متفائلاً، لا يطرق الكسلُ جنبَه، ولا يجنح للجدل والهزل والفضول لسانُه، ولا يقلُّ نظره في كتبه عن ست ساعات يومياً زيادةً على ما يُلقَى عليه في المدرسة. ووالده الذي فقد المعوَّل عليه في الكسب والعمل حين رأى ما رأى من صدْق ولدهِ وإقبالهِ بكليّتهِ على الله ورسوله، تركهُ لله تعالى ولم يلزمْه بشيءٍ مذْ دخل المدرسة الشرعية، وهذه حالة قلّما يلتفت إليها آباء طلبة العلم.

وبعد أن أمضى في القرناصية سنةً، حمله الشوق إلى الحجاز لزيارة

(١) المعجم الأوسط: للطبراني (١/٨) برقم: (٩).

حضرة سيّد الخلق محمّد ﷺ وأداء فريضة الحج، فجاء يخبر أباه، فقال الوالد: بلغني.. ولكن متى سيكون السفر؟

قال رضي الله عنه: (صباح الغد).

قال: أفّ! ولِمَ لَمْ تخبِرْني مِن قبل؟

قال رضي الله عنه: (لأنّك ستمنعني، وتقول: لا زلت شاباً).

وكان رضي الله عنه إذا عزم على أمر فيه مرضاة الله تعالى لا يتراجع، لأجل ذلك يقول له والده: أنت كردي![1] فتحقق له ما أراد وحجّ على الإبل حجّته الأولى سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م.

في الخسروية الشرعية (الكليّة الشرعية)

وبعد عودته رضي الله عنه من الحجاز سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م انتقل من القرناصية وألقى رحله في الخسروية الشرعية، ومدرسوها آنذاك كبار علماء حلب منهم: الشيخ أحمد الكردي مفتي حلب، والشيخ محمّد أسعد العبجي مفتي الشافعية، والشيخ أبو الفضل الطيّار، والشيخ فضل الله الأيوبي[2].

(١) وهي كلمة ثناء على الكرد؛ لأنّهم إذا عزموا على أمر لا يتراجعون.

(٢) تنسب الخسروية إلى خسرو باشا بن سنان الذي أوقف أرضها وأوصى ببنائها، وخسرو باشا هذا - رحمه الله تعالى - وَلِيَ كفالة حلب سنة ٩٣٨هـ ثم وَلِيَ كفالة مصر، ثم أصبح الوزير الرابع في الدولة العثمانية السلطانية نسبةً إلى السلطان سليم خان، تقع الخسروية في محلة السفاحية المجاورة لقلعة حلب غرباً، يتّسم مسجدها ببناء ضخم وقبّة ومنارة =

. . . .

= مرتفعتين جذّابتين، وهي أوّل جامع ومدرسة وتكيّة بنيت أيام الدولة العثمانية بحلب، وقع الفراغ من تشييدها سنة ٩٥١هـ واستمرت دروس العلم فيها زمناً طويلاً، ثم توقفت مدّة، ثم عادت في بدايات دخول فرنسا إلى سورية قبل دخول السيّد النّبهان إليها بقليل، وابتدأت الدراسة فيها بخمسة صفوف، ثم تغير اسمها إلى الكليّة الشرعية، وتعرف الآن بـ(الثانوية الشرعية).

نقلاً بتصرف عن بحث كتبه الدكتور محمّد فاروق النّبهان في مجلة دار الحديث الحسنية بالمغرب، العدد الحادي عشر ص: ٤٠٤، سنة ١٤١٤هـ - الموافق ١٩٩٣م.

مناهج المدرسة العلمية الخسروية ومدرسوها:

١ - القرآن الكريم تلاوة وتجويداً: ومدرسه الشيخ أحمد حامد الأبوتيجي المدني، والشيخ محمّد نور المصري.

٢ - التفسير: ومدرسه الشيخ أحمد الشماع.

٣ - الحديث النبوي الشريف: ومنهاجه على الترتيب الآتي: الأربعون النووية. الشمائل المحمّدية للترمذي. بهجة النفوس (مختصر صحيح البخاري) لابن أبي جمرة الأزدي. الجامع الصحيح للإمام البخاري بشرح القسطلاني، ومدرسه الشيخ: كامل الهبراوي، ثم الشيخ محمّد راغب الطباخ.

٤ - مصطلح الحديث: ومنهاجه: مقدمة ابن الصلاح، ومدرسوه الشيخ محمّد راغب الطباخ، والشيخ أحمد الكردي.

٥ - التوحيد وعلم الكلام والمنطق: ومنهاجه: المنهاج السديد شرح جوهرة التوحيد ورسالة التوحيد لمحمّد عبده، ومدرسه الشيخ محمّد الحنيفي، ثم الشيخ فيض الله الكردي.

٦ - الفقه الحنفي: ومنهاجه: مجلة الأحكام الشرعية، وحاشية ابن عابدين، ومدرسوه الشيخ أحمد الزرقا، والشيخ أحمد الكردي، والشيخ محمّد سلقيني، والشيخ محمّد الرشيد.

٧ - الفقه الشافعي: ومنهاجه: الإقناع شرح متن أبي شجاع، وشرح منهج الطلاب، ومدرسوه: الشيخ أحمد المكتبي، والشيخ محمّد سعيد الإدلبي، والشيخ محمّد أسعد العبجي، والشيخ عمر المارتيني.

٨ - الفرائض: ومنهاجها: شرح السراجية وشرح الرحبية، ومدرسوه: الشيخ عبد الله=

دخل ﷺ المدرسة مَرّة فوجدهم في حلقة يذكرون فيها ويبكون، فسألهم: لماذا تبكون؟ قالوا: نبكي، محبّين.. قال ﷺ: (والله هذا شيء جميل، علّموني هذا الحب)!! فذكروا له ديوان ابن الفارض رحمه الله قال ﷺ: (فقرأته فلم أجد فيه ما يقولون، وعلمت أن هذا ليس طريق الحب، وما أدركت الحب إلّا عن طريق الاتباع لسيّدنا محمّد عليه الصلاة والسلام).

في طريق القوم أهل الله

لم يمضِ على انتقاله إلى الخسروية إلّا بضعة أشهر، حتى قَدِم من مدينة حمص إلى حلب الشيخ أبو النصر سليم خلف النقشبندي رحمه الله، وكان مشهوراً بالولاية وصاحب علم وورع وحال مؤثرة، فالتقى به أكثر

= المعطي، والشيخ فيض الله الأيوبي، والشيخ مصطفى باقو.
٩ - التربية والأخلاق: ومدرسها الشيخ عيسى البيانوني.
١٠ - السيرة والتاريخ: ومنهاجها: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، وإتمام الوفاء في سيرة الخلفاء للشيخ الخضري، ومدرسوها: الشيخ محمّد راغب الطباخ، وأمين الله عيروض.
١١ - النحو والصرف والبلاغة وبقية علوم اللغة العربية: من منهاجها: شرح ألفية ابن مالك وحاشية الخضري عليه، من مدرسيها: الشيخ أحمد المكتبي والشيخ عمر الأسد والشيخ محمّد الناشد والشيخ أحمد الكردي والشيخ عبد الله حماد.
١٢ - الرياضيات: ومدرسها الشيخ أبو السعود الكيالي، وأمين الله عيروض.
١٣ - الجغرافيا: ومدرسها الشيخ مصطفى باقو.
١٤ - العلوم العامة والصحة: ومدرسها الشيخ أمين الله عيروض.
أخرجها الشيخ أحمد عبوش في موقع أحباب الكلتاوية.

علماء حلب وطلبتهم فأخذوا عنه الطريقة النقشبندية[1]، وكان رضي الله عنه يلازمه في حلب مدّة إقامته فيها، ويسافر إليه في حمص كلّما سنحت الفرصة له، فأصبح موضع عناية الشيخ واهتمامه لِما رأى فيه من شخصيةٍ وتطلعات، إذْ كانت له على التجرّد لله قوّة، وعلى طلب العلم عزيمة، وعلى اتباع النبي ﷺ وملازمة الأذكار همّة عظيمة، ففي بداية أمره يعتكف رمضان كلّه، ويقضي معظم وقته بالأوراد، فيشفق عليه شيخه ويقول: مهلاً.. ارفق بنفسك.

ويتحدّث رضي الله عنه عن حالته مع شيخه أبي النصر ويقول: (كنت أدخل الدرس وأخرج لا أتكلّم مع أحد أبداً، فيقول لي أصحابي: بالله يا شيخ محمّد البيت الّذي كنّا فيه مع الشيخ كيفَ سقفُه؟! لا أنظر إلى سقف ولا يميناً أو شمالاً.. وأطبّق أكثر مما يقول الشيخ! التطبيق الأتمّ والأكمل، وكنت أعرف مراد الشيخ، فالذي يُبغضه أبغضه، والذي يحبه أحبه، أعرفه فطرياً وبدون تكلف).

وأدرك الشيخ مكانة تلميذه وانجذب إليه وتوجّه له توجُّه سيّدنا يعقوب

---

(١) تنسب الطريقة النقشبندية إلى الشاه (نقشبند): بهاء الدين محمّد بن محمّد البخاري، المتوفى سنة ٧٩١هـ -١٣٩١م، من أهالي بخارى في بلاد ما وراء النهر، قدم إلى بغداد ونشر الطريقة، وله فيها مجالس علم، وظهرت له كرامات عجيبة. ثم انبعثت الطريقة في الهند على يد المصلح الشيخ شاه ولي الله الدهلوي، المتوفى سنة ١٧٨١م، ورفع رايتها في العراق الشيخ الشهير مولانا خالد الشهرزوري النقشبندي، المولود في ١١٩٠هـ الموافق ١٧٧٦م، المتوفى ١٢٤٢هـ الموافق ١٨٢٧م أخذها من الشيخ الدهلوي بعد أن أقام عنده في الهند أكثر من سنة وهو من عشيرة ميكائيلي المنسوبة إلى سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. ومن أحب الاستزادة فعليه بكتاب «الحدائق الوردية في حقائق أجلاّء النقشبندية»، ص: ١٢٥ - ١٤٢، لمؤلّفه عبد المجيد بن محمّد الخاني.

إلى سيّدنا يوسف عليه السلام، وأحبّه محبّةً أثارتْ غيرةً شديدةً وحسداً لدى بعض رفاقه في السلوك، فأطلقوا عليه اسم «ابن الجديدة»[١]. قال رضي الله عنه: (حتى صاروا يقولون: جاء ابن الجديدة! سمّوني: ابن الجديدة! قلت لأحدهم: لماذا تسمّوني ابن الجديدة؟ قال: لأنّك عندما تأتي فالشيخ لا يعرف غيرك!! قلت له: أكان الشيخ مخطئاً أم مصيباً؟ قال: والله مصيب)!.

وأضاف رضي الله عنه: (كنّا أربعةً أو خمسةً في حمص عند شيخنا الّذي يربّينا رحمه الله تعالى، والشيخ يحبني كثيراً، وأثناء رواحنا من ختمٍ إلى ختمٍ بين الفجر والشمس إذا بكلبٍ يأتي إليّ ويعضُّني إلّا أنّه لم يصبْ لحمي! فقال واحدٌ حسود: انظر للكلب ما عرف غيرك! فأجابه شيخنا رحمه الله وأنا أسمع: إنّ هذا الكلب ليس من حيّنا، بل أجنبيّ غريب، جاء خاصّةً ليتبارك به! ولم يجدْ أهلاً للتبرك به غيرَه)!.

ثمّ غلبت عليه رضي الله عنه وحشةٌ من الخلق، لا يتجوّل في المدينة وأسواقها، ولا يخرج إلى أهله إلا ليلاً، وإذا رأى أحدَ أصحابه تخبّأ عنه في أزقّة الحي! فقاطعهم إلّا واحداً، قال رضي الله عنه: (اتخذتُ أخاً في الله تعالى هو الشيخ معروف الدواليبي، كان لي مرآةً؛ الذي في قلبي في قلبه، أأتمر بأمره ويأتمر بأمري، يوميّاً نتحاسب ويوميّاً نترقى، نحاسب أنفسنا نحاسب بصرنا وسمعنا وألسنتنا ومشينا وأين نقعد وأين نأكل، وما بين المغرب والعشاء وقت للمحاسبة بيننا).

وتجاوزت محاسبتهما الأقوالَ والأفعالَ إلى الأفكار والفهوم

---

(١) ابن الجديدة يعني: الابن المدلل للزوجة الأخيرة.

والخواطر، قال ﵁: (بعض مشايخنا لهم دفتران دفتر في الليل وآخر في النهار، وزدنا عليهم أننا نحاسب خواطرنا كذلك، رأيت الخير كل الخير في سيري إلى الله بمحاسبة النفس، أحاسبها الحساب العسير لا اليسير «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»)[1].

وبلغ تحكّمه حتى بالمخيّلة! قال ﵁: (جلست مرّة قريب ساعة ونصف إلى ساعتين، أفكر بخاطر سوء فما حصل)!

وكان ﵁ في وحدته يتفكر ويتساءل ويناجي الله تعالى، فيُلهَم الإجابة! قال ﵁: (كنت مرّة منذ زمن قاعداً وحدي وأنا ولد أخاطب الله تعالى. قلت: يا رب، أنت تقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] يعمل ذنباً بل ذنوباً وتعطيه المحبة أيضاً؟ قال: نعم عبدي، أنا أبيّن لك! قلت: بيّنْ يا ربي، قال: هذا غلب أربعةً: غلب الشيطان الكبير الأهبل، والشيطان الأبيض، والشيطان النمنوم الّذي خُلق بين شيطان الجنّ والإنس وغلب نفسه: أفلا يسمّى محبوباً؟ قلت: يا ربي والله صحيح!.. أخذتها عن ذوقٍ من ذرّاتي)[2].

ولم يكن في هذه الفترة ليتلقى أمراً أو نهياً من أحد في التزامه طاعة

---

(١) من مأثورات سيّدنا عمر بن الخطاب ﵁، أورد ذلك الترمذي في سننه (٤/ ٦٣٨) برقم: (٢٤٥٩)، وتمام الرواية: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخِفّ الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا.

(٢) وهذه المسألة من ضروب الإلهام التي قد ترد للأولياء وذوي القلوب الطاهرة والنفوس الزاكية، وكما ورد في الحديث: أن النبيّ ﷺ قال عن سيّدنا عمر: «**لقد كان في الأمم قبلكم محدَّثون، فإنْ يكنْ في أمّتي فعمَر**». صحيح مسلم (٤/ ١٨٦٤) برقم: (٢٣٩٨).

الله ورسوله وشيخه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (أنا لا أعتقد أنّ أحداً أمرني أو نهاني من يوم دخلت العلم، ولا نفسي طالبتني بشيء من المخالفات؛ لأنني أحاسب نفسي، وهذه من نعم الله تعالى عليّ.. الذاتي لا يحتاج لأحدٍ أن يأمرَه أو ينهاه).

ومن طريف ما بلغنا عنه، أنّه كان يسأل الشيخ معروف الدواليبي[١]: ماذا تريد أن تكون؟ فيجيبه: رئيساً للحكومة! ويسأله صاحبه: وأنت ماذا تريد؟ فيجيبه رَحِمَهُ اللَّهُ: (عبداً لله تعالى) وقد شاء الله تعالى أن يوصل كُلّاً إلى غايته.

فطرح رَحِمَهُ اللَّهُ حُبّ الرئاسة وحُبّ النفس ليحيا حياةً يتلذذ فيها بالعبدية لله عَزَّ وَجَلَّ، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (آخر ما يخرج من قلوب الصدّيقين حب الرئاسة وحب النفس)، وجعل نصْب عينيه سُلَّماً من أربع درجات: العلم والعمل والإخلاص والتبرّي من الحول والقوّة إلى حول الله وقوّته.

ورافق أخذه للعلوم الشرعية قراءة في كتب الصوفية ابتداءً بالرسالة

(١) الدكتور معروف الدواليبي: ولد سنة ١٩٠٧ في حلب ودرس فيها، وتخرج في كلية الشريعة السورية عام ١٩٢٧م، وفي كلية الحقوق عام ١٩٣٥، وحصل على الدكتوراه في باريس عام ١٩٤١، وتدرج في مناصب حكومية عديدة، إلى أن تولى رئاسة الوزراء بعد الانفصال بين سورية ومصر، ويعد سياسياً محنّكاً، شجاعاً جريئاً في طرح ما يعتقد أنّه صواب، بل هو من خيرة السياسيين العرب قاطبة، ترك بصماته الواضحة في السياسة السورية خاصّة، والعربية والإسلامية عامّة، انتقل إلى السعودية بعد انقلاب الثامن من آذار سنة ١٩٦٣، وعمل مستشاراً سياسياً للملك فيصل آل سعود، ومن بعده للملك فهد رحمهما الله تعالى، وبقي في عمله هذا حتى وافاه الأجل في الرياض مساء الخميس ٢٢/ ١١/ ١٤٢٤هـ، - الموافق ١٥/ ١/ ٢٠٠٤م، ودفن في البقيع في المدينة المنورة، عن عمر ناهز الخامسة والتسعين.

القشيرية[1]، ثمّ إحياء علوم الدين، ومجموعة رسائل القصور العوالي[2] للإمام الغزالي، والبرهان المؤيد وحالة أهل الحقيقة مع الله لسيّدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه أجمعين.

وكلَّما تفحّص رضي الله عنه كتبَ القوم، ونظر في سيرة رجل من أهل الله الأكابر، ساءَل رضي الله عنه نفسه: أيمكنني أن أكون مثل هذا؟

وتفقَّه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، فأحسّ من نفسه تعصُّباً للشافعي على بقيّة الأئمة وفقهِهِم، وهذا التعصب قلّما ينجو منه طالب علم فبادر يحاسب نفسه ويعاتبها: لماذا يا نفسي تفضّلين هذا الإمام على ذاك؟ وهذا المذهب على غيره؟.. حتى طرد ذلك التعصُّب.

وولع رضي الله عنه بالسيرة النبوية ولعاً شديداً، وواكب حفظ القرآن ومراجعته، وأحبّ العلوم كلّها إلا الكلام والفلسفة، فلم يجد لهما في قلبه هوىً، ثمّ إنّه رغب في السفر إلى بغداد سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م ليدرس على مشايخ العراق بجوار سيّدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وذلك قبل أن يكمل دراسته في الخسروية، فجاء يودّع شيخه نجيب سراج الدين رحمه الله فقال له: يا شيخي، علم الكلام هذا أنا لا أحبه! فأجابه رحمه الله تعالى: هو ما وُجِد أصلاً من أجل الاعتقاد بل من أجل الردّ على الخصم، فقال رضي الله عنه : (لقد

---

(١) عبد الكريم بن هوازن القشيري: ولد بمدينة نيسابور في ربيع الأول سنة ٣٧٦هـ، وتوفي في ربيع الثاني سنة ٤٦٥هـ. ينظر: طبقات المفسرين ٧٣.

(٢) مجموعة القصور العوالي تضم: القسطاس المستقيم، منهاج العارفين، الرسالة اللدنية، أيها الولد، فيصل التفرقة، مشكاة الأنوار، رسالة الطير، الرسالة الوعظية، إلجام العوام عن علم الكلام، المضنون به على غير أهله، والأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية (المضنون الصغير).

أرحتني يا شيخي فجزاك الله عني خيراً). لكنه عدل عن رغبته في السفر، ليقوم مقام والده في التجارة مدة غيابه للحج)[١].

ولم تقتصر دراسته كعادة بعض طلبة العلم على حفظ المتون، يرددونها بلا فهم، ويلتقمونها بلا مضغ، قال رضي الله عنه : (حفظ المتون بلا شروح طريقة عقيمة)، لذلك فهو يدقق ويفهم ويكتب على حواشي ما يقرأ هوامش وتعليقات، وعلى ما هو عليه من وعي وفطنة، ربّما يضيف لشيخه معنىً في مسألة أو تحقيقاً في قضيّة، قال رضي الله عنه : (كنّا نقرأ درساً في معجزاته ﷺ، فذكر الشيخ تسبيح الحصَى والطعام بكفّه ﷺ، فقلت له: يا شيخي، المعجزة ليست في التسبيح بل في سماعه؛ لأنّ التسبيحَ واقعٌ، شئنا أو أبيْنا، قال الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤] فالمعجزة في سماع التسبيح لا في التسبيح، فسكت رحمه الله وقال: الحق معك).

ومرّة أخرى سمع شيخه نجيب سراج الدين رحمه الله تعالى يقول: إن أعلى المراتب هي الرضا، فاستدرك عليه رضي الله عنه قائلاً: (شيخي، الله يرضى عليك! يقول سيّدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه :

لا زلتُ أرتع في ميادين الرضا
حتى بلغتُ مكانةً لا تُوهَبُ

وهذه المكانة هي الذاتية والعبدية)، فوافقه الشيخ نجيب رحمه الله على قوله.

---

(١) مسجلة: بصوته رضي الله عنه .

ومن أخباره في الخسروية، أنّ طالباً من صف آخر قد أساء بذهابه إلى السينما، وحين تأكّد من فعله دخل عليه ﵁ وضربه! فأثار مديرَ المدرسة الشيخَ أبا الفضل الطيّار؛ لأنّ تأديب الطلبة منوطٌ بالإدارة، فاستدعاه وقال: أَحَضْرتكم مدير ثانٍ هنا؟ فأجابه ﵁ بأدب رفيع: (شيخي، لا تحكِ معي هكذا، إنّي أحبّك). فدخل عليه الشيخ أسعد العبجي رحمه الله تعالى، وصار يعرّفه بمكانة تلميذه محمّد النّبهان، وأنّه من طراز خاص، فأعقبها صحبة وصداقة بينه وبين أبي الفضل رحمه الله تعالى! قال ﵁: (كنت أحبُّه لأنّه كان يزرّ فتحة عنق قميصه).

وربّما يقال: إن زرَّ فتحة العنق لا يستدعي الحب أو البغض، لكنّ الفتى الذي يتعشّق الكمالات المحمّدية لا يودّ أن يلحظ العلماء غير مِرآةٍ تعكِس سُننَ الكمال، مهما كانت تلك السُّنّةُ صغيرةً أو بسيطةً في أعين الناس.

وطرأ عنده تعصُّب لطريقته، مثلما طرأ عليه من قبلُ لمذهبه، قال ﵁: (كان مذهبي شافعياً وطريقتي نقشبندية، وعندي همّة عالية، أجادل الكبير والصغير، فإذا رجعت إلى غرفتي أقول لنفسي: ماذا تريدين؟ ولماذا تجادلين؟ فأبكي وأبكي، حتى منّ الله تعالى عليّ بإزالة ذلك الجدل والتعصب).

ثمّ عهد إليه شيخه بإدارة ختم الذكر النقشبندي وإيواء المريدين وتربيتهم، في جامع باب الأحمر بمدينة حلب، فامتثل.

حديث لخادمه

لا يلمس الناس الصدق والإخلاص في رجل إلا وتنافسوا في التقرب منه وإبداء المحبة والخدمة له، فسبقهم شخص من أبناء محلّته يُدعى الحاج علي القصاب[١] زرناه في بيته، ونحن ثلاثة، فإذا هو في التسعين من عمره، قد طفح نور وجهه، وغشيته السكينة والوقار، قلنا: يا شيخ بلغنا أنّك خدمت سيّدنا النّبهان، فهلاّ حدّثتنا عن أيامه الأولى؟ وكان رحمه الله تعالى واحداً ممن رأيناهم إذا حدّثوا عنه بكوا، فقال ودموعه تنساب إلى شفتين يحركهما ببطء: كنت أرقب سيّدنا وصاحبه معروف الدواليبي، وهما طالبان في الخسروية، فلا أراهما إلا ملكيْن، فلمّا أقام ﵁ في جامع باب الأحمر، تشرّفتُ بخدمته، وأنا أمتهن آنذاك القصابة، وكنت أبيع الذبيحة وأنتهي منها ظُهْراً، ثمّ أشتري لسيّدنا ﵁ ما أوصاني به، وأخرج معه إلى مزرعة الكرم، وأبقى معه، فالسيّد ﵁ يدخل غرفته بعد العشاء، أما أنا فلا أنام الليل كلّه، حتى إذا خرج قبل الفجر وصلّى الصبح اقتديت به، ثمّ نزلت إلى حلب، لا أعرف النوم زمناً طويلاً، كيف؟ لا أدري!

ثمّ منَّ الله تعالى عليّ ببركة تلك الخدمة بترك مهنة الذبح والسلخ التي تورث القلب قسوة وجلادة، وطعامه آنذاك التمر المقلي أو البيض المقلي، أو ما تيسّر من فلفل وزيت وزعتر وكِسَرِ الخبز، ولم يتجاوز ما فرضته الخسروية له من مصروف، وهي ليرة ذهب واحدة في السنة أكلاً وشرباً ولبساً.

---

(١) الحاج علي القصاب: كان قصّاباً، ومؤذناً في جامع باب الأحمر، ينهي عمله قبل الظهر، ويخدم سيّدنا ﵁ بعده، حتى منّ عليه الله تعالى بترك مهنته.

قلنا: أما تحدّثنا عن شيء من كراماته؟ قال: عن أيّها أتحدَّث؟ فحركاته وسكناته وأحواله وأقواله وأفعاله وأخلاقه كلّها كرامات، كرامتهُ: استقامتُه.

كانت لنا بغلةٌ نركبها سويّة إلى بستان لوالد سيّدنا رضي الله عنه وتسمى بـ(الكرِم)[١]، فخرجنا إليها ذات ليلة، وخالُه حارسٌ فيها، فما إن اقتربنا حتى فاجأنا بإطلاق نار، ظنّاً منه أنّنا لصوص، فصرخ رضي الله عنه: (لا يا خالي قتلتني!). وتناثر الرصاص عن صدره دون أذىً! فذلك هو في بداية أمره.

نفحة من جامع باب الأحمر

وفي جامع باب الأحمر، ظهر رضي الله عنه أوّلَ مرّة، بعد مدّة أمضاها في وحشة، فأحاط به جمع غفير بين سالك وتائب ومتبرك، وفي ختم الذكر الذي يقيمه، يحضر قارئٌ للقرآن الكريم حسن الصوت، رقيق القلب يَبكي ويُبكي سيّدنا رضي الله عنه وكلَّ من معه، ويفترش بعضهم الأرض من غلبة الحال عليهم، فيُخيَّل لمنْ يمرّ بين القلعة والجامع أنّ القوم مجتمعون على جنازة، لِمَا هم عليه من ذكر وضراعة! قال رضي الله عنه: (يجيئنا الوارد فشيخنا ورفقاؤنا وجماعتنا يصرخون، وأنا لا أتحرك)، أي لا يصرخ ولا يهتز في الذكر؛ لأنّه رضي الله عنه قوي الروح والقلب على تحمّل الوارد.

فلقيه يوماً في أسواق المدينة رجل، فقال: يا شيخي، هؤلاء صوتهم تحت القلعة من البكاء! قال رضي الله عنه: (وماذا في البكاء؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في ضواحي حلب الجنوبية آنذاك، وتبعد عن قصبتها حوالي عشرة أميال، وهي الآن داخلة في المدينة بعد أن توسعت.

يقول: «**فإنْ لم تبكوا فتباكوْا**»[١]. قال: وهل نحن مثل الرسول ﷺ؟ قال رضي الله عنه: (لئن أمكنني الله تعالى لأضعنّ القدم محل القدم في الاتباع له ﷺ) فاندهش الرجل وانصرف!

وفي البيت الذي ولد فيه رضي الله عنه، وعلى الحالة التي كان عليها بعض أصحاب رسول الله ﷺ: تعالوْا نؤمنْ ساعة[٢]، بقي طيلة مدّة إدارته للختم يلتقي بخمسين إلى سبعين من أصحابه، لا يهجعون الليل! يصلّون على سيّدنا رسول الله ﷺ مائة مرة، ويتحدّثون بكلام أهل الله، وقبل أن يودّع الليل أرجاء حلب بساعة أو ساعتين يأخذهم رضي الله عنه إلى مسجد الكلتاوية لأداء الصلاة.. فإذا بزغت الشمس ناموا قليلاً ثمّ ينهض كلّ واحد لبيته أو عمله.

أدبٌ يا هو[٣]

أدبٌ مع الله تعالى: ظاهره وباطنه مع الله، يستحيي أن يطلب من غير

---

(١) سنن ابن ماجه: باب في حسن الصوت بالقرآن (٤/ ٦٢٢) برقم: (١٣٣٧).
(٢) مسند أحمد ابن حنبل: (١/ ٢٣٠)، برقم: (١٣٨٢٢) ومجمع الزوائد، (١٠/ ٧٦).
(٣) أورد العلّامة أبو الثناء الآلوسي عند قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة ٢٩] مبحث في (هو، والاستواء) ما نصّه: و(هُوَ) عند أهل الله تعالى اسم من أسمائه تعالى ينبئ عن كنْه حقيقته المخصوصة المبرأة عن جميع جهات الكثرة، و(هو) اسم مركب من حرفين الهاء والواو، والهاء أصل والواو زائدة، بدليل سقوطها في التثنية والجمع، فليس في الحقيقة إلا حرف واحد دالٌّ على الواحد الفرد الذي لا موجود سواه! وكل شيء هالكٌ إلا وجهَه، ولمزيد ما فيه من الأسرار اتخذه الأجلّة مداراً لذكرهم وسراجاً لسرّهم، وهو جارٍ مع الأنفاس، ومُسمّاه غائبٌ عن الحدس والقياس. انتهى من تفسير الآلوسي (روح المعاني) (١/ ٢١٥).

الله، أو يعتمد في شيء على سواه، أو يجعل له وجوداً معه، أو حظّاً لنفسه بغيره، أو إرادة بغير مراده.

أدبٌ مع الله تعالى: لا يخشى إلا الله، ولا يغفل عنه، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

أدبٌ مع الله تعالى: ينفّذ فيه أوامر الله ويجتنب نواهيه.

أدبٌ مع الله تعالى: يمتحن فيه نفسه بأقداره عزّ وجلّ، فيفترض أن يبتليه بفقد زوجته أو ولده أو. . . ، فلا يجد إلا تفويضاً وتسليماً لمولاه.

أدبٌ مع الله تعالى: لا تتطلع نفسه إلى حظ في ولاية أو كرامة أو جاهٍ أو مشيخة. . بل حظوظه في الله، لأنّه سبحانه وتعالى هو الله، لا لشيء آخر.

أدبٌ مع الله تعالى: يصوّر فيه نفسَه جليساً لله تعالى يحافظ فيه على الطهارة ولا يتجرّد في حمّام أو غيره.

وأدبٌ مع القرآن: يستمع إليه بتدبر ويبكي.

وأدبٌ مع أشياخه: لا يأكل معهم، ويحفظ ودّهم. قال رضي الله عنه: (كنّا مع أشياخنا مُؤدَّبين لا نأكل معهم، من علّمني حرفاً كنت له عبداً).

وأدبٌ مع طالب العلم: إذا دعاه قال له: (يا شيخ). . . .

وأدبٌ مع زوجته: لا يخاطبها باسمها! بل: (يا أمّ أحمد). .

وأدبٌ مع أبنائه: لا يدعوهم بأسمائهم بل: (يا بني، يا ولدي).

وأدبٌ في الطريق: نظره على قدميه، قال رضي الله عنه: (نظري على قدمي، فإذا سلّم عليّ أحد بدأته ب: اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد، كيف قلبك مع الله؟ وتركته، حتى لا يتكلّم معي بأمور الدنيا). .

وأدبٌ مع الأرض: لا يبصق عليها ولا يتمخط إلا في الأماكن المخصصة أو في منديل.

وأدبٌ مع الجمادات والنباتات: يتلطّف بها، كما لو أنهّا كائنات حيّة، ويعطي كلّ ذي حق حقَّه، فالصابون يغسله بعد أن يغتسل به، والجورب يرتّبه ويضعه في مكان يناسبه، وقسْ على ذلك.

وأدبٌ مع النساء، قال ﵁ : (وكنت أعدّ النظر إلى النساء فوقَ فوقِ الشرك!).

والأغرب من هذا حياؤه حتى من محارمه، قال ﵁ : (أحفظ عيني من النظر إلى النساء، كما أحفظ قلبي من الشرك، وأختي لا أنظر إلى ما تحت عينيها!).

أدبٌ مع الناس: لا ينادي أحداً بصريح اسمه بل بكنيته، ولا من وراء جدار!

أدبٌ مع الناس: لا يكشف ستراً، ولا يتتبع عورة، ولا ينتقد ولا يسيء الظن، ولا ينمّ ولا يغتاب، ولا يرى لنفسه فضلاً أو مِنَّة على أحد، فإنْ ظهر له من أحد عيب أو نقص قال: الحمد لله الذي عافاني[(١)]، ويعتبر بتقصير المقصّر ويقول: المقصّر أو المسيء يقول لنا: هكذا أنا فلا تكن مثلي. ويلحظ المؤدَّبَ فيستفيد من أدبه، وغير المؤدَّب فيؤدّب بالاعتبار به نفسَه. ولا ينسب لنفسه شيئاً من الفضل، بل ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ

(١) اقتباس من حديث للنبي ﷺ أخرجه الترمذي في سننه، باب: ما يقول إذا رأى مبتلى، (٥/ ٤٩٣) برقم: (٣٤٣١).

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤] فـ(أدب يا هو) تشمل عنده الأدب في كل شيء ومع كل شيء، بل هو على مُجمَل آدابه يقول عن نفسه رضي الله عنه: (هذه اللحية تحت كل شعرة منها أدبٌ محمّدي).

صدق عجيب

قال رضي الله عنه: (أنا صادق من صغري، تهابني الإنس والجنّ، لماذا؟ لكوني صادقاً، وهي ليست خصوصية لي! بل كل صادق منكم تهابه الإنس والجنّ، سَيْري كلُّه صدق وإخلاص، ولو كذب هذا اللسان لقطعته!). فالصدق والصراحة دِيْدنهُ فطرةً وسجيّةً.

قال رضي الله عنه: (إنّ أحدَ مشايخنا الّذي كنّا نقرأ عليه التوحيد والمنطق قال: يا شيخ محمّد، ما أجمل وجهك لو قصّرتَ لحيتك قليلاً! فضحكتُ لكوني أحبّه، ولم يكن أحدٌ يجرؤ أن يتحدث معي بهذا الكلام!

وبعد مدّة: كنت تحت القلعة فرأيته، فقلت له: يا شيخي لو أطلت لحيتك قليلاً.

قال: يا شيخ محمّد أنا أنزعج(١)!

قلت: أنا أطبّق شريعة وأنت تنهاني عنها، وأنا آمرك بالشريعة فلماذا تنزعج؟

قال: كم هي الساعة الآن؟

---

(١) والأصل فيها (أزعل) من اللهجة الدارجة بحلب.

وكانت الساعة السادسة إلّا نصف أو ربع دقيقة لا أعرف، فتأخرتُ عن الإجابة، ثمّ قلت: السادسة.

قال: لماذا تأخرْتَ؟

قلت: ما كانت الساعة ستاً.

قال: قل: تقريباً.

قلت له: لا أريد أن أكذب

قال: أود أن أحكي لك حكاية.

قلت: تفضل.

قال: أنظر إلى عوام الناس: هذا يكذب وذاك يخون، وهذا يغش وذاك يغتاب... فلا أقدر على مصاحبتهم، وأنظر إلى الصوفية: لا يكذبون ولا يؤوّلون، وهذه لا أقدر عليها كذلك!!)[1].

زاد الطريق

لا بدّ لكل مسافر من زاد وراحلة.

فأما الزاد فهو التقوى، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وأما الراحلة هنا فهي الاعتقاد قال ﷺ: (مطيّتنا العظمى إلى الله هي الاعتقاد).

---

(١) مراد المتكلم: لا يتمكن من التخلق بكمالاتهم.

ولأجل هذا جعل ﵁ الشريعة طريقته، والأمر والنهي ميزانه في كل لحظة من لحظات الترقّي التي رافقت سيره وسلوكه، وحرص ﵁ على متابعة رسول الله ﷺ في الأقوال والأفعال والأحوال والأخلاق والنيّات، فلم يؤجلْ مسألة تقتضي الامتثال إلى الغد بل دأب على تنفيذ ما علم من يومه، يؤدّي الفرض والسنّة على سواء، ويعمل بعزائم الأمور والأورع والأنفع، ويتقي الشبه والرخص[١]، ويأخذ من المباح بمقدار الضرورة، ولا يتنزل لفعل خلاف الأولى فضلاً عن المحرم والمكروه ويقول ﵁: (نحن عندنا خلاف الأولى: كبيرة). ولا يستهين بشيء يعمّه لفظ الاتباع مهما كان في أعين الناس صغيراً أو يسيراً، ولا يجد سُنّةً ماضية عن رسول الله ﷺ إلّا أحياها.

يكره الذنب، ويحذر المخالفة، ويتساءل ﵁: (هل يقدر عاقلٌ أن يعمل مخالفة؟ هل يقدر عاقلٌ أن يكذب أو يغش أو يخون؟ ويجيب: العاقل لا يعمل مخالفة، ويردِّد: الله شاهدي، الله ناظري، الله معي، الله يشهد باطني، الله ينظر ظاهري، وهو معي في الظاهر والباطن، فكيف أعمل المخالفة وأنا عبده؟ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾) [الحديد: ٤].

وأضاف ﵁: (ومما منَّ الله تعالى به عليّ أن رزقني اتباع حبيبي محمّد ﷺ، في أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه. اتبعته ﷺ في الصغيرة

(١) لأن الأصل في الشرع هو العزيمة، وإنما شرعت الرخصة تخفيفاً؛ للحاجة إليها عند المشقة، ولذا كانت محبة الله لفعل الرخصة مشبهة بمحبته للعزيمة التي هي المحبوب أصلاً، كما في الحديث الشريف: «**إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه**» ولذا كان قدس سره يقول: أنا أفعل العزيمة، لماذا أفعل الرخصة؟ نعم إذا لم أقدر فعلت حينئذ الرخصة، فهي في حقي حينئذ مثل العزيمة.

والكبيرة، ومن كثرة اتباعي إذا سألني أحد: هل الرسول ﷺ يتختم؟ أرفع يدي وأقول: نعم بخنصر اليمنى، وكنّا نقرأ درساً فجاء حديث معناه: إن الله يكره العمامة الصمّاء[(١)] فرفعت عمامتي وأنا في الدرس فأخرجت لها عذبة، سيري من أوله إلى آخره في الاتباع، لا أبالي من أحد، ولا أحب البِدَع، وإذا عرفت عن أحد بدْعةً لا أحبّه أبداً ولا آخذُ عنه)!

وهو غزير الدمع، كثير الدعاء بـ(يا ربّ قلبي قلبي، يا ربّ طهّرْ قلبي، يا ربّ احفظني وإلّا تحفظني أقع). وخلف كل فريضة يقول: (اللهمّ ارزقنا اتباع سيّدنا محمّد ﷺ في الأقوال والأفعال والأحوال والأخلاق، واجعله يا ربّنا روحاً لذاتنا من جميع الوجوه، في الدنيا قبل الآخرة يا عظيم).

الصّدق متبوعٌ بالابتلاء

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الصدق متبوع بالابتلاء، وكل عمل فيه إخلاص لله تعالى فلا بدَّ أن يتبعه ابتلاء).

وعلى هذه القاعدة: وبعد أن أصبح له أصحاب أجهد نفسه في توجيههم وتربيتهم، فلا بدّ أن يتصدّى له الحسدة والمرجفون فيكيدوا له كيداً، فالإفك والحسد توأم، وما من حسود إلا ولديه استعداد أن يُلبِس محسودَه ثوبَ الإفك، فترصّد له أربعة؛ ضاقت أنفسهم بعلوّ مكانته ورِفعة شأنه وسبْقه، فأضمروا شرّاً وتآمروا على قتله، ووشَوا به إلى الشيخ أبي

(١) يعضده الحديث: أنه ﷺ كان إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه، سنن الترمذي، باب: في سدل العمامة بين الكتفين، (٤/ ٢٢٥)، برقم: (١٧٣٦).

النصر رحمه الله تعالى يقولون له: إن مشيخة الطريق آلت إلى الشيخ محمّد النّبهان، ولم يبقَ لك إلا الاسم والرسم!!

وحين بلغه ﵁ خبرهم راجع شيخه بحمص، يوضح الحقيقة قائلاً: (ما أنا ذلك الشخص، ولا هكذا طلبي «يعني المشيخة» والله ما مَثَلي ومَثَلُكم إلّا مَثَل سيّدتنا عائشة والّذين اتهموها! إن قلت لكم نعم: فلا والله ما أنا هكذا، وإن قلت لكم لا: فلن تصدّقوني، وإن شاء الله يا شيخي يريك إيّاها في المنام). واعتذر لشيخه عن إدارة ختم الذكر، فقبل بادئ الأمر اعتذاره، ثمّ ارتحل ﵁ إلى جامع الكلتاوية سنة **١٣٤٧**هـ.

فعاوده الشيخ أبو النصر رحمه الله تعالى في الكلتاوية مرّات يقول له: يا شيخ محمّد إن الطريق ضعف وخرب، وأنا لا أريدك أن ترجع إلى الختم فحسب، بل لتخرج إلى المقاهي، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر! وتكون مثل الشمعة تحرق نفسها من أجل غيرها.

قال ﵁ : (لا، يا شيخي أنا عقلي صغير، وعلمي صغير، وعمري صغير، نفسي فوق الوجود، كيف تريد يا شيخي أن أكون شمعة، تحترق لتضيء للآخرين؟ بعدها: تنطفئ الشمعة وتصير ظلمة، وإذا انطفأت تنطفئ عليّ وعليهم)..

وإنّ من يضع كفيه على أذنيه لئلا يسمع غيبة أو نميمة لا يتنزل للخوض في قيل وقال، أو يقبل بضياع نفسه على حساب غيره؟ وما هي الثمرة التي يجنيها المرء إذا ربح العالم كلّه وخسر نفسه؟ قال ﵁ : (الشيخ أبو النصر ﵀ هو السبب؛ لأنّه يمدحني أمام الصغار والكبار: الشيخ النّبهاني.. الشيخ النّبهاني.. اذهبوا إلى الشيخ النّبهاني.. فدخلوا عليه بعد

ذلك، وقلبوها إلى ضدّية.. فأرسلتُ إليهم من يخبرهم عنّي: وأنا نائم لا أخاف منكم).

وكيف عامل رضي الله عنه الوشاة؟ هل انتقمَ لنفسه؟ أم كظمَ غيظه وأقال العثرات؟

لقد أكرمه الله تعالى بالصبر والسعة والعفو والرحمة والإحسان إلى من أساء إليه، فلم ينتقم لنفسه، ولم يرهم أعداءً أو حسدةً، قال رضي الله عنه: (رأيتهم مؤدِّبين لي ومهذِّبين، ومخلِّقين ومعلِّمين، فأنا أدعو لهم خلف الصلوات الخمس بأسمائهم)، وما أحرى دعاة اليوم بأن يتخلقوا بهذه الأخلاق، لئلا يختلف المسلم مع أخيه بسبب الولاء للتسميات، بدلاً من الولاء لله تعالى ورسوله ولسائر المؤمنين ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

وكان رضي الله عنه بداية طلبه للعلم، يجد في نفسه أنّه أحسن من غيره! لأنه كان صادقاً لا يكذب مطلقاً، وطلبَ العلمَ للعلم لا لشهادة أو لدنياً، فلمّا تمكّن في السير والسلوك، وصُبَّت عليه الابتلاءات صَبّاً، أصبح لا يرى نفسه أحسن من مخلوق على الإطلاق.

جائزة الابتلاء

ولم يقتصر امتحانه على أولئك الأربعة بل شمل الّذين سهر على إيوائهم وتربيتهم زمناً، قال رضي الله عنه: (الناس الّذين كنت أخدمهم وأربّيهم صاروا أعداءً لي، وأصحابي الّذين تربّوا عندي في بيتي يمرّون من جنبي

ولا يرمون السلام! فأقول: الحق معهم، مع كوني لا أعمل خلاف الأولى! ولمَّا صبرت، أعطاني الله تعالى شيئاً ما كنت أعرفه).

وما هو الشيء الّذي وهبه الله تعالى له؟ هل أعطاه سيّارة بأحدث صنع؟ أم قصراً على آخر طراز؟ أم وجد كنزاً؟.. لم ينل من ذلك شيئاً؛ وليس هذا طلبه، فمن تعلق بالمعاني لن يتشوّف إلى المادّة والأواني، ونال الجائزة التي لا يحظى بها إلّا الأفراد الصادقين مع الله تعالى، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وأنا ولد أروح إلى سيّدنا زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، أحكي له الحكاية مثلما أحكي لكم! فيتلقاني بالقبول بالقبول، ويبشرني بشاراتٍ بشاراتٍ! أقول: ما بقيت أبالي بالدنيا كلّها، أروح إليه بعد المغرب كل ثلاثة أيام أو أكثر، فأحكي له وأرجع وهكذا..!!).

وكانت بداية الفتح عليه في الخامسة والعشرين من عمره تماماً، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وفُتِح عليّ بذرّة من المحبة، فبقيت خمسين أو ستين يوماً لا أنام: لا ليلاً ولا نهاراً).. فظنّ الأطباء أنّها حالة مرضية خاصة، بعد أن عجزت عقاقيرهم أن تكحّل عينيه بسهوة، وهم لا يعرفون حقيقة ما ألَمَّ به، إنها لوعةُ حب وفتحُ محبة، جمعه بالحبيب المصطفى ﷺ يقظةً[1].

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (حتى أتاني صاحب الرسالة سيّدنا محمّد ﷺ يقظةً لا مناماً ومعه سيّدنا أبو بكر الصدّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فسلّمني ﷺ إلى سيّدنا أبي بكر وقال: يا أبا بكر هذا محمّد النّبهان الذي كنت أحكي لك عنه علّمهُ وضع الحصاة في الفم حتى لا يُكثِر الكلام!! فبقي يعلّمني ويرشدني ستة أشهر، ثمّ

(١) ينظر بحثنا الموقظة، في رؤية الرسول ﷺ في اليقظة في القسم السابع.

تولاّني رسول الله ﷺ يربيني التربية المحمّدية فشيخي في الظاهر أبو النصر، وفي الباطن رسول الله ﷺ وقتئذٍ لم يبقَ لي صاحبٌ غيره ﷺ يجيبني دون سؤال مني! وكنت معه ﷺ مثل خط الألف على الحائط، أنصت إليه بذرّاتي، فحين أراه لا أتكلّم حتى يباشرني ﷺ هو بالكلام،وكنت أنظر في المرآة فلا أرى صورتي بل أرى صورة رسول الله ﷺ.

وفي أول قدم وضعته في السير والسلوك آخاني ﷺ مع سيّدنا أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه وقال لي: أنت أبو يزيد وأبو يزيد أنت! ثمّ آخاني مع سيّدنا عبد القادر الجيلاني وسيّدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه ، فأنا والرفاعي والجيلاني إخوان على السُّفرة المحمّدية)..

وحضر رضي الله عنه ذات مرّة ذكراً أقامه شيخه أبو النصر رحمه الله ، فوُزِّع الشاي في مجلس الذكر، فقال رضي الله عنه لشيخه: (هذا سيّدنا رسول الله ﷺ يقول: سلّم لي على شيخك وقل له: اسمي يذكر على لسان المدّاح وأنت تقدّم الشاي؟ فقال: أنت رأيته؟ قلت: نعم، قال: هنيئاً هنيئاً لك يا ولدي أنت من أهل العناية، أنت أخذت جميع ما عندي، أنت سبقتني! وأخذت قلبي، ادعُ الله لي لا تنسني، واذكرني عند رسول الله ﷺ)!.. وأمر الشيخ بإخراج الشاي والكفّ عن توزيعه في الذكر.

وقال رضي الله عنه : (وكنت أجلس مع شيخي أبي النصر فيأتي رسول الله ﷺ فيعرج بي إلى حيث يشاء إلى حيث يريد وأنا جالس، أقول في نفسي: لماذا يأخذني ولا يأخذ شيخي مع أنّه أعلى مني؟ هكذا كنت أعتقد!).

قال رضي الله عنه : (كل شيء ذاقه رسول الله ﷺ يذوقه السالك إلا النبوّة ورسالة التشريع، وأن الوحي قد انقطع عنه ثلاثة أو ستة أشهر قال رضي الله عنه :

الإعراض رأيناه في السير). لكنه يقابل الإعراض بالذل والانكسار والإضراب عن الشواغل! قال ﷺ: (وكنت لا آكل ولا أشرب ولا أنام حتى أرى حبيبي رسول الله ﷺ).

في الأزهر الشريف

وبعد أن أمضى سبع سنوات بين القرناصية والخسروية، فاز في جميعها بالأولية، غادر إلى مصر سنة ١٣٤٦هـ[1]. وفي الأزهر الشريف حرص ﷺ على ألّا يأخذ العلم من غير أهله، ونعني بهم المتقين المحبين لأهل الله. أما غير هؤلاء فلا يأخذ عنهم، فمع ما كان عليه الأزهر من مكانة عالية، وشهرة علمية سامية، تمدّ جسورها وتنشر نورها على أرجاء المعمورة، فإنّ بعض من يتصدّر حلقات العلم والتدريس لم يكن بمستوىً يُحْمَد، وحين يلحظ الطالب الغيور حالة كهذه يجد نفسه مضطرّاً لتقويمها بالممكن، أو يلجأ إلى ترك حلقة ذلك الشيخ.

وكانت له دروس عند واحد لا يمنع من حلقته بادياً أو حاضراً، ولا يبالي بإعادة الدرس وصقله يُظهِر التأثرَ والحرص، ويكرر العبارات والشَّرح، ويضيف كلمات: الحاصل، المقصد، يا سيّدنا الشيخ، فيضيع الوقت سدىً! فلم يصطبر على التفريط والإضاعة بل عارض الشيخ! قال ﷺ قلت له: (الحاصل، المقصد، يا سيّدنا الشيخ! ما هو حاصلك

(١) دخل ﷺ الأزهر الشريف بالرقم: ٦٧٨/ ش/ محمّد أحمد نبهان، حلب/ سوريا، تاريخ الانتساب ٧/ رجب/ ١٣٤٦ هـ، الموافق: ٣١/ ١٢/ ١٩٢٧م، وترك الأزهر في ٢٢/ ربيع الثاني/ ١٣٤٧هـ، الموافق: ٦/ ١٠/ ١٩٢٨م.

أنت؟ وما هي نتيجتك؟ أين المحاسبة يا سيّدنا الشيخ، وما هو حاصلك مع الحضرة الإلٰهية؟ وما هي الثمرة؟ فلم يجبه بحرف)!.

ومرّة أخرى لحظ شيخاً في الأزهر يقدح[1] بالشيخ محيي الدين بن عربي[2] فماذا يفعل من يحسن الظنّ بعامة الناس فضلاً عن خاصتهم؟ فعاجله بردٍّ مناسب، ولم يجد ذلك الشيخ ما يعتذر به إلا أن قال: يا شيخ

---

(١) ابتُليت الأمة المحمّدية قديماً وحديثاً بالمدّعين والمرجفين، يختبئون خلف شعارات، ويتعصّبون وراء تسميات، يجعلون منها مبرراً للطعن بعلماء الأمة وأوليائها، فلا يهمهم أن يُخدَش معنىً أو يسيلَ جرح، ما زال يوسّع دائرتهم ويحقّق طموحاتهم، وإن المصيبة أكبر وأعظم حين يكون الهمز واللمز في خواص الأمة أو خواص الخواص، وسواء كانوا مجتهدين أو متعمدين فإنّهم قد أراحوا الأعداء من عناء كبير، بل أصبحوا حجاباً حاجزاً، ليبعدوا بأهوائهم أهل الفطرة عن أهل القلوب ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف ١٠٤] وكأنّهم لم يسمعوا بالحديث القدسي الذي أخرجه البخاري في صحيحه: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**..». منتهكين حرمة المؤمنين، ومتناسين قوله ﷺ وهو ينظر إلى الكعبة: «.. **وَالَّذِي نَفْسُ محمّد بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ الله حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ وَدَمِهِ، وَأَنْ نظنّ بِهِ إِلاَّ خَيْراً**». أخرجه ابن ماجه في سننه، باب حرمة دم المؤمن وماله، برقم: (٣٩٣١) (٢/ ١٢٩٧)، والشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ﷺ واحدٌ ممن لحقه أذاهم ونالته سهامهم، فألصقوا به التهم، وأدخلوا على كتبه الأكاذيب والدسّ؛ ترويجاً لأراجيفهم وتزييناً لأباطيلهم.

(٢) هو محمّد بن علي بن محمّد بن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، والملقب بالشيخ الأكبر ولد سنة ٥٦٠هـ - ١١٦٥م في مرسية بالأندلس، ثم انتقل إلى (أشبيلية) وقام برحلة فزار الشام والعراق وبلاد الروم والحجاز، واستقر في دمشق، وهو من أكبر أئمة الصوفية وسادتهم، قال عنه سيّدنا النّبهان ﷺ: الشيخ الأكبر كان مرتبةً أولى في التحقيق. له مؤلفات كثيرة قيمة بلغت الأربعمائة، منها الفتوحات المكية في عشرة مجلدات، وفصوص الحكم ومفاتح الغيب والتعريفات والكثير غيرها، وفي مكتبة المتحف العراقي مجموعة من رسائله بخط يده، توفي ٦٣٨هـ - ١٢٤٠م في (مرسية) بالأندلس، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج/ ٢٣/ ٤٨، والأعلام للزركلي (٧/ ٢٨١، ٢٨٢).

محمّد، إن المجتهد إذا اجتهد وأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، وإنني أخطأت فأرجو المعذرة!!

وفي مصر لا يفترق عنه سيّدنا محمّد ﷺ قال رضي الله عنه: (ولمّا كنت في مصر أسير ومعي رسول الله ﷺ إذا أردت أن أنفك عنه لا أقدر، وآخاني مع سيّدنا الحسين رضي الله عنه لله درّه ما أجمله!).

ورافق طيلة بقائه بمصر الشيخ نجم الدين بن الشيخ محمّد أمين الكردي الأربلي[(١)] شيخ الطريقة النقشبندية هناك، وأمضى رضي الله عنه سنة[(٢)] في حلقات الشيخ محمّد بخيت المطيعي مفتي مصر آنذاك، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ محمود السمكري، والشيخ سلامة العزّامي. والعزّامي والدجوي أحب شيوخه إلى قلبه وأكثر من أخذ عنهم واستفاد، ثمّ رجع رضي الله عنه إلى حلب، واستقرّ في جامع الكلتاوية سنة **١٣٤٧**هـ - الموافق: **١٩٢٩**م.

ولكن يا ترى: هل شبع من طلب العلم؟ قال رسول الله ﷺ: «**منهومان لا يشبعان صاحب علم وصاحب دنيا**»[(٣)]، ولا يستويان، فأما صاحب العلم فيزداد من رضا الرحمن ثمّ قرأ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان ثمّ قرأ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦، ٧]، فطالب العلم لا يرتوي مهما نهل، أو كلما ازداد علماً ازداد شغفاً إلى مزيد، فما إن وطئت قدماه رضي الله عنه أرض

(١) والده: الشيخ محمّد أمين الكردي الأربلي رحمه الله، صاحب كتاب: تنوير القلوب المتوفى سنة ١٣٢٢هـ.
(٢) أي ما يقارب السنة الدراسية.
(٣) المستدرك على الصحيحين، (١/ ١٦٩) برقم: (٣١٢).

حلب حتى بادر إلى حلقة شيخه من قبل الشيخ أسعد العبجي رَحِمَهُ اللَّهُ، والعِبجي وما أدراك ما العِبَجي! العلّامة لا في الفقه وأصوله مدار اختصاصه فحسب وإنما في العلوم العقلية والنقلية بجملتها، إضافة إلى العربية وفنونها وهو ما جعله في الصدارة بين علماء حلب ومفتي السادة الشافعية.

فلازمه وقرأ عليه فترة طويلة[١]، حتى استوفى ما يحتاج إليه من علوم عقلية أو نقلية مع كونه لم يترك المطالعة والمراجعة، وأجازه شيخه بكل ما أخذ عنه واستفاد، وكان يقول عن تلميذه: (هو حجّة في الفقه الشافعي).

---

(١) حدثنا الشيخ الدكتور محمود أحمد الزين قال: حدثنا الشيخ عبد الرحمٰن حوت أحد أصحاب سيّدنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في طلب العلم على يد الشيخ أسعد العبجي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كانت فترة طويلة طويلة، قال بعض الحاضرين له: كم كانت؟ قال له: لا أدري، ولكنها طويلة طويلة.

الفصل الثالث

العاشق المتبتل

- خلوة واغتراب.
- رياضة السلوك.
- حصانة السلوك.
- لا أعرف إلا الحق.
- بريد الشوق.
- الفجر المرتقب.
- في طريق الشاذلية.

خلوةٌ واغتراب

سالكُ طريق القوم أهل الله باحثٌ عن الحقيقة، وحين يجد الناسَ بمنأى عنها يتخذ من العزلة حِمْيةً ومن الخلوة سلّماً، متأسّياً بحال رسول الله ﷺ قبل البعثة، يستأنس بالله تعالى وبذكره، ويتدبر ما وراء الكون من قدرة وعظمة، مهتماً بخويصة نفسه وإعداد شخصيته والوصول إلى غايته.

وعلى هذا النهج كانت عزلته رضي الله عنه [1]، فاعتكف في مسجد الكلتاوية في حجرة صغيرة من طين، فهي له البيت والخلوة والمدرسة، حدّثنا إمام المسجد آنذاك، الشيخ بشير حداد رحمه الله تعالى، قال: بينما كنت في الكلتاوية إذ أقبل رجل في الثلاثين من عمره يبحث عن إقامة له فيها، وليس معه إلا حزمة كتب وحصير عتيق، وكانت هناك غرفة طين صغيرة فسكنها لكنها أُدْخِلتْ في بناء الجامع بعد تجديده وموقعها الآن عن يمين الداخل من الحرم إلى حضرة الزيارة، ديدنه العلم والذكر، لا يختلط بالناس، ولا يسمح

---

(١) والعزلة عند الصوفية: حالة فرار إلى الله تعالى، وإقبال عليه وتجرد له عمّا سواه، قال ابن عجيبة في إيقاظ الهمم: ولما كان التخلص من دقائق الرياء ومخادع النفوس لا يكون في الغالب إلا بفكرة، ولا تتم الفكرة إلا بالعزلة، قال ابن عطاء السكندري في الحِكَم: وما نفع القلب مثل عزلة يدخل بها في ميدان الفكرة، فالنفع: إيصال الفائدة، والقلب: القوّة المستعدة لقبول العلم، والعزلة: انفراد القلب بالله، وقد يراد بها الخلوة التي هي: انفراد القالب عن الناس وهو المراد هنا، إذ لا ينفرد القلب في الغالب إلا إذا انفرد القالب. ينظر: إيقاظ الهمم في شرح الحِكَم (١/ ٣٠ - ٣١).

لأحد بالدخول عليه إلا نادراً، طعامه قليل ولباسه بسيط لكنه نظيف، فمذ نظرته أخذ قلبي ووقع فيه أنّه من الأكابر... كان ﵁ ينظر إلى ساحة المسجد ويقول: (إني لأرى هناك مدرسة دينية وطلبة علم بعمائم بيضاء)...

قال سيّدنا ﵁: (فررت أول أمري من الليرات وجئت إلى هنا جاهلاً، ولولا أن الحق ﷻ يفهمني ما فهمت، وكل الّذي عندي من الله، لا من عند زيد ولا عمرو). ولم يكن عنده في الخلوة أمتعة غير كتبه وحاجات مسافر، منها حصيرة مكسّرة، وفراش بسيط، فلا مروحة ولا مدفأة! وثوبه واحدٌ في الحرّ والقر، إذا تشقق يرقعه بيده، لكنّه يتميز بالنظافة، حتى صار حاله حديث الناس!

قال ﵁: (كنت هنا وحدي في الخلوة معتزلاً، فجاءني يوماً شخص معه كتاب ينتقد فيه أبا يزيد البسطامي!: لماذا يقول بالعزلة؟ قلت له: وماذا في العزلة؟ العزلة حق، اعتزل رسول الله ﷺ، وكلام أبي يزيد البسطامي حق، العزلة مثل الحِمْية، وحين تذهب لمعاينة الطبيب أيمنعك عن أكلاتٍ طول حياتك أم ما دمتَ في المرض؟ قال: ما دمتُ في المرض، قلت: وكذلك العزلة ما دمتَ في المرض..).

لقد تغيّر ذلك الفتى المدلّل الذي يرتدي أجمل الثياب وأحسنها إلى زاهد متبتل، شأنه شأن سيّدنا مصعب بن عمير ﵁ قبل الإسلام وبعده، إلّا أن سيّدنا مصعباً ﵁ أخرجته أمّه من بيتها بعد إسلامه، أما سيّدنا النّبهان فقد كان قريباً من نبض قلبها، إذا رأته فكأنَّ حالها تنطق: ربّي وربّك الله[(١)] أيها الهلال!.

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٥٠٤) برقم: (٣٤٥١).

ووالده يحبّه ويجلّه، ولا يجلس أحياناً مدّة بقاء ولده في البيت! فيقول له: اجلس يا أبي. فيجيبه: والله يا ابني أودّ أن أبقى واقفاً حتى تذهب!

وبداهةً فلا بدّ لكلّ غاية من وجهةٍ تناسبها وهمّة تنهض بتبعاتها؛ لذلك أجهز على العلائق والعوائق، ولا همّ له إلا الله تعالى، مستهدفاً تنفيذ أوامره والتعرّف إلى حضرته، متحقّقاً بالعبدية، لا لنيل وظيفة أو مشيخة أو جاه أو رتبة أو كشف أو كرامات، فغايته دونها الغايات جميعها، ومراده من الله هو الله سبحانه قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (صاحب الهمّة لا يرضى بالكرامات ولا بالجنان ومراتبها[1]، لا يرضى إلا بالله تعالى لا يبتغي به بديلاً).

فهو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مريد لله تعالى يتعشّق وجهه، ويتطلع إلى فناء بمحبته وإرادته، وكثيراً ما يردد قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] ويتساءل: أين من يريد المولى تعالى؟[2] ويردد شعراً:

كُلُّ مَنْ تَلْقَاهُ يَشْكُو دَهْرَهُ
لَيْتَ شِعرِي هذِهِ الدُّنيا لِمَن؟

ويجيب في كل مرّة: (لمن أعرض عنها).

---

(١) ليس هذا تقليلاً من شأنها، ولكن بمعنى عدم الانشغال بها عن الله تعالى الذي هو المقصود.

(٢) أهل الإرادة في القرآن الكريم ثلاثة: قال الله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

ثمّ صار يقول فيما بعد: (لا لمن أعرض عنها، وإنما لمن أخذها بحق وأعطاها بحق).

وهذا يدلّ على دوام ترقّيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في العلم والفهم والذوق.

رياضة السُّلوك

وسار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في طريق مفاده: خَلِّ نفسَك وتَعال، وليس خلِّ عقلك وتعالَ، إنما المطلوب مخالفة النفس في أهوائها وحظوظها حتى تتزكى، ولازَم حالة يترقّى فيها بمراتب الإحسان، مخلِّفاً وراءه كل ما فيه جهل أو تعصب، ولم يعطِ لعادة من العادات طريقاً لأن تتحكم فيه، ونفسه تتشهى لأن تشبع من خبز شعير حار فيأبى عليها، ويرسل له أهله طبيخاً أو لحماً فيتصدق به أو يردّه، ويتحرى الحلال ولا يحضر دعوة أو وليمة، ويقلل الطعام لقمة فلقمة، ويكتفي مدة خلوته بوجبة واحدة في اليوم والليلة، وربّما طوى اليومين والثلاثة على لقيمات يُقمْن صُلْبه، ومنع عن نفسه الماء البارد، لئلا تنطفئ جذوة الشوق والبكاء بجوفه، وضعف جسمه ونحل قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (كان مشايخي يقولون لي: كلْ مقدار الحاجة فأقول لهم لا، فآكل مقدار الضرورة وليس مقدار الحاجة. وهذا أعطاني الفهم والنور والعلم، بقيت مدّة طويلة لا أعرف الشبع كيف يكون؟ وأشتهي أن أشبع ولو من خبز شعير يابس أسود إلا أنني في بسط وسرور، وضعف جسمي ونحل حتى صرت هيكلاً عظمياً، إذا أقعد تقعد العظام على الأرض..).

حدثنا الشيخ عبد الرحمن حوت[١] قال: زرنا سيّدنا النّبهان وكنا

(١) الشيخ العالم العامل التقي الورع عبد الرحمن بن عبد الله الحوت من أبناء عمومة سيّدنا=

خمسة صائمين فقلنا له: يا شيخ محمّد نريد أن نفطر عندك، فلم يكن عنده وقتئذٍ غير بندورة[١] واحدة، فرمَها وأضاف لها ماءً وملحاً وخبزاً ثمّ طبخ فأفطرنا عنده والطعام كما هو لم ينقص منه شيء.

وافتقر كثيراً قال ﵁: (كل من يحب الرسول ﷺ لا بدّ أن يفتقر ذقناها لدرجة حق الإدام ما عندنا) أي ثمن الطعام، قال ﵁: (كل ما ذاقه الرسول ﷺ يذوقه السالك إلّا النبوّة ورسالة التشريع). ويُفهَم من قوله: أن المحب الصادق لابدّ أن يفتقر في جزء من حياته اقتداءً برسول الله ﷺ ومصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الفقر أسرع إلى من يُحبني من السيل إلى منتهاه**»[٢].

واحتاج مرّة إلى ثمن الخبز، فلم يكن عنده! فقال: (يا رب: ابعث لي برغوتاً صغيراً)[٣] فوردته رسالة من صاحب له بمصر، ما إن فتحها حتى وجده فيها، فابتاع به خبزاً وفلفلاً، وأطفأ سغبه، قال ﵁: (قال لي بعض أصحابي: لماذا لم تطلب أكثر؟ قلت: أنا لا أعامل ربي بالتجارة).

قال ﵁: (كنت مرّة في الطريق فاشتهت نفسي العنب، وليس عندي

= ولد في قرية (التيّارة) شرق مدينة حلب سنة ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م وابتدأ طلبه العلم في الخسروية الشرعية بحلب سنة ١٣٤١هـ، وتخرج فيها سنة ١٣٤٨، ولازم دروس الشيخ العلاّمة محمّد نجيب السراج في الجامع الكبير والحموي بحلب، واشتغل بالإمامة والوعظ والإرشاد في أرياف حلب، ثم عمل في حقلي التجارة والزراعة فلم يوفق فيهما كثيراً. توفي سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م ﵀، آنسه الله.

(١) البندورة هي الطماطم.

(٢) سنن الترمذي، باب: ما جاء في فضل الفقر، (٧/ ١٨٥) برقم: (٢٣٥٠).

(٣) قال ﵁: البرغوت: عملة روسية، قريب من الفرنك، الكبار يعرفونه.

ثمنه! فلحق بي رجل فقال: يا شيخي، فالتفتُ وقلت: ما بك؟ فإذا بيده عنقود عنب! قلت: لا! فأقسم بالله: إنّه لك!!).

ملك كِسرى عنه تُغني كسرةٌ

وعن البحر اجتزاءٌ بالوشل[(١)]

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (أنا كنت ابن غنى، والمال بيدي فتركت المال وتوجهت إلى الله، صرت آكل الشيء البسيط، وما بقي معي قرش سوري! ما عندي أكل، لا لحم ولا شحم ولا برغل ولا رز ولا عنب ولا جبَس ولا شاي..!! هذا كلّه ما كنت أعرفه أبداً، وانشقت (ساكويتي)[(٢)] فما عندي ثمن (الساكوية) فرقعتها ولبستها! لكنني مسرور أكثر من الملوك! والحق عَزَّوَجَلَّ وهبني هذا السرّور من صغري)..

ورأى أحد أصحابه الحاج حسن حاضري في جبته رُقَعَاً فعرض عليه أن يقرضه مالاً، ليشتري جبة، فأبى وقال: أنا أستدين من نفسي، أي: بالصبر والتوكل والاكتفاء بالضرورة، فما كان ليقترض أو يقبل مالاً من أحد أبداً، وهكذا خالف نفسه وفطمها عن الطيبات إلا بقدر ما يجري به الدم والنفس، فزاد ذلك في جلاء بصيرته.. وكتب على جدران خلوته حديثين: الأول: «**من حُسْنِ إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه**»[(٣)] والثاني:

---

(١) من لاميّة ابن الوردي، أبياتها (٧٣) ومطلعها:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل

(٢) جاكيت طويل إلى تحت الركبة، ويطلق عليه أيضا: السترة والبردسون والكبود.

(٣) سنن الترمذي برقم: (٢٣١٧) (٤/ ٥٥٨)، قال أبو عيسى: حديث غريب، وموطأ مالك، برقم: (١٦٠٤) (٢/ ٩٠٣).

«**كفى بالمرء إثماً أن يحدِّث بكل ما سمع**»[(١)]، وكلماتٍ لسيّدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه : (العمر قصير، والناقد بصير، وإلى الله المصير)..

فاغتنم الوقت، ووضع الحصاة تحت لسانه زمناً قال رضي الله عنه : (بقيت مدّة وأنا في السير أضع الحصاة في فمي[(٢)] واستفدت منها كثيراً، لا أتكلّم إلّا بما يجب عليّ، وإذا كانت الكلمة الواحدة كافية لا أتكلّم اثنتين، فطالما الواحدة تكفي لا أزيد عليها ثانية! وإذا سألني أحد أقول له: كيف قلبك مع الله؟ فيسكت! جاءنا هذا من النور، الّذي يعطينا تمييزاً لما نقول). فهو لا يخالط الناس ولا يكلِّمهم إلّا ضرورةً حتى عبّروا عنه بـ(الأبله) و(الأخرس) يتدبر الكلمة قبل أن ينطق بها، ويعدل من النافع إلى الأنفع ومن الحسن إلى الأحسن، فأورثته حالة الفرار إلى الله والاغتراب عن الخلق أنساً واستغراقاً بالله ورسوله ﷺ، فذاق حلاوة الاطمئنان وارتشف كأس المحبة والعرفان، وعلى حالته هذه لا يشتغل بنصح الناس وتذكيرهم، وبقي سنتين في مرتبة قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

قال رضي الله عنه : (أنا كنت في السلوك لا آمر بمعروف ولا أنهى عن منكر! وإذا سألني أحد لا أردّ! حتى تمكنت من نفسي).

ويطرق بابَ خلوته أولياء وعلماء فلا يفتح لهم، قال رضي الله عنه : (من الناس

(١) المستدرك على الصحيحين برقم: (٣٨١) (١/ ١٩٥). وفي مسلم بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع**» برقم: (٥) (١/ ١٠).
(٢) سنّة سيّدنا أبي بكر الصّديق رضي الله عنه . انظر: إحياء علوم الدين للإمام الغزالي: آفات اللسان (٣/ ١١١).

علماء أولياء أكابر يطرقون عليَّ الباب ويلتمسون أن أجيب أسئلتهم فأكلّمهم من شبّاك صغير..

وطلب منّي الشيخ عيسى البيانوني - رحمه الله تعالى - المطالعة معه في كتاب إحياء علوم الدين محبة في مجالستي، فقلت: بشرط أن نعمل بما في الكتاب، فقال: ومن يقدر على هذا يا شيخ محمّد؟! الله يقطع ذقن كل من لا يحبّك).

وهكذا هجر الخلق وهم مقبلون عليه، وترك الدنيا وهي خضِرة نضِرة لديه، فمنذ أن لحِق رضي الله عنه بركب العلم والسلوك لم يأخذ من مال أبيه إلّا ما يدفع به الضرورة أو يسدّ الرّمق وربّما لا يأخذ، ولم يفاتح والده بشراء دار مع حاجته الشّديدة إليها، وعزّ على الوالد أن يرى فلذة كبده على هذه الحالة من الزهد والفقر، وهو من أغنى الناس في حلب، فأشفق عليه وعلى عياله وقال له: أنت زاهد فهل زوجتك وأبناؤك مثلك؟ تعال يا ولدي أهبك ما تريد من مال، وأسجّل لك ما تحبّ من أرض أو دار.. فلم يجد من ولده إلّا الزهد! فأمضى سنين عجافاً مُلْجِئاً نفسه إلى الفاقة، واضعاً القدم على القدم في الاتّباع.

قال رضي الله عنه: (أنا كنت في الدنيا ابن الدنيا، وابن غنى، لا من آحاد الناس، وكان المال كلّه بيدي، وأنا أكبر إخوتي، وكنت أعمل الوليمة الواحدة لثلاثمائة أو أربعمائة شخص، وأعطي للشاباش[1] ليرات ذهب،

(١) الشوباش: وتعني باللغة الكردية: ليلة سعيدة، أما الشاباش: فهي ندبة لمن ينادي باسمه في العرس ضارب الطبل أو الحادي فيدفع لهما أو لصاحب العرس شيء من المال، ولا يزال هذا العرف شائعاً في كثير من البلدان لا سيّما الشام والعراق. إلّا أنّ السوريّين اليوم =

كل هذه الأشياء عندي، وكنت أظنها وهماً في وهم، ومن النعمة أن رأيتها وهماً؛ لكي أعرض عنها، أما الآن فما عندي شيء اسمه وهم، بل كلّها حقائق).

حصانة السلوك

عاش ﵁ حصانة فكرية وعقائدية بعيدة عن التحزب، ونحا ﵁ بنفسه بعيداً عن الأهواء والتكتُّلات، قال ﵁ : (الحزبية عصبية، وما جاءني يوم اعتقدت فيه بحزب من الأحزاب لماذا؟ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]: وحزب الله هم الأولياء). والتزم الإسلام بما فيه من مُثُل عليا وكمالات، فلا يسمع أو يقرأ عن مثل أعلى أو معنى عزيز إلا استهدفه ليكون صاحب ذلك المثل أو المعنى.

لا أعرف إلا الحق

وحين دعاه والده ليشهد له في المحكمة في خصومة تجارية، وجد الحق فيها على أبيه، فعزم على الشهادة ضدّه! فقال والده: يا بني، دعوتك لتشهد لي أم عليّ؟ هذه فيها غرامة ألف ليرة ذهب وسجن لثلاث سنوات! فأجابه ﵁ : (وماذا يهمّني؟ أنا لا أعرف إلّا الحق). وأرسل له والده

= يختلفون في طرق احتفالهم حسب وجهتهم في الدين والدنيا، ويتّفقون على هتاف جماعي: صلّوا على محمّد، الزين الزين، مكحول العين، واللّي يعادينا الله عليه.

أقرباء وأصدقاء ووجهاء فلم يثنوه عن الشهادة، حتى دفع الوالد ما بذمّته ولم يذهب ﵁ إلى المحكمة.

وعجب كلّ من رأى ذلك أو سمع، وهو ﵁ لم يجد في الأمر دهشةً أو غرابة، ولم تأخذه العاطفة أو رابطة الأبوّة عن الحقّ، قال ﵁: (أنا قريبي ربّي، والله لا أمّي ولا أبي ولا أخي، هو ربّي وأنا عبده، خلقني، ووضعني عند أمّي وأبي لكي يربّوني لا غير! أنا يتيم، أشهد حالي يتيماً من صغري! ما وجدتُ أبي يقربني، ولا أمّي تقربني، ولا ابني يقربني، إذا عمل هكذا عن الحق «أي مالَ» لا أعرفه أبداً) ذلك شأنه ﵁ متحكِّم بعواطفه، لا يتنازل ولا يماري ولا يجامل على حساب الحق.

وكان والده رحمه الله تعالى يقول له: آه يا بني حسرة! قال ﵁: (ولماذا يا والدي؟ قال ﵀: حسرةٌ بنفسي أن يستمع لي أولادي مثل ما يستمعون إليك!! أي يطيعوني كما يطيعونك).

ويوم أن حضرت والدَه الوفاةُ جاءه ﵁ من خلوته، قال ﵁: (ساعة حضور والدي الوفاة جاءني الخبر فذهبت إليه وكنت أنام في الجامع فجئت وقلت له: يا أبتي: اُدعُ لإخوتي، قال: عذّبني بعضهم، قال ﵁ يعني: بالزعامات والخلطات، قلت: هؤلاء مكتوبون بصحيفتك، فدعا لهم، قلت: وادعُ لي، قال: أنت كذلك؟ قلت: وهل أنا شكل آخر؟ قال: أنت كل من لا يحبك شقي؛ والدليل على ذلك: أنّك تركت أمّك وأباك وتركت ليراتك، ولحقت الله والرسول ﷺ). بعدها قال ﵁ عن والده: (والله صادق، والله صادق، والله صادق، كان أوّل مريد عندي هو والدي!!) ولم يكن والده ﵀ ليهمل أسرة ولده مدّة سيره وسلوكه، حتى وافاه الأجل عن خمسٍ وتسعين سنة.

وبعد أن أخذ إرث والده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يمتلك داراً بل تنقّل بأهله ثلاث عشرة مرّة من البيت الذي ولد فيه إلى أن سكن حارة الباشا ثمّ بيت الباقي ثمّ دار الفاني، واستقر أخيراً جوار جامع الكلتاوية وكل البيوت التي سكنها بالأجرة إلّا أول بيت لأبيه والبيت الأخير الذي أمضى بقية العمر فيه، إذ هو لصهره الحاج أحمد الصغير رَحِمَهُ اللهُ.

بريد الشوق

إحدى عشرة سنة والسيّد النّبهان في كهف خلوته وكنف وحدته، يخبت نهاراً ويهيم ليلاً، فإذا أرخى الليل سدوله، وخلا كلّ حبيب إلى حبيبه، خرج العاشق المتبتّل، حول قلعة حلب تدور به عواصف الشوق وأشجان الحنان، غير آبهٍ بحرّ أو بِقرّ، يستأنس بالله تعالى في ظلمة الليل، ولعلّ الليل يستأنس به، وهو يجسّد لوعته ويترجم حنينه إلى الله تعالى ورسوله ﷺ بما يحلو له من نثر وبما يحفظه من شعر في عينية سيّدنا عبد الكريم الجيلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [(١)] فيطوف حولها سبعاً، وينتهي من طوافه مع أذان الفجر:

فـؤادٌ بـه شـمسُ الـمحبّة طالع ... ولـيس لـنجم الـعذل فـيه مواقعُ

صحا الناس من سكر الغرام وما صحا ... وأفرق كلٌّ وهو في الحان جامعُ

حـميّا هـواه عـينُ قـهوةِ غـيره ... مُـدامٌ دوامـاً تـقتنيها الأضـالعُ

هـوىً، وصـباباتٌ، ونـارُ مـحبّةٍ ... وتـربةُ أرضٍ قـد سـقتها الـمدامعُ

(١) عينية سيّدنا عبد الكريم الجيلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أبياتها (٥٣٧) نقلها سيّدنا النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بخط يده، وجعلها في ورد مناجاته سني الخلوة وما بعدها.

ولي طمعٌ بين الأجارع، عهده قديمٌ، وكم خابت هناك المطامعُ
لقد كان لي في ظلِّ جاهك مرتعٌ هنيءٌ، ولي في الرقمتين مراتعُ
أجرُّ ذيول اللّهو في ساحة اللّقا وأجني ثمار القرب وهي أيانعُ
وأشرب راح الوصل صِرفاً براحةٍ تُصفِّق بالراحات منها الأصابعُ
تَصَرَّمَ ذاك العمر، حتّى كأنني أعيش بلا عُمرٍ، وللعيش مانعُ
صُليتُ بنارٍ أضرمتها ثلاثةٌ غرامٌ، وشَوقٌ، والدّيارُ الشواسعُ
فلا نارَ إلّا ما فؤادي محلّها وما السُّحب إلّا ما الجفون تُدافعُ
ولا وجدَ إلّا ما أقاسيه في الهوى ولا الموت إلّا ما إليه أُسارعُ
فلو قِيسَ ما قاسيتُه بجهنّم من الوجد كانت بعضَ ما أنا قارعُ
جُفوني بها نوحٌ، وطُوفانها الدّما ونَوحِيَ رعدٌ، والزّفير اللّوامعُ
وجسمي به أيّوبُ قد حلّ للبِلا وكم مسّني ضُرٌّ وما أنا جازعُ
وما نارُ إبراهيم إلّا كجمرةٍ من الجُمَر اللّاتي خبتها الأضالعُ
فسرّيَ في بحر الصّبابة يونس تلقَّمهُ حوت الهوى وهو خاشعُ
وكم في فؤادي من شُعيبَ كآبةٌ تشعَّب مذ شطّت مَزاراً مراتعُ
حكى زكريا وهنَ عظمي من الفنا أيحيى اصطباري وهو للموت ناقعُ
أيا يوسف الدّنيا، لفقدك في الحشا من الحزن يعقوب، فهل أنت راجعُ
أتينا تِجَارَ الذّلّ نحو عزيزكم وأرواحنا المزجاة تلك البضائعُ
فإن يكُ عطفاً أنت أهلٌ لوصله إذا لم يكن بين العذيب موانعُ

فكلُّ الّذي يقضيه فيَّ رضاكمُ مرامي، وفوق القصد ما أنت صانعُ
تلُذُّ ليَ الآلام، إذ أنت مسقمي وإن تمتحنّي فهي عندي صنائعُ
تحكّم بما تهواه منّي فإنّني فقيرٌ، لسلطان المحبّة طائعُ
حببتُك لا لي، بل لأنك أهله وما ليَ في شيءٍ سواك مطامعُ
تمكّنَ منّي الحبّ، فانمحق الحشا وأتلفني الوجدُ الشّديد المنازعُ
وقد فنيت روحي بقارعة الهوى وأُفنيتُ عن محوي، بما أنا قارعُ
وقام الهوى عندي مقامي فكنتهُ وغُيِّبتُ عن كوني، فعشقيَ جامعُ
غرامي غرامٌ لا يُقاس بغيره ودون هيامي للمحبّين مانعُ
غراميَ والتّبريحُ للرّوح لازمٌ وسقميَ والآلام للجسم تابعُ
وُلُوعي، وأشجاني وشَوقي وحُرقتي لجوهر ذاتي في الغرام طبائعُ
يلوم الورى نفسي لفرط جنونها وليس لأُذني في الملَام مسامعُ
وقد آثَرَت أحشايَ حبَّك، إنّني لسهمِ قِسيِّ النّائباتِ مواقعُ
وما ليَ إن حلَّ البلاءُ التفاتةٌ وما ليَ إن جاء النّعيمُ مراتعُ
وما أنا من يسلو ببعض غرامهِ عن البعض، بل بالكلِّ ما أنا قانعُ
ولي كَمدٌ لو حمّلَتهُ جبالها لَدُكَّت برِضواها وهُدَّت صوامعُ
يُخَيَّلُ لي: أنَّ السّماء على الثّرى طُبِقنَ، وأنّي بين ذلك واقعُ
ونفسيَ نفسٌ أيُّ نفسٍ أبيّةٍ ترى الموت نُصب العين وهي تسارعُ
فَهَمّي وفَهمِي: ذا عليك، وفيك ذا وجَدّي وَوَجدي: زائدٌ، ومتابعُ

وعزمي وزعمي أنّهُ فوق كلِّ ما يُـراد وظـنّـي إنّـمـا هـو نـافـعُ
إذا غرّدت وُرقٌ على غصن بانةٍ وجاوب قُمريٌّ على الأيك ساجعُ
فأذنيَ لم تسمع سوى نغمة الهوى وإنّيَ منكم، لا من الطَّير سامعُ
وأسمعُ عنكم كلَّ أخرسَ ناطقاً وأُبصِرُكم في كلِّ شيءٍ أُطالعُ
إذا شاهدَت عيني جَمال مِلاحةٍ فـما نظري إلّا بعينك واقعُ
تَخِذتُكَ وجهاً، والأنامَ بطانةً فأنجمهم غابت، وشمسُك طالعُ
وديني وإسلامي وتقوايَ أنَّني بحسنك فانٍ، لائتمارك طائعُ
أصلّي إذا صلّى الأنام، وإنّما صلاتي بأنّي لاعتزازك خاضعُ
أقوم أصلّي أي أُقيم على الوفا بأنّك فردٌ واحدُ الحُسنِ جامعُ
وأقرأ من قرآن حسنك آيةً فذلك قرآني إذا أنا خاشعُ
وأسجدُ كي أفنى وأفنى عن الفنا وأسجدُ أخرى والمتيَّمُ والعُ
وقلبيَ مذ أبقاه حسنُك عندَهُ تحيّاته منكم إليكم تسارعُ
صيامي هو الإمساك عن رؤية السّوى وفِطريَ أنّي نحوَ وجهك راجعُ
أيَا كعبةَ الآمال وجهُك حَجَّتي وعُمرةُ نُسكي أنّني فيك والعُ
فها أنا في طُوفان كعبة حُسنها أدورُ، ومعنى الدَّورِ: أنيَ راجعُ
وأختمُ تَطوافَ الغرام بركعةٍ من المحوِ عمَّا أحدثَته الطّبائعُ
فتذهب نفسي في صفاء صفاتكم لتسعى بِمَروِ الذّات وهي تسارعُ
فما عَرَفاتُ الوصل إلّا جنابكم فطُوبى لمن في حضرة القرب راتعُ

ولـمّا قضينا النُّسك من حَجَّة الهوى وتمَّت لنا من حيٍّ ليلى مطامعُ
شددنا مطِيَّ العزم نحوَ محمّد وطُفنا وداعاً والدُّموع هوامعُ
عليه سلام الله منّي، وإنّما ومن عينه للنّاهلين منابعُ
نبيٌّ له فوق المكانة رتبةٌ سلامي على نفسي النّفيسة واقعُ
كذا الآل والأصحاب ما ذرَّ شارقٌ وما ناح قُمريٌّ على البان ساجعُ

وهكذا سيره وحاله كلّه بالشوق والاشتياق والتضرع والبكاء، يقضي أكثر الليل سياحةً، ويؤدّي الفجر في جامع باب الأحمر، ويزور مقبرة الصالحين، ثمّ يعود إلى خلوته في الكلتاويّة.

الفجر المرتقب

إنّه الأمل المرتقب والجرس الذي يضرب على قلوب الناس، والدهشة التي تملأ عقول الأولياء والعلماء، مذْ اشتهر عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رؤية الرسول ﷺ في اليقظة والأخذ عنه مشافهة، فرجل هذا شأنه لابدّ أن ينتشر ذكره، ويظهر أمره، ويترقب الناس رؤيته والتعرف إلى شخصيته، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (الناس يرقبونني على الطريق ليروا صورتي، فأمرّ من بينهم ونظري على قدمي، لا أرى نساء ولا رجالاً، فإن بدأني أحد بتحيّةٍ بادرتُ بالصلاة على سيّدنا محمّد ﷺ ورددت بأحسن وسألته: كيف قلبك مع الله؟ ومشيت.. والمرشدون الكمّل يأتون من البلاد البعيدة ليتعرّفوا على الشيخ النّبهاني ومن يكون الشيخ النّبهاني؟ إنّه عبد من عبيد الله!

وشيوخ حلب يحترمونني، لماذا؟ فهمت ذلك من الشيخ نجيب

سراج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن ذلك بسبب إعراضي عن الدنيا؛ لأن والدي غني، والمال بيدي والزعامة لي، فتركت المال والزعامة، وأقبلت على الله ورسوله وعلى الجوع والعراء، من هنا فالمشايخ يحترمونني، صغيرهم وكبيرهم يعتقد أنني أجتمع بالرسول ﷺ يقظةً.. سألني صاحبٌ لشيخي، قال: يا شيخ محمّد أوّد أن أسألك سؤالاً بيني وبينك، أنْ تسألَ لي الرسول ﷺ هل أنا مقبول عند الله تعالى أو غير مقبول، فضحكت، فقال: لماذا تضحك؟ قلت: وهل أجرؤ أن أبدأ الرسول عليه الصلاة والسلام؟ أنا إلى يومي هذا لا أفاتح الرسول ﷺ بكلام، هو يفاتحني، هو يقول لي، الحقّ عَزَّوَجَلَّ أول ما علّمني الشجاعة وعلّمني الكرم بشخصيته ﷺ، الرسول ﷺ عظمة عظمة فوق العظمة).

(جاءني الشيخ أسعد العِبَجي مرّةً، وهو معتقد ومحب، فقال: يا شيخ محمّد، قلت له: نعم، قال: أودّ أن أرى الرسول عليه الصلاة والسلام! قلت: أبالمنام أم باليقظة؟ قال: أيّهما كان، وكان عنده أربعمائة ذهبة فقلت له: تأتيني بالأربعمائة ذهبة نعطيها للفقراء؟ قال: لِنَرَى الرسول عليه الصلاة والسلام قبلها!

قلت: تريد أن تكسب! قال: أرى قبل أن أعطي..![1] قلت: لا.

وسألني الشيخ ياسين سريو المؤقت في جامع حلب الكبير رحمه الله تعالى قال: يا شيخ محمّد، أنت وصلت إلى هذه المرتبة بواسطة شيخك؟

---

(١) حدثنا الشيخ رجب الهيب أستاذ الجغرافية والتاريخ في الكلتاوية بحلب قال: حدثنا الشيخ أسعد العبجي - رحمه الله تعالى - بأنه كان قد دفن ليرات الذهب الأربعمائة تحت عتبة داره ولم يكن يعلم بها إلا الله تعالى، وسؤال سيّدنا النّبهان له كان من كراماته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فقلت: أتبرّأُ من ذلك، وبعد خروجه التقى بنفر في المسجد وقال لهم: إذا بلغ هذا الشاب الأربعين من عمره سيكون له شأن عظيم، ولتسمعن منه العجب العجاب).

في طريق الشاذلية(١)

وما إن استنفد رضي الله عنه علوم شيخه أبي النصر وأسراره، حتى قام بجولة في بلاد الشام، يبحث عن مرشد أعلى، أو كما سمّاه هو حامل مرتبة الفرد الذاتي، أو صاحب الوراثة المحمّدية. ليكمل عليه سيره في الظاهر وتجوّل في مدن سوريا، فكلّما التقى بشيخ قال له: هوّن عليك ابحث عن أعلى منّي!. ومن العجب حقاً أن تجد إنساناً في مركز دائرة الكمال يبحث داخلها وخارجها ليتعرف إلى الفرد الذاتي أو حامل مرتبة الوراثة المحمّدية، فإذا به يعود من حيث بدأ، ليجد نفسه ميم تلك الدائرة وقطبها المحب المحبوب والمريد المراد الّذي لا ينفك عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم!

وحصل له لقاء بالشيخ محمّد الهاشمي التلمساني في مجمع للعلماء في دمشق، فألحّ عليه بعضهم بأخذ الطريقة الشاذلية عنه، قال رضي الله عنه: (أوّل يوم

(١) طريقة المحبة، وتنسب إلى الشيخ أبي الحسن علي الشاذلي، المتوفى في ٨٢٨هـ - ١٤٢٥م، الصوفي اليماني، عرّفه السخاوي بشيخ اليمن، ولد بالقرشية السفلى من وادي (رمح) في (زبيد) وإليها نسبته، ورجع وأقام في القدس مدّة، وانتقل إلى مصر فتصوف على الطريقة الشاذلية، ثم عاد إلى اليمن، ومنها قام بسياحةٍ في إيران والحبشة، ولما رجع إلى بلاده استوطن (المخا) وابتنى فيها بيوتاً له وللوافدين عليه، وتوفي بها، وإليه ينسب (باب الشاذلي) أحد أبوابها، له كتاب (العنوان في الاحتراز من مكايد النسوان) انظر ترجمته في نزهة الجليس (٢/ ١٦٣)، والضوء اللامع (٥/ ٢٦٣)، والأعلام (٤/ ٣١٦).

دخلنا بالطريق الشاذلي، كنّا في دوما[(١)] عند شيخ الأولياء الشيخ محمود والد الشيخ الهاشمي، قال الهاشمي: أريد أن أعطيك طريقاً، قلت: لا أريد طريقاً، فألحّوا عليّ، قلنا: خير إن شاء الله، والطريق الشاذلي له ثلاث مراتب فقطعت المراتب الثلاث في نصف ساعة أو أقلّ أو أكثر! فطار عقله؛ لأن بعضهم يقضي حياته في أول أو ثاني مرتبة! فصرت أبيّن للشيخ المراتب وكيف يكون السير.. فعلم أن ذلك عناية من الله تعالى لي).

وأشار رضي الله عنه إلى قول الهاشمي فيه فقال: (كان لي شيخ في دمشق يقول: ما قطعناه في سنوات قطعه الشيخ محمّد النّبهان في ساعات).

ودعاه الشيخ لأن يكون شيخ طريق، وجاءه إلى الكلتاوية مرّات.. فاعتذر له! وقال: ما خُلِقتُ لهذا.

وهو رضي الله عنه لم يتخذ من رسول الله ﷺ وسيلة، بل يعتقده غاية داخلة في المغيّا، تداخُل الوضوء في الصلاة، فكما أن الصلاة لا تصح إلّا بالوضوء فإنّ العبدية لله تعالى لا تتحقق إلّا برسول الله ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»[(٢)]، وقال أيضاً: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[(٣)].

---

(١) دوما: من قرى شمال دمشق.

(٢) فيض القدير (٥/ ٢٩٥): قال الإمام المناوي: أخرجه الحسن بن سفيان وغيره، قال ابن حجر: ورجاله ثقات. وصححه النووي في الأربعين.

(٣) صحيح مسلم: باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة، برقم: (٧٧) (١/ ٦٧)، مسند أحمد، برقم: (١٣١٧٤) (٣/ ٢٠٧)، سنن ابن ماجه، برقم: (٥٠١٣) (٨/ ١١٤).

وخلافاً لما درج عليه السالكون، من جعل أشياخهم واسطةً بينهم وبين رسول الله ﷺ ريثما يكتمل حالهم بالفتح، فإنّه بعدما اتصل برسول الله ﷺ كان هو الواسطة لأشياخه، يرى رسول الله عليه الصلاة والسلام يقظةً فيقول له عليه الصلاة والسلام: قل لشيخك: افعل كذا أو لا تفعل!!..

وربّما يرد على الذهن سؤال: لماذا سلوكه على شيوخ الصوفية مع كونه يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ويأخذ عنه مشافهةً؟ والجواب في أمرين:

الأول: لتكون شهادات شيوخه مبعث اطمئنان لدى المريدين والتلاميذ فيما بعد.

الثاني: حتى لا يدّعي هذه الرؤية من لا قدم له في السير والسلوك على المشايخ، مع أن الله تعالى قادر أن يمنحها من يشاء من عباده بسبب أو بغيره.

الفصل الرابع

ثمرات العلم والسلوك

- تلوين بتمكين.
- الفتح الأكبر.
- في جامع الإسماعيلية.
- ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].
- ميزات سيره وسلوكه.
- شخصية الوراثة المحمّدية.
- معالمه البشرية.

تلوين بتمكين

وجمع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في سيره وسلوكه بين معانٍ متضاربة ظاهراً، متلازمة باطناً، فالبسط والسرّور والرضا والطمأنينة بمقابلة الحُزن الدائم، وهي مسألة ذوقية، فكيف يُسوَّغ هذا التناقض وكيف يُفهم؟! هاك بعض أقواله، ابتداءً قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لا أرضى أن يكون نَفَسٌ مثلَ نفَسٍ، وإنما كل نفَس أعلى من الأول، لا أرضى بالعالي إلّا بالأعلى.. لماذا يفوز صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برسول الله؟! واللهِ لأزاحمنّهم عليه بالرُّكب[1]!).

فأثمر عنده الفأل الحسن وعلوّ الهمّة والموافقة لله ورسوله حالة البسط والسرّور والرضا والطمأنينة، وأورثه التعطّش المستمر والتعشّق للمزيد مقام الحُزن[2]، وذلك مقام المتمكن الأمكن في السلوك أو ما يطلق عليه عند أهل الله «التلوين في التمكين» قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (تأتي على السالك مرتبة التلوين، ثمّ يرقى منها إلى التمكين، وهناك مرتبة لا يصلها ولا ينالها إلّا الأفراد، وهي التلوين في التمكين، أي متمكناً في التلوين الإلٰهي كقول بعضهم: دليلي فيك تلويني. أما التلوين الأول الذي يأتي قبل التمكين فهو حال يمكث عليها زمناً، فإما أن يرجع عنه وإما أن يرقى منه إلى التمكين، وعليه أكثر القوم الأفراد، وهم العارفون.

(١) أي بالمحبة والاتباع، والاجتماع بحضرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليقظة. والله أعلم.
(٢) ينظر: التفريق بين الحُزن والحَزَن في تحقيقاته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

المتلون المتمكن: يقول في الساعة أمراً ثمّ يقول ضدّه في تلك الساعة وهو متمكن).

الفتح الأكبر

وحكم على قلبه حب سيّدنا محمّد ﷺ فعاش سنواتٍ القلب حزين والعين تدمع[١]، وبلغ بصدق حاله ونقاء قلبه وصفاء سريرته وجلاء بصيرته وشدّة وجده مكانةً عظيمة، قال رضي الله عنه: (ما أخذ قلبي غير حبيبي محمّد ﷺ ما عبّأ دماغي غير حبيبي محمّد ﷺ محمّد محمّد، لو تعرفون سيّدنا محمّداً، وكنت أجلس معه ﷺ لا أريد مفارقته ولا يريد مفارقتي، وكنت أحبه ولكنّه ﷺ يحبّني أكثر، وكان يمشي معي في الطريق، ويعلّمني كل شيء، وكنت أنظر في المرآة: فلا أرى صورة نفسي بل صورة حبيبي محمّد ﷺ [٢] فأوصلني إلى الحضرة الإلٰهية، شهدت الله تعالى بكلّ ذرّاتي، فلمّا وصلت هناك[٣] بدأت الابتلاءات تأتيني من كلّ جانب وهجمت عليّ، من المريدين والمشايخ وأهل العلم والأصدقاء والأهل والأحباب، هذا يقول ساحر وذاك يقول دجّال.. وكان لي صاحب يكتب لي من بلده:

(١) من كلامه رضي الله عنه.

(٢) وهذه مرتبة الفناء بسيدنا رسول الله ﷺ فناء المحب بالمحبوب والتابع بالمتبوع إذ تلاشت ذاته في ذاته (فلم يبق له وجود مع الحبيب المصطفى (وهذه المرتبة تفهمنا معنى قوله رضي الله عنه (أنا من رجال لو غاب عنّي رسول الله طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين). انظر: الموقظة في رؤية الرسول ﷺ في اليقظة، في القسم السابع من الكتاب.

(٣) الوصول بِخرْقِ الحجب إلى المكانة والمنزلة، لا إلى المكان.

يا شيخ محمّد، موتي وحياتي بين شفتيك!، فالتقيت به في بيروت.. فإذا به يقول: أنت قليل حياء قليل أدب ما تستحي! واللهِ سمعتها منه بأذني، هو ما له خبر؛ عندما سألوه: أأنت تكلّمتَ بهذا الكلام؟ قال: أنا؟ والله ما لي خبر! وآخر كان كالميّت بين يدي! يراني بينه وبين شيخه في المدرسة يقظةً وقت الابتلاء قال لي: أنت (إش شايف حالك)؟ قلت له: والله ما أعرف (إش شايف حالي)؟، قال لي: أنت خادم! قلت له: عند من؟ قال: عندي، قلت: من أجل ماذا؟ قال: تغسل الأغراض.. ابتلاءات تعبئ الدماغ.. وعرّفني الحق عَزَّوَجَلَّ أن المحرّك والمسكّن لأولئك هو جلّ جلاله، وأنّه هو المبتلي لا هذا ولا ذاك، وأن ابتلاءه محبة لي، فلم يبق عندي غضب على أحد! وكنت أرحمهم وأدعو لهم إذْ وجدتهم معرّفين لي بالحضرة الإلٰهية، والذي رأيته، ما من صاحب إلّا الله، لا زوجة ولا ولد ولا مريد ولا تلميذ ولا صديق ولا حميم، فلا محبوب ولا صاحب إلّا الله ورسوله، ولا سير بدون ابتلاء)...

فخلص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى التوحيد الذاتي أو تقوى السوى، وفرغ فؤاده من غير الله تعالى فراغَ قلب أمّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من غير موسى، وارتحل من (أشهد) التي تعني الإقرار والاعتراف لله بالوحدانية إلى (أشهد) القلبية التي تعني شهود الحق بالحق، يشهد بأن الوجود المطلق لله وحده، ويستشهد بوجود الله تعالى على وجود مخلوقاته، بل هو في آفاق توحيده يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (ما رأيت شيئاً اسمه شيء، ما في الوجود إلّا واجب الوجود، المحرّك والمسكّن في الوجود هو الله، أحد أحد، ليس معه أحد، كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان.. أطلعني الله تعالى سنة ألفٍ وثلاثمائة وتسعٍ وأربعين

هجرية على المخلوقات فإذا بها لا انفصال لها عن الله ولا اتصال لها بالله عَزَّوَجَلَّ ، بل هي معه كالظل والشاخص. . كنت مرّة في الذكر فتجلّى لي الخالق والمخلوقات وأردت أن أخرج المخلوقات فكلّما أخرجت إنساناً جاء آخر، وكلّما أخرجت بحراً جاء بحر، وكلّما أخرجت جبلاً جاء جبل، حتى عجزت فلمّا وصلت إلى العجز وجدت نفسي ها أنت وربك).

فذلك هو التوحيد والشهود الّذي أضاءت له به عوالم الغيب، ليرى ويسمع من العجائب والغرائب ويكون غريباً وعجيباً في الناس، بمقدار عظمة شخصيته، وبقدر ما سمع أو رأى أو علم، مصداقاً لمعاني الحديث القدسي وأذواقه، والّذي أخرجه الإمام البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيحه: «**قال الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به، وبصره الّذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، وإن سألني لأجيبنّه، وإن استعاذني لأعيذنّه**»[(١)].

في جامع (الإسماعيلية)

وشغل الإمامة لعامي ١٩٣٦ - ١٩٣٧م في جامع الإسماعيلية المجاور لقلعة حلب، وكالةً عن صاحبه الشيخ عبدالله سلطان الحفيد فترة غيابه في الأزهر، ولم يخطب طيلة حياته إلّا مرّات لا تتجاوز عدد الأصابع، تميّزت بقوّة الحال والانفعال، فضاق المسجد بالمصلّين، فجاءه مدير الأوقاف

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٣٨٤) برقم: (٦١٣٧).

يستميله بحجّة ترميم المسجد، فلم يردّ عليه، وأرسل الوزير مبعوثاً يطالبه أن تكون الخطب على الوجه الّذي يخدم سياسة الدّولة آنذاك، فقال له: (إنّ رابطتنا بالله ورسوله، وخطبتنا: قال الله تعالى وقال الرسول ﷺ).

وفي جامع الإسماعيلية زاره شيخ الأزهر آنذاك، حدّثنا الشيخ عبد المنعم بن الشيخ نجيب سالم عن والده: أنه كانت له غرفة في جامع الإسماعيلية في تلك الفترة، قال: جاء إلى سيدنا الشيخ محمد الخضر حسين، فجلس معه بعد صلاة العشاء على سطح الجامع، فاستأذنت، وجلست معهما قال: فتحدث الشيخ خضر في زَمَنٍ لا يتجاوز ربع ساعة ثم سكت، فتكلم السيد النبهان رضي الله عنه، فلم يمض على بدئه بالحديث إلا دقائق معدودة، حتى عقد الشيخ الخضر يديه على صدره وأطرق يستمع، وذلك من بعد صلاة العشاء إلى صلاة الفجر.

رجل في هذه المنزلة العلمية وبهذا الدور العالمي يأتي فيستمع إلى السيد النبهان رضي الله عنه، والسيد النبهان رضي الله عنه يومئذٍ شاب لم يجاوز السابعة والثلاثين من عمره، فينصت من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر، ما الذي دعاه إلى هذا؟! لا ريب أنه قد ترك فيه أثراً كبيراً جداً جعله بعدما سافر من مدينة حلب، يتحدث عنه رضي الله عنه في دمشق وغيرها[(١)]. وبعد أن أكمل سيّدنا رضي الله عنه سنتين في الإسماعيلية رجع إلى الكلتاوية ثانية.

(١) حدثنا بهذه الرواية شيخ الموجهين في الكلتاوية فضيلة الشيخ عبد المنعم بن الشيخ نجيب سالم، رحمه الله تعالى.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(1)

وحين أعطى كلّيته للعلم فتح الله عليه خزائن علمه ومعرفته، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (درستُ العلم على أشياخي حتى انتهيت منهم، فلم أشبع، وقدّر الله أن التقيت برجلٍ، هو مجدّد المائة، فاستوفيت ما كان عنده من علم، فلم أشبع، فالتقيتُ بآخر، هو مجدّد الألف، فأخذتُ ما كان عنده من علم، فلم أرتوِ ولم أشبع إلّا من العلم الّذي أخذته من حبيبي رسول الله ﷺ، فإن كان عندنا رملة من علم فهي من رماله ﷺ، وإذا كان عندنا واحد بالمائة من علمه عليه الصلاة والسلام فإن المائة جميعها له(٢) ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

كنت مقيماً في جامع الحموي فتجلّى لي الحق عَزَّ وَجَلَّ وأنا نائم في النهار فقال لي: يا محمّد إني أحبّك، والدليل أني أحبّك أعطيتك العلم! الّذي ما عنده علم لا يعرف يبيع، ولا يعرف يشتري، ولا يعرف يتزوج.. وأطنب الحق عَزَّ وَجَلَّ).

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.
(٢) حدثنا بهذه الرواية الشيخ عبد الرزاق سعيد إبراهيم، وهو: من أوائل العراقيين الوافدين على سيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رجل نظن به الولاية لكنه غير مشهور بين الناس، أمضى سني حياته في التعليم، حتى أحيل إلى التقاعد، يسكن حي المعلمين بمدينة الفلوجة حالياً، مفتوح عليه، وله مشاهدات لحضرة المصطفى ﷺ في اليقظة، حدثني عن نفسه قال: سافرت إلى حلب لأول مرة وأضمرت بنفسي: لأسألن سيّدنا النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن سلوكه منذ بدايته، لعلي أسير كما سار، فما إن وصلت حلب واجتمعت بحضرته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بادرني يتحدث بما أضمرته، وأكمل حديثه بما ذكره عنه بأخذه العلم عن مجدد المائة ومجدد الألف، وعن سيّدنا رسول الله ﷺ.

ميزات سيره وسلوكه

١ - الصدق مع الله تعالى والتجرد القلبي للهدف، بقوّة الطلب، وإقدام المتفائل المتيقن من الوصول بلا تشكّك أو تردّد أو تقلّب أو تلفّت.

٢ - مداخلة العلم بالسلوك، والانقطاع التام إلى الله تعالى، والإعراض عن الخلق بالعزلة والخلوة ابتداءً، لئلا يشتغل بالأدنى عن الأعلى قبل وصول الهدف، وحتى يصل إلى مرتبة الكمال الذي يؤثّر فيها بمن حوله ولا يتأثر بالظرف والتيّار والبيئة وما يقول الناس.

٣ - التحكم بالنفس والطباع والعادات والعواطف، والأخذ من المباحات بمقدار الضرورة.

٤ - علو الهمّة، والأخذ بجميع الأسباب الممكنة بدءاً بالتوكل على الله تعالى الّذي يعدّه رضي الله عنه أقوى الأسباب.

٥ - فوريّة الامتثال، ومباشرة التغيير إلى الأحسن والأنفع والأكمل، وعدم التدرج أو التباطؤ فيما يجب أو يُراد فعله أو تركه.

٦ - الذاتيّة مع الله تعالى، والنزاهة عن الأغراض الدنيوية والأخروية؛ لأنّ العبّاد على ثلاثة أصناف: منهم من يعبده رغباً، ومنهم من يعبده رهباً، ومنهم من يعبده محبةً لذاته تعالى لأنه هو الله المستحق للعبودية وحده، وهو رضي الله عنه من الصنف الثالث.

٧ - الجديّة في العلم والعمل، والموازنة بين النظر والتطبيق، والأخذ بعزائم الأمور، من غير كسل أو ملل ومن غير ضعف أو برود أو كلل.

٨ - نبذُ العصبيّة للمذهب والطريقة والشيخ والقبيلة، والوقوف مع الحقِّ أينما دار.

٩ - تحقيق العمل وتحقيق العبادة، لا بكثرة العمل وكثرة العبادة، بل بالصدق والإخلاص وإتقان العمل وحسن المعاملة بالنيّة الصادقة لله تعالى والحضور بين يدي الله ونسبة النعمة إلى المنعم عَزَّوَجَلَّ .

١٠ - الاشتغال بالأعلى، وتقديم الأهم على المهم، وعدم التفريط في الوقت.

١١ - الحديّة في تنفيذ الأوامر واجتناب النواهي، واعتماد موازين الشرع ومعاييره، دون تنازل أو مجاملة على حساب العقيدة والمنهج.

١٢ - المحبة والاتباع التام لحضرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ورؤيته في اليقظة.

١٣ - الانفصال التام عن العادات أو الأعراف المخالفة، وعن التقليد الأعمى والبدع والتسميات والأُطُر السياسية.

١٤ - موافقة الله تعالى فيما يريد.

١٥ - الالتزام التام بكمالات الإسلام من كرم وشرف وشجاعة وصدق وأدب.

١٦ - الصبر على الابتلاء، وتحمل الأذى من الناس والإحسان إلى المسيء.

١٧ - محاسبة النفس، والترقي بمرتبة العبدية لله تعالى وتقوى السوى والمعرفة الإلٰهية ومرتبة الشهود.

١٨ - وهذه تذكرة لمن لهم اطلاع في أحكام التلاوة: إن سيره وسلوكه رضي الله عنه قد توافق بإظهارين وإقلابين وإخفائين وإدغامين، حتى أظهر الله أمره:

أما الإظهاران: فالفتوّة، وإدارة الختم في مسجد باب الأحمر.

وأما الإقلابان: فمن التجارة إلى العلم، ومن باب الأحمر إلى الكلتاوية.

وأما الإخفاءان: فوحشة في العلم والطريق، وخلوة طويلة في الكلتاوية.

وأما الإدغامان: ففناء في رسول الله ﷺ، وفناء في الله تعالى وبلوغ الغاية.

أعقبها إظهار لرايته رضي الله عنه بالخروج للناس، وهو ما سنجده في القسم الثاني.

شخصية الوراثة المحمّدية

هكذا سار رضي الله عنه في العلم والتصوف، وأبحر على سفن الوجهة الصادقة إلى الله، وتحرّك على فلك المحبة والاتباع، وتمكّن في مراتب تزكية النفس، وتدرج في صحبة الصادقين، قال رضي الله عنه : (منذ أن دخلت في الطريق: أصحابي مثل درج المئذنة! كلما أرى أعلى أترك الأدنى، إلى أن وصلت درجة: لا صاحبَ إلّا الله! كما قال ﷺ: «**اللهمّ أنت الصاحب في**

السفر والخليفة في الأهل والمال والولد[(١)]» ونحن بالسفر دائماً)، وسفره ﵁ ليس من بلد إلى بلد بل رقيٌّ دائم يخترق المقامات والمراتب، ويعرج بروحه إلى أعلى منازل العبدية دون أن يتوقف في محطة أو منزلة، وأخذت به العناية الإلٰهية مع أخذه بجميع الأسباب الممكنة إلى علوم وفهومٍ وأذواقٍ وخوارقَ، من أعظمها اجتماعه بالحبيب المصطفى ﷺ يقظةً والأخذ منه مشافهةً، وكثيراً ما يردد في أقواله ﵁ بيتاً من الشعر:

مَنْ ذاقَ طَعْمَ شَرابِ القَوْمِ يَدْريهِ
وَمَنْ دَراهُ غَدا بالرُّوحِ يَشْريهِ

وأمضى ﵁ سني سيرهِ وسلوكهِ بطهر النسيم، وبراءة الملائكة، متحكّماً بنفسه وطباعه وعواطفه وعاداته، مغتنماً الوقت، ملازماً الأبواب بالأذكار والانكسار والاضطرار، ظاهره وباطنه مع الله ورسوله، لا يشتغل بالخلق عن الحق، واحتمل من الفقر أقصاه، ومن أذى الناس أشدَّه، لا يرى نفسه خيراً من أحد، يحسن لمن أساء إليه، ويتجاهل أخطاءهم، بعيداً عن الحزبية والعصبية والمادّية، الحق رائده وديدنه، يدور معه أينما دار، لم يخالط سيرَهُ وسلوكَهُ جذبٌ أو شطحٌ، متخلق متحقق بأسماء الله تعالى، فانٍ في مراد الله، فانٍ في محبة الله ورسوله، ينسب النعمة والفضل لله تعالى.

فاستوى عنده المدح والذم، والفقر والغنى، والعطاء والمنع،

---

(١) ينظر: صحيح مسلم، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، (٢/ ٩٧٨) برقم: (١٣٤٢)، وصحيح ابن حبان (٦/ ٤١٣) رقم: (٢٦٩٦).

قال ﷺ: (لما كنتُ في السير أشهدُ المنعَ عينَ العطاءِ، منَعَني حتى أشهدَ هُو المعطي، لا غيره ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢] ما قال: تؤمنون، بل قال: توقنون، بالشهود الحقيقي: لا معطِيَ إلا الله). وبذلك انتهى ﷺ من تشغيل الأجهزة الربانية الباطنة والظاهرة فيه كافة، واستوفى الأسباب جميعها مع كونه ابن عناية، واكتمل بناء شخصية الوراثة المحمّدية، وتأهَّل لمواجهة الخلق وإرشادهم، فأدهش من ربضوا على شاطئ بحره، يتحدّثون بأمره، ويتتبّعون أخباره، لتكون حصيلة سعيه وثمرة جهده جواباً لمن يقول: أين هم أهل الله؟ وأين هم الصوفية الصادقون؟ مصداقاً لقوله ﷺ عن نفسه متحدّثاً بفضل الله ونعمته عليه: (أنا نادرة في الأزمان، أنا الوارث المحمّدي، أنا غريب وأمري غريب عند كل غريب، أنا عجيب، وأمري عجيب عند كل عجيب! إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة مجدداً، وعلى رأس كل ألف سنة مجدداً، وللدهر مجدداً، وأسأل الله أن أكون هو ذلك المجدد لباقي الدهر).

معالمه البشرية

مظهر محمّديٌّ، وشخصيّة فذَّة، تنجذب إليها الشخصيات، وطلعة لا تُحتَوى تمتلك المُهَجَ، من رآه على بُعد فقد هابه، ومن نظر إليه ذكرَ الله تعالى، واطمأنَّ وانتهضتْ همّته. فهو ﷺ خلْق في أحسن تقويم، قامةٌ ربعةٌ، وللطول أبين، بارع الحسن أزهر، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، أكحل العين أحور، خفيف الحاجبين، كأنّ حدقتي عينيه مَبسمان، له لحية بيضاء منوّرة، لا كثّة ولا مفرّقة، شاخص الرأس والصدر، رقيق الأَدَم،

قليل شعر الجلد، في كتفه الأيسر شامة وفيها ثلاثة شعرات طوال، لا يفارق وجهَهُ السرّورُ وإشراقُ النور، إذا أقبل فكأنّه كوكب درّيٌّ، وإذا مشى فكأنّه يتحدر من صبب، مِشيةَ رسول الله ﷺ. وليس في القوم من يظهر عليه، إن جلس أو وقف أو سار، تنبعث منه رائحة مسكية، وكلُّ صفاته هذه من موافقات الوراثة المحمّدية(١).

(١) كاتبنَا الشيخُ الدكتور عثمان عمر بن محمّد الويسي قال: سمعت سيّدنا النّبهان رضي الله عنه يقول: كل من كتب عن الأولياء وترجم لهم كتب كتابة ناقصة؛ لأنه تكلّم عن جانب الولاية في الولي، ولم يكتب عن بشريته شيئاً، فراح الناس يفتشون عن الولي فلا يجدونه، لأنّهم يريدون وليّاً ليس له بشرية. وقال رضي الله عنه: فهذا أمر لا تتسع له الطباع البشرية، الطباع البشرية من أجمل وأكمل ما وجد في الإنسان، ولا بدّ أن يكون الإنسان حاكماً عليها، البشرية لها طباع: تجوع، تشبع، تنام.. هذه خلقها الله ولكن تحت الأمر، والآمر عليها هي النفس الكاملة، النفس لما تتزكى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس ٩] يضع الطبائع البشرية كل واحدة في محلها، وهذا هو الحق والصواب والصحيح، أصبحت أعمالنا كلّها بأمر الله، وهكذا..

القسم الثاني

فجر دعوته وطريقته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

الفصل الأول

منهاج طريقته

- تنبيه.
- وفي الأربعين ابتدأ.
- الكلتاوية هي المنطلق.
- حادي القلوب.
- مؤشرات طريقته.
- ملامح طريقته وطرق تربيته.

تنبيه

الدعوة إلى الله تعالى غاية أساسية، يسعى لها كل مؤمن غيور، ويتوقف عليها صلاح الفرد والأمّة، قال تعالى:

- ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].
- ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].
- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

بَيْدَ أن هذه المهمّة من الخطورة بمكان؛ لأنّها مرتبة إرشاد عام، يرتهن نجاحها بصدق حال الداعي وكماله، ويتحتم على فارس هذا الميْدان أن يكون تجسيداً حيّاً لمراتب الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، مرآةً تعكس كمالات الإسلام وأنوارَه وتُظهر كلمةَ الحق، وتجذب إلى الحق، وتحمي كلمة الحق بالحق، لا تتنازل للأعداء ولا تتأثر بالمخالفين، وتلك أمور لا تجتمع إلّا بصادق مع الله، متخلق، متحققٍ، عالم بما يدعو إليه.

والسيّد النّبهان رضي الله عنه لا يرتضي أحداً يتصدر للإرشاد وهو غافل عن إصلاح نفسه، فتنقلب (الدعوة) إلى (دعوى) قال تعالى: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] وقال رضي الله عنه: (إذا صلح المجتمع كلّه وأنت لم تصلح فما هي الفائدة؟)، وهل لإنسان أن

يطرد الذباب عن جاره والأفاعي في داره؟ وما جدوى دخول الناس بسبب الداعي جنّة الخلد وهو محروم منها تضرب به الأهواء كما تضرب الريح في الرمال؛ لذلك يحثّ رضي الله عنه أصحاب الهمم على الاهتمام بالنفس أولاً، قال رضي الله عنه: (صاحب الهمّة يوجه همّته بداية أمره إلى نفسه، ينظفها من الأوساخ والعفونات، حتى يتطهر ويتكمّل، فإذا طَهُرت نفسه توجّه بهمّته دالّاً على الله تعالى، فتنفعل الناس به ويُقبلون على ربّهم، وصاحب مرتبة البداية لا يشتغل بعيوب الناس بل بعيبه، لا ينظر إلى نقصهم بل إلى نقصه حتى يكمل كما ذكرنا، وهناك يُؤذَن له بالإرشاد، فتُسمَع إشارتُه وتُفهَم عبارتُه، أمّا لو اشتغل بتذكير الناس ووعْظِهم قبل تذكير نفسه ووعْظِها فلا يُسمَع كلامُه، وربّما خسر الجهتين[1] خسر نفسه، فمن باب أولى أن يخسر غيره)، وصفات الدالِّ على الله تعالى كما بينها رضي الله عنه هي:

١ - أن يكون إنسانياً.

٢ - عالماً صادقاً.

٣ - لا محبّاً للدنيا.

٤ - ولا محبّاً للنساء.

٥ - ولا محبّاً لنفسه، يمشي مع الحق لا مع نفسه، ويدور مع الحق أينما دار.

٦ - متخلّقاً، لا يكذب ولا يخون ولا يغش ولا ينمّ ولا يغتاب.

٧ - عنده فراسة، وحكمة يعرف بها الداء ويقيس بها الدواء.

---

(١) أي: يدعو الناس إلى نفسه ويحسب أنه يدعوهم إلى الله تعالى، وقد ينجرّ إلى غشّهم في سبيل نفسه فيخسر نفسه بهذا.

٨ - عبداً لله تعالى، لا ينسب لنفسه شيئاً، بل ينسب الفضل لله تعالى، ولا يرى نفسه موطن إفادة بل هو المستفيد على الدوام.

٩ - لا يرى نفسه شيخاً أو سيّداً، بل هو خادم لعباد الله تعالى، ويعتز بهذه الخدمة.

١٠ - المذكِّر ينبغي أن يكون متذكراً مطَّهراً، وإلّا لم ينفع أحداً، فإذا كان يتكلم حتى يبيّن حاله أنّه يتكلم لم ينفع شيئاً ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، دائماً كونوا بالاستفادة، لا تطلبوا الإفادة، والله ما رأيت واحداً صار منه خير وهو طالب الإفادة، فالمفيد في الحقيقة هو الله تعالى).

١١ - وأكّد رَضِيَ الله عَنْه على دعوة الحال، فقال: (الّذي يدلّ على الله تعالى لا بالقوّة ولا باللّسان، بل بالحال، إذ بيان الحال أكثر تأثيراً من بيان القال والفعل؛ لأنّ القال قد يكذب والفعل قد يرائي به، أما الحال فلا تكذب ولا ترائي. وإن أقوى أمر بالمعروف ونهي عن المنكر هو بحالك المتخلق بها أنت، وكثير من العلماء والدعاة أساء بتعبيره القالي، الخالي من التعبير الحالي، وماذا ينفع تعبير القال إذا لم يكن هناك حال؟ المرشد هو الّذي يدل بالقول والفعل والحال والخُلُق، نحن بحالنا نزيّن العلم، ونزيّن المال، ونزيّن الوظائف، ونزيّن العمائم، ونزيّن اللحى).

وإيجازاً فإن نجاح الداعي متوقف على إصلاح النفس وتهذيبها، وجلّ الّذين تصدّروا لهذه المهمّة من غير مراعاة لهذا الجانب ضلّوا وأضلّوا وباءوا بالفشل.

أمّا أولئك الأفراد الكمّل، الّذين لم يخرجوا للناس إلّا بالأمر، فإن الواحد منهم أمّة، ولو اجتمع المرشدون والمربّون في زمن لن يتجاوزوا قليلاً من فضله وجزءاً من أدائه.

وكان لمعالم شخصيته وما ظهر عنها من مواقف ومُثُل أكبر الأثر في نجاح دعوته، فانتفع به خلْق كثير، وأسِفَ على عدم الأخذ عنه الكثير، وبقي بالحسرة إلى رؤيته والاستفادة منه الكثير الكثير، وسنقف في المباحث الآتية على أطراف توفيق الله تعالى له.

وفي الأربعين ابتدأ

في الأربعين من عمره ﷺ ألهمه الله تعالى أن يخرج لدعوة الناس وإرشادهم وخدمتهم، قال ﷺ: (الحقّ حمّلنا الكمالات، قال: اخرجوا بها إلى الموجودات، دلّوهم على كمالاتي، بالكمالات التي حمَّلتكم إيّاها، وأمَرَهُ رسول الله ﷺ أن يتحمّل من أجل الدعوة كل صعبٍ).

فانطلق من دائرة العزلة إلى خارجها، مخالطاً الناس على علّاتهم، غير آبهٍ بالمغرضين والمرجفين، متحققاً بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]. وابتدأ يتحدث قليلاً لقليل.

فبينما هو جالس في نفر من أصحابه ذات يوم، إذ دخل رجل غريب يحمل مصحفاً ولا يعرفه أحد فسلّم وجلس، ثمّ بدأ يقرأ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ

﴿نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٠-٢٤].

فعند كلمة (فَقِيْرٌ) تفجرت ينابيع الحكمة من قلب السيّد النّبهان على لسانه، فكانت فيضاً متواصلاً من بعد صلاة العشاء حتى مطلع الفجر ثمَّ أمسك رضي الله عنه إلى ظهر اليوم الثاني، ثمّ تابعَ حديثه أربعة أيام بلياليها(١).

وفي بحث «الفجر المرتقب» ذكرنا آنفاً أن الشيخ ياسين سريو قال: بعد أن التقى بنفر بعد خروجه من عنده: إذا بلغ هذا الشاب الأربعين سيكون له شأن عظيم، ولتسمعن منه العجب العجاب، ولمّا سمع بخروجه للناس، وأنّه يتحدث بما فتح الله عليه، جاءه ليقول له: هذه أسرار ينبغي أن لا تتحدث فيها، فأجابه رضي الله عنه: (يا شيخ ياسين، الشاب الذي تعرفه قد بلغ سنّ الأربعين)... مذكّراً إيّاه بقوله السابق عنه، فقال الشيخ ياسين رحمه الله لمن حوله: هذا ترجمان الحضرة الإلٰهية، دعوه يقول ما يشاء.

قال رضي الله عنه: (فكنت أتكلم، وأخالط الناس على علّاتهم، على ذنوبهم، على ما هم عليه، متجاهلاً متلطفاً بهم؛ لأنّهم عياله عز وجل، قال لي سيّدنا عيسى عليه السلام: كيف تطيق مخالطة الناس؟ فقلت له: أنا محمّدي، وأنا

---

(١) حدثنا بهذه الرواية الشيخ إبراهيم بن رحيم بن جدي الهيتي، إمام وخطيب ومدير المدرسة الشرعية الآصفية في جامع الفلوجة الكبير، قال: حدثنا الحاج محمود حموية أحد أصحاب سيّدنا الأوائل وقد كان أحد الجالسين مع سيّدنا حينئذٍ.

مأمور بذلك... ولكن أكره أن تطلق عليّ كلمة الشيخ، إذ لا أريد المشيخة، بل لأكون خادماً لعيال الله تعالى غيرَ معتمدٍ على أحد منهم مهما بلغ الأمر، بل عليه سبحانه، ولو أن أهل الأرض جميعاً أقبلوا عليّ ما زادوني شيئاً لنفسي بل فرحاً لهم، ولو أن أصحابي جميعاً هجروني ما نقص من فرحي به شيء، بل الرحمة الإلٰهية تأخذني شفقة عليهم).

الكلتاوية هي المنطلق

الكلتاوية: تسمية تركية لحيٍّ قديم في حلب، تعني: تل الورود، أو الزهور، وقبل أن يأوي إليها ﵁ هي مسجد طين بسيط متواضع، تحيط به مقبرة دارسة، موطن الأشقياء والخمّارين والمقامرين ومأوى المفسدين، والآباء يخشون على أبنائهم من المرور بها!.

قال ﵁: (لم يكن في الكلتاوية جامع، بل مسجد صغير، وأنا إلى جنبه في حجرة وحدي، وليس فيه غيري، وشهرتها مأوى الخمّارين والسرّاق والمقامرين، ثمّ ذهبت سنة وجاءت أخرى.. فإذا بها مأوى الأمراء والعلماء والأكابر، بل مأوى السعداء من الصغار والكبار، ووجدتُ لكم فيها كيراً مثل كير المدينة تماماً، تنفي الكذّاب الخائن الغشّاش وتخرجه منها ولو بعد أربعين سنة، فلا يبقى فيها غير السعداء).

فبعد أن تشرّفت بظهوره ﵁، تغيرت تلك الرسوم، فأزهرت وأثمرت، حيث الموقع الهادئ الجميل، والنسيم الطيب العليل، والأشجار المتناسقة الضافية، وأحواض الماء الصافية، والطيور المتنوعة المغردة،

والنباتات المورقة المتوردة، ونظافة المسجد والساحة، والشعور بالطمأنينة والراحة، وطلبة العلم كالملائكة بأنوار لامعة، وتيجان ساطعة، هذا بالإضافة إلى اللطافة، وكرم الضيافة، وكل من في الكلتاوية مجذوب بتلك الشخصية، يترقبون طلعته، ويتذاكرون سيرته، ويتسابقون إلى خدمته، وكلما أصبح يوم أو أمسى فهو عيد، والصفة التي تجمعهم، أنوارهم البادية، وآدابهم الراقية، ملتزمون بالسنّة، ليس فيهم واحد إلا متهجداً، لا يتحدثون إلا همساً، فلا صوت يُرفَع، ولا لغط يُسمَع، يجولون أفراداً وزرافات، بقلوب وجلة وعيون خجلة ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤] وسيّد القوم ﷺ كلما أقبل أسرعوا وهم عطشى إلى رؤيته، يبادرهم بالتحية، ويواسيهم بالشفقة، كما لو كان كل واحد منهم الأحب إليه، يُخيَّل إليك عند حضوره أن كل شيء في الكلتاوية شادٍ، حتى الحجر والشجر، فيا لله ما أحلى مُحيّاه، وما أهنأ مرآه، والكلتاوية به جنّة قبل الجنّة، وارفة الظِّلال والجمال، تحيط بها منارة شاهقة وقبّة خضراء، حيث مرفأ الأولياء، وكهف السعداء، وصفاء الخواطر، بل هي عالم روحي، مفتوح للوافدين من سورية وخارجها، تجد فيها الحموي والحمصي والشامي والعراقي والمغربي والمصري والتركي، دفع بهم إلى هناك شخصية المكين فيها ﷺ وأرضاه، وكل ما حولك فيها يثير إعجابك، وربّما هزّ أوتار قلبك للإنشاد..

بالأمس كانت قبوراً وحشة الساحِ
وموطناً للشقا والخوف والراحِ

ومسجداً قد رثاه الحزن من زمن
عفا بكومة أحجار وألواحِ

وإذ بها أصبحت للسالكين هدىً
حُفَّت بطيب من الفردوس فوّاحِ
يؤمّها الناس من عرب ومن عجم
بالخير قد أومأت للغادي والناحي
كيفَ ارتقى الحيّ عن غبراء معتمةٍ
بالخمر والميسر المعهود يا صاحِ
سلْها، تجبْك: بنى النبهان حاضرتي
وأنّه فجر أنواري وإصباحي
فكلُ ضَيْرٍ مضى داسته أرجله
وكلّ خير أتى من وارث الماحي
وإن أردتَ مزيداً فأتِ دوحتَها
تنبئْكَ أحوالُها من غير شُرّاحِ[١]

ظهر ﵁ للناس نبأً مهماً، يتذاكرون أطواره ويتابعون أخباره، فانتشر أمره واشتهر، وأقبل عليه أهل البادية والحضر، وسار ﵁ في خطيّن رئيسين:

الأول: يربّي فيه تلاميذه، فابتدأ ﵁ بحلقات علمٍ في المسجد، وأمّر على كل حلقة واحداً من أصحابه، فكانت دروساً في الشريعة وعلومها والعربية وفنونها.

(١) الأبيات للمؤلف.

والثاني: مع كل الناس، يتعارضهم في المساجد والأسواق والمحلات والطرق، يذاكرهم بالله ورسوله، يعود المرضى والسجناء، ويستجيب للدعوات، ويتفقد الفقراء والأرحام والأيتام، ويقضي معظم وقته بالمذاكرة والخدمة، غايته بعد أن عرف الله حقيقةً أن يُعرّف عليه العباد، ما وجد إليه سبيلاً، وشمل كل أطياف المجتمع ذكوراً وإناثاً، ومن جميع الأعمار والمهن والصنائع.

ولكي تكون توجيهاته ومواعظه وفق أحوال الناس ومراتبهم بادر ﵁ بتوزيع دروسه ومذاكراته، فجعل في كل أسبوع:

- درساً للعلماء: بين المغرب والعشاء من كل ثلاثاء[(١)].
- درسين للنساء: في صبيحتي السبت والأربعاء.
- درسين للتجار: بعد عصري الجمعة والأحد.
- درساً لعامّة الناس: مساء الجمعة بين المغرب والعشاء.
- درساً لأهل محلته باب النيرب بعد مغرب الإثنين.
- درساً لطلبة العلوم الشرعية مع أساتذتهم: عصر الإثنين.
- مذاكرة للصفيّنِ المتقدمينِ من طلبة العلوم الشرعية في مدرسته: بين الفجر وطلوع الشمس من يوم السبت (وهذه بعد أن افتتح ﵁ دار نهضة العلوم الشرعية في الكلتاوية).

---

(١) يحضره أكابر العلماء من حلب وغيرها، وفيه: الشيخ محمّد لطفي، والشيخ أديب حسون، والشيخ عمر الملاحفجي، والشيخ علاء الدين علايا، والشيخ نزار لبنية، والشيخ نجيب سالم، والشيخ منير بشير حداد، مع بقية أساتذة دار نهضة العلوم الشرعية، وغيرهم من داخل مدينة حلب وخارجها.

- درساً للأطباء والمهندسين والمحامين والمدرسين في غير المدارس الشرعية.
- درس نوفل ورفاقه (طلبة الثانوية والجامعة) بعد العصر من يوم الثلاثاء وأحياناً يكون بعد عصر الأربعاء.
- درساً خاصاً للمدرّسات والمعلّمات ضحوة الجمعة.
- مذاكرة يومية لعامة الناس والقرويين والفلاّحين، متى فرغ من دروسه السابقة.

وخصّ يوم الخميس لزيارة القرى، ويوم الجمعة بعد فرضها لحلقة الذّكر.

أما دروسه ﵁ فلم تكن على نمط واحد، وإنما بمستوى كل مجموعة وحاجتها، يعلمهم الوجهة إلى الله تعالى واتباع رسوله ﷺ، والصدق والإخلاص في العلم والعمل وإتقان الصنعة والمهنة، وحسن المعاملة والأدب مع جميع المخلوقات والتبرّي من الحول والقوّة إلى حول الله وقوّته، ونسبة النعمة إلى المنعم، ويحثهم على الكمالات من شرف وشجاعةٍ، وكرم ونزاهةٍ، وأدب وأمانةٍ، ويحل لهم إشكالاتهم، ويعينهم في أمور دينهم ودنياهم، ويغرس فيهم الهمّة العالية، والاستعداد للأخذ كما يُغرَس الاستعداد في أجهزة الإرسال والتلقي المسموعة في هواتف التحدث وقنوات الفضاء، كما تجده شريك كل ذي هَمّ في همّه، ليردّه إلى فطرته وإنسانيته، ويوصله إلى عبديته.

ولا نغفل أهمية الجلسات الخاصة، التي يقتطعها ﵁ من وقت راحته لتربية السالكين، يشخّص لكل واحد داءه ويرشده إلى دوائه، فيجعله بفضل

الله خيط نور في أشعّة الهداية المحمّديّة. وهكذا ظهر الرجل الذي ابتدأ مقتبل شبابه بترويض الخيل والفروسية، ليصبح القائد والإمام والمربّي الذي يروّض النفوس ويذللها في طريق العبدية لله تعالى، والاتباع لحبيبه سيّدنا محمّد رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وجامع الكلتاوية مركز دعوته ومنطلق توجهاته، فأصبح للمسجد دور يؤدّيه، كما هو في صدر الإسلام.

وكجزء من منهج دعوته حصل له توجهٌ آخر، اعتمد فيه ﵁ الزراعة وتربية الماشية، واستأجر عدداً من القرى، وأقام عليها وكلاء وفلاّحين، فآل إليه توجيه أهلها وإرشادهم، وأما الناتج فيأخذ منه القوت ويتصدق بالفضل، وأوّل قرية عمّها الخير (الجابرية) فأصبحت به مركز هدى وصلاح، بعد أن كانت مأوى اللصوص وقطّاع الطريق. ثمّ لحقت بها قرى التويم، والسكرية، ومسكنة، وأبو ظهور، وتل حاصل، وتل عرن، والحاضر، والحميْمة، والمعادي، والمليحية، والشويحة، والشيحية، وعين المبارك، وأمّ الكراميل، والشيخ عيسى، وتل سلطان، والقيصومة، والباب، وحوير العيس، وجزراية، وتل سلمو، والصعيبية، والزيارة، ودلامة، والواسطة، والبويدر، وأمّ العصافير، ورأس العين وغيرها.

وبهمّة رجل الدنيا والآخرة يعمّر ﵁ القلوب والأرض والمساجد، حتى طارت شهرته في الآفاق، والتف حوله خلق كثير، وازدحم عليه الروّاد من كل صوب وحدب، جلُّهم المشايخ وطلبة العلم، لا سيّما العراق بصورة خاصّة، وتركيا ومصر والكويت، ليرشفوا مَعينه الطاهر العذب، جذبهم إليه شخصيته الفذة، وتخلُّقه بما يدعو إليه، وأبهرتهم تلك الحقائق

والفتوحات والأذواق، التي منّ الله تعالى بها عليه، حتى غدت به أيام الكلتاوية جميعها أعياداً ومناسبات، يجتمع فيها الناس من كل فجّ، بين سالك ومتبرك، ومتطلع، ومتعلم، وذي فاقة، فيحظى كلٌّ بقصده ومراده.

حادي القلوب

عليه من المهابة تاج قدر — يهيمن في الرعية والرعاةِ
يموج وضاءةً، ويدرّ حسناً — ويطفح حسنه بتجلياتِ
يعمّ جليسه كرماً وبِشراً — ويُتبع بِشْره بمبشّراتِ
ويجذب بالحنان لباب قوم — بذكر الله تضرع هائماتِ
بطيّ حديثه نغماتُ وحيٍ — تردّ لميْتنا نَفَس الحياةِ
كأنّك حينما تصغي إليه — تتابع بالصلاة على الصلاةِ[(١)]

فهو رَضِوَاللَّهُعَنهُ مهيمنٌ حاكم على المجلس، تأخذ هيبتُهُ القلوب، والناس عنده كأنَّ على رؤوسهم الطير، ولا أظن أحداً حضر عنده وتمكن أن يُشبع منه بصره، ولا دخل عليه شيخ علم أو طريق أو محدّث إلّا سلَّم له واعترف بفضله، وربّما استحيا أن تطلق عليه كلمة (الشيخ) في حضرته، هذا مع شدّة تواضعه رَضِوَاللَّهُعَنهُ وهو يوزّع الأنظار وكلمات الترحيب، حتى يظنّ كل جليس أنّه المقصود وحده في المجلس أو في المذاكرة! فنظره تلقيح للقلوب وتصفية للأرواح، يكلّمك حاله قبل قاله، فإذا نطق لا تدري أيهما

(١) الأبيات للمؤلف.

أسبق إلى روعك، فيُنهض همّتك، ويجذب لباب قلبك، ويغرز محبته فيك، ينسيك حديثه ما سوى الله ورسوله وينقلك إلى خالقك وبارئك، فتشعر من يقين الإيمان الذي أنت فيه كأنّك في حضرة شهود؛ لذلك لا تجد أحداً لديه إلّا وهو مشدود إليه مأخوذ بين يديه(١).

يتصرف ﵁ في المجلس والجلاّس، ليعطي جواباً لهذا دون أن يسمعه ذاك! ويتغير وجهه ﵁ في الجلسة الواحدة، بحيث لو أُخذتْ له صور عدّة لظهر فيها اختلاف بسبب ما يبدو عليه من إشراقات وتجليات! وهو جميل الكلام، فصيح اللسان، جهوري الصوت، دقيق التحقيق، عميق الغَور في الفهوم والمدلولات، قوي الحجّة والبيان، ينطبع حديثه في الجَنان، تتغذى بكلماته المهج، وتنعم بنسيج إلهامه القلوب، وتستأنس بيتيم يواقيته النفوس الزكيّة، وإنّ درساً واحداً من دروسه لا تُستوفى فهومه وعلومه، وربّما أطلق المعنى أو التحقيق في مسألة فترك جليسه متلذذاً بها زمناً، عجباً لسرعة ردّه وبداهته، وكأنّ الجواب حاضر على شفتيه، يطرّز مواعظه بالآية والحديث والمَثَل والشعر والقصّة، وكلماته ميزان الذهب.

يتحدّث عن عوالم الأرض والسماء والجنّ والملائكة والبرزخ على حَدٍّ سواء كأنّه ساكن فيها، أو ينظر إليها، ويشير إشارة جغرافي على الخريطة، وذلك بما أعطاه الله تعالى من بصيرة وكشف، فلا تُحس وأنت تستمع إليه

(١) أخرج الترمذي في سننه في باب: ما جاء في صفة الجنّة ونعيمها، (٤/ ٦٧٢) برقم: (٢٥٢٦): عن أبي هريرة ﵁ أنه قال: قلنا: يا رسول الله، إنا إذا رأيناك رقَّت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد! قال: «**لو تكونون**» أو قال: «**لو أنكم تكونون على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم..**» الحديث.

ببُعْد أو حجاب بينه وبين العوالم، كما أنّه ﷺ لا يملّ طول الدرس والمذاكرة، إذا وجد همماً عالية وقلوباً واعية(١)، يكثر في حديثه من الإثارة والتساؤلات، ويُجيب عنها، ويفتح أبواب التحدث وإبداء الرأي والمشورة لجلسائه، وربّما بإيراد الخبر والحكاية الموجزة والنكتة.

هكذا رأيناه ﷺ وأرضاه.

مؤشرات طريقته

- إنهّا دعوة بالإسلام وللإسلام دون تسمية ثانية(٢)، تهدف إلى صحوة إسلامية عامّة ووعي صحيح موصول بالله ورسوله، بعيدة عن المداخل

(١) حدثنا الشيخ يحيى حمد الفياض الكبيسي من الفلوجة بالعراق قال: وقفنا مرّة مع سيّدنا ﷺ على رأس الدرج النازل من الجامع إلى البيت، من بعد صلاة العشاء، حتى مطلع الفجر، وهو ﷺ يشرح في معاني آية واحدة، قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [القصص: ١٣].

(٢) التسميات: ونعني بها الحركات والجماعات الإسلامية كلّها، فالواحدة منها إما أن تكون حبلاً في خيمة الإسلام أو معولاً يقطّع حبالها! والمرجِّح هو الشرع لمن هو أكثر التزاماً به، فإن وافقت الشرع فهي غصون شجرة واحدة، تُسقى بماء واحد ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤] أبواب توصل إلى محراب واحد، إذ تعدُّد الروافد والمشارب توسيع على العباد ورحمة بهم، أما إذا غلب عليها طابع التحزّب والتعصّب وحب السيطرة على الساحة بدوافع الفوقية والاستعلاء، والتجريح بالآخرين واتّهامهم، وتجاهل أدلّتهم وآرائهم وأدوارهم: فضررها أكبر من نفعها! ولو أنصف (دعاة الصحوة) اليوم وتذاكروا في صحوة الصحوة وتفحّصت كل جماعة أو حركة حالتها لوجدت أنها بحاجة إلى فقه الجماعة الأخرى ومسحتها وطريقتها في عرض الإسلام وخدمته، فهم إن صدقوا إخوة أشقّاء على سفرة محمّدية واحدة، منها يغترفون، وبها يسعدون.

الطائفية والحزبية والإثارات الخِلافية، وهي مظهر الكمال للصوفية الصادقة السائرة على خُطَى سلفنا الصالح أهل القرون الثلاثة الأولى المفضلة.

- كما أنّها امتداد للخط الوسط العام غير المتطرف والمتعصب والمتحزب من أهل السنّة والجماعة، تنشد دستورية هذا الدين في جميع نُظُم الحياة وميادينها، وهي بهذا المعنى تغيير في النفس والأسرة والمجتمع والأمة.
- اعتمادها على كتاب الله تعالى وسنّة نبيه ﷺ وفقه المذاهب المعتبرة، دون تمييز لمذهب على آخر.
- حُبٌّ لآل بيت رسول الله ﷺ والصحابة والأولياء أجمعين، وتتبع لسِيَرهم وآثارهم.
- تأسيس المساجد ومعاهد العلوم الشرعية والجمعيات الخيرية، للنهوض بالمسلمين وخدمتهم، وتحقيق آمالهم.
- تصحيح عادات الناس وتقاليدهم المخالفة للشرع الحنيف.
- الاهتمام بالفرد المسلم وبيته، ضمن تربية صوفية محمّدية، تجمع كل المشارب والطرق، وفق مفاهيم العبدية لله تعالى، والاتباع لرسوله ﷺ، وتزكية النفس.
- العناية بكل شرائح المجتمع وأطيافه، والعمل على بناء أسر شرعية، مجتنبة مزالق الجهل والجاهلية ونزوات المدنية الماجنة التي لا ترتدع بعيب أو حرام.

- وأمّهات الفضائل من شرف وشجاعة، وكرم ونزاهة، وصدق وأدب وإخلاص من أهمّ الأسس التي تقوم عليها، مع تعميق في معاني الغيرة على الدين والعِرض.
- التودد للمسلمين ومعاونتهم والخدمة العمومية لبني الإنسان والرحمة بجميع المخلوقات.
- الوقوف مع الحق أينما دار ولو كان مع غير مسلم.
- نُصح الحُكّام وعدم مسايرتهم في مبادىء فصل الدين عن الدولة، ومعارضتهم في توجهاتهم العلمانية.
- إحياء المناسبات الإسلامية، كالمولد النبوي الشريف، والإسراء والمعراج، والهجرة، اعتزازاً بصاحب الذكرى واعتباراً بمآثره ﷺ.

ملامح طريقته وطرق تربيته

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أحب جميع الطرق، وكلّها موصلة إلى الله، ولكنّ طريقتي محمّدية بحتة، عنوانها الاتباع لسيّدنا رسول الله ﷺ وتحمّل الأذى من الناس وعن الناس، وعدم الدعاء على أحد. طريقتي مبنية على ركنين: في البداية تحمّل الأذى من الناس، وفي النهاية تحمّل الأذى عن الناس، طريقتنا محمّدية، طريقتنا الاتباع، كالصحابة مع رسول الله ﷺ).

وإنّ الرجل الذي تتصاغر لديه الجبابرة، وتُسلِّم له الأكابر، وتلتهب عنده أكباد المحبين لم يترك لنفسه وقت فراغ، فكلّه لله بالله، والخدمة والمذاكرة شغله وديدنه لا يقدّم المهم على الأهم، ولديه طرق لا تُحصى ولا تُستقصى، يردّ بها إلى الله تعالى كل ملحد مائل حائد عن الصواب، إلّا

أنّه لا ينسب لنفسه شيئاً بل ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الجمعة: ٤] ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٨]، ولا يرى نفسه موطن إفادة، بل مجرى للفوائد، فالمفيد الحقيقي والناصح هو الله سبحانه، يفيد وينصح بالله ولله.

ومن باب ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] يقول رضي الله عنه: (نحن عندنا الكيمياء التي تحوّل الشقي إلى سعيد، والعدوّ إلى صديق، والبعيد إلى قريب).

يعرض رضي الله عنه بضاعته، دون أن ينتقص من بضاعة غيره، ليستهوي القلوب ويجذبها، ويصبّ المعاني في أطهر الكؤوس والأواني.

ولا يجابه بالنصح، بل يتلطف بالمنصوح تلطُّف الجواهري بالجوهرة، حتى يمسح ما علق بها من غبار، فيستعمل القصة الموحية والإشارة المفهّمة، ولا يقرّع تصريحاً أو تلويحاً، وينفذ إلى قلب منصوحه من الباب الّذي يحبه، فيكلم التاجر بالتجارة، والمزارع بالزراعة، والغنّام بالغنم، والزعيم بالزعامة، والشجاع بالشجاعة، والطبيب بالطب، والعالم بالعلم، والقاضي بالقضاء، حتى إذا أصغى إليه الطبيب قال عنه: هذا أحسن الأطباء، وإذا أنصت إليه القاضي قال: لا يصلح للقضاء غيره! وإذا لحظه الجندي قال: إنّه القائد الفذّ، وإذا قصده السالك وجد غاية مرتجاه، فهو رضي الله عنه عالمٌ بالمراتب كلّها.

قال رضي الله عنه: (لو أنّ كنّاساً كنّس ورشّ وأتقن يصل إلى الله تعالى؛ لأن الوصول إليه عز وجل لا بالصنعة ولا بالصفة بل بإتقان العمل، إن الله يحب المتقن عمله)(١)، فهكذا شأنه رضي الله عنه مع كل صاحب صنعة أو مهنة أو وظيفة،

(١) المعجم الأوسط للطبراني، برقم: (٨٩٧) (١/ ٢٧٥)، بلفظ آخر.

يعلمه فيها الصدق والإخلاص لله تعالى، فيدهش عقله ويأخذ بمجامع صدره حناناً إلى الله تعالى ورسوله ﷺ، شأنه شأن الطبيب الحاذق، الذي يحقن الإبرة في العضلة ليصل بمفعولها إلى العضو العليل، وشتّان بينه وبين مَن يُجابه بالنصح، فيغرز الإبرة في القلب ويقتل عليله، اللهمّ إلّا إذا سُئل على انفراد وظهر له صدق السائل أو كانت حالة المنصوح توجب المصارحة فيقول له: افعل أو لا تفعل، قال رضي الله عنه: (أنا لا أمدح ولا أذمّ، أنا أبيّن، وهذه مرتبة القرآن والحديث، تبيان لا مدح ولا ذمّ).

حضر عنده مرّة شخص يلبس خاتماً من ذهب، فقال واحد في المجلس: سيّدي، لو قلت له أن يخلعه، فأجابه رضي الله عنه: (واحد مثلك يقول له! أما أنا فلا أقول له) وإذا بصاحب الخاتم يرميه من يده ويقول: سيّدي والله إكراماً لحضرتك لا ألبسه بعدُ.

وعنده رضي الله عنه ميزان للنصح والتذكير، قال رضي الله عنه: (جاء عن رسول الله ﷺ: «**كلّموا الناس على قدر عقولهم، على قدر فهومهم، ونزِّلوا الناس منازلهم**»[1] أي في نفوسهم، فمن كان يحب التصدّر فأعطه الصدر بنيّة أخذه، فيعطيك قلبه فتأخذ بيده إلى الله وتعرّفه به، ولو كان أمير القرباط[2]، وإيّاكم أن تنصحوا بالصراحة الواضحة لكل الناس، بل تنزّلوا لهم إلى مراتبهم، ليعطوكم قلوبهم، خشخشوا لهم بما يحبّون كالأطفال تُستجلَب قلوبهم بالألعاب، فإذا أعطوكم قلوبهم فذاك وقت النصيحة

(١) صحيح مسلم، (١/٦)، سنن أبي داود، برقم: (٤٨٤٢) (٤/ ٢٦١).
(٢) هم الغجر، وليس مراده رضي الله عنه أن يحتقرهم من حيث إنهم فئة من الناس، ولكنه تنبيه للناس الذين جرت عادتهم باحتقارهم.

بلطف، وعلى قدر استعداد المنصوح وتسليمه لك، وإيّاك أن تُخدَعَ بالمتديّن وهو حبّاب الدنيا، فإنّ ديانته صورة، وحب الدنيا هو الذي استولى على قلبه، فهذا لا تأمن له وتنغش بديانته، بل أعطه حق محبته لدنياه، ثمّ ائته من طريقها إلى أن يعطيك شيئاً من قلبه، فتلوّح له بالنصيحة تلويحاً لا تصريحاً).

وله ميزان آخر في كيفية الإجابة عن أسئلة الناس، يعتمد النسبة بين السؤال والسائل، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (النسبة بين السؤال والسائل، هل هذا السؤال من السائل؟ أم من عند غيره؟ لابدّ أن تكون نسبة بين السائل والسؤال والداء والدواء، كثير يأتوننا بسؤال واحد، فنعطي جواباً لعمرو غير بكر، ولبكر غير عمرو، والسؤال واحد، السائل بدوي أو فلاّح قل له: كُل عيشاً؛ لأنّه معتاد عليه، لا تقل له كُلْ شوربة.

كثيرٌ يسألون ولا نسبة بين السؤال والسائل كمن جاءنا يسأل عن اسم حصان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فطالما هو غير هاضم للسؤال، فكيف يهضم الجواب؟ فالإجابة تقتضي أمرين، الأوّل: النسبة بين السائل والسؤال؟ الثاني: الإجابة على حسب السائل لا على حسب السؤال.

شرط أساسي أن تكون عند الطبيب فراسة، بمجرّد ما يدخل المريض يشخّص له داءه، طبيب طلب الطب للطب، فجاءه المال تبعاً، وأخذ ما عدا المال عزّاً، هذا الّذي نبحث عنه أينما سكن، والّذي جذبَنا إليه صدقُه في الطب، نريد علم أي شيء رأيت في المريض، لا الطبيب الذي لا يعرف إلّا العلم الّذي تعلّمه، ليكتب (الوصفة) ويقبض المال.

علماؤنا في هذا الزمان مثل أطبائنا، أول ما يضع بين عينيه أجرة

الفحص، لا يبالي، شفي المريض أو لم يُشفَ! وهنا غلطتان، الأولى: عند فحصه للمريض، الثانية: عندما يكتب الدواء.

فيا عجباً الدواء من لندن أو فرنسا أو أميركا؟ هواؤنا غير هواء فرنسا، غير هواء أميركا، طبيعتهم غير طبيعتنا، أجواؤهم غير أجوائنا، عالمهم غير عالمنا، شمسهم لا تطلع إلّا قليلاً، لا بدّ من عالم ماهر في الطب، يعرف كيف يعطي قياساً بين المريض والدواء، لابدّ أن تكون نسبة بين السائل والسؤال، وبين المريض والدواء. دواؤنا في حلب، ويأتوننا بدواء من فرنسا ومن لندن ومن أميركا، هذا هو الغلط. الطبائع تختلف، هذا طبيعته حارّة، وذاك طبيعته باردة، فالطبيب الّذي يأتيه خمسة أشخاص أو ستة بداء واحد إذا أعطاهم دواءً واحداً فهذا غلط! لاختلاف طبائعهم)[1].

فلا يعطي ﵁ جواباً يغصّ به السائل أو موحَّداً لتوحد ألفاظ الأسئلة، وضرب على ذلك مثلاً: الخيّاط والزبائن، يأتيه واحد طويل سمين، وآخر قصير نحيف، وثالث لا هذا ولا ذاك، فكيف تكون ثيابهم واحدة؟ فلا بدّ إذنْ من قياس دقيق.

ويظهر أثر الفراسة، التي هي بمنزلة الأشعّة، إذ بدونها لا يتمكن المسؤول عالماً كان أو طبيباً من الإجابة بدقّةٍ، فلا يجيب بحسب حال السائل فقط، وإنّما يفاتح جلّاسه بإشكالاتهم وخواطرهم دون مباشرة منهم

(١) وذلك لأن أدويتهم صنعت ووضعت مقاديرها على حسب تجاربهم مع المرضى الذين في بلادهم، فالتجربة قد تكون صحيحة ولكن الخطأ في تعميم نتائجها على مرضى تختلف طبائعهم، ولذلك كان ﵁ يقول: هذه الأدوية فائدتها عشرة من مائة، والباقي من نتائجها بسبب الوهم عند المريض أنه أخذ دواء جيداً.

بسؤال، قال ﵁ : (أنا أقرؤكم بدون تكلف)[(١)]. إلّا أنّه لا يعامل أحداً إلّا بظاهر الشرع، وربّما يُسأل فلا يجيب! قال ﵁ : (لا أجيب السائل أحياناً) فيكون السكوت هو الجواب، ومراعاةً لأحوال السائلين يجيب عن أسئلتهم الفقهية من المذاهب الأربعة، فما من سؤال إلّا ولديه جوابه بعد فحص سريع بنور الله تعالى ينتقي به العقار المناسب من صيدلية الكتاب والسنّة.

ومن طرقه ﵁ الإحسان إلى المسيء وقتل عداوة العدو وإزالتها بالإحسان إليه، قال ﵁ : (الرسول ﷺ ما كان يحب قتل الكافر أي لذاته وإنما قتل كفر الكافر، ونحن سائرون على هذه القدم، لا نريد قتل الأعداء، بل نريد قتل عداوتهم، وكيف يكون ذلك؟ يسيء إلينا ونحسن إليه، إذ ذاكَ يقول: أنا كنت مخطئاً والحق مع الشيخ، هكذا كان الرسول ﷺ وإلى يومي هذا ما لي عداوة مع أحد لذاته أبداً، حتى مع إبليس، ولولا أنّ الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر: ٦] لما اتخذته عدوّاً، لكنّي أعادي مبدأه، الذي يخالف القرآن الكريم، فالذي يخالف القرآن يخالف حقيقته، فإذا رجع إلى حقيقته صرت وإيّاه

(١) كاتبنا الدكتور الشيخ علي أحمد مشاعل عضو هيئة أوقاف دُبَيْ قال: حدّثني في مدينة رسول الله ﷺ منشد سيّدنا النّبهان ﵁ محيي الدين أحمد الحلبي: أنه قصد الكلتاوية ليجدد العهد والصدق مع الله تعالى، بعد غفلة ألمت به، فتوضأ وصلّى ركعتين، ثمّ رأى سيّدنا ﵁ خارجاً من بيته قاصداً حجرته في الجامع، فدخل مع من دخل من الطلاب والمريدين، فأجاب ﵁ كل سائل وقضى حوائج المحتاجين، ثمّ قال لمحيي الدين: ماذا عندك؟ فلم يفصح عمّا في قلبه حياءً، فقال له ﵁ : غفر الله لك! أمام العلماء احفظ لسانك، وأمام الأولياء احفظ قلبك، وأمام العارف خذ حريّتك؛ لأن الله يطلعه عليك، ويعلمه ما بك، وما عندك، وما أصابك. ومثل هذه الرواية كثير كثير.

أخوين. لا أريد أن أنتصر على أحد في العالم، وإنما أريد أن أردّه إلى الله، الّذي لا يصاحب أهل الله يرى نفسه: أنا وأنا.. أكبر فرعون!

والله ما لي غرض، ولا لي حاجة مع أحد في الوجود، والحمد لله رب العالمين، ولكنّي بحاجةٍ إلى خدمتكم، سيّد القوم خادمهم(١) الخدمة لا في الجسم فقط ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

إذا خدمْنا أهل النور يسري نورهم إلينا، لا أنبسط لكوني أعطيت أو أطعمت، بل أنبسط لأنّ الله جعلني خادماً لهذه القضية. فأنا خادم، وأعتز بكلمة خادم، افهموني رجلاً خادماً، ظاهري وباطني كلّه واحد، أدلّكم على حقيقتكم، ارجعوا إلى حقيقتكم، سيروا على الصراط المستقيم.

والله لا أبغض أحداً لا أوربيين ولا شيوعيين ولا بعثيين، ولا خبيثين ولا شريرين، ولا قطّاعي طريق، أنا أعدّ حالي كالطبيب، لا تفهموا النّبهاني عصبيّاً، لا أطيق العصبية، ولا أبغض أحداً، فمن الناس من يقول: أبغض جمال عبد الناصر، ومنهم من يقول: أبغض الشيوعيين، ما أنا بذاك، أنا رجل خادم، أقامني الله تعالى لخدمة البشر سواءٌ يهودياً كان أو نصرانياً، أو مجوسياً، أو كافراً، أو مشركاً، أو شرّابَ خمر، أو قطّاعَ طريق، أو مبغضاً لرسول الله ﷺ (إيش بدّي منّه)؟(٢)، الواجب عليّ أن أخدمه حتى أردّه لحقيقته، فإذا رجع إلى حقيقته صار رفيقي وصاحبي ومن أحسن الناس لا لي بل لغيري، وأنا أعتقد أنّ «هيلاسي لاسي»(٣) إذا قعد

(١) فيض القدير: للمناوي (٤/ ١٢٢).
(٢) باللهجة السورية، ومعناها: وماذا يهمّني منه.
(٣) هيلاسي لاسي: رئيس الحبشة، معروف بحربه على المسلمين آنذاك.

معي عشرة دقائق سينقلب). فهو رضي الله عنه لا يحقد ولا يتحامل، ويتعامل مع بني الإنسان حتى مع المحتالين والكذّابين على أنّهم خلق الله وعيال الله، وكثيراً ما يردد ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١] وإن شخصاً سأله قائلاً: سيّدي، أما تعرفني كذّاباً فكيف تصدّقني؟ قال رضي الله عنه: أعرفك ولكنني قلت: لعلّه صدق هذه المرّة!

ولا ييأس رضي الله عنه من أحد، ولا يحكم على فاسق أو فاجر أو مجرم بالشقاوة، فربّما لاطفه فتاب وكان من الصالحين، قال رضي الله عنه: (لكل إنسان في كل أربع وعشرين ساعة أربعة وعشرون ألف نَفَس، وكل نَفَس له برزخ خاص، وبين كل نَفَس ونَفَس حاجز لا يختلط بآخر، ولا يُحكَم على نَفَس بآخر، بل ربّما كان نَفَسٌ إيماناً ونَفَسٌ كفراً، نَفَس ولاية ونَفَس معرفة، وهلمّ جرّاً، فلا يُحكَم على نَفَس بالآخر البتة، والله واسع عليم، فالعارف حينما يعطيه الحق السعة، يسع عدوه وصديقه والكافر والمؤمن، فإذا رأيتَ أحداً أقبل على أهل الله فلا تحكم له بأنّه وصل؛ لأنّك لا تعلم النفَس الثاني، وإذا رأيتَ أحداً أعرض عن أهل الله فلا تحكم عليه بالقطيعة، لأنّك لا تعلم النَفَس الثاني.. صاحب النور يرى الأشياء ويرى الناس بالله، ولكن الحق يعطيه الرحمة قبل ذلك، فينظر الناس بالرحمة ويؤوّل لهم ولأعمالهم، وأقل التأويل أن يرى قلوب الخلائق بين أصبعين من أصابع الرحمٰن، فلعل ذلك العاصي أو الفاسق بعد نفَس يكون ولياً، كذلك لا يجزم لصلاح صوري، فإن الخاتمة مجهولة، كان الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم يقول: «لا ومقلّبِ القلوب»)(١).

---

(١) صحيح البخاري، برقم: (٦٩٥٦) (٦/ ٢٦٩١)، وسنن الترمذي، برقم: (٢١٤٠) (٤/ ٤٤٨).

وبهذا الخُلُق العظيم يدعو الناس ويذاكرهم، أمين على أسرار الناس، يستر ولا يفضح، يقول ﷺ: (كل من يرضى بالفضيحة لا بدّ أن يفضحه الله تعالى ولو بعد حين). وهو ﷺ لا يتعصب، ولا يحب الأشخاص أو يبغضهم لذواتهم، قال ﷺ: (لا نحب ولا نبغض الأشخاص بل للحق والباطل، نحبهم للحق، ونبغضهم للباطل، وما جئنا إلا للسعادة).

ولا يحب أحداً أن يخبره عن نفسه أو غيره بسوء قال ﷺ: (لا يخبرْني أحدكم عن نفسه أو غيره بسوء أبداً). معتمداً خلُقاً محمّدياً، لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر[(١)]، فيسع الجميع بالرحمة والشفقة، ويعاملهم بحسن الظن وسلامة القلب ويتجاوز أخطاءهم لكنه لا يهمل تأديبهم بالنصح والتذكير والإعراض أحياناً قال ﷺ: (الّذي يزيد المحب: الإعراض عنه، الإعراض من الكمالات)، وعليه فهو إعراض صوري، وليس إعراضاً حقيقياً، الإعراض يسيّره في قلبه، لأنّه عنده أهلية، وبالظاهر إعراض الشيخ عبارة عن وضع (بنزين) للمريد ليسير لأن هناك عقبة حتى يقطعها، والّذي يريد أن يترك فليترك! هذا يبقى يحاسب نفسه حتى يصير كلّه نوراً، الإعراض لا أحد يعرفه، أول ما عمله الله سبحانه وتعالى مع سيّدنا محمّد ﷺ قطع عنه الوحي قال: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ١-٣]. الله سبحانه وتعالى قطع الوحي عن سيّدنا محمّد ﷺ ليعلمنا كيف نسير، كما سار سيّدنا محمّد ﷺ، الإعراض رأيناه في السير، الحق له فيه حكمة بالغة يعرفها أهل الله، وغير أهل الله لا

(١) سنن أبي داود، (٤/٢٥٦)، برقم: (٤٨٦٠).

يعرفها أحد، حكمة بالغة.. حتى بدأ الناس يتكلمون فتحوا ألسنتهم على رسول الله ﷺ قالوا: بغضه! قلاه! ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ سألني واحد عن الرسول ﷺ كاد يرمي نفسه من أعلى شاهق: أيجوز هذا؟ قلت: هذا تحكيه الروح وليس الجسم، واحد من أهل الله يقول: رميت بنفسي مرّة من مكان عالٍ جداً، وما أصابه شيء أبداً! هذه بالروح، أما صاحب النفس فيتكسر تكسيراً تامّاً، سيّدنا محمّد ﷺ عمل هذا من قبل أن يطّلع أن الحق قطع الوحي لحكمة بالغة، من أجل أن يقولوا عنه بغضه أو تركه.. حتى قالوها، سيّدنا محمّد ﷺ لمَّا نزل الوحي بعد القطع قويٌّ كاملٌ وكان مستعداً الاستعداد التام، تلقى الوحي من الحضرة الإلٰهية تامّاً كاملاً من كل الوجوه، كعطشان كثيراً في يوم صيف حار وجاءه ماء بارد: فكيف يشربه؟ تتنعم كل ذرّة من ذرّاته! ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] وهكذا: سيّدنا محمّد ﷺ كان يقولها من الروح، والّذي يقولها من النفس ويرمي حاله يتكسر تكسيراً تاماً، وهذه موجودة مع أهل الله، هذه القضية ذاقها أهل الله... المحبّون يتكلمون بالإعراض، هذا ما وجد في الوجود، إلّا إذا كان المحب كذّاباً اللهمّ هذا صحيح؛ لأنّه ما أقبل على الشيخ حتى يعرض عنه، الشيخ إعراضه حتى يبين له أنّه معرض، الشيخ أحنُّ بل الشيخ وارث الرسول ﷺ وكل وارث عنده خاتم على كتفه الأيسر، واللهُ قال عن سيّدنا محمّد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وليس للمؤمنين فقط، والحق يقول: ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ [الحديد: ١٣] هذه لا بدّ أن يذوقها الإنسان.

وهو رضي الله عنه يؤاخي بين اثنين يتناصحان ويتذاكران في الله، ولا يرضى

لهما أن يتقاطعا إذا اختلفا في مسألة، فالاتفاق في تسعة وتسعين بالمائة لا يقضي عليه خطأ لا يعدل واحداً منها! ولا أن تفرّق المادّة بينهما، وهذه حالة لا ينجو منها إلا قليل.

ولا يهتم ﵁ بتوزيع الأوراد على أتباعه(١) كما هو مألوف عند شيوخ الطرق، قال ﵁ : (أنا لا أقول لواحد قل ألف مرّة سبحان الله، ألفي مرّة الحمد الله، ثلاثة آلاف مرّة أستغفر الله ولكني أقول له: احفظ سمعك وبصرك ولسانك وأنا أضمن لك الوصول إلى الله)!! وزاد في قول آخر: (التهجد).

ولم ينشغل ﵁ بكثرة الأتباع والمريدين، بل بنوعيتهم، فالمنسوب إليه حقيقة هو الصادق، المتّبع النزيه الذاتي، الّذي لا يتنزل لفعل المخالفة، المهتم بأمر نفسه وبيته وخدمة مجتمعه، على المنهج الّذي رسمه الله تعالى ورسوله ﷺ، وما كان عليه آل البيت الأطهار والصحابة الأبرار ﵃، وليس في طريقته إلزام بعهد أو بيعة ولا خلفاء أو وكلاء، قال ﵁ : (أنا ما خلّفتُ ولا وكّلتُ). ومن أجازه ﵁ من أتباعه لم يتجاوز حلقة الذّكر والنصيحة لإخوانه ﵁ .

وإذا كان بعض المتصوفة الكسولين والمدّعين يجمع المال من المريدين والمحسوبين!! فإنّه ﵁ الصوفي الذي يفرّق المال فيهم ولغيرهم، بل يستدين ويقضي حوائجهم، ولا يتحدث بإحسانه إليهم، وعلى ما هو

---

(١) إلّا وِرْد: الله شاهدي، الله ناظري، الله معي، ووِرد: يا عزيز أنت العزيز.. ففيهما إجازة عامة بشرطين: الحضور بين يدي الله تعالى، وعدم حب الدنيا.. وخفيف العقل لا يأذن له بورد.

عليه من علوّ الهمّة يريد أن يربي الشخصية النزيهة الذّاتية في الرجال والنساء على السواء، ويوصل كلاً إلى المعرفة الإلٰهية والكمال الإنساني.

ومشاورة أصحابه في بعض الأمور التي تهم المسلمين خصلة متميزة في تعامله معهم، يقول ﵁ : (الّذي يقرّه المريدون هو مراد الشيخ).

تلك بعض مزايا دعوته، وهو ﵁ يتأذّى بأذيّة أصحابه ويفرح لفرحهم، ويدعو الله سبحانه وتعالى لهم بالحفظ، ويقول ﵁ : (طلبي من الله أن يحفظ إخواني). يزرع في قلوبهم المحبة، ويُنمّي فيهم الاتباع مقروناً بحسن الظن بالله، وآمال الخير والنجاح والتفاؤل وصدق التوكل على الله. وكان ﵁ يكثر الدعاء لمن يسأله الدعاء بل لمن يسلّم عليه بقوله: الله يفتح عليك فتوح العارفين.

يدعو إلى الله تعالى بالكمال الّذي كمّله الله تعالى به، وبالحال التي تخلّق بها وبما ورثه عن حبيبه ﷺ يأمر بالمعروف بالمعروف، وينهى عن المنكر بالمعروف، وهو عون المحتاجين، وكهف السالكين، والشيء الذي غرسه قلوب أتباعه مظنّة كل واحد منهم أن الشيخ ﵁ يحبّه أكثر من أتباعه جميعهم.

الفصل الثاني

نبهان الكمالات

- أنا عبد الله.
- أذواق عبديته ومحبته.
- سروره بأقدار الله تعالى.
- أنا لستُ شيخ طريق، وأنا الوارث المحمّدي.
- أنا أعدّ نفسي خادماً عمومياً.
- صنيع الابتلاء.
- شواهد الامتحان:

أ. حمامة في مدخنة السخان.

ب. الفلاّح المغتصب وقرار محكمة عدل حلب.

ج. أهؤلاء هم اللصوص؟!

د. البرقيتان.

- ميزاته القيادية.

أنـا عبد الله

إن الرجل الّذي حيّر مَنْ بعده بسيره وسلوكه وأدهش الناس بشخصيته؛ كان مظهراً لصفات الكمال الإنساني، وسراجاً منيراً من الوجوه جميعها، مَن لاحظ أحواله ظنّها في ميدان سباق، فكلما تفحص واحدة قال: هذه هي الصفة المتميزة، والعبدية لله تعالى أسبقها بل تجمعها، وبلا تكلف في أي منها.

فإذا كان المربِّي رسول الله ﷺ فهل يكون المربَّى إلّا تعبيراً صادقاً وتجسيداً حيّاً لكل ما أراد الله ورسوله؟. كيف لا؟ ولم تُؤثَر عنه مخالفة، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلّا تابعَ رسول الله ﷺ فيها، فهو رضي الله عنه متحقق بمقامات عبديته، يبغض الدعوى وأهلها ويقول رضي الله عنه : المدّعي مفضوح، أصعب شيء عندنا الدعوى، الدعوى لا تأتي إلّا من الجهل.

١ - الله سبحانه أخذ لبي، معي هيَمان بالحضرة الإلٰهية، ولا يعطيني مثلما أريد، أعوذ بالله! وإنما يعطيني أكثر بما لا يقاس، أنتم محجوبون بالكذبية! لا أستطيع أن أحكي كل شيء حتى تعطوني طريقاً.. العراقيون: لولا أن الله يحبهم لما أوصلهم إلى هنا، هذه المحبة أنا أخدمها، أنا عبد الله، أشهد أنّي عبد الله، صادق ونزيه، لا أصاحب أحداً لغاية، ما عندي استعداد أن أصاحب أحداً لغاية لا صغيراً ولا كبيراً مهما تكن عالية..

حـبـبـتـك لا لـي بـل لأنـّك أهـلـه
وما لـي فـي شـيء سـواك مـطـامـع

٢ - مرتبة العبدية ما نالها أحد في الأولياء وهو ولد إلا أنا وسيّدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه ، والاصطفاء والاجتباء مرتبتان ما نالهما في الأولياء أحد وهو ولد إلّا أنا وسيّدنا أحمد الرفاعي.

فهو رضي الله عنه يتحرك بمراد الله تعالى كما تتحرك الرياح، لا ينسب لنفسه شيئاً، ولا يرى نفسه أحسن من شيء، ولا يعتمد على نفسه أو على أحد من الخلق بشيء، فرِحٌ بالله، مسرور بمجاري أقداره، كتوم لا يتأوّه من صعب، ولا يتحير في مسألة، ولا يستغرب من حادث، ديدنُه التفويض لله والتسليم له، إذْ هو خزينة الاطمئنان وكنز الرضا بكل ما يصنع به مولاه، وكثيراً ما يردد قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

ومن أقواله رضي الله عنه :

٣ - واللهِ لو أرى في اللوح المحفوظ مكتوباً: الشيخ النّبهاني مطرود من رحمة الله أضحك وأفرح؛ لأنّه لا يوجد غيره - يقصد اللهَ سبحانه - وهو حكيم يضع الأشياء في محلها.

٤ - لو أرى في اللوح المحفوظ: الشيخ النّبهاني مبغوض مطرود، أقول: يا حبيبي إلى أين أروح؟ هل يوجد غيرك؟ والله لا يوجد غيرك.

٥ - نحن دائماً في الفضل، كفّتنا طائشة، وكفّته سبحانه ثقيلة.

٦ - والله أنا البارحة ما كان عندي شيء، واليوم صار عندي، فكيف أنسبه لنفسي؟ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الجمعة: ٤].

٧ - والله ما جاءني يوم دخلت في ظلمة، دائماً تحت النور الإلٰهي، والتوفيق الّذي وفّقني الله إياه من عنده فقط، ما لي فيه خطّة قلم.

٨ - لا يقول أنا إلّا الضعيف، من قال: أنا؛ فما له إلّا العنا، أنا عبد الله عبد الباقي، لا عبد نفسي، نحن نعتز بعبديتنا، الّذي يريد أن يمدحني يقول لي: أنت عبد.

٩ - كاذب مَن يقول أنا شيخ، ما جاءني يوم شعرت فيه أنّي سيّد، والله ما خطر لي يوماً من الأيام إلّا أنا خادم، ومن أنا حتى يجعلني الله خادماً لعبيده؟

١٠ - إلى الآن لا آمن من نفسي، إذا أردت أن أعمل عملاً أستخير الله تعالى في ذلك العمل، علامة الرسل والعارفين بالله الحقيقية أنّهم لا يأمنون لأنفسهم ولو لحظة، وإلى يومي هذا لا آمن منها ولا أركن إليها.

١١ - أنا راضٍ بما يريد، لا بما أريد، ومن أنا حتى أرضى؟ إذا وضعت رجليّ الاثنتين في الجنّة، إذا وضعت كلّي في الجنّة لا آمن مكر الله، لو قال لي ربي: يا شيخ محمّد خالِفْ وأنا أغفر لك، أقول لا يا رب.

١٢ - إذا طلبت من ربي شيئاً فأعطاني أفرح مرّة، وإذا ردّني أفرح عشر مرّات، والله إذا أردت أن أطلب من الله أخاف أن يعطيني، أنا جاهل، وهو عالم عليم علّام، ويريني الله ضعفي في كل شيء.

١٣ - صار لي في العلم ثلاث وخمسون سنة ما خطر لي خلاف الأولى، من باب أولى لا أعمل صغيرة ولا كبيرة.

١٤ - أنا بنفسي رأيت: الذي سرّني والّذي عزّني لا الليرات ولا الزعامات ولا أنتم، بل موافقتي لربي.

١٥ - ليس لنا من الأمر شيء ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

١٦ - أنا لا وجود لي مع الله، ولا شيء يخيفني في العالم أبداً.

أذواق عبديته ومحبته

١ - الناس تقول: يا ربِّ لا تبتلِني. والسيّد النّبهان يقول: ابتلني بما شئت.

تلذّ لي الآلام إذ أنت مسقمي
وإن تمتحني فهي عندي صنائعُ(١)

٢ - الناس تقول: يا ربِّ يسّر ولا تعسّر. والسيّد النّبهان يقول: اللهمّ عسّر. أي: عسّرْ مرادنا إذا خالفَ مرادك.

٣ - الناس تقول: اللهمّ ثبّتْ. والسيّد النّبهان يقول: اللهمّ لا تثبّت، لأننا ما خُلِقنا إلّا للرّقي.

٤ - الناس تقول: يا رب استرني إذا وقعت منهم مخالفة. والسيّد النّبهان يقول: يا رب احفظني، وإلّا تَحْفَظْني أقع، الحفظ فوق الستر، يا رب استرني، ليس الستر في المعصية بل الستر عنها.

(١) من عينية الإمام عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه.

٥ - الناس تقول: يا رب أدخلنا الجنّة. والسيّد النّبهان يقول: لو وضعني ربي في النار لقلت: هذه جنَّتي لأنّها على مراده لا على مرادي.

٦ - البعض يقول: نحن أنفسنا غالية، لا نبيعها إلّا بالجنّة. والسيّد النّبهان يقول: أنا ما ملكت نفسي حتى أبيع.

٧ - الناس تقول: مالي مالي. والسيّد النّبهان يقول: مالي = ما - لي، نحن وما ملّكنا له، يعني ليس لي شيء.

٨ - الناس تقول: اللهمّ حقق لنا ما نريد. والسيّد النّبهان يقول: اللهمّ لا تعطني إلّا ما تريد.

٩ - بعض الناس يقولون: الحمد لله يعطينا مثلما نريد! والسيّد النّبهان يقول: هذا مكْر، أنا والحمد لله لا يعطيني مثلما أريد، وهذه أكبر نعمة إذ لا توجد إرادتان.

١٠ - بعض الناس قال للسيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أمَا تدعو الله أن يوفي عنك دينك؟ والسيّد النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: أنا ما صحبت الله لغرض!

١١ - من الأولياء من قال: ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله فيه.

١٢ - ومنهم من قال: ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله معه.

١٣ - ومنهم من قال: ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله بعده.

والسيّد النّبهان يقول: ما رأيت شيئاً اسمُهُ شيئاً البتة، ما في الوجود إلّا واجب الوجود! المخلوقات مع الخالق كالظل مع الشاخص..

١٤ - أكثر الناس يدعون إلى الحرية الفردية. والسيّد النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: خلقنا الله للعبدية لا للحرية الفردية، ما أجمل العبد إذا كان موافقاً لله، شأن العبد الذّل والانكسار.

١٥ - وابن الفارض يقول:

زدني بفرط الحب فيك تحيراً
وارحم حشىً بلظى هواك تسعرا

والسيّد النّبهان ﷺ يقول: لا لا، بل احرق حشىً بلظى هواك تسعّرا، محبةُ الله أحرقت كبدي.

١٦ - وابن الفارض يقول:

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا
سرٌّ أرقُّ من النسيم إذا سرى

والسيّد النّبهان يقول: جعل له وجوداً بقوله: ولقد خلوت مع الحبيب، أنا ليس لي وجود مع الله(١).

١٧ - الناس يقولون: أنا أنا، أنا أعطيت، وأنا تصدّقت، وأنا بنيت...
والسيّد النّبهان يقول: لا أنا ولا أنت، لا أحد مع الله في الوجود، أمرك فائتمرْ، ونهاك فانتهِ، اثنان قالا (أنا) فرعون قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] فأغرقه في البحر.

وإبليس قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] فطرده الله تعالى من رحمته.

(١) قال ﷺ عن ابن الفارض: عاتبته أمام حضرة الرسالة: كيف تقول:
قلبي يحدثني بأنك متلفي ... روحي فداك عرفت أم لم تعرفِ؟!
كيف تخاطب الله تعالى بقولك: عرفت أم لم تعرفِ؟!

أنا أقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

١٨ - وأكثر الناس يعملون طلباً للثواب. والسيّد النّبهان يقول: كيف أطلب ثواباً؟ لا أنا من أهل الجنّة ولا أنا من أهل النار، ما لي عمل أعمل؛ لأنّه هو الّذي يعمل ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، فكيف أقول له: أعطني ثواباً، أعطني جنة، أنا عبده، وأريده هو، أنا خُلِقت له، هو الّذي دفعني للعمل، هو الّذي وفّقني للصلاة ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [هود: ٨٨] السمع منه والبصر منه والقوّة منه ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٤] فكيف أطلب عليه ثواباً؟

الجنّة عندي محترمة؛ لأنّها مخلوق الله، ولكن لا أحب إلّا الله، وما عندي استعداد لأن أشهد مع الله أحداً، سيّدنا محمّد ﷺ عبد الله، والملائكة عبيد الله، وأنا عبد الله وأنتم عبيد، كلنا عبيد الله ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٩٣] نحن نعتز بعبديتنا وإذا أحب أن يمدحني أحد فليقل لي: عبد الله، أفرحُ كثيراً ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]. إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ملابسكم ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، فإذا وجد فيها غيره مقته ووكلَه إلى نفسه[١].

---

(١) رواه مسلم برقم: (٢٥٦٤) (٤/١٩٨٦).

سروره بأقدار الله تعالى

أ - حدثنا الحاج ناصر عبد الحميد الناصر الحلبي رحمه الله تعالى قال: بينما كان رضي الله عنه يلقي درساً في بعض أصحابه، قدم عليه ثلاثة من قرية «تويم»، وهم في حَيْرة أيخبرونه بما حدث أم لا؟ فتشجع أحدهم وهمس في أذنه رضي الله عنه إن الزراعة قد أصابها مطر فأتلفها. فلم يقطع مذاكرته متجاهلاً رضي الله عنه ما سمع وكأنّ المحصول لغيره، ثمّ مضت دقائق فتقدم آخر يكرر ما جرى فقال رضي الله عنه: (تريدون جواباً ظننتم أنني ما سمعت من الأول؟ والله لو تحرّك قلبي مثقال ذرّة أسفاً عليها - أي على الزراعة - ما عددت نفسي إلا مشركاً). فقلت في نفسي: - ولا يزال الحديث لصاحب الرواية - كيف يقول سيّدنا هكذا وأنا تاجر إذا ما أربح أنزعج، وفي العام التالي زرع رضي الله عنه فجاءه المحصول مضاعفاً.

وحين اجتمعت أثمانه لديه وزَّعه على الفقراء والغارمين والمتعففين وطلبة العلم وغيرهم. فلم يبق من المال شيء، وفي صبيحة اليوم الثاني جاءه سائل فقال له رضي الله عنه: (اذهب إلى فلان وخذ منه كذا من المال، وقل له سجّلْها ذمّة على الشيخ محمّد النّبهان)، فتلك نبذة من تسليمه المطلق لله تعالى وتفويضه الأمر لمراده وهذه الحادثة أحد أذواق عبديته لله سبحانه يصبح ويمسي مطمئناً مسروراً بمجاري الأقدار الإلٰهية.

ب - حدّثنا وكيله في الزراعة الحاج أديب حيّاني، قال: بذرنا لسيّدنا على المطر ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وستين (٣٣٦٣) جوالاً[١] من

(١) الجوال: حاوية تتسع لمائة كيلو غرام أو أكثر قليلاً.

الحنطة، فلم يعد علينا بسبب الجفاف شيء، فما رؤي رضي الله عنه في وقت أسرَّ من الوقت الّذي أودى الله تعالى فيه بالحاصل، فرحاً منه بالمقادير الإلٰهية، وحفظ الله تعالى له الحنطة في تربتها، وجاء العام التالي فهطلت أمطار غزيرة، ونبت البذر نفسه فعوّض الله عليه بأضعاف مضاعفة، وأوفى أكثر ديونه.

ج - طمع بعض المحتالين من الفلاّحين بالأرض وحاصلاتها من القطن في أكبر مشاريعه الزراعية قرية (التويم) مدّعين أن لهم عليه حقوقاً، وأعانهم بعض المسؤولين في ذلك الوقت، فاستولت الدولة على القرية بما فيها، ولم تكتفِ بهذا القدر: بل دبّروا فتنة لقتل ولده (أحمد) فباءت بالفشل. وكان أثناءها يحسن رضي الله عنه إلى أولئك بإرسال المؤن والقماش لهم! وحين سئل: كيف ترسل لهم يا سيّدي وقد فعلوا ما فعلوا ونابذوك العداء؟ فأجاب رضي الله عنه : (كل شيء لوحده)!.

د - وعندما فاض نهر (قويق) المار بحلب، وأحاط الماء بقرية (تويم) أتوا بزورق لدخول القرية أو الخروج منها، وتعطلت الزراعة ذلك العام، فطلب ولده (أحمد أبو فاروق) من والده رضي الله عنه أن يدعو الله ليذهب الماء، أجابه رضي الله عنه : هذا أمر الله تعالى، وليس أمري، ونظرت لقلبي فقلت: لو أن قلبي تمنّى غير ما عليه الحال ما عددت نفسي مسلماً، فوجدته لم يتمنَّ غير الواقع، فهو العالم جلّ جلاله وأنا الجاهل، فحمدت الله تعالى.

(أنا لست شيخ طريق، وأنا الوارث المحمّدي)

شيخ الطريق من انتسب لإحدى طرق الصوفية، وعهد إليه شيخه بتوكيل أو خلافة، واعتكف في خلوة أو رباط، يستقبل المحبين، يلقنهم الذكر، ويلزمهم ببيعة وأوراد، ومع تخصص شيوخ الطرق بحلق الذكر والمديح والموالد النبوية فإنَّ لبعضهم اهتمامات بدراسة العلوم الشرعية، وإنّك لتجد الزاوية أو التكيّة أحياناً مدرسة علم وتقى، وأحياناً مجلس ذكر وهدى، وهؤلاء يحبهم سيّدنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويكرمهم لا سيّما المنسوبين لآل البيت النبوي منهم، حتى إنّ شخصاً جاء يستثيره ضدّهم فقال له: أما يكفيك انتقالهم من الشقاوة إلى السعادة؟

فأقلّ ما عندهم نقلة لهم ولتلاميذهم من الشقاوة إلى السعادة، مع كونهم محبين لرسول الله ﷺ، محبين للأولياء، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (محبة الأولياء ولاية صغرى، وإذا رأيتم من يحبهم فاطلبوا منه الدعاء).

لكنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحا بنفسه عن صفة شيخ الطريق، فرئيس الدولة إذا قال أنا لست مديراً لمنطقةٍ أو ناحية لا يحطّ من مكانة أحدهما، إذ كلاهما جزء من دولته، فمرتبة (شيخ الطريق) الصادق نقطة في دائرة (الوارث) لا كل الدائرة، وهي ضمن حالة إسلامية لا كل الإسلام، أما مرتبة الوراثة فهي الإسلام بكمالاته جميعها عقيدةً وجهاداً ودعوةً وطريقةً، وهي مرتبة العبدية بكل ما فيها من علوم وفهوم وأذواق وكشف وشهود، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنا لست شيخ طريق لا الآن ولا قبل ولا بعد، ليس بيدي، أنا أعدّ حالي خادماً عمومياً). ولا يحبّذ لشيوخ الطرق أن يتعصّبوا لأنفسهم وطرقهم

كالأحزاب، أو ينشغلوا بالطقوس عن التخلق والاتّباع أو يكون اهتمامهم بتوزيع الأوراد أكثر من اهتمامهم بمحاسبة النفس وتزكيتها، يضاف إلى هذا تخليفُهم مَن لا أهليةَ عنده لمشيخة الطريق إذِ الخلافة لا تُعطَى إلّا للكاملين الذين يظهرون بصفات الكمال، وأما من أعطي إِياها دون الكمال فإنّه كمنْ وُضِعَ له كرسيٌّ في الهواء.

(أنا أعُدّ نفسي خادماً عمومياً)

قال ﵁: (ديننا دين إنسانية وليس لحية وعمامة فقط، لا! فأنت وُجِدتَ لتدل الوجود على الله بأخلاق الإسلام بأخلاق سيّدنا محمّد ﷺ بالخدمة، لكنّك لا تزال حبّاب دنيا، وتغضب لنفسك، ولا تحاسب نفسك، ولا تزال بالثرثرة الفارغة والغيبة والنميمة، الّذي يحمل كمالات الإسلام له علامة أنّه خادم (سيّد القوم خادمهم)[1] يسأل ويتحرّى ويعطي حتى للعدو، هذا هو المسلم الصادق وقلبه معلّق بالله، وحتى في الخدمة الباطنية: الأدب والأخلاق والحياء والمعاني).

قال ﵁: (قال رسول الله ﷺ: «**سيّد القوم خادمهم**») يخدم السيّد سيادته، فإذا أردت أن تكون سيّداً، وهذا فقير فتركته، وذاك جائع أو مريض تركته،فعلى مَن تكون سيّداً؟! على الهواء! لا، فأنا أحفظ سيادتي، جوعان أُطعمه، عطشان أُسقيه، مريض أداويه وأعطيه، كلٌّ على حسبه، هذا هو السيّد، ولا يرى نفسه سيّداً بل يرى نفسه خادماً، الناس تنام وهو

(١) فيض القدير: للمناوي (٤ / ١٢٢).

لا ينام، يفكر بزيد وعمرو وبكر أين راحوا، يذهب بنفسه إلى البيوت، يبحث ليعطيهم.

والله ما لي غرض، ولا لي حاجة مع أحد، والحمد لله رب العالمين، ولكني بحاجة إلى خدمتكم، الخدمة لا في الجسم فقط ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] إذا خدمنا أهل النور يسري نورهم إلينا، لا أنبسط لكوني أعطيت أو أطعمت، بل أنبسط لأن الله جعلني خادماً لهذه القضية، فأنا خادم وأعتز بكلمة خادم، افهموني رجلاً خادماً، ظاهري وباطني كلّه واحد، أدلّكم على حقيقتكم ارجعوا إلى حقيقتكم، سيروا على الصراط المستقيم، أنا أعرف حالي خادماً حقيقياً، ولا أقبل بنفسي (شيخ نبهاني) هذا لا أعرفه أبداً، الله تعالى يقول للشيء: كن فيكون، أما أنا فلا أقدر أن أقول ذلك، إذا أراد فإنّه يقضي المراد، لا أرى حالي أعطيت لا أرى نفسي، جعلني الله خادماً لا أكثر، ولا أرى نفسي أحسن من مخلوق. عدّوي وجب علي أن أخدمه، هذا من سنّتي الخلق عيال الله، أقربهم إلى الله أنفعهم لعياله)(١).

صنيع الابتلاء

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١-٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا أحبّ الله عبداً**

(١) مسند أبي يعلى، (٦/ ١٠٦) برقم: (٣٣٧٠).

ابتلاه»(١) وسئل ﷺ: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل**»(٢) وقال سيّدنا النّبهان رضي الله عنه:

١ - (أنا سروري في ابتلائي، وأحب أن أخدم من يؤذيني، أنا لا أتحامل على ذاته، أتحامل على جهله، العالم كلّه خلْقُ الله، فلا تقسُ قلوبُكم على أحد.

٢ - أنا طالب من ربي، كل من يؤذيني أن لا يؤذيه الحق، ويرده إليه، والله أريد أن أخدمه.

٣ - أنا لا أرضى لأحد أن يشقى بسببي أبداً.

٤ - لا يؤذيني إلا الجاهل الشقيّ، فأنا أدعو له حتى أكون سبب سعادته.

٥ - الّذي يمدحني أو يذمّني، ما جاءني شيء من المدح ولا من الذم.

٦ - آخر الأسماء الإلٰهية التي تخلقتُ بها اسمان: الصبور والحليم.

٧ - لا أشهد الدنيا والآخرة غير ابتلاءات.

٨ - الابتلاءات: هي كمالاتنا ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

ذلك شأنه لا يغضب لنفسه ولا ينتقم، بل يحسن لمن أساء إليه، وبلغت به السعة والرحمة حدّاً مدهشاً، حتى إذا سمع عن شخص يذمّه

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ١٤٥)، برقم: (٩٧٨٦).

(٢) صحيح ابن حبان (٧/ ١٦٠) وزاد فيه: «**ويبتلى العبد على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يدعه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**».

يبتسم ويقول ﷺ: (أنا معه على النّبهاني الّذي هو في عقله، والله هذا النّبهاني الّذي يتكلّمون عليه لو كنت مكانهم لفعلت به أكثر من هذا، لأقطّعنّه إرباً إرباً)، يقصد الصورة المعكوسة التي ارتسمت بفكر من يذمّه، ولو عرفه على حقيقته لما وسعه إلّا صحبته ومحبته واتّباعه.

لا يعامل الناس بما هم عليه، بل بما هو عليه، فيتجاهل بغض مبغضه ويلتمس له العذر، ويحسن إليه ليرده إلى الله تعالى قال ﷺ: (القوي لا يؤاخذ الجاهل الضعيف)؛ لذلك لا يشكو ﷺ ممن يسيء، ولا يعاقب ولا يعاتب، بل يلتمس عذراً ويحسن لمن يسيء، ويتأثّر على المسيء لا من المسيء، ويدعو الله تعالى له، ولا يتحدّث بإحسانه إليه، ويتجاهل خطأه، ويرى في المسيء سبباً في ترقيته، ويستفيد منه درساً مفاده: هكذا أنا فلا تكن مثلي! ويتضرع إلى الله تعالى أن لا يؤذي من آذاه، أو يشقى أحداً بسببه، سبحانك ربي ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]. ويفرّق ﷺ بين الولي المحمّدي وغير المحمّدي: الولي المحمّدي لا يدعو على أحد بالانتقام، ولا يزيده جهل الجاهل معه إلا حلماً وصفحاً.

قال ﷺ: (والله يا أولادي أنا واحد من الناس ما رأيت الخير إلّا بالابتلاءات، وما عرّفني وما جعلني عبداً لله إلّا الابتلاءات، وجعلني أشهد لا أحد في الوجود إلّا وأنا أذلّ منه، عرّفني الحق أني عبدٌ له، ابتلانا بالخير والشر، الابتلاءات هي التي تعطي السعة والرحمة، الّذي يحبني يصبر، كل الخير بالصبر والله ما رأيت الخير إلّا بالصبر، الدنيا من أولها إلى آخرها دار ابتلاء، الابن ابتلاء والأب ابتلاء، والمال ابتلاء، والعلم ابتلاء، الابتلاء عرّفنا أنفسنا بأننا عبيد، وعرّفنا إذا جاءنا شيء من

الكمالات فهي له وليست لنا ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الجمعة: ٤]).

وهذه الأمور كلّها إذا كانت الإهانة موجّهة لشخصه، أما إذا انتهكت حرمات الله تعالى في الدين والعرض فليس في الناس أسرع منه للردّ، ولا في الغضب أشد.

شواهد الامتحان

أ. البرقيتان:

قال رضي الله عنه: (آخر الابتلاءات الكبار، أربعة عشر من المحسوبين على العلم والعلماء أبرقوا إلى رئيس جمهورية سورية أديب الشيشكلي برقيتين، يطالبونه بالخلاص من الشيخ محمّد النّبهان، جاء في منطوق الأولى: الشيخ النّبهاني يبايع بالخلافة. وفي الثانية: أنقذونا من كيشاني[1] سورية الشيخ النّبهاني)، وأديب الشيشكلي لم يزل يذكر برقية السيّد النّبهان رضي الله عنه التي أرسلها إليه بعد انتخابه رئيساً للجمهورية إذ أبرق له رضي الله عنه: لا نوافق أن يكون أديب الشيشكلي رئيساً على سوريّة، فلذلك اهتم بالأمر وطلب التحقيق فيه، فإن تحقق مضمون البرقية فسينتقم ما وجد سبيلاً إلى ذلك، فبعث إلى حلب وزيرين ليستوضح الحال..!

فتبين أنّه لم يكن من ذلك شيء، وحين أرسل محافظ حلب يخبر سيّدنا

(١) عنَوا بـ(كيشاني سوريّة) تنبيه الحكومة إلى خطر الثورة، مقارنةً بكيشان إيران، وكيشان إيران: هو مرجع إيراني شارك في ثورة مصدق. توفي في ١٣/ ٣/ ١٩٦٢م.

النّبهان رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أنّه حقق في زعم الذين طالبوا بإعدامه رَضِيَٱللَّهُعَنهُ فلم يجد لادعائهم أصلاً؛ تجاهل رَضِيَٱللَّهُعَنهُ علمه بذلك، فالرجل الّذي تخلق بالحلم والصبر، وتحقق بالتسليم المطلق لله تعالى، لم يعوّل على نفسه أو على أحد بل يفوّض إلى الله أمره، وكثيراً ما يردد:

وإذا العناية لاحظتْك عيونها   نَمْ، فالمخاوف كلّهنّ أمانُ

فهو رَضِيَٱللَّهُعَنهُ محفوظ لو نامت عينه فإنّه مطمئنٌ إلى من عينه لا تنام، لا يجزع ولا يسخط ولا ينتقم، بل يعاود خلوته كلّما داهمه أمر ويفزع إلى الصلاة، باكياً منكسراً،: إلٰهي إلٰهي..

فليتك تحلو والحياة مريرةٌ   وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الّذي بيني وبينك عامرٌ   وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صحّ منك الودّ فالكل هيّنٌ   وكل الّذي فوق التراب ترابُ[(١)]

فلم يبالِ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ بكدر السواقي ما دام رأس العين عنده صافياً، وكل ما عمله لأولئك الوشاة دعا لهم بأسمائهم خلف الصلوات الخمس، ولا يبيت ليلةً إلّا وهو مسامح للخلق جميعاً.

سأله مرّةً الشيخ محمّد لطفي رَحِمَهُٱللَّهُ مدير دار نهضة العلوم الشرعية في الكلتاوية: سيّدي هؤلاء حسّاد فكيف تدعو لهم؟ فأجاب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: (أنت تقول حسّاد، أما أنا فلا أقول حسّاد، أكثر فائدتي من الحسّاد والأعداء، الحق عَزَّوَجَلَّ هيّأهم ليهذّبوني ويؤدّبوني ويعلّموني ويجعلوني عبداً لله، ما أنا

(١) هذه الأبيات منسوبة للشاعر أبي فراس الحمداني المتوفى سنة ٣٦٣هـ.

عبد لأبي ولا لأمّي؟ هم عرّفوني التوحيد، أنا ذلّي رأيته ذلاًّ حقيقياً أعطاني عبديتي).

ثمّ جاءه بعض أولئك معتذرين فقال أحدهم: أنا قتلي حلال لأني وقّعتُ على البرقية.

فأجابه ﷺ: (أنت مسامَح)..

قال ﷺ: (مشايخ المعاش زعموا أنني طلبت الخلافة، أعوذ بالله أن أكون ذلك!).

ب. أهؤلاء هم اللصوص؟!

في ليلة خسوف للقمر اجتمع في بيته ﷺ نخبة من مشايخ حلب، وفيهم الشيخ أحمد المصري، والشيخ محمّد الجبريني، والشيخ بشير حدّاد.. بينما وقف الشيخ محمّد أسعد العبجي يرتجل الخطبة.. فإذا بالباب يطرق: إنّها مفرزة شرطة، وهم يسألون عن سيّدنا ﷺ وعن اللصوص الذين أخفاهم!

فلمّا أبصروا قالوا: ما شاء الله على هؤلاء اللصوص، وخرجوا يطلبون الدعاء من سيّدنا ﷺ.

وتبين الأمر أن أحد مجاوريه يحتكر بيع السمن في بيته دون رخصة من الدولة، فظنّ القومَ يُبيّتون سرقته، وهكذا يكون الخائن خائفاً. وفي اليوم التالي توفيت زوجة المخبر فذهب ﷺ إليه وعزّاه! وما إنْ مضت أيام التعزية حتى ارتحل الجار، إذ لم يحتمل عفو الشيخ وتعزيته له في زوجته، وأبعدته فعلته عن مجاورة سيّدنا لشدة خجله وندمه على ما صنع.

ج. الفلاّح المغتصب وقرار محكمة عدل حلب:

وورث من أبيه رضي الله عنه ضيعة ثمينة، فادّعى فلاّحها عائديتها له بعد مضي خمسة عشر عاماً، فاستدعته المحكمة رضي الله عنه لأداء اليمين فرفض الحضور، ثمّ أتبعها بمؤونة وأقمشة له ولأهله، فما كان من محكمة عدل حلب إلّا أن أصدرت قراراً يقضي بغلق جميع الدعاوى التي ترفع على الشيخ محمّد النّبهان؛ لأنّ مثل هذا سيؤدّي إلى طمع المحتالين فيه.

ونظير ذلك: أنكر عليه أحد الفلاّحين (ماكينة سقي) مودعة عنده، ثمنها أربعة وثلاثون ألف ليرة سورية، وهو مبلغ كبير آنذاك، فتركها له دون خصام، فعجب المحامي من فعله رضي الله عنه وقال له: والله لو كان هناك رسول بعد سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم لقلت: أنت الرسول!!.

د. حمامة في مدخنة السخان:

تعمّد إيذاءه جارٌ له فألقى حمامة في مدخنة حمّام بيته، فانفجر السخان دون أن يصاب أهل البيت بأذى فقيل له: سيّدي هذا من فعل جارنا (فلان) فأجاب: أودّ أن أتشفع له يوم القيامة.!

ميزاته القيادية رضي الله عنه

أ - الشخصية الفذّة.

ب - الهيمنة وقوّة القرار.

ت - الهمّة العالية، وكثيراً ما كان يكرر:

ومذ كنت طفلاً فالمعالي تطلّبي
وتأنف نفسي كل ما هو واضع
ولي همّة كانت وها هي لم تزل
على أن لي فوق الطباق صوامع[(١)]

ث - فسح المجال لمعارضيه لإبداء آرائهم دون مجاملة على حساب الحق أو تنازل عن الثوابت والضوابط الشرعية.

ج - الشجاعة النادرة.

ح - بذل المال والإيثار.

خ - اغتنام الفرصة للإقدام وتثبيت المواقف.

د - نفاذ البصيرة.

ذ - الشورى والاستخارة والتوكل على الله عنده أقوى الأسباب الموصلة إلى الله.

ر - سبقه للناس إلى ما يريد تنفيذه منهم.

ز - توزيع العمل.

س - خدمته للخلق مع فناء (الأنا) ونسبة النعمة والفضل إلى الله تعالى.

ش - الرغبة في الشهادة.

ص - الصدق في القول والفعل والحال والخلق.

ض - الأدب في كل شيء ومع كل شيء حتى مع المخالفين له بالرأي.

---

(١) البيتان من عينية الإمام عبد الكريم الجيلي.

ط - الحكمة في كل تصرف.

ظ - قوّة الحال والنور والجاذبية.

ع - قوّة الحجة العلمية وفصاحة اللسان.

غ - ضبط الموعد.

الفصل الثالث

(لمثل هذا فليعمل العاملون)

١. رجل المواقف.

٢. نبهان الكرم.

٣. ماذا عن مزرعة الكرْم؟

٤. مع أعراب مستخفين بالدين.

٥. وما أدراك ما المونتانة؟

٦. يحيا الشيخ محمّد النّبهان ويعيش.

٧. في مستشفى حلب الوطني.

٨. نبأ عن زيارته لمشفى المجانين.

٩. معاملته رضي الله عنه للفلّاحين.

١٠. حفلة العرس الماجن.

١١. الاستعراض الرياضي المختلط.

١٢. عين المبارك.

١٣. كيف يبني المساجد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ؟

١٤. جمعية النهضة الإسلامية.

١٥. دار نهضة العلوم الشرعية.

١٦. اهتمامه التربوي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالنساء.

١٧. ولم ينس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الناشئة.

١ - رجل المواقف

عند الامتحان يُكرَمُ المرء أو يُهَان، وحين تتلاطم أمواج الابتلاء تظهر معادن الناس، فمنهم من هو كالرمال المتحركة في مهب الريح، ومنهم من تلقمه الحوت، أو يلقي به اليمّ إلى الساحل ميّتاً، ومنهم من هو كالعيس التي فقدت الهجّان في صحراء، شغْلهُ وديْدنُه التشكيك والتضعيف وترويج الإشاعات والأكاذيب، ومنهم الجوهر النفيس الذي يمخر بسفينته عباب البحر ليكون المنقذ والدليل لكل من أتعبه التيه أو أشرف على الغرق والهلاك.

وهذه صفة سيّدنا النّبهان رَضِوَاللهُ عَنْهُ ، كلمّا غصّت سوريّة بمحنة أو نزل بها كرب أو مكْر يلجأ إليه علماؤها وأبناؤها ليجدوا الحلّ الذي يثبّت أوتاد خيمة الحق ويمسك حبالها.

وإن سورية لتعرف رجل الحق، الذي أرهب الظلمة وقارع الباطل زهاء خمس وثلاثين سنة، فما وهن ولا استكان، القائد الفذّ الذي لا يعرف الخوف، ولا تأخذه في الله لومة لائم، بل هو أسد الأسود في كل ميْدان، وكهف الخائفين كلّما عصفت بالمسلمين محنة، وإذا كان بعض دعاة الإصلاح يهرب من الفتن فإنّه يتصدّى لها ويخمدها، ولا يرضى لبعض العلماء تَرْكَ البلاد عند الشدائد، كما أنّه يتعشق الشهادة ويقول: ابن العَشرة لا يموت في التسعة، ومع هذه الشجاعة النادرة لم يؤلّف حزباً أو تنظيماً

سياسياً، ولم يتخذ من حزب واجهة له، ولم يفسح لمتحزب أن يتسلق على جبل دعوته وطريقته، كما أنّه لم يشرع بثورة أو انقلاب، وما تسبب في موت أحد، لكنّ مواقفه كلّها تندرج تحت عنوان السياسة الشرعية حتى قال عنه البعض: إنَّ الشيخ محمّد النّبهان رجل سياسة لا رجل تصوف! غفلوا عن معنى السياسة الشرعية(١) وجهلوا تاريخ الصوفية العظام في الجهاد في سبيل الله تعالى، أمثال: العز بن عبد السلام، وصلاح الدين الأيوبي، وعبد القادر الجزائري، وعمر المختار، والإمام شامل النقشبندي، والسلطان العثماني محمّد الفاتح (فاتح القسطنطينية) وغيرهم كثير، ومواقف السيّد النّبهان رضي الله عنه جميعها إما ردع لظلم، أو إظهار لحق، أو إخماد لفتنة، أو كبح لفساد.. ومنها:

١ - أنّه رضي الله عنه أغلق أسواق حلب خمس عشرة مرّة، واحدة منها حِداداً على روح الشيخ محمّد سعيد إدلبي رحمه الله، وما بقي فاحتجاجاً منه على الحكّام في قضايا مختلفة.

---

(١) السياسة **لغةً**: مِن سِسْتَ الرعية سياسة: أمرتها ونهيتها، والسياسة: فعل السائس، ومنه قوله تعالى في الحديث القدسي: «**إذا اطلعت على عبدي فوجدت الغالب عليه ذكري توليت سياسته ورعايته، وكنت أنيسه وجليسه ومحدثه**». وقوله ﷺ: «**كانت بنو إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم**». مسند أبي يعلي، (١١/ ٧٥) برقم: ٦٢١١. أي: يتولى أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية. **واصطلاحاً**: هي القيام على الشيء بما يصلحه، وبهذا التعريف تعني رعاية مصالح العباد والبلاد على أحسن وجه، وتشمل ضرورات الإنسان وحاجياته وتحسيناته، لكنها خرجت إلى وصفين: إنسانية، أو لا إنسانية، شرعية أو لا شرعية، والذي يهمنا هو السياسة التي تبنى على قواعد شرعية مستمدّة من الأمر والنهي، وتعني العدالة، والمساواة والخدمة العمومية، والحكمة، والنفع المتعدي للصالح العام فيكون العلم والعمل بها واجبين، لا سياسة الفن الممكن بالمكر والخداع، والكذب والنفاق، والمقامرة، وتسلط القوي على الضعيف.

٢ - واسمه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يتصدر كل برقية يرسلها العلماء إلى الحكام نصيحةً أو تنديداً أو مطالبةً.

٣ - أخمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الفتنة بين حزبي (الشعب) و(الوطني) في سوريّة، وأصلح بينهما آنذاك، بعد أن كادت تؤدّي إلى مذابح للشباب من الطرفين، وأعلنت الصحف النبأ بخطوطها العريضة وقتئذٍ.

٤ - في سنة ١٩٥٢/١٩٥٣م شاع خبر مفاده أن رشدي كيخيا رئيس الحكومة ورئيس حزب الشعب ينوي إعلان العلمانية في البلاد، فتجوّل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في أسواق حلب ونادى بالناس: إذا ما أحد يقتل رشدي كيخيا قتلته بنفسي. ولم يكتفِ بهذا بل ذهب إلى الحي الّذي يسكنه رئيس الوزراء نفسه وقال هناك: لأطبقنّ أضلاعه، ولأدوسنّ رأسه بالنعل. فسمع رشدي فجاءه إلى المسجد معتذراً وأنكر نيّته وعزمه وقال: سيّدي، نعلك على رأسي.

٥ - وفي تظاهرة صاخبة نظّمها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حلب سنة ١٩٥٦م خرجت المدينة عن بكرة أبيها، تطالب الحكومة برأس عسكري غير مسلم انتقص من قدر رسول الله ﷺ في إحدى الصحف ويُدعى (أبو شلباية) لكنّ الحكومة رفضت تسليمه، ولو فعلت لقطّعه الشعب الهائج إرباً إرباً، وإن لم يتوصّل ممثلو الشعب والحكومة إلى حل سريع فإن المذبحة وشيكة.

وأرسلت الحكومة إذ ذاك وفداً لمفاوضة السيّد النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فخرج رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتى إذا وصل القلعة: حمل المتظاهرون السيّارة التي تقلّه، وبعد أن ترجّل وارتقى شرفة بناية قصر الحكومة المعروفة

بالسرّاي المطلّة على الجماهير، اقتيد إليه المجرم وأقرّ بفعلته وأظهر ندمه وتوبته، فأشار ﷺ للناس أن (تفرّقوا) وأطلق سراحه.

٦ - وفي سنة ١٩٥٧م نظّم تظاهرة كبيرة للعلماء تأييداً لثورة الجزائر، حدّثنا خطيب المسجد الشيخ محمّد منير حداد أحد المشاركين فيها قال: خرجت مع سيّدنا ﷺ بجمع علماء حلب وأعيانها من جامع سيّدنا زكريا الكبير بحلب تجاه المحافظة، وكان على المحافظ أن يلقي كلمة ترحيب فتثاقل، وساد صمت وامتعاض، فإذا بسيّدنا ﷺ يصرخ به: قم، جبان!. فانتفض من عقال كبره قائلاً: العفو يا سيّدي، وألقى الكلمة.

٧ - وفي سنة ١٩٥٩ م زار جمال عبد الناصر رئيس دولة الوحدة بين مصر وسوريّة مدينةَ حلب وأرسل يطلب الاجتماع بسيّدنا ﷺ في قصر الضيافة، وعلى قاعدة: العلم يُؤتى ولا يأتي، ونعم الأمراء على أبواب العلماء، وبئس العلماء على أبواب الأمراء[(١)]؛ رفض طلب جمال عبد الناصر، فقد أراد ﷺ لعبد الناصر أن تصيبه (نعم الأمراء على أبواب العلماء) لأن قدوم الأمراء على العلماء ينتج عنه اجتماع واستماع وانتفاع، لكن نائبه عبدالحكيم عامر حجبه.

٨ - ومثل سابقتها: سافر ﷺ إلى دمشق مرّة بدعوة من رابطة علماء الشام، يرافقه الشيخ محمّد عبد الله الشامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فما كان من الشيخ الشامي إلّا أن ذهب سرّاً إلى سكرتير رئيس الجمهورية شكري

(١) هي سنة الإمام محمّد بن إدريس الشافعي حين دعاه الخليفة المأمون إلى قصره، فردّ عليه بعبارة: العلم يُؤتى ولا يَأتي.. فجاءه بحاشيته.

القوّتلي، فألغى الرئيس مواعيده ليفرغ لمقابلة السيّد النّبهان، وعندما جاء الشيخ الشامي وأبلغ سيّدنا ﷺ بالموعد انتفض قائلاً: (أأذهب لمقابلة القوّتلي؟! بئس العلماء على أبواب الأمراء، إذا كان القوّتلي يريد اللقاء معي فليحضر هنا، أما أنا فلست بذاهب إليه!)..

٩ - في فترة الوحدة بين مصر وسوريّة استُحدِثت وزارة (رعاية الشباب) وسوريّة آنذاك الإقليم الشمالي ومصر الإقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة، فاستضافت مصر صيفاً مائة وخمسين شاباً من سوريّة، فغرق أحد الموفدين في شاطئ الإسكندرية، لكنّ السلطة لم تبادر بإرسال الجنازة، واكتفت بإعلام أسرة الفقيد عن طريق تلك الوزارة؛ لأنّ نقله لا يمكن إلّا بطائرة، وما إن بلغ سيّدنا ﷺ الخبر حتى ثارت ثائرته وطلب من الشيخ محمّد عبد الله الشامي أن يفتح له هاتفاً ليكلّم جمال عبد الناصر، وأثناء المكالمة قيل له: من يريده؟ قال الشيخ الشامي: قولوا له الشيخ محمّد النّبهاني من حلب.. فقالوا: إنّه في اجتماع بمجلس الوزراء، هل تكلمون المشير عبد الحكيم عامر؟ قال الشيخ الشامي: سيّدي، هذا المشير على الهاتف.. قال ﷺ: (كلّمه أنت، فأنا لا أكلم المشير، وليبلغ جمال عبد الناصر: نرسل لكم أبناءنا أحياء وتبخلون بإرسالهم أمواتاً)؟ فأجابه: شيخي، بعد ساعتين سيكون عندكم.. فوصلت الجنازة بعد ساعتين، على طائرة خاصة!

١٠ - وفي سنة ١٩٦٧م نشرت مجلة (جيش الشعب) التي تصدر عن القوات المسلحة السورية مقالاً لإبراهيم خلاص بعنوان: (الله،

والأديان السماوية دمىً محنطة في متاحف التاريخ)!! فهاجت البلاد وماجت، وكانت للعلماء مواقف شرف في حلب وحماة ودمشق وحمص وبقية المدن، فأدركت الحكومة حجم المأزق، وأرسلت وفداً للمفاوضة مع سيّدنا رضي الله عنه، وقد حدّثني والدي رحمه الله الّذي رأى وسمع ما جرى للوفد معه قال: كانوا ثلاثة وزراء ورئيس المخابرات والمحافظ، فأمضى رضي الله عنه ساعةً يتهدد ويتوعّد، دون أن يستضيفهم بشربة ماء، وجاءه خادمه الحاج مصطفى سروجي رحمه الله تعالى[١] بشاي ضيافة للوفد، لكن سيّدنا رضي الله عنه سأله: ما هذا؟ فقال الحاج مصطفى: ضيافة شاي يا سيّدي، فقال رضي الله عنه: (الضيافة للكريم، وهؤلاء لئام، لا تقدّم لهم..!! والله لئن أمرني ربي لأقاتلنّكم بجنود الله بالبعوض والبرغش، أنا لا أقتل جنودنا؛ فهؤلاء أبناؤنا ولكن أقتل نساءكم المشلطات المزلطات «أي المتبرجات العاريات»، وأضرب كل سبعين منكم برصاصة)!!.. وانفضّ المجلس عن توقع كارثة، فخرج رضي الله عنه إلى قرية (البويدر) يدبّر أمراً، وأعلنت الحكومة نبأ قتله مكراً وخديعةً، ولم تمض إلّا أيام حتى انحسم الأمر في ٥ يونيو - حزيران بنكسة عام ١٩٦٧م.

وحدثنا الشيخ محمّد بن الحاج علي النّبهان قال: في سنة ١٩٦٧م عندما كتب أحد المجرمين الكفرة في سوريّة واسمه إبراهيم خلاّص (إن الله والأديان والإقطاع ورأس المال.. دمُى محنّطة في متحف التأريخ!) فكان رضي الله عنه الأسد الهصور الّذي وقف ليقول: إنّ في

---

(١) وفي رواية الحاج عبد الله عزو.

الإسلام رجالاً قادرين على حمل لوائه والذود عنه، فألهب مدينة حلب بل سوريّة كلّها! وارتعدت أوصال الظالمين، فجاءه والدي رحمه الله تعالى فبكى عنده! وقال له: إني أخاف عليك منهم، وحبّذا لو كان موقفك أخف أو فيه بعض الليونة! فأجاب رضي الله عنه بكلمة لا أنساها: (حاجّ علي، والله إني لأستحيي من الله أن يراني خفت من غيره، أنا لا أعرف الخوف إلّا من الله تعالى؛ لأنّه وحده الفعّال لما يريد جلّ جلاله).

١١ - وأعلن رئيسٌ آخَرُ العلمانيةَ، فأرسل رضي الله عنه برقية بجمع من العلماء، تضمنت تهديداً واحتجاجاً شديد اللهجة، وأقام محاضرات في المسجد تبيّن مساوئ العلمانية وتفضح أهدافها في إبعاد الإسلام عن دوره في تسيير نظم الحياة وإدارة شؤون الدولة، لكن المحنة خفّت بعد أن نصّ الدستور على أن يكون رئيس الجمهورية مسلماً.

١٢ - وذُكِرَ له أن الرئيس يريد زيارتكم فقال: هو يدخل من باب، وأنا أخرج من الباب الآخر.

وذكر هذا النبأ الشيخ سعيد حوّى رحمه الله تعالى في كتابه «هذه شهادتي وهذه تجربتي ص: ١٠٤ - ١٠٩» لدى حديثه عن الدستور الدائم في سوريّة، وسنقتطع من النص ما يناسب المقام، قال رحمه الله: (أنجز الدستور مجلس الشعب المؤقت، وطُرِح على المناقشة العامة، وأعلن أنّه سيصوت عليه من قبل الشعب كلّه..!. قرأتُ الدستور وشعرت بالخطر، فالدستور كان علمانياً..! عندما قرأته وجدت أنّه لا بدّ من عمل، وأن هذا العمل يجب أن يكون باسم علماء سوريّا. كان خوف الناس من النظام

كبيراً، وكان علي أن أهتك عقدة الخوف، وعلماءُ سوريّا بطبيعتهم حذرون، فكيف نجمعهم على موقف سياسي موحد؟ ومن الّذي يجرؤ أن يكون هو البادئ؟ فالأمر في غاية الصعوبة. بعد أن قررت العمل كتبت بياناً عامّاً في مناقشة الدستور، وكتبت صيغة فتوى قصيرة في شأنه، بين يدي محاولتي إقناع من أستطيع إقناعه من العلماء وبالتوقيع على هذا وهذا. المهم عندي أن يبدأ أحد العلماء بالتوقيع الأول، ولم يكن في سوريّا أجرأ من الشيخ محمّد النّبهان رَحِمَهُ اللَّهُ في حلب.. تأخّر جواب شيوخ حلب عدة أيام، ثمّ جاء أحدهم ومعه الفتوى والبيان، موقعَين من حوالي ثلاثة عشر شيخاً هم أكابر شيوخ حلب، والّذي جرّأهم على التوقيع هو اسم الشيخ محمّد النّبهان عندما رأوه على البيان والفتوى)[١].

وله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مواقف أخرى لم نتعرض لها.

٢ - نبهان الكرم

الكرم صفة عانقت حياته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى كان عيناً لها، لا تتكلف بسقي من حولها، ولا تنقص بمن يرد عليها، مذهبه في ذلك: أنفقْ يا بلال، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً[٢].

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مالي = ما، لي[٣]، عزَّ مالك = عزُّ مالك، ذلَّ مالك =

(١) سعيد حوى: هذه شهادتي وهذه تجربتي، ص: ١٠٤ وما بعدها.
(٢) المعجم الكبير (١/ ٣٤٠) برقم: (١٠٢٠).
(٣) أي: لا مال له.

ذلُّ مالك، يعني لا عزّ لمن أعزّ ماله بالحرص والبخل، ولا ذلّ لمن أرخصه بالبذل والصدقة)، وقال أيضاً: (نحن وما ملّكنا له، نحن وما ملّكنا زكاة، وما خطر لي يوماً من الأيام أن أضع عندي قرشاً سورياً، المال عندي مثل المكوك، يدخل من هنا ويخرج من هنا!!). أي لمحتاجيه، فلم يكن عنده مال خاص لنفسه، بل هو بيت مال للمسلمين وغيرهم، يفرح بالعطاء والخدمة، وما ملّت يداه الجود والنفقة، يتفقد الأرامل والأيتام والمساكين والأرحام، وذوو الحاجة لديه بين غادٍ ورائح، فهذا يزوجه، وذاك يُوَفيّ عنه دَيْنَهُ، وآخر يبني له مسكناً، مع أنّه ما ملك طيلة حياته بيتاً يسكنه. يؤثر على نفسه وعياله أهلَ العوز، ولا يفرّق في العطاء بين المسلم وغيره تخلقاً بأخلاق الله تعالى، ولا يردّ السائل ولو كان كذّاباً أو محتالاً مع علمه بأحواله تخلّقاً بأخلاق رسول الله ﷺ: «**أعطوا السائل، ولو جاءكم على فرس**»(١) قال رضي الله عنه: (أعطوهم مقدار ما يدفع الحاجة، على احتمال أنّهم صدقوا).

يصنع المعروف، ويقول: اصنع المعروف مع أهله ومع غير أهله، فإن وافق أهله فذاك، وإلّا فكن أنت أهله(٢).

ولا يقبل الهدية من أحد حتى يعلم صدق المُهدي، قال رضي الله عنه: (نحن همّنا أن نعطي للناس، لا أن نأخذ منهم، ولا نقبل الهدية حتى نعلم صدق المهدي، يجب علينا أن نكرم جارنا، بل عدوَّنا إذا كان محتاجاً).

ولا يرى لنفسه حظّاً في العطاء، بل ينسب النعمة إلى المنعم عزّ وجلّ،

(١) موطأ مالك (٢/ ٩٩٦) برقم: (١٨٠٨).
(٢) فيض القدير: (١/ ٥٣٣).

ذلك شأنه في أحواله جميعها، وله الباع الطويل في الإقراض فلا يقول للمقترض: اكتب لي ورقة بالدين، أو احلف بالله، أو جئني بضامن أو كفيل، وإنما يضع اسم المقترض في سِجِلٍّ وأمامه إشارة [×]، فإن عاد بالقرض قَبِلَهُ، وإلّا سامحه من غير مطالبة، وإليك ميزانَ الإقراضِ عنده قال ﵁: (إذا أردتَ أن تُقرض شيئاً من الدنيا فانظر إن كان حبّك للمادّة أكثر فلا تقرض أحداً أبداً، فإنّك من بعدُ مفضوح، وإن كان حبّك للمعنى أكثر فأقرِضْ، وضعْ على الشيء المقترَض خطّين، إن أتاك القرض فخذه، وإن لم يأتك فلا تطالب به أبداً).

ولا يرى بأساً في تحديد أجل القرض، ويزيد لمن يقترض منه عند الوفاء دون شرط مسبق؛ اقتداءً برسول الله ﷺ.

عام الجفاف والمجاعة:

في سنة ١٩٥٨م أودت بسوريّة لسنوات ثلاث غُبر سوداء، وأصاب البادية جفاف وقحط شديد، هلكت فيه أكثر الماشية وارتخصت أثمانها، حتى أصبح ثمن الشاة الواحدة ليرتين سوريتين(١)، وبقيت الإبل هياكل في مباركها، فجمع ﵁ ذوي الوجاهة والمال يذكّرهم بحالة البدو، وقدّم كل ما عنده كما هو شأنه في كل مشروع يعمد إليه، ومما قاله لهم: الصدقة أفضل من حج التطوع. فجمعت الأموال الكثيرة، وأرسل النسوة بحليهنّ

(١) بل باعها بعضهم بربع ليرة، فلما سُئِل عن ذلك قال: ما عندي لها أكل، ستموت بعد قليل.

من الذهب والجواهر، وأمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بشراء آلاف الأطنان من الدقيق والتمر، وألّف لجاناً للتوزيع.

حدثنا الشيخ عمر الملاحفجي أحد القائمين على التوزيع قال: أمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يكون التقسيم على النحو التالي:

أولاً: كيس دقيق(١) وكيس تمر لكل عائلة.

ثانياً: يعطي لشيخ النزل(٢) ضعفين، وعشرة أضعاف لشيخ العشيرة، أما سبب تفاوت الحظوظ فيرجع إلى تفاوتهم في الحاجة إلى المؤن التي تقَدَّم للضيوف.

وشمل العطاء البادية المنكوبة من مدينة (أبو كمال) على الحدود العراقية حتى مشارف حمص فقضى على المجاعة وأنقذ الأرواح.

- ماذا قال أمير عشائر (عنزة) ريكان المرشد؟

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (لمّا وصلت سيّارة التوزيع أميرَ (عنزة) بكى كثيراً ثمّ ضحك! فسُئِل: لماذا بكيتَ يا أبا طراد ولماذا ضحكت؟ فأجاب: بكيت لأنّكم ضيوفي وليس عندي ما أقدّمه لكم لا كراعَ غنم ولا عود زرع أخضر، وضحكت لأني فهمت أن هناك مؤمنين يسألون عن مؤمنين، ومسلمين يسألون عن مسلمين).

وذلك عمل لم تتمكن الدولة من القيام به وقتئذٍ.

(١) الكيس هنا: بمعنى الجوال باللهجة الدارجة.
(٢) مصطلح يطلقه أهل البادية على فريق من العشيرة.

١ - ودفع ﷺ مرّة لولده عبد الله ست عشرة ألف ليرة سورية ليشتري حنطة يبذرها ديماً، فجاءه بعد أيام رجل اسمه عبد الرحمن الأبيض وشكا له حاجته إلى ست عشرة ألف ليرة سورية تماماً، فأمر ﷺ ولده بدفع المبلغ إليه هدية.

٢ - وفدت إليه لجنة بناء مسجد من قرية القُصِير التابعة لمدينة حمص فقال لهم: لا مال عندي لأعطيكم، ولكن اتبعوني إلى الدار. . .فخرج إليهم بسجاد من بيته وأهداه لمسجدهم، وأبقى الحصران بغرفته وقال: (اشتقت لحياة الصحابة)!!

٣ - حدّثنا ابن أخيه الشيخ محمّد علي النّبهان قائلاً: جيء إلى حلب بخمسمائة رأس من غنمه ﷺ فأمر الوكيل ببيعها وإحضار الثمن، فقال أحد ولديه لوالدي الحاج علي: يا عمّي قل لوالدي يقتطع لحاجتنا شيئاً من المبلغ! فقال له: يا أخي يا أبا أحمد أليس فرض الزكاة كذا وكذا فأنت أعط أكثر، واجعل لأولادك سهماً من الثمن، فأجابه ﷺ: (هذه زكاتك يا بخيل، أما زكاتنا فنحن وما نملك لله تعالى). وذرفت عيناه ﷺ فأخرج من الطاولة أمامه رسائل عديدة، وقال للحاج علي: كان عليّ أن لا أظهرها لأحد ولكن. . وأخذ منها واحدةً وقال: كيف لي أن أنام وعندي رسائل المحتاجين من المسلمين؟ هذه أرملة تهدم بيتها القديم حجرةً فحجرة حتى أصبحت تقيم مع أولادها في المطبخ، فكيف أتركها وهي بحاجة إلى بناء غرفة)؟.

٤ - ينفق ما عنده ﷺ، ويستدين ويعطي، ومن مآثره ﷺ إعلام من حوله أنه سيأتيه غداً مال من وارد القمح أو القطن أو. . .، فمن

عنده حاجة فليتهيأْ، وعُرِف أمره بين الناس، فمن به فاقة ذهب إلى الشيخ النّبهاني، فتجده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شريك كل ذي همٍّ في همِّه، والمشكلة مهما صعبت فهي سهلة عنده ما دامت تُحَل بالمادّة، ومن أقواله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: والله يا أولادي لو كان عندي بعدد ورق الشجر ليرات لوزّعتها عليكم..

٥ - وقدم إليه رجل يتوعد عمّه بالقتل؛ لأنّه أغلى عليه مهر ابنته، فدفع له رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كامل المهر وأصلح ما بينهما.

٦ - وحدثنا خادمه الحاج مصطفى سروجي رحمه الله تعالى قائلاً: جاءه ذو حاجة لأربعين ألف ليرة سورية وهو يبكي، ولم يكن عنده وقتئذٍ أربعون قرشاً، فهدّأ روعه واستضافه، حتى إذا أصبح الصباح استدان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المبلغ ووهبه لضيفه!!

ومثل هذه الأمور إن خلا منها يوم، لا يخلو منها أسبوع، فهو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وارث لمرتبة «استدن عليّ» التي كان عليها رسول الله ﷺ.

سأله أحد أصحابه وهو الحاج فوزي شمسي قال: هل كلّفك الله تعالى يا سيّدي بأن تستدين وتعطي للناس؟ فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أما تحمد الله يا حاج فوزي أن أراك الله هذه المرتبة، وكنت تسمع بها فقط؟.

وسمعته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: حسبت البارحةَ الدّينَ الّذي عليَّ فكان مليون ليرة سورية. ثمّ قال: مثل مليون بعرة)!.

وبلغت ديونه المليون ونصفه ليرة سوريّة، وهو مبلغ كبير آنذاك فجاءه حاصل الزراعة فأوفى أكثر دينه.

ورأيت عنده ﷺ سِجلاً بأربعمائة عائلة فقيرة، يوزع عليها المؤن والكساء، لا سيّما أيام الشتاء ورمضان والعيدين.

ويوم النحر يضحّي الأربعين والخمسين من البقر والغنم، ويقسم اللحم على الناس، لا يفرّق بالعطاء بين كبير وصغير أو ذكر وأنثى..

هذا إضافة لما يقدّمه ﷺ يومياً للضيوف في البيت والمسجد وجبتين على السنّة والاتّباع، ومهمٌّ أن نذكر أنّه ﷺ لا يأكل من أموال الزكاة والصدقة والمساعدات التي تصل إليه ولا يُطعِم أبناءه وبناته منها.

إن الرجل الّذي أعرض عن الدنيا طيلة فترة سيره وسلوكه، فإذا به بعد خروجه للناس يأخذها بحق ويعطيها بحق، لا يمنّ على أحد ولا يذكر عطاءه، ولا يرى لنفسه حظّاً فيما أعطى؛ لأنّه يشهد أن المعطيَ والآخذَ هو الله سبحانه وتعالى، وأنّه مجرّد آلة.

٣ - ماذا عن مزرعة الكَرِم؟

على شمال الطريق المؤدية من حلب إلى دمشق تقع مزرعة مرتفعة، تُعرف بـ(مزرعة الكرِم) تتوسطها عينٌ للسقي، وتتخللها أشجار الفاكهة، وقد ابتلي المكان منذ زمن بمالكه وأصحابٍ له غافلين واشتهر باللهو والشرب، وكل ما هو منافٍ للأخلاق.

وحان الوقت لأن يقرر سيّدنا ﷺ أمراً يمحو به ظلمة تلك الضاحية، فخرج إليها بجمع من أصحابه التجّار، وجلس في المكان الّذي اعتاده الماجنون.. ولم تمض إلا دقائق حتى جاءته امرأة تستأذنه لحديث، فأصغى ﷺ وهي تهمس وتبكي من فِعْل زوجها مالك المكان،

فأوعز رضي الله عنه لمن حوله أن اشتروا الكرم فاشتروه أربعة أسهم.. ومنذ ذلك الوقت صارت ضاحية الكرم أحد مراكز دعوته، وإلى يومنا هي مأوى للصالحين ونزهة للمتقين، وانقلبت الحال من دار للفسق والفجور إلى رحاب للهدى والنور. ثمّ إنَّ مالكها الأول قد تاب بعدها وأصبح من الصالحين وتوفي رحمه الله قبل نشر هذا الكتاب بأشهر.

٤ - مع أعراب مستخفّين بالدّين

أخبره أحد أصحابه الحاج حسن حاضري رحمه الله من قرية الجابرية، أنّه ذهب إلى القرى القبلية جنوب حلب في رمضان فرأى بعض الأعراب في قرية يشربون القهوة، فقال لهم: أنتم في رمضان! فقالوا: وما رمضان؟ قال: هذا شهر الصيام، قالوا: وما الصيام؟! قال: الذي فرضه الله عليكم وأتى به سيّدنا محمّد ﷺ، قالوا: ومن هو محمّد؟ وأضاف رئيسهم: هذا الذي يقولون عنه (حمّود)؟ وحين سمع سيّدنا رضي الله عنه خرج إلى أهل تلك القرية فأرشدهم وفقّههم ورجعوا إلى الله سبحانه(١).

٥ - وما أدراك ما المونتانا؟

المونتانا: اسم لملهى في حلب، شُيّد على أحدث طراز فرنسي في الشرق الأوسط، فهل يسكت العفيف الغيور عن ملهى المونتانا؟

(١) حدثنا بها الشيخ رجب الهيب عن الحاج حسن حاضري رحمه الله تعالى.

لقد أقدم رضي الله عنه على أمر لا يثير فتنةً ولا يعمّق جرحاً، فنادى بمن حوله لشراء المبنى وقدّم ما عنده وقتئذٍ مع ثقل ثمنه آنذاك، ولم تمضِ إلّا أيام حتى أقيم في المونتانا حفل كبير ارتفع فيه صوته رضي الله عنه بالأذان الله أكبر.. وأعلن رضي الله عنه من هناك أن المبنى سيكون جامع الفرقان ثمّ أُطلق على الحي كلّه حي الفرقان ثمّ أضيفت له منارة، وهو اليوم من أهمّ الأحياء في حلب وأرقاها، ومسجده من أشهر المساجد وأحلاها.

٦ - يحيا الشيخ محمّد النّبهان ويعيش!

أربعة أماكن اعتاد رضي الله عنه زيارتها للاعتبار والمواساة: المقبرة، والمستشفى، ودار المجانين، والسجن.

حدثنا الشيخ عمر الملاحفجي واعظ السجن آنذاك قال: بادر رضي الله عنه مرّة بزيارة لسجن حلب، فكان يوماً مشهوداً، استبشر فيه السجناء المنسيون والمحرومون، واحتشدوا في تظاهرة كبيرة داخل السجن، وألقيت فيها كلمات الترحيب، وهتافهم آنذاك «يحيا الشيخ محمّد النّبهان ويعيش» وتاب على يديه من تاب، وفرّج الله سبحانه عن بعض المحكومين بالإعدام ببركة دعائه.

٧ - في مستشفى حلب الوطني(١)

في إحدى قاعات المستشفى الوطني يرقد ثلاثة عشر نزيلاً اثنان منهم من

(١) حدثنا بهذه الرواية الشيخ علي عمر محمد الويسي، قال: كنت والشيخ محمود فجال عند =

النصارى لم يكن بهم اهتمام كما ينبغي!. فقال أحدهم: أتريدون أن يهتم بنا الأطباء؟ قالوا: نعم. فأمسك بالهاتف واتصل بسيّدنا النّبهان رضي الله عنه وشكى ما هم فيه! فأجابه رضي الله عنه: (بعد نصف ساعة سأكون عندكم).

فحضر رضي الله عنه فالتفّ حوله الأطباء وأنشد المرضى: طلع البدر علينا.. ووزّع نقوداً على المسلمين والنصارى على سواء[1]، ثمّ أمر رضي الله عنه أحد أتباعه «الحاج محسن بوادقجي» رحمه الله تعالى بأن يوصل للشخص الّذي اتصل به مؤنة سنة كاملة!.

٨ - نبأ عن زيارته رضي الله عنه لمشفى المجانين

في قرية (دويرينة) يقع مشفى المجانين.. قال رضي الله عنه: لي معرفة بشخص منذ أربعين سنة تماماً اسمه سامي، كان تقياً نقياً صالحاً من أجمل الناس وأحسنهم.. يرى الرسول ﷺ في المنام، لكنه أوى إلى مجذوب فيما بعد، ثمّ أربعة مجاذيب! فجاءني يقول: أودّ أن أقعد عندك خادماً، قلت: حتى تترك صحبة المجاذيب ولا تذهب إلى أحد منهم بتاتاً، وإلّا فلا يمكن، قال: الآن نؤجل ذلك، قلت: لا يمكن..

وبقي معهم.. فجنّ وأُدخل مشفى المجانين!!

ومنذ ثلاث سنوات أو أربع زرته هناك فقلت: نادوا سامي، فرأيته من

= باب الحديد فأوقفنا رجل يلبس طربوشاً، فحدثنا بهذه الرواية قائلاً: كنت راقداً في المستشفى الوطني.. إلى آخر الرواية -.

(١) وكان رضي الله عنه في عطائه يتعامل بكمال الإنسانية مع جنس الإنسان، ليرده إلى إنسانيته، ويكرم غير المسلم ليرده إلى فطرته وحقيقته التي تسوقه إلى الإسلام.

بُعد (يُعيّط) أي يصرخ، ويعمل أعمال المجانين، فجاء وعرفني، قلت: ما بك؟ قال: هذا المنظر وحده يجنّن! وصحيح؛ منظر المجانين حالة مزعجة حقيقةً، الله يبعده عنّا، وهو الّذي جنّن حاله؛ هو الّذي رافقهم.. وقبل سنتين عدته ثانية فلم يعرفني؛ لأنّه استغرق بالجنون[(١)].

٩ - معاملته للفلاحين

- مع وفد حكومي للإصلاح الزراعي:

وفد عليه رضي الله عنه ثلاثة من هيئة الإصلاح الزراعي ليتعرّفوا إلى طريقة تعامله مع الفلاّحين، واتفقوا في الطريق على أن يتكلم كل واحد بشيء، فما إن حضروا حتى أُغلقتْ أفواههم! ففاتحهم رضي الله عنه بما عندهم من أسئلة وذكّرهم بما نسوا!! وأضاف: (الفلاّح عندنا نطعمه ونسقيه ونحميه، فإن بقي شيء من الحاصل أو لم يبق سواء)، قالوا: سيّدي، أنتم أحسن للفلاّح منّا ومن قوانين الإصلاح![(٢)].

(١) انظر: آفات السلوك، في الفصل الثاني من القسم الرابع، ونهيه رضي الله عنه عن صحبة المجاذيب..

(٢) حدثنا بهذه الرواية الحاج: أحمد محمد المسعود الحلبي أحد أصحاب سيدنا رضي الله عنه وفيها أنه كان جالساً مع سيدنا رضي الله عنه وقت مجيء هيئة الإصلاح الزراعي.

١٠ - حفلة العرس الماجن[(١)]

كان رضي الله عنه ذات ليلة في قرية رأس العين شمال شرق حلب، يذاكر أصحابه، وعلى مقربة منهم حفلة عرس تعالت فيها الأصوات، واقترنت بالفسق والمجون، فأرسل رضي الله عنه سبعة عشر رجلاً من الفلاحين إلى ذَوِي العرس وأوصى أن يحدّثوهم باللين واللطف لعلهم يرجعون، ولمّا وصلوا أبلغوهم بطلب سيّدنا الذي لم يكن يتساهل في قضايا تمسّ الشرف)، فأجابوهم: (قولوا للشيخ هذا أمر لا يخصّك ولا يعنيك)، فنشب بين الطرفين جدل ساقهم إلى شِجار، نتج عنه جراحات بالطرفين، وفي أصحاب سيّدنا رجل اسمه (صالح إسماعيل) من قرية أم جرين أصابته ضربه فأودت بعينه واقتلعتها من حجرها فحملها بيده وذهب إلى سيّدنا رضي الله عنه ، فأخذها منه بكفّه ووضعها بمكانها وهو يقول: (بسم الله) فعادت كما هي، وهذه من موافقات الوراثة المحمّدية (إذ كل ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي بشرط عدم التحدي)، وإن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعاد عين سيّدنا قتادة رضي الله عنه بعد أن اقتلعت، لكن سيّدنا رضي الله عنه لم يكن راضياً بصنع الفلاحين الذين أمرهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وحين رأوا الغضب عليه لم يحتملوا وهربوا من القرية، إلى حلب وتغربوا عن سكنهم لأكثر من شهر ثم رجعوا تائبين[(٢)].

---

(١) أخبرني بها الحاج خليل إبراهيم أحمد مصطفى: أحد إخواننا من قرية رأس العين التابعة لمدينة حلب، ولد سنة ١٩٤٣م وله صحبة صادقة وخدمة طيبة مباركة لعشر سنوات.

(٢) تنبيه: لقد وردت هذه الحكاية بصيغة أخرى في الطبعة السابقة. وبعد التدقيق والتحقيق ظهر لنا ما كتبناه أعلاه نرجو ملاحظة ذلك.

١١ - الاستعراض الرياضي المختلط

حدثنا الحاج أحمد محمد المسعود الحلبي أحد أصحاب سيدنا رضي الله عنه قال: تقرر رسمياً إقامة استعراض رياضي مختلط من الجنسين، في حدث لم تعهده حلب من قبل، فبادر رضي الله عنه واتصل بمدير التربية بالهاتف، ثم بالوزير، فلم يجد أذناً صاغية، وفي الوقت المحدد للاستعراض، فُوجيء جمهور اللاعبين والمتفرجين من الجنسين، بوصول سيدنا إلى ساحة الملعب مع بضعة رجال كنت أحدهم، ففزع الجمهور، وتوقف اللعب وساد الصمت، ولم يرجع حتى تفرق الناس دون نزاع .

١٢ - عين المبارك

حدّثنا الحاج شعبان خلف وكيل سيّدنا رضي الله عنه في الزراعة قال: في عين المبارك مجريان للماء شمالي وجنوبي، فاختلف الفلّاحون في القرية، وأغلق الّذين يزرعون على المجرى الشمالي المجرى الجنوبي الّذي يسقي مزرعة سيّدنا رضي الله عنه ، ولم يكتفوا بذلك بل ضربوا فلّاحيه وسلبوا منهم أسلحتهم!! فلمَّا حضر رضي الله عنه واستمع لِما حدث ركب فرسه وركبتُ خلفه، حتى وصل مساكن المعتدين، وإذا بإطلاقات النار تنهال علينا من كل فج، فاحتميت بظهره رضي الله عنه والرصاص يتناثر من على صدره الشريف ثمّ ترجّل عن فرسه، وحين رأوه لم يُصَبْ بأذى! جاؤوه معتذرين، وأرجعوا السلاح!!

١٣ - كيف يبني ﷺ المساجد؟

ونكتفي بهذا المثَل، زار سيّدنا في الكلتاوية وزيرُ أوقاف مصر الشيخ أحمد حسن الباقوري، في وقت اشتغاله ﷺ بإعادة بناء جامع الكلتاوية على وضعه الآن، فسأله الوزير: هل تساعدكم الدولة في البناء؟ فأجابه ﷺ: (لا)!. فأمضى عنده أسبوعاً ثمّ رجع إلى بلده، فأرسل أموالاً بثلاث دفعات، تتراوح قِيَمُها من ثلاثين إلى خمسين إلى ثمانين ألف ليرة سورية، وفي كل مرّة يكتب ﷺ على ظهر الصكّ عبارة: يُردّ، مع الشكر، ويأمر بإرجاعه إلى مصر! وقال ﷺ معقّباً:

(أخونا بالله الباقوري يظنّ أننا عندما نرجع الشيكات بسبب قلّة المبلغ، ونحن لو يعطينا مبلغ حكومته كلّه لن نقبله؛ لأنّ مالهم مشبوه، مخلوط بالخمر والربا، وهذا بيت الله لا يُبنَى إلّا بمالٍ طاهر. فقال الراوي: سيّدي، أعطني المال ولا تردّه! فأجابه ﷺ عين تطقك: منه وإليه)[(١)].

١٤ - جمعية النهضة الإسلامية

باشر ﷺ بجمع من أصحابه وتلاميذه الميسورين إلى مشروع إسلامي كبير باسم (جمعية النهضة الإسلامية) بحلب، وإذا اطَّلعتَ إلى الأهداف التي رسمها والمهام التي نهض بها أعاد إلى ذاكرتك بيت مال المسلمين.

(١) حدثنا بهذه الرواية ابن أخ سيّدنا الحاج حسين علي النبهان رحمه الله، قال: كنّا عند سيّدنا ﷺ في غرفته قبل النداء لصلاة الجمعة فوردته رسالة من الشيخ حسن الباقوري (بمصر) وفيها (صك) بثمانين ألف ليرة سورية.. فأمر بإرجاعه فقلت له: سيدي أعطني إيّاه بدلاً من أن تردّه، فأجاب: (عين تطقك) منه وإليه.

وانتخب لها هيئة مؤسسة وأعضاء[(١)] وبعد أن أجيزت الجمعية أقام رضي الله عنه لافتتاحها حفلاً كبيراً في الثامن من ربيع الأول سنة ١٣٧٩ للهجرة، الموافق للتاسع والعشرين من شهر أيلول سنة ١٩٦٠ للميلاد، ومركزها وقتئذٍ جامع الكلتاوية، ثمّ انتقل إلى بناية العصرونية قرب خان الوزير بين القلعة والجامع الأموي الكبير.

– من أهم أهدافها:

أ – القيام بالأعمال الاجتماعية والخيرية التي يتطلبها المجتمع، كجمع أموال الزكاة والصدقات، لصرفها على المستحقين، ومساعدة الأفراد والعوائل المعوزة، وتشغيل القادرين منهم.

ب – كفالة الأيتام وتشغيلهم، والإنفاق على ذويهم، ريثما يصل اليتيم إلى درجة تؤهله القيام بما عليه من واجبات نحو نفسه وذويه ومجتمعه.

ج – رعاية الأحداث المشرّدين من أبناء الفقراء، وتوجيههم نحو الأخلاق الفاضلة والعمل المفيد.

د – تأسيس دور للعجزة ولذوي العاهات، يأوون إليها ويُنفَق عليهم، ليحفَظوا من البؤس والحرمان.

---

(١) أعضاء الهيئة الإدارية والتأسيسية هم: الحاج فوزي شمسي رئيساً، والحاج صبري شربجي رئيساً فخرياً، والحاج محمّد عجم نائباً للرئيس، والحاج عبد اللطيف أبو دان أميناً للسر، والحاج محمّد شبارق خازناً، والسيّد عبد الوهاب السباعي عضواً، والشيخ محمّد عبد الله الشامي عضواً، والأستاذ محمّد عطا سالم عضواً، والحاج محمّد محمود باذنجكي عضواً، والحاج ناصر عبد الحميد ناصر عضواً، والحاج أحمد الصغير عضواً.

هـ - مساعدة المكفوفين الفقراء، وتحفيظهم القرآن الكريم، وتعليمهم، والسير بهم إلى حياة أفضل.

و - إنشاء مستشفيات تعالج الفقراء وغيرهم.

ز - ترحيل الغرباء المنقطعين إلى ديارهم.

ح - إنشاء دور للتأهيل المدني ومعامل لتشغيل الأيدي العاطلة عن العمل تعود على الجمعية بموارد ثابتة.

ط - إحداث مدارس ونوادٍ ورياض للأطفال تضم أبناء الفقراء وغيرهم، وتوجيههم نحو الخير والمثل العليا.

ي - مكافحة التسول بشتى أشكاله وصوره، ورفع مستوى هذه الفئة.

ك - تربية جيل مؤمنٍ بالله معتزٍّ بإسلامه مزوّدٍ بثقافة إسلامية صحيحةٍ، عامل على التقدم بأمَّته ووطنه، قوي بروحه وعقله وجسمه وأخلاقه، محب للمواطنين متسامح معهم.

ل - تكوين وحدات علمية دينية، مستمدّة مبادئها من القرآن الكريم وسنّة الرسول العظيم ﷺ وسِيَر خلفائه الراشدين والسلف الصالح رضي الله عنهم.

- لجان العمل في الجمعية:

ضماناً لسير العمل تألّفتْ اللجان التالية:

أ - لجنتان لجمع التبرعات، تختص كل منهما بقسم من المدينة، ومهمَّتُهما جمع التبرعات من المحسنين وأموال الزكاة وإيداعها في أمانة صندوق الجمعية.

ب - لجنة المبايعات: وتختص بشراء حاجيات الجمعية من المواد الغذائية وغيرها، وبيع الفائض منها.

ج - اللجنة الصحية: وهي مكلّفة بالتحقيق عن المرضى الذين يراجعون الجمعية بغية الحصول على مساعدات لأجل المداواة والاستشفاء.

د - اللجنة الثقافية: وتختص بإدارة المركز الثقافي للجمعية، وتقوم بوجوه الدعوة جميعها لعمل الخير والأعمال الكريمة.

هـ - لجنة التخطيط: وتقوم بوضع الخطط التي تعتزم الجمعية تنفيذها، وعرضِها على مجلس الإدارة مشفوعة بتقارير توضح رأيها فيها.

و - لجان البحث والتحري: وعددها ثلاث، ومهمتها الكشف عن المتقدمين بطلبات إعانة، والتحقيق في أوضاعهم، وتدوين التقارير في بيانات، لتتم في ضوئها المساعدة أو عدمها حسب رأي اللجنة المختصة التي تقدّر الإعانة الشهرية بموجب وضع العائلة العام.

ز - لجنة الإعلام: ومهمتها إصدار النشرات الخاصة جميعها لتعريف الجمهور بأهداف الجمعية وأوجه نشاطها، وتنظيم الجداول والصيغ اللّازمة للطلبات التي تقتضيها أعمال الجمعية.

- مجمل الأعمال والمشاريع التي تقوم بها الجمعية:

أولاً: في مجال خدمات البِر:

أ - رعاية الأسر الفقيرة، وقد بلغ عدد الأشخاص المستفيدين من

إعاناتها شهرياً بعد سنة من تأسيسها (٥٣١٧) شخصاً في ألف وستمائة أسرة موزّعة في جميع أحياء حلب، وتبيّن بالإحصاء الّذي قامت به لجان التحقيق في الجمعية أنّ بين هذه الأسر (٨٣) عاجزاً، بين مُقعَد ومشلول وأعمى و(٤٠٣) أرامل مكلّفات بإعالة ذرّية ضعاف وأطفال صغار، والباقي من الأسر المتعففة المستورة.

وهناك مساعدات نقدية تُعطَى في حالات اضطرارية، وإعانات موسمية وهدايا في أيام الأعياد تستفيد منها هذه الأسر.

ب - مشروع الأضاحي: تحقيقاً للسنّة النبوية الشريفة التي هي من شعائر الله تعالى، ورغبةً في أن يتذوق طعم اللحم والنعمة الفقراء المحرومون ولو مرّة في السنة فيتساووا في فرحة العيد مع الأغنياء المنعّمين، من أجل هذا تبنّت الجمعية مشروع الأضاحي ودعت إليه المحسنين، فحظيت بالاستجابة السريعة، وبلغ عدد المستفيدين من لحوم الأضاحي في أوّل سنة لهذا المشروع ثلاثة آلاف أسرة بمعدّل: ثلاث كيلوات لكل منها.

ثانياً: في مجال الثقافة والعلم والصناعة:

أ - أنشأت الجمعية مشغلاً لليتيمات الفقيرات باسم: (مؤسسة التدريب المهني للإناث) آوت فيه (١٤٠) طالبة، يتعلمن فيه الخياطة والتطريز وسائر المهن النسوية، مع دروس مهمّة في الفقه والسيرة والأخلاق، وتُقدّم لهنّ فيه الغذاء والدواء والكساء وسائر اللوازم، ومدّة التعليم فيها سنتان، وقد تم في آخر سنوات حياته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إنشاء ثانوية شرعية مهنية للبنات، ولا يزال هذا المعهد قائماً إلى الآن.

ب - تمنح الجمعية لكل متخرّجة ماكينة خياطة، تعمل عليها في أسرتها، لتعاونها بكدّها وجهدها وترفع مستواها المعاشي.

ج - تفتح الجمعية خلال العطلة الصيفية مراكز في أهم أحياء البلد، لتعليم القرآن الكريم والفقه لطلاب المدارس الرسمية والخاصة، كما تفتح مراكز ليلية أثناء السنة الدراسية للغرض نفسه؛ لتعليم العمال الّذين لا تمكنهم أعمالهم في النهار من تلقّي الدراسة.

د - أقامت الجمعية معرضاً لإنتاجها الفني في سوق الإنتاج الصناعي والزراعي بحلب سنة ١٩٦٦م ونالت عنه شهادة تقدير من محافظ حلب، وأقامت معرضاً لإنتاجها الفني في معرض دمشق الدولي.

ثالثاً: الأعمال الصحية:

أ - أنشأت الجمعية مستوصفاً صحياً، يؤمّن المعاينة ويقدّم الأدوية مجاناً للفقراء.

ب - تؤمّن الجمعية الدم والتصوير الشعاعي والتحاليل المخبرية للمرضى والعاجزين.

ج - تجري العمليات الجراحية للمحتاجين في المشافي الخاصة على نفقتها في الحالات المستعصية.

د - بلغ عدد المرضى الّذين عالجتهم الجمعية خلال عام ١٩٦٢م: (٢٣٠١) مريضاً، بينما قفز هذا العدد إلى (٤٧٨٧) في السنة الثانية.

رابعاً: الخدمات الاجتماعية:

أ - تكافح الجمعية التسوّل والتشرّد، وذلك بطوافها بسيارة الجمعية ثلاث ساعات يومياً في الشوارع للقيام بأعمال المكافحة.

ب - ترسل المحترفين المتصنّعين منهم إلى القضاء لمحاكمتهم.

ج - ترسل العجزة منهم إلى دور العجزة عن طريق النيابة العامة حسب الأصول.

د - تُسفّر الغرباء منهم إلى بلادهم وقراهم.

هـ - تعين عائلات المتسوّلين المسوُقين إلى القضاء ودور العجزة وتكفل حياة أسرهم وأولادهم.

١٥ - دار نهضة العلوم الشرعية

مرَّ بنا أنّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منذ إقامته في الكلتاوية سنة ١٣٤٧هـ كان ينظر إلى ساحة المسجد ويقول: إني لأرى هناك مدرسة شرعية، وطلبة علم بعمائم بيضاء فهل أنتم ترون هذا؟. فما إن فرغ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بناء المسجد على وضعه الآن حتى شرع في بناء المدرسة بطابقين، وافتتح الدراسة فيها سنة ١٣٨٤هـ الموافق ١٩٦٤م، ثمّ أنشأ الثالث فصارت بثلاثة طوابق فوق الأرض، وقبل سنتين من وفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشترى بعض الدور المجاورة وأقام طابقين: تحت ساحة المسجد وجوارها فابتنى المطبخ والمطعم والحمام الكبير ودورة المياه في الطابق الأرضي الأول، أما الطابق الثاني فجعله مهاجع لنوم الطلبة.

وتحقق حديث سيّدنا ﵁ بعد سبع وثلاثين سنة، وتطابقت تسمية (الكلتاوية) بمعناها التركي: (تل الزهور) مع طلبة العلم بعمائمهم البيضاء! لتكون الكلتاوية مدينة العلم وأزهر حلب.

وسارت المدرسة بستة صفوف، وفق نظام فريد في التربية الروحية والتعليم، وحازت المرتبة الأولى بمنهجها وثمارها. والطالب فيها مكفول من الوجوه جميعها أكلاً ولبساً ومؤنة سفر مع كونه لا يخرج من المدرسة إلا للحوائج أو في العطلة الربيعية لأسبوعين، وفي الصيفية لشهر واحد، فإذا أكمل الطالب السنوات الست وحفظ القرآن الكريم تأهّل لدخول الأزهر أو إحدى الجامعات الأخرى.

أما مصروف البناء والتدريس والتلاميذ فهو أحد مشاريع جمعية النهضة الإسلامية التي أسّسها ﵁ (إلى أن تمَّ تأميم الدولة للجمعية سنة ١٩٨٤م) ولا تزال المدرسة عامرة بتوسع وازدياد، وهي موئل عشّاق العلم والمعرفة من سورية وخارجها، وأسهمت في خدمات عظيمة، بتخريج أفواج من الأئمةِ والخطباءِ والمدرّسينَ والباحثينَ وأساتذةِ الجامعاتِ.

- أثر دار نهضة العلوم الشرعية النبهانية:

لقد تعاظمت أهمية هذه المدرسة الفريدة، وتوافد عليها الناس من كل حدب وصوب، حدثني ابن سيّدنا أحمد أبو فاورق ﵀ قال: يتقدم للقبول في المدرسة زهاء ثلاثة آلاف طالب فلا نقبل إلا تسعين.

وإن المتخرجين في الكلتاوية يشغلون الآن أغلب مساجد مدينة حلب ومدارسها، وإن المئات منهم يعملون في دول الخليج، وفي مراكز إسلامية في الدول العربية والأجنبية.

وطلبة الكلتاوية المتخرجون المتحققون بعلومها وآدابها سيماهم في وجوههم، تعلوهم الهيبة والسكينة والوقار، أنوارهم عالية وعلومهم راقية، متوّجون بالأدب والحياء، بعيدون عن مظاهر التعصب والتطرف والغلو، وهم لا يثيرون الفتن، ولا يتدخلون فيما لا يعنيهم، إذا حضر أحدهم مجلساً كان أميرَه، وإذا حظيت بجمع منهم في مكان أعادوا إلى ذاكرتك الرعيل الأول من الصحابة وآل البيت الكرام ﷺ.

سألت سيّدنا ﵁ قلت: سيّدي، يخطر لي أن طلبة العلم في الكلتاوية ملائكة، فأجاب ﵁: ليسوا ملائكة، بل أعلى من الملائكة!

- طالب العلم الّذي يريده ﵁:

١ - أن يطلب العلم الموصل إلى الله سبحانه وتعالى، لأجله ﷿ ليعمل به، لا لغرض دنيوي يتعيَّش به ولا ليكون صاحب جاه أو منصب، قال ﵁: (من طلب العلم ليتعيش به لا عيّشه الله، وحينما يطلب الإنسان العلم يطلبه الله).

٢ - مداخلة العلم بالسلوك، والعمل على تزكية النفس بمحاسبتها.

٣ - ملازمة الأدب، قال ﵁: (ليتعلموا تسعة أعشار أدباً والباقي علماً. أو تسعاً وتسعين بالمائة أدباً والجزء الباقي علماً).

٤ - السير في طريق علم، عمل، إخلاص، تبري من الحول والقوّة إلى حول الله وقوته.

٥ - لا ينسب العلم لنفسه، ولا يرى نفسه خيراً من غيره.

٦ - يأخذ العلم عن محبة، ومن لا يحب أستاذه لن يأخذ العلم.

٧ - المواظبة على التهجد قبل الفجر بنصف ساعة على الأقل، وكان يقول ﵁: (صلِّ ركعتين، فكثير كثير أربعاً، ثمّ اجلس لطلب العلم، فطلب العلم أفضل من صلاة النفل المطلق، طالب العلم يقعد قبل الفجر فيصلّي ركعتين صحيحتين سليمتين فقط ويدعو الله.. وبعدها يطالع دروسه، لا أبيح له أكثر من ذلك)! قال الإمام الشافعي: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

٨ - أكل الحلال، قال ﵁: (لقمة الحلال هي تدلكم على أهل الله).

٩ - ارتداء الجبة والعمامة، وتزيينهما بالاتباع، قال ﵁: (نريد طلبة علم ذوي أدب ولحية وعمامة).

١٠ - الخشونة في العيش، قال ﵁: (وقل لهم فليخشوشنوا)[(١)].

١١ - لا يحب الدنيا ولا يميل إلى النساء ولا يفتتن بهن، ولكنه يكرمهن؛ لأن الرسول ﷺ أوصى بهن.

١٢ - يعمل بعلمه، قال ﵁: (العمل هو المراد من العلم، العلم أساس، والعمل هو البناية).

١٣ - يكثر من مراجعة دروسه، قال ﵁: (الوِرد الحقيقي لطالب العلم مطالعته لدرسه؛ لأن سلاح العالَم اليوم هو العلم، ونزيد عليهم الأدب.. يطالع دروسه قبل الدرس وبعد الدرس، هذا يسير بسرعة، ويصير عالماً، حتى يفهم العلم ليعلّم الناس الصغير والكبير والمسلم وغير المسلم).

---

(١) من وصية له ﵁ للشيخ أيوب محمّد الفياض رحمه الله مدير المدرسة الأحمدية الشرعية في الخالدية بمحافظة الأنبار في العراق.

١٤ - تطبيق الشريعة على نفسه وعلى بيته، فميزان العالِم بيته.

١٥ - وعن المطالعة في كتب الصوفية فيقول ﵁: لا أرضى لطالب العلم أن يطالع في كتب الصوفية وليس عنده رابطة مع المرجع[(١)]... المريد في حال السير يجب عليه أن يتأدب بآداب الشريعة ويتخلق بأخلاق الطريق حتى ينتج عنهما الحقائق، والحقائق لا تنتج إلّا من المريد المتأدب والمتخلق صاحب الهمّة العلية.

١٦ - اهتمامه ﵁ بالنساء

الإسلام دين الرجل والمرأة على السواء، يكفل للمرأة سعادة وكرامة أبدية كما هي للرجل، وإنّ مسلمة اليوم ليخفق قلبها حين تسمع أو تقرأ عن عالم الصحابيات، فتجد نفسها حائرة ضائعة في مجتمعات غافلة تصوّر لها الإسلام جحيماً أو سجناً، وتفتح لها أبواب مدنية لا تعيب عيباً ولا تحرّم حراماً، وربّما تُرغَم أحياناً على اتّباع تلك المدنية، ولم يكن ﵁ ليهمل نصف المجتمع، بل أعطى هذا الشطر أهميته؛ امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ واقتداءً به، فقد ورد عن سيّدنا أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهنّ يوماً لقيهنّ فيه، فوعظهنّ وأمرهنّ[(٢)]، فجعل ﵁ لهنّ درسين في المسجد صبيحتي السبت والأربعاء، ودرساً للمعلّمات قبل فريضة الجمعة، يحضرن

(١) الرابطة: هي أن يجعل المرجع في مخيلته.
(٢) صحيح البخاري (١/ ٥٠) برقم: (١٠١).

دروسه محجبات من رؤوسهنّ إلى أقدامهنّ، فإذا ألقى درسه قرّب محارمه وذويه، ولا يسمح باستصحاب الصبية الذكور إذا تجاوزت أعمارهم سبع سنوات، والأخوات إذا أحضرن بناتهن الصغيرات وضعن لهن الحجاب فوق رؤوسهن وإن كن دون ذلك؛ لينشأن محبّاتٍ للحجاب.

حدثنا الشيخ عمر الملاحفجي وهو أحد أصحابه المقرّبين قال: سألت سيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سيّدي أسألك بالله وبسيّدنا محمّد رسول الله! هل أنت مأذون بدرس النساء من رسول الله ﷺ؟ فأجابني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (ويلك يا جذّوبة والله أنا مأمورٌ به أمراً من رسول الله ﷺ). (لولا أنّ رسول الله ﷺ يأمرني، ما أعمل درساً للنساء، أأقعد مع النساء؟ النساء أو المردان؟ هذا عندي فوق الكفر). إلّا أنّه لم يسمح لأحد بتدريس النساء على الإطلاق! ولم يتخلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يوماً عن درسهن، ولم يوكّل أحداً فيه من أتباعه أو أصحابه؛ لخوفه عليه من الميل! وقد وجدنا له رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في درس مسجل ما نصّه: (أنا ما أعطيت ثقة[١] إلى الآن لأحد لا من الرجال ولا من النساء! حتى يبقى ببالكنّ لا يروح يكذب عليكنّ أحد، يقول لكُنّ الشيخ أعطى.. لا يا بناتي! أنا ما أعطيت شيئاً لأحد البتة).

وثمّة بيت أعدّه للنساء الزاهدات المنقطعات إلى الله، اللّواتي تركن بيوت المدنية عند أهلهنّ، أو رغبن بالعزلة عن الناس، ولجأن مجتمعات إلى بيت واحد قريب من المسجد، يعملن بالتعليم أو بالخياطة، ويأكلن الحلال من أتعابهنّ، ويحضرن الدروس.

---

(١) أي: بتدريس النساء والله أعلم.

وافتتح للبنات مدرسة بقسمين: قسم مهني مدته سنتان[(١)] أكثر دروسه مهنية، ومعه مهمات الدراسة الشرعية، وقسم شرعي فيه مناهج الإعداديات والثانويات الشرعية، وكلا القسمين مندرجان في أعمال جمعية النهضة، يُعتنى فيهما بتعليم الدين واللغة وإدارة الأسرة، وحظيت بتربيته آلاف النسوة، على مدى أكثر من ثلاثين سنة، إذا رأيتهنّ بالحجاب الكامل غاديات آيبات قلت: هذا هو الدين وهذا هو الشرف والحياء، ونعم الشيخ المربي.

١٧ - ولم ينسَ الناشئة

وباشر ﵁ بفتح خمس رياض للأطفال، بعد أن ربّى معلّمات تقيات، يغرسن في الأطفال العقيدة والفضيلة، وسيّدنا ﵁ يحب الطفل الحرك اللعوب لا الخامل البسيط ويقول: الطفل كامل وسلوكه اللعب، ويحبّذ الأسماء التي يحبّها الله ورسوله، ولا يرضى بالتسميات المدنية والجاهلية، ولا يحبذ تدليل الطفل كثيراً، ويقول: (الطفل المدلل ينشأ على قلة الأدب) - في الغالب -، ويوصي بتنشئة الأطفال على الأدب،واللباس الإسلامي، والأخلاق الحسنة.

ويطالب الآباء ألّا يرغموا أبناءهم على غير وجهاتهم، فمن كانت وجهته إلى الصناعة أو الزراعة لا يُلزَم بدخول مدارس الشرع مثلاً، قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨].

---

(١) هو المعهد نفسه الذي أنشأته جمعية النهضة الإسلامية وأشرنا إليه سلفاً.

وهو رضي الله عنه يتواضع للأطفال ويداعبهم، فمن ذلك:

١ - ما حدّثنا به الحاج شعبان خلف أحد وكلائه في الزراعة قال: زارنا سيّدنا رضي الله عنه في القرية، ولما كانت الصلاة اغتنمت ابنتي الصغيرة عائشة سجوده رضي الله عنه فصعدت على ظهره وتناولت الحلوى من خزانة في الحائط، فلم يرفع رأسه عن السجود حتى نزلت، وكررت صنيعها في الركعة الثانية وهو مسرور بفعلها..

٢ - حدثنا الشيخ حمزة عباس مهنّا[١] قال: صحبته رضي الله عنه في دعوة عند إخواننا بحلب فحضرت لديه طفلة عمرها أربع سنوات، قرأت الفاتحة وأنشدت في محبته شعراً، فلما فرغت دنت لتقبّل يده فأبى، وقال: أنا لا أصافح النساء. قالت: أنا أمي جعلتني صبياً، قال رضي الله عنه : (أنتِ صبيّة)..

٣ - وحدثنا الأستاذ حسان فرفوطي رحمه الله قال: كنا عند بعض أحباب سيّدنا رضي الله عنه فجاءت طفلة في الرابعة أو الثالثة تريد أن تقبّل يده، فلم يعطها يده، فاستغربتُ ذلك ولم أتكلم؛ إذْ لمسُها في الشرع لا ينقض الوضوء، فالتفت إلي رضي الله عنه وقال لي: يا حسّان، إذا أعطيتها يدي لتقبلها يصل الخبر إلى الناس على وجهه وربّما قالوا: قبّلتْ يده صبيّة.

٤ - طفل تربى عنده فرآه أبوه مشمّراً ليتوضأ، فقال له: أتريد أن تكون لنا من المصلِّين؟! قال: أنت تارك للصلاة، وتارك الصلاة ملعون، فهل

(١) أحد أصحاب سيدنا رضي الله عنه في الفلوجة.

تريدني أن أكون مثلك؟! فتاب الوالد، وأصبح من المصلّين.. وبعث برسالة إلى سيّدنا رضي الله عنه يشكره على حسن رعايته لولده..

٥ - حدثنا الشيخ عثمان عمر محمد الويسي: أن الحاج أحمد محمد مسعود(١) قال لطفلته الصغيرة - ولم تتجاوز حينها السابعة من عمرها -: قبّلي يد سيّدنا، فلمّا أرادت تقبيل يده لم يُعطها يده رضي الله عنه وقال لها: لا، حتى تصيري صبيّاً.

٦ - حدثنا الحاج علي ناصر عبد الحميد الناصر أحد المتخرجين في دار نهضة العلوم الشرعية في حلب قال: صحبت أخي الدكتور نوفل يوم كان يتلقّى ورفاقه درساً خاصاً عند سيّدنا رضي الله عنه فغلبني النوم، فما كان منه رضي الله عنه إلّا أن نهض فخلع جبّتَه وبسطها على الأرض ثمّ دثّرني بها فصحوت وحينما وجدت نفسي في جبّتِه تظاهرت بالنوم تبركاً بها.

٧ - قال رضي الله عنه: (أنا سابقت ابن الحاج فوزي شمسي، لن ينسى هذا الطفل أنه سابق الشيخ محمّد النّبهان)، فكان الغرض من المسابقة التنزل لعقل الصغير وربطه به.

---

(١) أحد أصحاب سيّدنا رضي الله عنه.

الفصل الرابع

دررٌ من شمائله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

من ورعه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

١ - حدثنا الشيخ بشير حدّاد رَحِمَهُ اللهُ قال: توفي رجل فذهب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لتعزية ذويه، فلم يمشِ على سجّادة عندهم وقال: لقد أصبحت مالاً لورثةٍ قاصرين.

٢ - حدثنا الشيخ بشير رَحِمَهُ اللهُ أيضاً قال: استولت الحكومة على عشرين حاوية جنفاص معبأة بالحنطة من مزارعه، ثمّ ندمت على فعلتها فأرجعتها بعد أيام، فوزع الحنطة على الفقراء خشية استبدالها!

٣ - حدثنا الشيخ رجب الهيب قال: إن أحد خدم المسجد جاءه بسجادة أوقفتها امرأة لتوضع في غرفته الخاصة بإلقاء الدروس، فتحقق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من خادم المسجد عن رغبة المرأة بمكان وضعها هل هي في حرم المسجد أم في غرفته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال للخادم: اصْحَ أن تكون قد خنتَ! أهي قالت لك: ضعها في الغرفة هنا أم في المسجد؟.. فأجابه: سيّدي قالت هنا في الغرفة. فهو دقيق العمل بشرط الواقف.

من رحمته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

١ - سمعْته يقول عن نفسه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنا رحمة خالصة، لو كان الأمر بيدي لقلت: يا رب كلّهم عبيدك أدخلْهم الجنّة! جرت عادة الله يا أولادي

أنّكم لما تحبّون المرجع فإن المرجع يحبّكم أكثر بكثير، أنت تنام الليل وهو لا ينام الليل عليك.

٢ - وكان يملأ برْكة الماء في المسجد ليشرب منها الحمام.

٣ - جلست مع المناوب الليلي الحاج بكري شوشا[١]، فأدهشني بحديث فقال: كنت في المناوبة الليلة في الجامع والمدرسة، وكان سيّدنا ينام في ساحة الجامع صيفاً وأشار بيده إلى ناحية فيها حيث موضع سريره، فنهض حفظه الله في الساعة الواحدة ليلاً، وأخذ خرطوم الماء وأنا أنظر، فملأ البرْكة ثمّ رجع، فقلت في نفسي: لقد عوّدنا حفظه الله أن يملأها نهاراً لتشرب منها الطيور، أما ليلاً فلا بد أن يكون في الأمر شيء غير الذي عهدناه، وفي اليوم التالي سألته - حفظه الله - فأجاب: كانت نملة على حاشية البرْكة تطلب الماء وتخشى الوقوع فيها بسبب نعومة جدرانها، فملأتها لتشرب.!

٤ - حدثنا المهندس عبد الكريم بن محمّد الجَلَب من حلب قال: حدّثني أخو سيّدنا رضي الله عنه الحاج جميل أحمد النّبهان قال: كان سيّدنا رضي الله عنه في قرية التويم فجاء بعض الفلّاحين يخبرونه أن أسراباً كثيرة من الجراد هاجمت الأراضي الزراعية فماذا نفعل؟ قال رضي الله عنه لأحد فلاّحيه: (احضروا لي إحداهن) فأتوا بواحدة، فأمسك بها فإذا هي ملكة الجراد فكلّمها قائلاً: (يا بنتي كلوا من عندي ولا تأكلوا من أراضي جيراني، لأنّهم بخلاء فإنْ شبعتم فاذهبوا في سبيل الله)، وعندما أفاق الفلّاحون صباحاً لم يجدوا جرادة واحدة.

(١) ثمّ فهمت فيما بعد أنّه مظنّة الولاية.

٥ - حدثنا الحاج خليل إبراهيم أحمد مصطفى من عشيرة الوقّاد (أحد فلّاحي سيّدنا ﵁) قال: كنت في قرية أم العصافير إحدى القرى التابعة لسيّدنا قرب الحدود التركية، وقد نُصبِت ماكينتان لضخ الماء من الخابور، فوفد إلى القرية أحد إخواننا من قرية ثانية هو الحاج أحمد شحاذة من عشيرة الفردون، ولدينا ستون بغلة للعمل آنذاك، فضرب إحداها بحجر فكسر يدها، وسيّدنا هناك وقتئذٍ، فأمر ﵁ بحفر موضع في الأرض لتبقى فيه البغلة معلّقةَ اليدين كي لا تتأذّى ريثما ينجبر كسرها، ثمّ قال لأحمد شحاذة: رح إلى البغلة واستسمحْ منها، لأنّها دعت عليك وقد استجاب الله دعاءها، فربّما يأتيك يوم تُكسَرُ فيه يَدُك، كما كَسَرْتَ يدها! ثمّ توفي سيّدنا ﵁ ومضت سنوات، وكان لأخينا أحمد مشروع ماء وعليه مضخّة، فجاء يوماً لتشغيلها فجذبت طرف كمّه فالتوت يده ثمّ انكسرت فصرخ: صدقت يا سيّدي، صدقت!

٦ - حدثنا الشيخ أيوب محمّد الفياض رحمه الله تعالى قال: رأى ﵁ شخصاً يحرّك المكنسة إلى الأمام ورؤوسها تتكسر، فقال له: المكنسة تشكو لي من سوء استعمالها! وعلّمه كيف يسحبها إليه لا يدفعها إلى الأمام، فالرحمة عنده حتى بالجمادات.

٧ - وكنت مرّة في مجلسه فقال له الحاج فوزي شمسي[(١)]: سيّدي، نذكر لك البعض فتقول: أكسّر رؤوسهم، فما رأيناك كسرت رأس أحد؟ فأجابه ﵁ : (والله إذا وقعوا أحطّ لهم يدي).

(١) أحد أصحابه ﵁ ، رئيس جمعية النهضة الإسلامية بحلب، منذ أن تأسست حتى تأممت في كانون الثاني سنة ١٩٨٤م.

من تواضعه رضي الله عنه

١ - رأيته رضي الله عنه يسأل شخصاً: هل توضأت؟ قال نعم. قال رضي الله عنه: هل تنشفت؟ قال: لا، فناوله المنشفة، وقال: خذ تنشف.

٢ - رأيته رضي الله عنه أدار المداس الخشبي لأحد ضيوفه في بيته لدى طلبه تجديد الوضوء.

٣ - رأيته رضي الله عنه مشاركاً لطلبة المدرسة الشرعية في مناولة الخشب من يد إلى يد لتصنع منه أبواب وشبابيك الطابقين الثاني والثالث في تلك المدرسة، وكانوا ينشدون:

جلّ الملك ملكنا   لولاه لهلكنا

٤ - ورأيته رضي الله عنه في قرية تويم يعاون فلّاحيه في رفع حاوية الَجبَس على بغلة، وشاركت في حملها معه رضي الله عنه.

٥ - ورأيته رضي الله عنه يزيل بيده الأعشاب النابتة على مجرى الماء في إحدى القرى لئلا تؤثر على جريانه.

٦ - ودعاني والشيخ يحيى حمد الفياض الكبيسي إلى بيته رضي الله عنه فحان وقت الغداء ولم يكن في الدار غيره، فأخذ بنا إلى المطبخ وأوقد ثمّ وضع قدْراً فيه «قرنابيطة» حتى إذ جهَز أفرغه في صحنٍ وقدّمه لنا، وأثناء الطعام قال لنا: اشبعوا اشبعوا، وهو في انشراح عظيم ونحن في أسعد لحظات حياتنا.

٧ - وحدّثني الشيخ أيوب محمّد الفياض رحمه الله قال: شاركت مع سيّدنا رضي الله عنه وطلبة الكلتاوية وأساتذتها وخدم الجامع والمدرسة في

إزالة الثلج المتراكم في الساحة وطول الطريق النازل من الكلتاوية إلى (قبو النجارين) واستغرق الأمر ساعات.

من عباداته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

١ - يأخذ قسطه من قيام الليل بساعة قبل الفجر فأكثر، يمضيها بتلاوة القرآن والتضرع والبكاء كما لو أن كل ليلة عنده هي ليلة القدر، ويدعو للناس: يا رب لا تؤاخذهم، يا رب ارحمهم، يا رب تجاوز عنهم، يا رب ارفع الشدائد عنهم.. ولا ينام بعد الفجر حتى تبزغ الشمس ويصلّي ركعتين.

٢ - يحافظ على الوضوء.

٣ - يصوم الإثنين والخميس من كل أسبوع، والأيام البيض من كل شهر، مع اليوم الأول والتاسع والعاشر من المحرم، وستةً من شوال، وتسعة أيام من ذي الحجّة، ورأس السنة الهجرية، وأول رجب.

٤ - يصلّي الأوابين بعد المغرب، ويختمها بصلاة الغائب على من مات من المسلمين ذلك اليوم.

٥ - يصلّي التسابيح في أوقات من السنة كليلة النصف من شعبان وليلة القدر وأواخر شهر رمضان.

٦ - لا يقدّم على الصلاة شيئاً، ويحافظ على الجماعة في البيت أو في المسجد، وأُثِر عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما فاتته حاضرة الفجر منذ صباه[١].

---

(١) حدّثنا بهذه الرواية صهره الشيخ الشهيد منير بشير حدّاد رَحِمَهُ اللهُ.

٧ - إذا خرج في سفرة أو وليمة فحان وقت الصلاة أذّن وأقام وتقدّم بالجماعة.

٨ - إذا تقدم بالجماعة قال قبل تكبيرة الإحرام: إن الله في قبلة المصلي لا تغفلوا عن الله.

نُبذٌ من أحواله رضي الله عنه

١ - لم يمتلك داراً ولا سيّارة، ولو أراد لكان له ذلك، مع أنّه اشترى عشرات الدور للناس الفقراء أو عمّرها لهم.

٢ - لم يتزوج إلا بواحدة، سمعته رضي الله عنه يقول: أنا في مذهبي واحدة، ولو يصير الاكتفاء بنصف واحدة لاكتفيت، وسمعه غيري يقول: أنا مشربي واحدة فقط. ولا يمنع رضي الله عنه التعدد للضرورة.

٣ - لا يغضب إلا لله تعالى، وإذا غضب احمرّ وجهه رضي الله عنه، وربّما صرخ صرخة يرتعد لها من حوله، لكن غضبه سرعان ما يتلاشى.

٤ - يحلق رأسه كاملاً ضحوة كل خميس، وله حلّاق يأتيه إلى بيته يستعمل ماكينة الحلاقة والمشط والمقص دون الشفرة.

٥ - ويغتسل بعد الحلاقة ولا يدخل الحمّام إلا مؤتزراً، فإذا كان اليوم التالي أعاد الغسل للجمعة ثمّ يقلّم أظفاره ويقرأ سورة الكهف.

٦ - كان رضي الله عنه سمحاً إذا أقرض وإذا باع وإذا اشترى، ولا يفاصل على سلعة[١].

---

(١) المفاصلة: المفاوضة والمساومة بين البائع والمشتري على السلعة، حتى يتفقا على ثمن أو يختلفا.

٧ - لا يطأ الفرش والسجّاد بحذائه كما هي عادة بعض الناس اليوم.

٨ - إذا جلس على أريكة لا يضع رجلاً فوق رجل.

٩ - لا يشتم ولا يلعن ولا يدعو على أحد.

١٠ - إذا حلف يحلف بالله تعالى. فيقول: والله، أو: والله العظيم، أو وربِّ الكعبة.

١١ - صلّى خلف حالق اللحية، وصلّى مقتدياً بمجذوب(١).

١٢ - إذا مزّق ورقة أو رسالة وفيها من أسماء الله تعالى أو آياته يجمع قِصاصها في سلّة خاصة، لئلا تختلط بالأوساخ.

١٣ - لا يحضر مجلساً فيه تدخين، أو تلفزيون مفتوح.

١٤ - لا يقول إلّا حقاً قال ﷺ: (أنا لا أقول إلّا حقاً، وإن مزحت أمزح حقاً وبأمور الحكمة، المزحة مثل الملح للطعام) ومزحاته نادرة.

١٥ - إذا مرّ بالسيّارة من طريق أو حيّ تطغى عليه مخالفات للشريعة يأمر السائق بالإسراع، ويُنزل من فوق عمامته ﷺ غطاءً على وجهه ويقول: إني لأشهد السخط الإلٰهي يتنزل كالمطر!

---

(١) الشيخ سليمان البكري: من مشاهير الصالحين هناك، خادم جامع النعمان في الأعظمية ببغداد، وجامع النعمان ليس هو جامع سيّدنا أبي حنيفة النعمان بن ثابت ﷺ بل مسجد آخر قريب منه، أقام في آخر حياته في مدينة الفلوجة بالعراق وتوفي عن عمر يزيد على مائة وعشرين سنة ودفن فيها.

طعامه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

١ - لا يطعم أكثر من وجبتين، إحداهما ضحوة النهار، والأخرى قبل العصر قليلاً أو بعده، وأغلب أكلِه من لون واحد.

٢ - إذا طَعِم ما فيه شبهة في دعوة قاءه بعد عودته إلى البيت.

٣ - يشرب الماء بارداً جداً صيفاً وشتاءً على عكس حالته بداية أمره.

٤ - لا يحب القهوة ولا يردّها، ويشرب الشاي خفيفاً مع الليمون.

٥ - يحب اللبن رائباً، ولا يشربه مزيجاً بالملح.

٦ - لا يسرع في الأكل، ويمضغ اللقمة جيداً ويوصي بذلك.

٧ - يحب من الفاكهة الجبس (البطيخ الأحمر) سمعته يقول عن الجبس هذا فيه حديث، (يغسل البطن غسلاً ويذهب بالداء أصلاً).

مع ضيوفه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

١ - يخصّهم بالمجالسة في البيت أو في المسجد، يذاكرهم ويرشدهم ويطعمهم ويقضي حوائجهم ويوقظهم لصلاة التهجد.

٢ - يقدّم الطعام مرّتين، ولا يتكلف لتلاميذه ومحبيه، أما من جاء ليمتحن كرمه فيكثر عليه الموائد بأحسن ما يتهيأ له، ولا يصرف على الضيوف من مال زكاة أو صدقة بل مما رزقه الله.

٣ - يشوّق ضيفه للأكل، ويرغّب دون إلحاح، ويُطعمه بيده أحياناً.

٤ - لا يترك الطعام حتى ينتهي الضيوف مؤانسةً لهم.

٥ - قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (إذا جاءني الضيف أنظر إليه فإذا كان قد جاء لذاتي لا أذبح له ذبيحة ولا أتكلف، لأنّه يكتفي بنظري إليه.. وأما إذا جاء لأنّه يسمع أن «النّبهاني» يطعم الناس ويكرمهم فأذبح له ذبيحة وأقدّم له طعاماً جيداً لكي ينبسط وينسرّ).

أمورٌ يُحبّها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

١ - يحب المديح النبوي الشريف، ولم يُدخِل المزهر إلى الكلتاوية في حلقة الذكر أو غيرها[(١)].

٢ - يستمع إلى القرآن الكريم والمديح وينصت ويبكي ولصدره أزيز كالمرجل[(٢)]، ويتلوه قبل الفجر غالباً أو بعده.

٣ - يحب مشايخه في العلم، ويحفظ ودّهم، حتى إنّه قبّلَ يد شيخه[(٣)] الذي علّمه التجويد في الكتّاب، وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرّة لابن شيخه محمّد أبي النصر: (يا شيخ عبد الباسط، أنا أحب كلابكم؛ لأن أباك شيخي).

٤ - يهتم بنظافة المسجد والبيت، والشارع المؤدّي إليهما، ويقول: كلّما نظّفتَ الظاهر تَنَظّفَ الباطن.

---

(١) لكنه حين سئل عن المزهر (الدف) في المديح أجازه بلا شناشيل.

(٢) ورد في الحديث: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل. المستدرك على الصحيحين (١/٣٩٦)، برقم: (٩٧١).

(٣) هو الشيخ أحمد حميدة الناصر.

٥ - يحب الحديقة المنظّمة، ويعتني بأزهارها، ويقطف بيده ما يبِس أو ذَبُل.

٦ - يضبط الوقت بساعته وعلى الثواني، ويؤقّت على ساعة (لندن)، ولا يتأخر عن الموعد، حتى إنّه قال للمؤذن مرّة: لا تؤذّنْ، أذّنْ! حدثنا الشيخ عبد القادر سعود خليل العاني من الفلوجة بالعراق قال: كنت مع سيّدنا رضي الله عنه في بيت أحد إخواننا الحلبيين، فأخرج رضي الله عنه إحدى ساعتيه من جيبه وقال: إنّها جيدة، ولكنها تقدّم ثانية واحدة في اليوم، وقال للشيخ منير حداد رحمه الله: خذها إلى الساعاتي لكي يضبطها.

٧ - ودُعي رضي الله عنه إلى بيت على موعد في الساعة السادسة مساءً فوصل إلّا دقيقة فلم يطرق الباب، حتى وافت السادسة تماماً.

٨ - كان واضح الخط، ويحب الخط الجميل، ونوع خطّه هو التعليق.

ميزان العالم بيته، وبيتُنا على السنّة

قال رضي الله عنه: (ميزان العالم بيته. وتلك إشارة لمن يريد التعرف إلى صدق من يتصدر للوعظ والنصح والإرشاد، نظر في بيته هل حالته موافقة للشرع؟ أم هو مدعٍ؟).

وأهمّ سمات بيته رضي الله عنه:

١ - نظافة البيت، وبساطة الفرش والأثاث.

٢ - لا ترى امرأة، ولا تسمع لها أو لطفل صوتاً.

٣ - لا يأذن للصبية الذكور فوق السابعة، بمرافقة أمهاتهم، أو أخواتهم إلى بيته.

٤ - غرفته الخاصة تحوي سريراً وحصيراً في الصيف، وسجّادة ومدفأة في الشتاء، إضافة إلى مكتبة وساعة وهاتف، وأربع لوحات بأسماء الخلفاء الراشدين، وخامسة للصلاة العظيمية وكرسي للحلاقة وآخر للوعظ مع صور للكعبة الشريفة والحرم النبوي الشريف ولوحة لكامل القرآن الكريم مع آيتين إحداهما: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١]، أما الثانية فهي: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

٥ - وفي غرفته يوصد الباب والشباك، حتى لا يُرى أو يَرى النساء اللواتي يدخلن بيته.

٦ - يوقظ أفراد أسرته يومياً للتهجّد، ولا يأذن لهم بالنوم حتى تبزغ الشمس.

٧ - لباس أهله كبقيّة تابعاته جلباب أسود فضفاض، سميك لا يشفّ ولا يصف، وخمار يستر الوجه كاملاً، يمكن أن ترى المرأةُ من ورائه، ولا تُرى بشرةُ وجهها، وقفّاز إلى الرسغين، وجورب، وكان ﷺ يهتم بهذا ويشدد عليه، ويغار على المنتميات إليه ألّا يراهن أحد.

مواساته رضي الله عنه

إذا تبع جنازة يجلس من جهة رأس الميّت بعد تلقينه، ويُسدِل من فوق رأسه إلى وجهه الشريف الغطاء الذي يضعه على عمامته، ويخبر عن المتوَفّى، فإذا اجتمع ذوو المصيبة للتعزية كان أولهم، فيبدأ الناس بتعزيته، فإذا رجع إلى المسجد أقام ختماً للقرآن الكريم على روحه، وربّما جعله بثلاثة أيام، ثمّ يعود ذوي المصيبة مرّة أو أكثر، كما ألزم نفسه بقراءة الفاتحة يومياً في أوقات على أرواح من توفي من أتباعه خاصة والمسلمين عامة(١).

صورته رضي الله عنه

١ - لا يرضى أن تُحمَل صورته أو تُعلَّق، يغار على الله ورسوله حتى من نفسه.

٢ - سألته رضي الله عنه عن حَمْل صورته، فقال: الّذي يحملها يتأذّى.

٣ - ورأيته يتحدّث فقال: لماذا يحملها؟ وهل أنا صنم؟!.

٤ - وقرأت مكتوباً بخطّ يده على ظرف فيه مجموعة من صوره ما نصُّه: هذه صور الشيخ محمّد النّبهان، كل من وُجِد عنده واحدة يعرّض نفسه للخطر.

---

(١) أخرج الطبراني من طريق الصلت بن دينار عن أبي عثمان النهدي عن امرأة منهم يقال لها أم عفيف قال: بايعنا رسول الله ﷺ حين بايع النساء فأخذ علينا ألا تحدّثن الرجل إلا محرماً، وأمرنا أن نقرأ على جنائزنا بفاتحة الكتاب، المعجم الكبير (٢٥/١٦٨) برقم: (٤١٠).

٥ - وسمعت في درس مسجّل له: لا أرضى ببقاء صورتي عند أحد ولو رجع أبي من القبر، كل من عنده لا بدّ أن يأكلها على بند رقبته (بمعنى يُعاقَب).

٦ - وذُكِر له بمدينة هيت في العراق: أنّ رجلاً في بغداد يعلّق صورته على الحائط، فقال رضي الله عنه: (هذا خائن!).

٧ - حدثنا الشيخ عثمان عمر محمّد الويسي قال: سمعت من سيّدنا رضي الله عنه في يوم إثنين من بعد العصر عندما كان يخصّ الطلاب بدرس فسُئِل عن الاحتفاظ بصورته فقال: أنا لا أرضى أن يحتفظ أحدٌ لي بصورة، وأرجو أن يغفر الله له.

وبعد أن انتشرت الصورة المباركة في البيوت والمحلاّت العامة وغيرها.. وربما أصبحت تجارة للمصوّرين هنا أو هناك؛ لم يعد بالإمكان السيطرة على منعها! وإن من ينظر فيها يجد من الحال والمعالم ما لا تسعه الكلمات، فاستشرت ولده الأكبر السيّد أحمد أبا فاروق رحمه الله تعالى فقال: ألم يكن والدي يحتفظ بصورة مرسومة للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رضي الله عنه، وصورة أخرى للشيخ محمّد غلام الداغستاني وكان رضي الله عنه يقول عن الأخير: (هذا أشرف على تربيتي وأنا في بطن أمّي!) وإن والدي يظهر هاتين الصورتين من حين لآخر، فلا مانع من وضع صورته في الكتاب، فتشجعت على وضعها ابتداءً لكنني تراجعت وقوفاً مع النصوص الواردة عن سيّدنا رضي الله عنه بمنعها، والله ولي التوفيق.

القسم الثالث

إضاءات الولاية

الفصل الأول: أسفاره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

الفصل الثاني : مع الوافدين إليه من العراق.

الفصل الثالث: حوار مع كل الناس.

الفصل الأول

أسفاره ﷺ

أولاً: إلى الحجاز: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م

بدأت رحلة الحج من حلب إلى العقبة بالسيّارة، ومنها بالباخرة إلى جدّة، واصطحب معه من أتباعه مائتين وأربعين رجلاً، ومائة وستين امرأة.

- في الباخرة:

جاءه أحد أصحابه رضي الله عنه في السفر فقال له: سيّدي، اثنان من العلماء من أهل الفهم من أهل اللطافة يطلبان الاجتماع بجنابكم..

فدخل رضي الله عنه عليهما وجلس فقال أحدهما: شيخي، نحن أنفسنا غالية، لا نسلّمها لله تعالى إلّا بالجنّة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: ١١١].

فقال رضي الله عنه: (الحق معك لأنّك مالِك، أما أنا ونفسي فملْك لله) فسكتا!!.

- في ميناء جدّة:

كانت حشود العلماء والأمراء والوجهاء باستقباله، بينما أطلقت أبواق الميناء نداءً: (الشيخ محمّد النّبهان وصحبه في ضيافة الملك)، كان ذلك على عهد الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى.

- في مكّة المكّرمة:

حدّثنا الشيخ ياسين بن عبد الرحمٰن ويسي من قرية أبي ظهور في ريف حلب قال: رافقت سيّدنا رضي الله عنه في حجته الثانية سنة ١٣٨٥هـ وفي مكة المكرمة وفد عليه أميرها يحمل رسالة من الملك فيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية مؤلفة من سطرين ونصف السطر وموقع عليها من قبله يقول له فيها بعد ترحيبه بقدومه: (أنتم ومن معكم في ضيافتنا وإنني بانتظار الإجابة) فاعتذر رضي الله عنه شاكراً، وقال له: أنا ضيف على رب هذا البيت، وإنّنا في ضيافة ملك الملوك. ثم مضت أيام فسمعت سيّدنا رضي الله عنه يتحدث بما نقله له الشيخ الدكتور معروف الدواليبي المقرّب لدى الملك آنذاك ومستشاره فيما بعد، قال: لمَّا وصل جوابنا إلى الملك قال الملك فيصل رحمه الله للشيخ معروف الدواليبي: (يا بيك! والله هؤلاء هم الملوك وليس نحن، وهؤلاء لا ينازعهم على ملكهم أحد) وفي رواية أخرى عن أحد شيوخ عشيرة نواف الصالح في قرى حلب كان حاضراً المجلس فسمع الملك يقول: (والله يا وليدي هو الملك، ويا ليتني تشرفت بخدمته).

واستأجر رضي الله عنه بناية من أربعة طوابق، جعل النساء في الطابق الأعلى، وعيّن صبياً في الثانية عشرة من عمره حلقةَ وصل بين الرجال والنساء وهو الشيخ محمّد الرشواني(١).

حدّثنا الشيخ عمر الملاّحفجي واعظ سجن حلب وأحد مرافقيه في

---

(١) أحد تلاميذ مدرسة دار نهضة العلوم الشرعية، وبعد تخرجه فيها شغل إدارتها لسنوات، وله مع سيّدنا رضي الله عنه صحبة طيبة.

السفر قال: لم يبقَ عالم من علماء مكّة وشيوخها إلّا زاره في العمارة التي نزلها، منهم شيخ شيوخ مكة محمّد العربي التباني، والشيخ أمين الكتبي، والشيخ حسن المشّاط، والشيخ محمّد نور سيف، والشيخ علوي بن عباس المالكي، وردّ لهم الزيارة في منازلهم.

- أثناء الطواف.. وبعده:

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وجدت قلب النبيّ ﷺ معلَّقاً بالكعبة، كما وجدت قلوب الأنبياء والمرسلين معلَّقة بالبيت الحرام.. سرّ الكعبة المشرّفة هو الحجر الأسود، كما أنَّ أسرار القرآن الكريم في الفاتحة!). ورأى أثناء طوافه رجلاً أسود يشير إليه ويصيح: (ليلى، ليلى)!!.

وظلّلته الغمامة ذهاباً إلى الرجم وإياباً منه، وذكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذه المسألة في درس مسجّل، وهي من موافقات الوراثة المحمّدية.

وفي حرم مكة في المحل المخصص للملوك والأمراء جلس الوزراء والأمراء والحاضرون معه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فاستلم المجلس شيخٌ[1] فقال: قال رسول الله ﷺ.. فقال له رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اخرسْ! الّذي يقول: قال رسول الله ﷺ يقول بحاله وقاله ولا يصافح النساء! ثمّ ابتدأ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مذاكرة وأطال الحديث مع الحضور، فصاروا يتحدثون فيما بينهم: هل في الدنيا مثل هذا الرجل؟!.

وحين رجع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى البناية التي يقيم فيها كان مُحْمَرَّ الوجه! وقال: أولادي، هذه المرتبة الحق عَزَّ وَجَلَّ وضعها عندي أمانة، لا بدّ أن أحميها وأحفظها.

(١) وهو مفتي حلب آنذاك.

- مع الشيخ علوي بن عباس المالكي:

حدّثنا الشيخ عبد الله حديد الفرضي في جامع الفلوجة الكبير بالعراق، قال: حضرت بمكة المكرمة مجلساً لسيّدنا النّبهان رضي الله عنه، وبينما نحن جلوس صعد إلينا شيخ مهيب الطلعة وهو ينشد:

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع

فظننته سيّدنا الخضر عليه السلام! وحين دخل وسلّم قال: يا شيخ، أرسلت لك سلاماً مع الريح! قال رضي الله عنه: (وصلني)! فتحدّثا ساعةً، ثمّ نهض وقال: هنيئاً لكم بصحبة هذا الشيخ، أرجو المعذرة يا شيخ، لقد أسأت الأدب معكم. ثمّ ودّعه وخرج!

فسألت عن الرجل، فقالوا: إنه الشيخ علوي بن عباس المالكي، مفتي المالكية بمكة المكرمة.

- مع الشيخ سليمان الواعظ بمكة المكرمة:

عراقي كفيف البصر، مشهور بالولاية مجاور في المدينة المنورة رأيته في الحرم النبوي الشريف سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م يعلّم ولديه الإملاء، يحرّك إصبعه على الكلمات فإذا وافق خطأً توقّف! وقال: ضع الهمزة على الواو أو منفردة أو..

وللرجل كرامات كثيرة، منها رابطته القلبية بسيّدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه يتوجه بها على جلسائه من الأولياء والعلماء فيحيط بهم ويقفل على أفواههم بتلك الرابطة الشريفة، فلا يتحدث أحد في المجلس سواه. وحينما جلس مع السيّد النّبهان رضي الله عنه بمكة المكرمة حاول معه فلم

يفلح! بل سكت ولم يقل شيئاً، وبقي سيّدنا رضي الله عنه يتحدّث، فما كان من الشيخ الواعظ إلّا أن رمى بنفسه على قدمي سيّدنا يقبّلهما!.

ثمّ لحق به رضي الله عنه إلى حلب وذكر له قصته هذه، فقال رضي الله عنه: (لا يستطيع أحد أن يحيط بي؛ لأنني ليس لي وجود)!! وفي رواية أخرى: جاءنا بعبد القادر فجئناه بالقادر.

كاتبنا الشيخ علي أحمد مشاعل قائلاً: اجتمعت بالشيخ سليمان الواعظ رحمه الله تعالى في الحرم النبوي الشريف مرّات كثيرة، وذكرت له هذه القصة كاملة، وما جرى بينه وبين سيّدنا النّبهان صلى الله عليه وسلم وهو مطرق رأسه يسمع ويتأثر، فقال لي: أعدها علي مرّة ثانية، ثمّ قال: نعم نعم، هذا ما جرى بيني وبين الشيخ رضي الله عنه.

- في المدينة المنوّرة:

استأجر رضي الله عنه عمارتين متقابلتين إحداهما لمن صحبه في حجّته رضي الله عنه من ريف حلب، والأخرى جعلها له ولمن صحبه من داخل مدينة حلب، وعددهم بعدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر حاجّاً، ثمّ تكامل العدد فيما بعد حتى أصبحوا أربعمائة؛ مائتان وستون منهم رجالاً، ومائة وأربعون نساءً، ثمّ عزم رضي الله عنه ألّا يطأ أرضها بمداسه، حدّثنا الشيخ عمر الملاحفجي قال: رجوت سيّدنا أن لا يخلع حذاءه فأجابني رضي الله عنه: نحن لسنا أفضل من الإمام مالك رضي الله عنه (١) فقلت: سيدي إن شوارع المدينة ليست على ما كانت عليه أيام الإمام مالك، وأنها مزفلتة و.. و.. فعدل عن رأيه!

(١) المعروف عن الإمام مالك رضي الله عنه أنه كان لا يمشي في المدينة المنوّرة إلّا حافياً راجلاً، أدباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- ماذا في حضرة المواجهة؟

ذهب رضي الله عنه فاغتسل واستبدل ثيابه وتطيّب، وقبل أن يدخل المسجد النبوي قال لأصحابه: (أولادي، هنا رسول الله ﷺ، هنا أدب، لا مشيخات ولا تقبيل يد!). ودخل رضي الله عنه المسجد النبوي الشريف من باب السلام، فنهض كل من في الحرم.

وتقدّم إلى حضرة المواجهة الشريفة مستقبلاً وجه رسول الله ﷺ، دون أن يمسّ الشبك فجاءه أحد الحرس فقبّل يده وقال: أستاذ تقدّم! خلافاً لما هو مألوف هناك من الشرطة، فقال رضي الله عنه: (عندما تأدّبت مع الرسول ﷺ تأدّب معي الشرطي وقال: أستاذ تقدّم).

حدّثنا الشيخ عمر الملاحفجي قال: نظرت فإذا بأخينا الحاج عبد اللطيف أبودان قد سقط مغشياً عليه وهو يرتعش! فأخذت بيده، فلما أفاق قلت: أسألك بالله وبمحمّد رسول الله إلّا حدّثتني بما شاهدت من الأنوار! فقال: والله يا شيخ عمر رأيت رسول الله ﷺ خرج من غرفته الشريفة فعانق سيّدنا النّبهان، ولا أدري ما بعدها!

وعن حالة المواجهة هذه سأله الشيخ عبد العزيز السالم السامرائي من العراق: سيدي لمّا وقف سيّدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه في حضرة المواجهة سلّم على رسول الله ﷺ وأنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبّل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فامتدّت له يد المصطفى عليه الصلاة والسلام، فقبّلها وبايعه بيعة كلية، فكيف كان الأمر معكم؟ قال رضي الله عنه: (كان أعلى وأجلّ).

وعلّق على البيتين فقال رضي الله عنه: (وأنا أقول دولة الأرواح لا دولة الأشباح). وفي اليوم التالي كانت زيارة النساء لحضرة الرسول الأعظم ﷺ ليلاً، فأخلي الحرم الشريف لهن، فلمح رضي الله عنه عقيداً من الشرطة في إحدى جهات الحرم فصرخ به: من؟ قال: سيدي، هذا مفتاح الحجرة النبوية إذا أحببتم دخولها. فقال رضي الله عنه: (ليس بيننا وبين رسول الله ﷺ حجاب).

- ضيافة محمّدية:

حدّثنا الشيخ زياد زايد الموجّه في دار نهضة العلوم الشرعية في حلب قال: حدّثنا الأستاذ حسان فرفوطي أحد أصحاب سيّدنا ومرافقيه إلى الحج، أنه سمع سيّدنا محمّد النّبهان يقول: (خرج إلينا في المدينة المنورة سيّدنا رسول الله ﷺ ومعه سيّدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان سيّدنا الصديق يحمل طبقاً فيه تمر فأطعمنا منه بيده الشريفة وإِنّي إلى الآن لأجد طعم تلك التمرات تحت ضرسي).

وأمضى رضي الله عنه في المدينة المنورة شهراً قبل الحج وبعده، ولم يبق فيها شيخ إلّا زاره في المبنى الّذي يقيم فيه، منهم الشيخ إبراهيم الختني، والشيخ عبد الغفور العباسي، والشيخ عناية الله البخاري، والشيخ المحدّث الكبير محمّد بدر عالم صاحب شرح البخاري، والشيخ زكريا البخاري، وردّ لهم الزيارة في منازلهم.

- زيارة للبقيع:

زار رضي الله عنه أهل البقيع، ووقف عند مرقد سيدتنا فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها وتحدّث بعد ذلك فقال: كنت أظنّ أنّي أحب السيّدة فاطمة الزهراء كثيراً، فرأيت أنها تحبني أكثر، وما كانت تناديني إلا: يا ولدي، أهلاً بك يا ولدي(١).

- مع الشيخ أبي الحسن الندوي:

قال رضي الله عنه: (جاءني أبو الحسن الندوي في المدينة المنورة ودعاني لبيته).

حدّثنا الشيخ عمر الملاحفجي قائلاً: فلمّا وصل سيّدنا رضي الله عنه ضحوةً جلس وصحبه حول بركة ماء، فنظر فيها فرأى رمالاً وأوراق شجر، فنهض مشمّراً عن ذراعيه ينظّف حوضها، قال الشيخ الندوي: لا. يا سيدي نحن ننظّفها، قال رضي الله عنه: (يا أبا الحسن، الصوفي ظاهره النظافة وباطنه اللطافة). قال الندوي: إني رددت على من قال: الصوفية والبطالة توأمان، قال رضي الله عنه: (الصوفية والبطالة لا تتلاءمان). فقال الندوي: كنت أظن أن الصوفي هو البطال، فأفهمتني أنت الآن أن الصوفي هو صاحب النشاط حقاً، قال رضي الله عنه: (ذلك هو المتصوف، أما الصوفي فلا).

---

(١) حدّثنا بهذه الرواية الشيخ الدكتور أحمد علي مشاعل، قال: حج والدي مع سيّدنا رضي الله عنه سنة ١٩٦٥م فرافقه في هذه الزيارة وسمع عنه ما تحدث به.

- مع الشهيد رشيد كرامي رئيس وزراء لبنان:

زار الأستاذ الشهيد رشيد كرامي سيّدنا رضي الله عنه يوم النحر في محل إقامته، وجلس عنده جلسة التلميذ بين يدي شيخه! فقُدِّم الشاي، فشرب سيّدنا رضي الله عنه فصار يأخذ من يده ويسقي من معه! وطلب كرامي منه دعاءً فقال: سيدي، نحن في الأراضي المقدّسة، واليوم فضيل عند الله، وأنت فمك طاهر فأرجو أن تدعو لنا! فقال رضي الله عنه: (بأي شيء أدعو لكم)؟ قال: أن ينصرنا الله على إسرائيل. فقال رضي الله عنه: (لا سمح الله)! قال كرامي: لماذا؟ قال رضي الله عنه: (ما جرت عادة الله أن ينصر ديّوثين، رئيسنا ديّوث؛ زوجته تمشي إلى جنبه (مزلّطة)[1] فنهض رشيد كرامي رحمه الله وهو يبكي. وبعد رجوعه رضي الله عنه إلى حلب أرسل رشيد كرامي وفداً من بيروت يبلّغه إعجابه وامتنانه! ويقول في رسالته: أنا ما زلتُ أترقى من كلامكم في الحج.

- عودة إلى حلب:

وبعد أن أمضى رضي الله عنه خمسة وخمسين يوماً في الديار المقدّسة رجع إلى بلاد الشام.

وأثناء العودة في الباخرة بلغه رضي الله عنه أن إحدى البنات الأبكار أصيبت بحصر بول، والطبيب المختص يرى أنها بحاجة إلى جراحة لكنها تزيل البكارة، قال رضي الله عنه: (أنا عقلي طار! قلت: يا طبيب، خذ ما تريد: عشرة آلاف.. مائة ألف.. كم تريد قل، وهذه المسألة لا تصير، قال: لا

(١) باللهجة الحلبية الدارجة أي شبه عارية.

يمكن! أعماني أعماني! كل شيء سهل بالنسبة لهذه، فخرجتُ.. وإذا بواحد يلحق بي قال لي: انفرج الأمر وانصرف الأذى.. قلت: الحمد لله، فعملتُ مذاكرة وأنا مسرور، مسرور من الله تعالى)..!.

وفي حلب أعدّ الناس موكباً لاستقباله، وخرج العلماء والوجهاء وكثير من أهل حلب على مسافة عشرين ميلاً تجاه دمشق، حتى شحّت وقتئذٍ سيّارات الأجرة في المدينة.

إنه موكب عظيم تتقدّمه الرايات وتُضرَبُ فيه الدفوف فرحاً بقدومه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حدّثنا الشيخ عمر الملاحفجي قال: لمَّا قدمنا من الحجاز ووصلنا مشارف حلب، تخفّينا عن الموكب، فصلّيت معه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المغرب والعشاء جمعاً، وأبت عبديّته أن يتصدّر ذلك الموكب الّذي لا تحظى الملوك بمثله، وعظم عليه استقبال الجمع الكثير له، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أنا عبدٌ لله لا أحب هذه الطنطنات، هذه لكم وليست لي). فوقع بصره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد الصلاة مباشرةً على سيَّارة أجرة قديمة ومتعبة، فركبت معه، وقال لصاحبها: خذنا إلى الكلتاوية. حتى إذا وصلنا لم نجد في المسجد أحداً إذ كل من فيه مع المستقبلين!. فهذه عبديته في أحواله جميعها، يغار على ربِّه وبارئه، وعلى حبيبه المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى من نفسه!. ولحق بنا جمع المستقبلين إلى الكلتاوية وأُقيم حفل وحلقة ذكر وألقيت الخطب والأشعار ترحيباً بقدومه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ثانياً: إلى تركيا

تحدَّث رضي الله عنه عن الأقطار التي زارها فقال: (الأدب في تركيا، العقيدة في العراق ومصر، الإسلام في سوريّة، سوريّة في حلب، حلب في الكلتاوية)[١].

حدّثنا الشيخ عمر الملاحفجي، والحاج عمر ططري التركي رفيقاه رضي الله عنه في السفر قال: كنّا نقول له: سيّدي، انظر هذا الجمال الطبيعي والعيون والجبال والأشجار، فلا يلتفت ويقول: حبيبي محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]. وتلك إشارة منه رضي الله عنه لأصحابه لئلّا ينشغلوا بالصنعة عن الصانع وبالصور عن المصوِّر، أما هو فلا يشهد غير مولاه عز وجل.

- في قصر الخلافة (يلدز):

رحّب به محافظ إستانبول ولدى دخوله القصر طلب منه أن يجلس على كرسيّ الخلافة وقال المحافظ: أحقّ الناس بالجلوس على هذا الكرسيّ هو أنت. وأُخرِجتْ له جبّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض آثاره.. ورافقه في جولته هذه شيخ الإسلام في أنقرة الشيخ إبراهيم بك.. حدّثنا الحاج عمر ططري التركي بحلب قال: لدى زيارته رضي الله عنه لأحد المساجد ليلاً أسرع الخادم إلى المصابيح فأطفأها وقال: من عنده هذا النور لا يحتاج إلى الكهرباء!.

تلك بعض أخباره هناك، وفي كل مدينة ينزل يقيم الدروس والأذكار، وبعد أن أمضى شهرين في تركيا رجع إلى حلب.

---

(١) عنى بذلك التطبيق الأتم والأكمل للإسلام والله أعلم.

- أما زيارته الثانية رضي الله عنه:

فمعاينة لطبيب في مدينة (أضنة) قال له الطبيب بعد أن فحص أسنانه: أنت تمضغ كثيراً، أنت لا تمرض، ولا يوجد فيك مرض لأن جسمك نظيف وقلبك نظيف! وأي طبيب يقول لك: أنت مريض، فليس بطبيب.. ووافق زيارته رضي الله عنه هطول أمطار غزيرة على تركيا بعد انقطاع طويل.

ودعاه الحاج أحمد الناصر أخو الحاج ناصر عبد الحميد الناصر الحلبي إلى بيته هناك، فرضي رضي الله عنه، فجاء الحاج أحمد في اليوم التالي وقد أعدّ ضيافة محمّلة بسيارة تكفي لشهر، ففوجئ باعتذار سيّدنا! فقال: سيدي، أنت وعدتني، قال رضي الله عنه: (نعم، ولكنني أعتذر، فألح الرجل، فقال سيّدنا للحاج محمود الناشد: اسحب بنا إلى حلب)، فقال الناشد: سيدي، أمس جئنا؟ قال رضي الله عنه: (هناك من أهل الصدق من ينتظرنا).

فلم يبقَ رضي الله عنه إلا ليلة واحدة[١]. بعد أن كان ينوي البقاء فيها شهرين! ولـمّا وصل رضي الله عنه إلى الكلتاوية وجد الشيخ يوسف سيدي رئيس جماعة مدارس تحفيظ القرآن الكريم للعالم الإسلامي قد قدم من الهند لزيارته.. فإذا بالشيخ الهندي يُفاجأ! ويقول: كيف جئت يا سيدي؟ فأجابه رضي الله عنه: صدقُك جاء بنا![٢].

---

(١) وفي رواية الشيخ رجب الهيب: أنني كنت ليلة سفره إلى تركيا رضي الله عنه مناوباً في خدمة سيدنا فحملت الحقائب إلى السيارة وودعته وبعد قليل جاء الشيخ الهندي، ومعه مريده فقال: أين سيدي النبهان؟ فقلت له: سافر إلى تركيا فقلت: ومن أين تعرفه؟ قال: (رباني بالروح) فظهر الحزن على وجهه.

(٢) حدّثنا بهذه الرواية: مرافقه في هذه السفرة الشيخ عمر الملاحفجي.

وكان الشيخ الهندي حين حضر ولم يجد سيّدنا قيل له: لا ندري متى يعود رضي الله عنه، ولا نظنّه يأتي قريباً، فوقف ورفع بصره إلى السماء وقال: يا رب، أنا جئت أريد أن أرى الشيخ النّبهان، ولا أستطيع البقاء أكثر من يومين، فإذا بسيّدنا رضي الله عنه يرجع فجأة في اليوم التالي.

ثالثاً: إلى العـراق

تمهيد

العراقيون بعمومهم يحبّون الأولياء وآل بيت رسول الله ﷺ ويعتقدون بهم وبطرقهم، وما إن شاع نبأ ظهور السيّد النّبهان رضي الله عنه حتى توافدوا على حلب الشهباء أفواجاً أفواجاً، لعلّهم يحظون برؤيته أو يكون لهم نصيب في طريقته، وقدم إليه عِليةُ القوم وسادتهم؛ كالشيخ قاسم القيسي، والشيخ أمجد الزهاوي، والشيخ محمّد محمود الصواف، والشيخ محمّد عبد الله الفيّاض الكبيسي، والشيخ عبد العزيز البدري، والشيخ عبد العزيز السالم السامرائي، وأمير العبيديين الشيخ ناظم العاصي، وأمير قبيلة زوبع الشيخ سليمان الضاري، والشيخ عبد الستار الملا طه الكبيسي، والشيخ محمود مهاوش الكبيسي، وبإمكانك من خلال هؤلاء الأفاضل وغيرهم الذين دوّنت أسماؤهم في هامش نهاية الفصل أن تتعرف إلى الرعيل الأول من أصحابه رضي الله عنه في العراق، وإذا علمت أن لكل ممن ذكرنا مكانة سامية وتلاميذ وأصدقاء، وأن سبعة مدارس شرعية وقتئذٍ في الفلوجة والرمادي والخالدية وهيت والكرابلة وكبيسة والرطبة يتسابق منتسبوها في الورود على

حلب أمكنك أن تتصور كثرة الوافدين ونوعيتهم، وفي حلب الشهباء يتشرفون بتلك الشخصية الفذّة ويقتبسون الأنوار والأذكار والتوجيهات، ويتلقون من اللطافة والعلوم والفهوم والتوجيهات وكرم الضيافة ما يدهشهم، فيعودون وكأنّهم ولدوا ولادة ثانية أو بإسلام جديد، وبعد رجوعهم يزورهم أصدقاؤهم وأقرباؤهم ومحبو السيّد النّبهان رضي الله عنه كما لو جاء أحدهم من الحج أو كانت أيام عيد.

وكان للسفرتين الكريمتين اللتين قام بهما رضي الله عنه إلى العراق الأثر الأكبر في تعرف الكثير إليه والالتزام بطريقته التي لم تكن حزباً أو حركة سياسية، والتي أصبحت من أقوى الروابط التي تربط العراقي بالسوري وعلى الأخص بأهل حلب. ولا تزال هذه الرابطة تتفجر وتزداد بمزيد المتوجهين والمحبين الصادقين، وإن شخصية السيّد النّبهان رضي الله عنه محببة إلى المحبين لأهل الله وأهل الفطرة السليمة كلّهم في العراق، وإنّك لتجد آثاره رضي الله عنه في الجوامع والمدارس الدينية والمؤسسات الخيرية وفي البيوت في الرجال والنساء على سواء، والحمد لله رب العالمين.

ولا بد أن نقول إنه ليس كل من وفد عليه للسير والسلوك، فمنهم من جاءه للتعرف أو التبرك، لكنهم يلتقون على شدة إعجابهم بالشيخ رضي الله عنه ومحبتهم له.

- زيارته الأولى:

في يوم السبت ١١/ شوال/ ١٣٨١هـ - الموافق ١٧/ آذار - مارس/ ١٩٦٢م قدم رضي الله عنه إلى العراق برّاً عن طريق: (سورية - الأردن - العراق)

واستقبلته وفود من بغداد والفلوجة والرمادي في مدينة الرطبة القريبة من حدود العراق مع المملكة الأردنية الهاشمية[١].

وقال رضي الله عنه: (إن سيّدنا عبد القادر الجيلاني قد استأذن من سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أكون في ضيافته، فرضي عليه الصلاة والسلام)![٢].

واحتفل به العراقيون في بغداد والموصل[٣] وسامراء والرمادي والفلوجة والنجف وكربلاء وكركوك والحويجة وهيت وكبيسة.

واحتضن مجالسه الناس من كل طبقاتهم خصوصاً العلماء والوجهاء وأمراء القبائل.. أمثال: الشيخ أمجد الزهاوي، والشيخ عبد القادر الخطيب، والشيخ فؤاد الآلوسي، والشيخ حامد الملاّ حويش، والشيخ سليمان الضاري، والشيخ ناظم العاصي، والشيخ محمود مهاوش الكبيسي، والشيخ عبد العزيز السالم السامرائي، والشيخ محمّد الفيّاض، والشيخ نوري الملاّ حويش، والشيخ نجم الدين الواعظ وغيرهم كثير.

وابتدأ زياراته رضي الله عنه بآل البيت الأطهار أعني بهم سيّدنا الحسين والعباس عليهما السلام في كربلاء، وسيّدنا علياً في النجف الأشرف، وسيّدنا علياً الهاديَ والحسن العسكري في سامراء، وسيّدنا موسى الكاظم في بغداد سلام الله عليهم جميعاً. ثمّ تنقل من مكان لآخر لزيارة الأولياء المشهورين رضي الله عنهم أجمعين، حدّثنا الحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس

(١) وبين بغداد والرطبة: أربعمائة كيلومتر.
(٢) حدّثنا بها الشيخ محمود مهاوش الكبيسي رحمه الله تعالى.
(٣) وكان قائد السيارة الحاج ياسين عبد الجبار محمّد الجبوري السامرائي صهر الشيخ الشهيد عبد العزيز عبد اللطيف البدري.

الكبيسي رحمه الله قال: عندما وصل سيّدنا رضي الله عنه إلى الفلوجة، نزل في دار المرحوم الحاج محمّد عبد الله الفيّاض، فرافقته إلى بغداد لدار المرحوم الشيخ محمود مهاوش الكبيسي، وفي تلك الليلة ذهبنا بمعيته رضي الله عنه لزيارة الشيخ أمجد الزهاوي رحمه الله تعالى، ثمّ عدنا إلى دار الشيخ محمود مهاوش، صباحاً وعلى مائدة الإفطار كدت أفقد عقلي حين قال رضي الله عنه: (يا ليت لكم عيوناً لتروا الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه معنا على المائدة). ثمّ أضاف رضي الله عنه: (ما كنت أتوقع أن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه بهذه المنزلة عند الله! لقد استقبلني الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه من الحدود العراقية)..

وقد دعوته رضي الله عنه إلى بيتي - والحديث لا يزال للكبيسي عبد العزيز الغرس رحمه الله - فسألت الشيخ محمود مهاوش: كم رجلاً سيأتي معه؟ فأجاب: بحدود الثلاثين، وكان رضي الله عنه في زيارة إلى النجف الأشرف وكربلاء، فلمّا رجع حضر معه مائة وأربعون رجلاً من غير أقاربي ومعارفي! فساورني خوف لأنني ذبحت أربعة خرفان فقط، ولشدة ما حصل عندي من اضطراب، خرجت إلى الشارع أندب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا سيدي يا رسول الله، هذا ضيفك فلا تخجلني معه!! فصدّقني يا أخي يا هشام إن أكثر من نصف الطعام بقي من بركته! ونقلته بسيارة لفقراء الحضرة القادرية، ونام تلك الليلة المباركة بفراشي، فقلت لجنابه: سيدي إن زوجتي بحاجة إلى عملية جراحية، فصلّى ركعتين واستخار لها، وأعاد الاستخارة ثلاثاً وقال: العملية ناجحة إلّا أن عدّة الطبيب غير نظيفة!

فجئت الطبيب ورجوته أن يطهّر أدوات جراحته، فضحك! وكما قال

سيّدنا النّبهان رضي الله عنه فقد تقيّح الجرح بعد إجراء العملية، وحصلت لدينا مصاعب يطول شرحها!.

وحين ذهبنا بصحبة سيّدنا رضي الله عنه لزيارة سيّدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، احتشد حوله الناس وغص المسجد بهم، وكنت وقتئذٍ شاباً فانطلقتُ مع خمسة من محبيه ندفع عنه زحمة الخلق! وليتك رأيتَ مجلسه عند سيّدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وحالة البكاء والمشهد الّذي كلّمه فيه، وكأنّها مكالمةٌ لحي، وأسأل الله تعالى أن ينوّر بصيرة من يشك في كون الأولياء أحياء في قبورهم!.

وأثناء زيارته هذه شكا إليه الشيخ فؤاد الآلوسي رحمه الله تعالى رؤية الناس على حقائقهم! فارتفعت عنه ببركته.

واستمعت إلى مذاكرة مسجلة له رضي الله عنه، يتحدث فيها عن زيارته لسيّدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، فقال رضي الله عنه: (لـمّا زرنا سيّدنا عبد القادر الجيلاني: كنت أتكلّم معه قاعداً، ولم يكن معي إلّا خمسة أو ستة أشخاص، ما أحسست إلّا والصّياح فوق رأسي، مئات الناس من أين جاءوا؟ وعمل الإخوان عليّ طوقاً حتى خلّصوني وأدخلوني الحرَم)! قال الشيخ عبد العزيز: حدثني أحد مرافقيكم الحاضرين، قال: سبحان الله كأن القيامة قامت! فقال رضي الله عنه: (صحيح! مع أنهم لم يكونوا ليعرفوني بعد، ولا أعرف أحداً، فالّذي لا يقدر أن يلمسني يعطيني اسمه فقط: أنا أفغاني.. أنا هندي.. أنا باكستاني..! من أين أتت هذه؟ هذه هي ضيافة سيّدنا عبد القادر، ضيافة الأكابر الأجواد، هذه ضيافتهم).. فأجاب الشيخ عبد العزيز السالم السامرائي: أليس هو سيّدنا عبد القادر رضي الله عنه الّذي قال: أنتم في ضيافتنا؟ فأجاب رضي الله عنه: (نعم اللهمّ صحيح، وقد ذقنا الضيافة..).

حدّثنا الشيخ خليل محمّد الفيّاض من الفلوجة بالعراق قال: زار سيّدنا ﵁ في بغداد الشيخ فؤاد الآلوسي ﵀ فرحّب به كثيراً وقال: أيّها الشيخ، مجيئك هذا إلى العراق سيسجّل في التاريخ. وصدق والله، فقد حفظ التاريخ والقلوب والمساجد تلك الأيام التي لم تنقطع آثارها.

وقرأتُ في كرّاس للشيخ عبد العزيز السالم السامرائي رحمه الله تعالى بخط يده ما نصُّه: اليوم جاء إلى الفلوجة الشيخ العارف بالله محمّد بن نبهان الحلبي، وذلك في يوم السبت الموافق ١١ من شوال سنة ١٣٨١هـ و١٧ من آذار سنة ١٩٦٢م وهو رجل عارف يتكلّم بالحقائق ويقول: أجتمع بالنبيّ ﷺ يقظةً، وأكلّمه كما يكلم الجليس جليسه، وأكلّم سيّدنا زكريا في حلب كما يكلّم الجليس جليسه!. وقد جذب قلوب الخلائق صالحهم وطالحهم نفع الله به العباد بجاه سيد المرسلين ﷺ.

وقد سافر إلى الشام برّاً يوم الأحد: ٥ من ذي القعدة سنة ١٣٨١، الموافق ٩ من نيسان ١٩٦٢، وكان بقاؤه في العراق خمسة وعشرين يوماً، وقد حدَّثني صاحبه الحاج محمود بن مهاوش الكبيسي بأن الشيخ اجتمع بالشيخ عبد القادر الجيلاني ﵁ ، وأن الشيخ الجيلاني قدّس سره قد استأذن النبيّ ﷺ أن يكون الشيخ محمّد النّبهان في ضيافته، أي: ضيافة الشيخ عبد القادر الجيلاني ما دام في العراق فرضي عليه الصلاة والسلام بذلك، كما حدَّثني الحاج محمود أيضاً: بأن الشيخ محمّد بن أحمد بن نبهان الحلبي حين زار سيّدنا الإمام موسى الكاظم وسيّدنا الإمام السبط الحسين وبقية آل البيت الأطهار ﵈ أجمعين لم يجد أرواحهم مع أجسادهم، وإنها مرتفعة عنهم لكثرة البدع حول قبورهم، وإنه حين زار

الإمام علي الهادي في سامراء كلّمه ورآه وقال له: أنت ابني حقاً. وأنه رأى بجنبه سيّدنا الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

وقد تكلّم وأفاد، وانتفع بكلامه الخاص والعام، كثّر الله للمسلمين من أمثاله - والحديث لا يزال للشيخ عبد العزيز سالم السامرائي رحمه الله تعالى - ذهبت إلى حلب في السابع من شعبان سنة ١٣٨٢هـ الموافق للثالث من كانون الثاني سنة ١٩٦٣م ونزلت عند الشيخ رضي الله عنه وبقيت إلى ٢٥ من رمضان ١٣٨٢هـ وحدَّثني رضي الله عنه أنه رأى ببغداد الشيخ عبد القادر الجيلاني قدّس سرّه ذا وجهين وليس له قفاً! وأنَّه رأى في القبر الموسوم بالكفل قرب الحلَّة خنزيراً ذا أسنان مخيفة»! ا. هـ[1].

حدّثنا الشيخ عبد الله بن علي القطّان الرجل الصالح المقيم في جامع سيّدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه قال: رافقت الشيخ رضي الله عنه في زيارته لسيّدنا الحسين عليه السلام في كربلاء فأثبت وجوده وقال: لا يوجد رأس مع الجسد. الجسد هنا والرأس في مصر.

حدّثنا الحاج حمود عباس الهيتي الكربولي من وجهاء مدينة هيت[2] وأتقيائها قائلاً: استأذنت سيّدنا رضي الله عنه في زيارته الأولى للعراق بالسفر إلى هيت تهيؤاً لاستضافته رضي الله عنه في بيتي هناك، فأذن لي قائلاً: اذهب أنت إلى هيت، وسنكون عندكم صباحاً، فجهّزْ لنا الفطور. فودّعته رضي الله عنه وغادرت،

---

(١) من كرّاس بخط يد الشيخ عبد العزيز السالم السامرائي رحمه الله تعالى رقم: ٣، ص/ ٦٢.

(٢) وهي بلدة على الفرات فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة وهي مجاورة للبرية، أنفذ إليها سعد جيشاً في سنة ١٦هـ وبها مرقد سيّدنا عبد الله بن المبارك رحمه الله. ينظر: معجم البلدان (٥/ ٤٢١).

وبعد وصولي إليها بحوالي الساعة إذا بالهاتف يرن وإذا بأحد أبناء الحاج جبير الفيّاض الكبيسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يخبرني أن سيّدنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومن معه قد توجّهوا إليكم قبل نصف ساعة! فتساءلنا عن سبب عدول سيّدنا عن المبيت في مدينة الرمادي؟ فعلمنا أنه بسبب استعراض رياضيّ مختلط للبنين والبنات.. فخرجت مسرعاً لاستقبالهم وإذا بهم على أبواب مدينة هيت، ولـمّا وصل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ دارنا طلب سجّادة فصلّى ركعتين. ثمّ لبس العباءة وخرج رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مسرعاً إلى شاطئ الفرات، فوقف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنده وتكلّم بكلام لم نفهمه..! وكان في الضفة الثانية من النهر ضريح العارف بالله الشيخ علي الهيتي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أحد شيوخ سيّدنا عبد القادر الجيلاني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ثمّ عاد إلى البيت، فحضر الكثير من أهالي المدينة للسلام عليه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، وذهب للنوم بعدها.. ولما أصبح الصباح دخلت عليه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: يا حاج حمود، مدينتكم هذه طيبة وجميلة، نمت فيها نومة هادئة. وبعد الإفطار زاره خلق من أهالي هيت للسلام والتبرّك به، وفي مقدّمتهم الشيخ ضياء الدين الخطيب، والشيخ حسين عزّ الدين.. وغيرهما، فأعطاهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وِرداً هو: الله شاهدي، الله ناظري، الله معي، إحدى عشرة مرّة في اليوم والليلة..

ثمّ ذهبنا لزيارة سيّدنا عبد الله بن المبارك، ومن بعدها إلى جزيرة الخالدية، وكان لي هناك بستان فيه شجرة تين فارهة الظل على شاطئ الفرات نستخدمها وضيوفنا، فتنحى عنها إلى مكان بعيدٍ! فاستفسرت من فلاّح الأرض.. فأخبرني: أن أحد المعلمين جاء بأصدقائه وشربوا خمراً تحتها.. فعرفت السبب..!

حدّثنا الحاج يونس بن إسماعيل بن علي من عشيرة الساده السرّاحنة

الراويين المقيمين في بغداد قائلاً: صحبت الشيخ فؤاد الآلوسي رحمه الله تعالى ورجلاً مجذوباً اسمه شمسي، وببركة صحبتهما منّ الله تعالى عليّ فرأيت سيّدنا محمّداً ﷺ خمس مرّات في اليقظة! ولدى زيارة سيّدنا النّبهان ﵁ الأولى إلى العراق سنة ١٩٦٢م طرق سمعي أن سيّدنا مدعوّ في بيت الشيخ سليمان الضاري أمير قبيلة زوبع[١] رحمه الله تعالى في منطقة (خان ضاري) بين الفلوجة وبغداد، فتشرفت برؤيته هناك وضمّ المجلس جمعاً غفيراً من الناس من شتى المدن، وحين استقر بنا المقام نهض أحد أصحاب الشيخ ﵁ وقال: أيها الناس، من عنده سؤال فليتفضل.. فتقدم رجل طويل القامة يلبس البنطلون والجاكيت والتركية[٢] وشقّ صفوف الحاضرين فدنا منه وسلّم وقال: يا أستاذ! أنا مرسل إليك من جماعة، لأسألك سؤالاً واحداً. قال ﵁: (تفضل). قال: أيهما أفضل الحي أم الميّت[٣]؟!

قال ﵁: (عرفتك من أي جماعة أنت[٤] ومن أرسلك!! وأنا أسألك سؤالاً واحداً - ورفع ﵁ صوته ليُسمع الحاضرين - هل تحفظ التحيات)؟

---

(١) الشيخ سليمان الضاري: أمير قبيلة زوبع، واعظ ومرشد ديني، ديوان ضيافته للقاصي والداني، شجاع وعالم وكريم، زار سيّدنا النّبهان في حلب ثلاث مرات، وله معه صحبة طيبة، وسيّدنا شهد بأن الشيخ سليمان صادق.

(٢) هي (الصِدارة) باللهجة الدارجة العراقية وتوضع على الرأس.

(٣) ولا يخفى على القارئ الكريم، أن هذا السؤال طالما يثيره المبغضون لرسول الله ﷺ والأولياء، معتقدين بأنه ﷺ قد انقطع فضله ونوره ومدده بعد وفاته! وأن المؤمن الحيّ هو أفضل من رسول الله ﷺ ونعوذ بالله من هذا الاعتقاد!

(٤) وقد أراد ﵁ تذكير السائل بانتمائه إلى زمرة تفضل الحي على رسول الله ﷺ، وتزعم أنه كبقية البشر لا يزيدهم بشيء إلّا بالرسالة، وقد بلّغها وانتهى!

قال: نعم.. قال رضي الله عنه: (اقرأ). فقال: التحيات لله، والصلوات الطيبات، السلام عليك أيها النبيّ.. قال رضي الله عنه: (قف! أنا أسألك هل الكاف بقولك السلام عليك أيّها النبيّ للحاضر أم للغائب)؟ قال: للحاضر. فقال رضي الله عنه: (ونحن مأمورون بقراءة التحيات كل صلاة، فإما أن ترفع كاف الخطاب وتكفر، وإما أن تبقيها إلى يوم القيامة! فأنت تخاطب نبيك في الصلاة: السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته، وهو يرد عليك السلام، رسول الله حاضر معنا، رسول الله رسول الله. جددْ إسلامك وانطقْ بالشهادتين. قال: أستغفر الله، وأشهد أنّ لا إله إلّا الله، وأشهد أن محمّداً رسول الله وأُجدد إسلامي على يديك يا سيّدي). قال رضي الله عنه: (الحمد لله، وأنت احمد الله أن وفقك لهذا الشيء). ففرح رضي الله عنه وتهلل وجهه، وقال: والآن، مَنْ عنده سؤال؟ فليتفضل.

فقلت في نفسي - والحديث لا يزال للحاج يونس بن إسماعيل علي الراوي رحمه الله -: أغتنم الفرصة وأسأله عن رؤية الرسول ﷺ في اليقظة، فنهضت وقلت: يا شيخنا عندي سؤال.. قال: تفضل.. قلت: يا حبذا لو كان بيني وبينك! فنهض رضي الله عنه إلى فسحة أمام الدار، فقال: هنا يكفي؟ قلت: نعم، فقبّلت يده الشريفة وقلت: يا شيخنا، هل لأحد أن يرى رسول الله ﷺ في اليقظة؟ فأومأ برأسه أن نعم، ونظر إليّ بمعنى: انتبه.. وإذا برسول الله ﷺ أمامي يقظة والسيّد النّبهان قد اختفى!! ففقدت صوابي واحتضنته ﷺ وأنا أرتعش.. فشعرت بعدها بطرْق على ظهري، فالتفتّ فرأيت اثنين من المشايخ، ثمّ أعدت نظري إليه فإذا رسول الله ﷺ قد اختفى وسيّدنا النّبهان رضي الله عنه مكانه..!

- عودة إلى حلب:

وبعد رجوعه إلى حلب، حدّثنا الشيخ محمود مهاوش الكبيسي قال: صحبت سيّدنا رضي الله عنه لدى عودته من سفرته الأولى إلى سوريّة يوم الأحد ٥/ ذي القعدة/ ١٣٨١هـ الموافق ٩/ نيسان/ ١٩٦٢م فسلكنا طريق الرطبة إلى الأردن برّاً، وحين وصلنا إلى مدينة الرمثا الأردنية على الحدود مع سوريّة كانت الحدود مغلقة لسبب ما، فبقينا بصحبته رضي الله عنه من الصباح إلى العصر، ثمّ شكونا له رضي الله عنه وقلنا: سيدي أنت عبديّ راضٍ بقضاء الله عز وجل ، ونحن ضعفاء! فإمّا أن تدعو لنا بفتح الحدود، وإما أن نتوسّل إلى الله تعالى بالمجاذيب! فأجابنا رضي الله عنه : أنا لا أدعو.. (ممتحناً لهم بذلك)، فصرنا نتوسّل إلى الله تعالى بالشيخ أحمد الحارون في دمشق، ولم تمض أكثر من ساعة حتى وردت برقية من دمشق: (يُسمَح للشيخ محمّد النّبهان ومن معه باجتياز الحدود!). وحين وصلنا إلى دمشق قال رضي الله عنه : (لنذهب الآن إلى الشيخ أحمد الحارون)، فرحّب بنا الشيخ الحارون أجمل ترحيب، وهو يقول: أعينوا الشيخ أعينوه، أعينوا الشيخ أعينوه. ثمّ التفت إلى سيّدنا رضي الله عنه قائلاً: يا شيخ يا شيخ محمّد، الله يصرف عنك الحمير، الله يصرف عنك الحمير)!!.

- زيارته رضي الله عنه الثانية إلى العراق:

في يوم الأحد ٨/ شوال/ ١٣٨٨هـ الموافق ٢٨/ كانون الأول/ ١٩٦٨م سافر رضي الله عنه من دمشق إلى بغداد بالطائرة، وفي الوقت الّذي كانت الطائرة تجوب سماء العاصمة العراقية غصّ المطار بجموع المستقبلين من أنحاء

البلاد، ولا سيّما العلماء وطلبتهم الّذين أضفوا على المطار بهاءً من العمائم البيض، وكان يوماً مشهوداً، أنشد فيه الناس: طلع البدر علينا، وحملوا سيّدنا النّبهان ﵁ من الزحمة إلى قاعة المطار، بينما أعدّ العراقيون موكباً وإذاعة ليسيروا به في شوارع بغداد قبل أن يصل ﵁ المكان المهيَّأ لضيافته.

لكنّ الرجل الّذي تأبى عبديته (الطنطنات) رفض أن يشيّع بموكب، فركب سيّارة للعميد المهندس تحسين عبد القادر أحمد الفخري رحمه الله تعالى فنحا بها جهةً تخفّى بها عن مستقبليه إلى أحد المساجد، وتفرّق الموكب، بينما كانت سيّارة إذاعة يقودها الشيخ غازي السامرائي (أحد أكابر علماء بغداد) وكنت معه في السيّارة، والمنادي يعلن بأبواقها في شوارع المدينة: (هنيئاً لكم يا أهل بغداد لقد قدم اليوم إلى العراق العارف بالله الشيخ محمّد بن أحمد النّبهان) وبعد أن تفرّق الجمع، رجع إلى البيت الّذي دُعِيَ إليه في منطقة بغداد الجديدة عند الحاج أحمد مهاوش الكبيسي أخو الشيخ محمود مهاوش رحمهما الله تعالى.

وبقي في العاصمة العراقية سبعة أيام، وأقيمت بمقدمه احتفالات في كلية الشريعة وجمعية التربية الإسلامية وغيرهما، وألقيت الخطب والأشعار التي ترحب به ﵁ وتعرّف الناس بمكانته، وكان أعظم تلك الأيام زيارة لسيّدنا عبد القادر الجيلاني ﵁ حيث كاد الناس يفقدون عقولهم من شدّة ما جرى لهم من بهجة وهيام، حملوه فيها على الأعناق يهللون ويكبّرون، وكانت ساعة عظيمة بالأذكار والصلوات.

وبعد صلاة الجمعة أقام ﵁ حلقة ذكر إلى صلاة العصر، فطفح النور

في المسجد بما لا يخفى على أحد!.. وحمله الناس على أكتافهم.. مشهد عجيب يثير الحماس ويلهب المشاعر وهم يهتفون بحرارة يحار فيها الواصفون: (لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله..) وعامة من حملوه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الّذين رأوه لأول مرّة! إذ حاله وهيئته وقوّة تأثيره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في نفوسهم أخذت قلوبهم فعبّروا عن حبهم وفرحهم بحمله على الأعناق الّذي جاء من غير إعداد مسبق..

حدّثنا منشده الخاص الأستاذ محيي الدين أحمد قال: لمّا زار سيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سيّدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صلّى ركعتين في الرواق الذي عن يمين الباب قبل حضرة الزيارة، ولم يكن معه عند دخوله وسلامه على سيّدنا عبد القادر الجيلاني إلا أنا وشخصان آخران، فتحدث مع سيّدنا عبد القادر بالعربية ثمّ بالإنجليزية، ولكوني أُحسِنُ الإنجليزية فهمت ما دار بينهما من حديث، ولكنه سرٌّ لا أنطق به أبداً، ثمّ أنهى حديثه معه بالسريانية وهذه المسألة من أعجب ما رأيت في صحبتي إيّاه في هذه السفرة المباركة.

وكما احتفلت بغداد فقد عاشت المدن التي مرّ بها ربيعاً محمّديّاً، وقضى أهلها أعياداً فريدة في الفلوجة والرمادي وهيت وكبيسة والخالدية وديالى بما يعجز عنه البيان.

وكلّما دخل مدينة أو خرج زفّ إياباً وذهاباً من المساجد والبيوت والشوارع، فالخطب والأناشيد مرافقة لتنقّلاته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . وما وطئت قدماه أرضاً إلّا وأعقبت غرساً صالحاً وخضاراً مباركاً لا تزال آثارها وستبقى إن شاء الله.

ومن الأمور التي أخبر بها ﵁ في هذه السفرة:

١ - قال ﵁ : (منذ أن دخلنا العراق وحتى أن خرجنا كنّا في ضيافة الشيخ عبد القادر الجيلاني ﵁).

٢ - زار سيّدَنا الجنيد وسيّدُنا السرّي السقطي ﵁ وهما في قبة واحدة ﵁ ، فقال له سيّدنا الجنيد البغدادي: سلّمْ على خالي السرّي السقطي قبلي فإنّه أعلى منّي، قال ﵁ : (وجدت بينهما خلافاً بمسألة في التوحيد: أيهما أعلى: التمكين في التلوين؟ أم التلوين في التمكين؟ فحلَلْتها لهما وحقّقتها، وكان الحق مع الجنيد ﵁ التلوين في التمكين أعلى من التمكين في التلوين).

٣ - زار سيّدنا أبا حنيفة النعمان بن ثابت ﵁ في الأعظمية ببغداد فقال ﵁ : (طلع لنا أخاً).

٤ - حدّثنا الحاج عثمان بن عبد الله الفيّاض الكبيسي الذي كان يقود السيارة معه إلى البصرة والكويت، قائلاً: حين دخلنا مدينة الزبير عند البصرة ولم يكن قد دخلها ﵁ ولا أنا من قبل فخشيت الذهاب يميناً أو شمالاً، فصار يعلّمني ويشير لي: اسحب من هنا، وادخل من هنا.. حتى وصلنا إلى جامع سيّدنا الزبير ﵁ .

قال ﵁ : (أخذ سيّدنا الزبير ﵁ يحدّثني عن شجاعته، وأنه يُعدّ بألف فارس، وأخذت أحدّثه عن شجاعتي، قلت: كيف تقاتل ألف واحد؟ قال سيّدنا الزبير ﵁ : فكيف قلت أَنتَ: إذا أَذِن الله تعالى لي أقاتل الشرق والغرب)؟.

٥ - زار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المقام الموسوم بطلحة قرب سيّدنا الزبير، فأخبر أنه ليس لطلحة، كما هو شائع عند الناس.

٦ - وحدّثنا الحاج عثمان عبد الله الفيّاض الكبيسي أيضاً قال: مررنا بالمقبرة الملكية في الأعظمية ببغداد وفيها ملوك العراق فيصل الأول وغازي وفيصل الثاني رحمهم الله تعالى، فقرأ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على أرواحهم الفاتحة، فقلت: سيدي، أتقرأ عليهم الفاتحة ويقولون إنهم خونة؟ فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (لا تقل هكذا يا حاج عثمان، هؤلاء من آل البيت شهداء)!

٧ - وحدّثنا الشيخ يحيى ناصر الهيتي من الرمادي بالعراق قال: لمَّا شرّف السيّد النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ العراق في زيارته الثانية رأيت منه أموراً عجيبة، منها:

- أنه خرج رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من مقبرة في الأعظمية ببغداد يريد زيارة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فرأيت الشيخ ناظم العاصي أمير قبيلة العبيديين رحمه الله تعالى يركض خلفه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ! فقلت: كيف يركض والسيّد النّبهان يمشي ولا نلحق به؟ فنظرت فإذا بالسيّد النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طائراً فوق الأرض بارتفاع نصف ذراع.

- ولما دُعِيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى دار جمعية التربية الإسلامية ببغداد التفت إليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فرأيت في وجهه أربعة أو خمسة أفواه ضاحكة وليس فماً واحداً.

وأمضى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سبعة أيام من سفرته في مدينة الفلوجة قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (أنا

أحب الفلوجة، الفلوجة دار هجرتي)[(١)] إذ لقي فيها حفاوة تجاوزت

---

(١) ومدينة الفلوجة كائنة غرب العاصمة بغداد على مسافة ستين كيلو متراً، وهي في جزئها الشامي على نهر الفرات آخر بلدة من بلاد الشام، وفي جزئها العراقي أول بلدة في الفتوحات الإسلامية فتحها سيّدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه فوجد أهلها يتكلّمون العربية فاستبشر بهم خيراً، وحين دعاهم إلى الإسلام أسلموا كلّهم، والآن ينتصب على متنها جسران، كأنك فوقهما بأطراف الجنان، يشدّك صحو الصبح فيها إلى تسبيح الباري، ويلهب الغروب فيك التغريد بالأذكار، يقطن الفلوجة وأريافها ستمائة وخمسة وعشرون ألفاً جميعهم من نسيج واحد، هم عرب أمجاد، يجمعهم مذهب أهل السنّة بوشائج قوية الأوتاد، أرضهم مباركة بالخيرات، ومعيار التمايز والتنافس بينهم بالتقوى والمبرّات، أكثر أغنيائها أسخياء، وأغلب فقرائها سعداء، وهم في الملمّات يتعاونون، وفي مجالسهم يتذاكرون، ولسنّة نبيهم يتناصرون، وللجنائز يشيّعون، مدينتهم تعلوها المآذن والقباب، فالمساجد فيها عامرة، ومدارسهم الشرعية فاخرة، وزوايا طرقهم الصوفية ذاكرة، وأسواقهم بالخضر والفاكهة غامرة.. فمدينة الفلوجة مدينة المساجد والعلم والعلماء، ومغرس طلبة العلم الشرعي بعمائمهم البيضاء، ومأمن الملتزمات بالجلباب والنقاب من النساء، وتلك العمامة وذلك الجلباب والنقاب من آثاره رضي الله عنه فيها وفي غيرها، والفلوجة ليس فيها مسرح ولا ملهى، ولا مشرب ولا سينما، ولم تتأثّر بالمدنيّة التي لا عيب فيها ولا حرام، بل هي معروفة بمحبتها لحضرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وآل بيته والصحابة الكرام، وأولياء الله العظام، تبدأ فيها أعياد المولد بابتداء الربيع، ولا تنتهي حتى تعانق الإسراء والمعراج، والناس يحتفلون في الجوامع والمحلات والدوائر الحكومية والساحات، ويوم الجمعة بها للناس عيد، لا تكاد تجد وقت النداء لصلاتها إلا المسرعين إليها، ولشهر رمضان المبارك بها شأن خاص لا يعرفه إلّا من عاش فيها بالصيام والقيام، وإنني حينما أصف الفلوجة بهذه الكلمات ليس من باب (كل فتاة بأبيها معجبة) إذ إنني لست من أهلها ابتداءً، ولكننا هاجرنا إليها قبل أربعة عقود مع والدي رحمه الله تعالى فحُسِبنا عليها.. ويكفي أن أقول: إن المسافر إليها ينشرح صدره قبل وصولها، وإن من يقطنها ينصهر في بوتقتها، ويواكب مسيرة أهلها، وإن قُراها التي تُعدّ بثلاثمائة وتسع وثمانين ناحية وقرية تضجّ بالمؤذّنين وتعجّ بالمصلين، والحمد لله رب العالمين.. فيا للهَ كم له فيها من آية، وصدق من قال: (لله خواص في الأزمنة والأمكنة والأجناس والأشخاص) فتلك المدينة التي تنعم باليمن والإيمان قد =

الوصف، أذكر أنه رضي الله عنه حضر صلاة الجمعة في جامعها الكبير، فألقى الشيخ محمّد عبد الله الشامي خطبة الجمعة معرفاً بسيّدنا رضي الله عنه ثمّ أقام رضي الله عنه بعدها حلقة ذكر(١)، ثمّ عاد ثانية فصلّى العصر فيه، ولمّا خرج رضي الله عنه من المسجد إلى الساحة تحلّق الناس حوله ولم يجدوا ما يعبّرون عنه إلا الضجيج بالتصفيق!!

وتنافس العراقيون الأخيار على إكرامه رضي الله عنه في كل مدينة زارها، ومنها مدينة الفلوجة، فكان رضي الله عنه يثني على كرمهم ومحبتهم له، ويخص في الفلوجة الحاج عبيد دريع عبد الله الكبيسي ويقول رضي الله عنه: والنعمين من الحاج عبيد، الحاج عبيد مليح (مليح كثير مليح)، عنده مائة وقدّم لنا مائة، والحاج عبيد رحمه الله تعالى والد الدكتور حمد عبيد عبد الله الكبيسي رحمه الله تعالى(٢).

= تشرّفت بزيارة السيّد النّبهان رضي الله عنه فنالت ببركة إرشاده وافر حظها، وتميزت عن البلدان، وقد تركت زياراته إياها آثارها الجلية، وأنوارها البهية فأهلها يحبّون تلك الشخصية المحمّدية، ويتذكّرون الأيام، التي خرج فيها لاستقباله الكبير والصغير، والعالم والأمير، فلم تذهب جلساته وكلماته فيها سدى، بل أزهرت أنظاره فيها هدى، فله فيها أتباع كثيرون، ومحبّون ومتبركون، ولذلك قال رضي الله عنه: (أنا أحب الفلوجة، أنا أحب الفلوجة، أنا أحب الفلوجة، الفلوجة دار هجرتي). وفُهِم من كلامه رضي الله عنه أنها دار لمحبّيه والملتزمين بطريقته رضي الله عنه هذا كلّه قبل غزو الأمريكان للعراق، لكنها بعد سنتين من هذا الغزو حصل فيها دمار كبير نقلته عدسات القنوات الفضائية آنذاك؛ بسبب مقاومتها الشديدة والمعروفة للاحتلال، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم!

(١) ولم تزل حلقة الذكر النّبهانية تقام في جامع الفلوجة الكبير منذ أن افتتحها رضي الله عنه.

(٢) أذكر أنني دعوت مرّة أستاذنا الشيخ الدكتور حمد عبيد عبد الله الكبيسي إلى وجبة غداء، وأثناءها قلت له: غداً إن شاء الله تعالى سأغادر إلى حلب لزيارة سيّدنا النّبهان رضي الله عنه، فقال لي رحمه الله: اذكرني عنده! فقلت: وكيف أذكرك؟ هل أقول لسيّدنا يسلّم عليك الدكتور =

وبعد أن أمضى تسعة وعشرين يوماً يومان منها في دولة الكويت رجع ﷺ يوم الإثنين ٧/ ذي القعدة/ ١٣٨٨هـ - الموافق ٢٦/ ١/ ١٩٦٩م بالطائرة، وجرى له توديع مهيب جداً في مطار بغداد بمثل ما استُقبِل به ﷺ (١).

- بيعة عامة للمودّعين في المطار:

وفي القاعة الكبيرة في مطار المثنى بقلب بغداد ألقيتُ شعراً:

فجرٌ أطل على العراق ترامى   لـمّا تلألأ في الملا وتسامى
يا سيدي يا من ظهرت مجدداً   عهد النبيّ المصطفى المقداما
يا أيها الفذّ المعظَّم شأنه   لذنا بجاهك نُشهد الأياما

= حمد؟ فأجاب: لا لا! فالذي يسلّم على أحد فلا بد أن يكون مثله أو دونه، فمن أنا حتى أسلم عليه؟! ولكن اذكرني عنده.. فلما وصلت وتشرفت بجلسة خاصة ذكرت له ما جرى لي مع الدكتور حمد وهو يصغي إلى كلماته، فانتفض يتحدث بقوّة فقال: هذا ابن الحاج عبيد، والنعمين من الحاج عبيد، الحاج عبيد مليح كثير مليح عنده مائة وقدّم لنا مائة، قل له: يسلّم عليك الشيخ ويقول: الله يفتح عليه بفتوح العارفين! ولمّا رجعت وأخبرت الدكتور حمد رحمه الله تعالى فرح بها كثيراً، ثمّ ذكر زيارته لسيّدنا إلى حلب وحفظت منه أن أطيب إفطار أفطره في حياته كان على مائدة مع سيّدنا النّبهان رضي الله عنه! والدكتور حمد من أعلام العراقيين في علوم الشريعة والعربية شغل عمادة الجامعة المستنصرية وكلية الإمام الأعظم ومناصب أخرى، ثمّ وافاه الأجل في ٦/ ١/ ٢٠٠٥م ببغداد، رحمه الله آنسه الله تعالى.

(١) حدثنا الحاج محمود السيد كاظم السيد علي أحد الوافدين عليه ﷺ من بغداد قال: كنت مولعاً بأخذ الصور فلمّا كان يوم سفره ﷺ أخذت له عشرين صورة من عدة جهات، فسمعته ﷺ يقول: (والله هذا خَبَصَنَا، - أي أشغلنا - لكن لن يظهر منها ولا واحدة) وبعد ذهابه ﷺ، وجدت صور كل المودعين إلا صورته ﷺ لم تظهر في جميعها، ولا زلت أحتفظ بهذا الفيلم.

إنّا سعدنا فيكمُ ولقاكمُ أحيا القلوب وحققَ الأحلاما
لكنّه ما إن تنفسَ بالهنا غَرْسُ المحبةِ وازدهى وتنامى
عدنا نودع من سقت ديماته جدب النفوس وبدد الأوهاما
ما للعراق بشيبه وشبابه وبأرضه وسمائه يتهامى
أشجى الأحبة أن تململ ضعنكم خذنا بركبك لا تذرنا يتامى
لمَّا بدا أن الحبيب مودِّع همنا بحبه واستوينا قياما
يا أيها الحب الولي لربه من أدهش الأقطاب والأعلاما
إنا عقدنا بيعة لجنابكم عهداً ستبقى توجب الإلزاما

وعند قولي (واستوينا قياماً) نهض رضي الله عنه فانتفض الجمع من حوله في مشهد عظيم، رفع يديه فيه رضي الله عنه مبتهلاً، فأعدت البيت الأخير مرتين، وامتثلت بجنبه وقلت: ادع الله لنا يا سيدي أن يرزقنا الصدق معك، فأجاب رضي الله عنه وكرر مرتين: آمين، ولكن ما خليت وراءها شيئاً، أتبعها بجلسة قصيرة سادها صمت وجلال، ثمّ انطلق رضي الله عنه بعدها إلى الطائرة.

حدّثنا الحاج متعب عبد الرزاق آل حيدر الكبيسي رحمه الله تعالى[(١)] قال: حُكم على أخي عارف بالإعدام[(٢)] فوافق قدومَ سيّدنا إلى العراق المرّة الثانية، فذكرت ذلك له رضي الله عنه فقال لي: عارف سيصدر عنه عفو ويخرج.. حتى جاء يوم توديعه في مطار المثنى ببغداد، فلحقتُ به إلى

(١) من وجهاء آل حيدر الكبيسي، وأحد أصحاب سيّدنا ومحبيه، رحمه الله تعالى.
(٢) أخوه: عارف عبد الرزاق، رئيس وزراء في دولة عبد السلام محمّد عارف، وقد حكم عليه بالإعدام وأودع السجن بعد قيامه بحركة انقلاب لم يكتب لها النجاح.

داخل الطائرة وقلت: سيدي كلما كلمتك بموضوع أخي عارف تقول لي: سيفرج عنه، فمتى يتحقق وعدكم وهو محكوم بالإعدام؟ فأجاب ﵁: عارف خرج من السجن، وهو الآن في البيت!.. فلما غادرت الطائرة ذهبتُ إلى بيت أخي فوجدت عارفاً فيه(١)!!.

من مأثورات أسفاره ﵁:

إذا ركب السيارة أو الطائرة وجلس قال:

- بسم الله ما شاء الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله. ثلاثاً.
- ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].
- ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾ [الزخرف: ١٣، ١٤].
- اللهمّ احفظنا واحفظ بنا، وسلّمنا وسلّم بنا، وبلّغنا السلامة وبلّغ بنا.

---

(١) وتكملة الرواية: بعد أن استلم أحمد حسن البكر مقاليد الحكم في العراق أرغم عارف على السفر خارج العراق. ومرت فترة.. فشاع في بغداد نبأ رجوعه متخفياً، فطُرِقَ عليّ الباب ذات ليلة، وفوجئت بسيارة وعدد من الأشخاص يأخذون بيدي إلى داخلها، ولم يسمحوا لي بالعودة إلى بيتي.. فندبتُ سيّدنا النّبهان ﵁: فواللهِ العظيم ما فارق سيّدنا السيارةَ طيلة المسافة بين الفلوجة وبغداد وهو طائر يلوح لي بيده ويقول: لا شيء لا شيء.. وأدخلت إلى دائرة الأمن العامة للاستجواب، حتى إذا تأكدوا من اسمي ولقبي قالوا: اذهب إلى من تحبّ في بغداد غداً نرسل إليك، وأعطيتهم عنوان إقامتي في بيت أحد أقربائي، ثمّ رجعت إليهم اليوم التالي، فقالوا: ارجع إلى الفلوجة، لا شيء لنا معك! وكان حديثه بحضور الأستاذ الدكتور حمد عبيد عبد الله الكبيسي، والشيخ يحيى حمد الفياض، وكنا في بيته نتفقد صحته إثر مرض ألمّ به.

- ويقضي أكثر الوقت يصلي على سيّدنا رسول الله ﷺ: اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد عبدك ونبيك ورسولك وحبيبك النبيّ الأمي وعلى آله وصحبه وسلم..
- وإذا دخل رضي الله عنه مدينة فأوّل ما يبدأ بالسلام على الصالحين فيها: السلام عليكم يا عباد الله الصالحين، ويقرأ الفاتحة ثمّ يبتدأ قدومه بأحد مساجدها.

الفصل الثاني

مــــع الوافدين إليه من العراق

١ - الشيخ قاسم القيسي (مفتي العراق).

٢ - الشيخ محمّد الفيّاض الكبيسي.

٣ - الشيخ عبد الستار الملّا طه الكبيسي.

٤ - الشيخ عبد العزيز البدري.

٥ - الشيخ محمود مهاوش الكبيسي.

٦ - الشيخ عبد العزيز السالم السامرائي

٧ - الشيخ عبد الكريم عبد الوهاب الالوسي

٨ - الشيخ إبراهيم ارحيم الهيتي

٩ - الشيخ عواد الزويع الكربولي

مع مفتي العراق الشيخ قاسم القيسي رحمه الله تعالى

الشيخ قاسم بن أحمد بن خليل بن حمد بن حسين بن خلف بن إبراهيم ابن سلطان بن ملاّ يوسف من آل النزّال من فخذ المصاليخ بعشيرة الكروية القيسية في العراق، موطن أسرته الأصلي مدينة جلولاء بمحافظة ديالى، ثمّ ارتحلت إلى بغداد، وفي محلة الفضل بجانب الرصافة من بغداد أقامت تلك الأسرة الكريمة.

ولد الشيخ قاسم سنة **١٢٩٣**هـ - **١٨٧٦**م ونشأ وترعرع في بيت علم، فوالده رَحِمَهُ اللَّهُ من أعلم الناس بالفرائض[(١)] ولكثرة اشتغاله بها لُقِّب بأحمد الفرضي، فدفع بولده إلى مدرسة أهلية يتلقى مبادئ القراءة والكتابة وتلاوة القرآن الكريم وتجويده، ثمَّ أخذ بيده إلى مدرسة أهلية ثانية يديرها الشيخ (منيف أفندي) أحد أرباب العلم المشهورين بميدان بغداد، فتعلَّم اللغتين التركية والفارسية، ثمّ دخل المدرسة الحيدرية وقرأ الصرف والنحو والمنطق والكلام والتصوف على الشيخ عبد المحسن الطائي، ولجأ بعدها إلى جامع الفضل وأقام فيه متجرِّداً لطلب العلم، هذا مع كونه أديباً ذكياً حازماً حباه الله تعالى حسن الخَلق والخُلق، وجمع فيه كمالات الفتوة وأمهات الفضائل، وتابع رَحِمَهُ اللَّهُ طلب العلم على يد الشيخ عبد الوهاب النائب، رئيس محكمة التمييز الشرعي، وأخذ علوم العربية والفقه وأصوله،

---

(١) علم الفرائض: هو علم المواريث الشرعية.

فأجازه فيما أخذ عنه. كما درس خلاصة الحساب والهندسة وعلم الهيئة والكلام على يد الشيخ غلام رسول الهندي القرشي، وأجازه إجازة خاصة بعلم الحديث، كما أجازه العلاّمة الشيخ عبد السلام الشوّاف سيبويه عصره بإجازة خاصة وعامة في العلوم العقلية والنقلية، فأخذ العلم عن أهله، ونبغ، حتى أصبح من الأفراد الّذين يشار إليهم بالبنان، ويسترشد بهم الضال، وتُشدُّ لفضلهم إلى بغداد الرحال.

وشغل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى مناصب دينية منها التدريس والوعظ والإرشاد في مدينة خانقين، وانتقل بعد عام لمثلها في قضاء الصويرة، ثمّ استدعي لنيابة الباب في بغداد فقبلها على مضض، لأنه لا يميل إلى القضاء، ثمّ أعفي بناء على رغبته، وعُيّنَ عضواً لمجلس المعارف ببغداد، وعضواً لمجلس الأوقاف العلمي، وشغل عضوية مجلس التمييز الشرعي في الفترة من سنة ١٩٢٢ لغاية ١٩٢٨م.

عرف العراقيون الشيخ قاسم القيسي رجل العلم والتقى الّذي لا تأخذه في الله لومة لائم، كما عرفته كلية الشريعة ببغداد خيرة أساتذتها والمربي لتلاميذها. حاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ مراتب أهل الرياسة في العلوم النقلية والعقلية ونال فيها الصدارة، عن صدق وجدارة، وانتخب لمنصب مفتي العراق بعد وفاة الشيخ يوسف عطا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى. ويعدُّ مجلسه على شاطئ دجلة بمحلة السفينة بالأعظمية من أفضل مجالس بغداد وأنفسها، يختلف إليه العلماء والوجهاء، ويلتقي فيه الطلبة والبلغاء والشعراء من كل صوب، تولّى التدريس في مدرستي القبلانية والقادرية، فتخرّج على يديه علماء فحول، رضعوا العلم والمعرفة من بحره، ورشفوا الأدب والتقى من فيضه، أمثال: الشيخ عبد القادر الخطيب أفندي، والشيخ حامد الأورفلي، والشيخ حامد

الملاّ حويش، والشيخ نجم الدين الواعظ، والشيخ عطا الله الخطيب، والشيخ حسن النائب، والشيخ علاء الدين النائب، والشيخ محمود مهاوش الكبيسي وغيرهم رحمهم الله تعالى أجمعين.

ومع هذا كلّه فإن ذاته الكريمة وشخصيته الفذّة تتعشّق أذواقاً صوفية وصحبة مرشد كامل، يأخذ بيده إلى تطلعاته، ويوصله إلى تمنياته، حتى إذا ذاع أمر السيّد النّبهان رضي الله عنه واشتهر كان رحمه الله في أوائل الوافدين إليه، بصحبة تلميذه الشيخ محمود مهاوش في السنوات الأخيرة من حياته مرتين الأولى: سنة ١٩٥٢م للتعرّف والاختبار، فاجتمع بسيّدنا رضي الله عنه ولحظ بعين المتفحّص أفعاله وأحواله، وعاين أذواقه وفهومه وعلومه، وأحضر له ثلاثة عشر سؤالاً، فأجابه رضي الله عنه دون أن يبدأه بسؤال ورجع بالدهشة والإعجاب، يتحدث للشيوخ وأولي الألباب.

حدّثنا الحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس الكبيسي(١) وكتب إلينا

(١) ولد الحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس الكبيسي سنة ١٩٢٧م في كبيسة، بمحافظة الأنبار في العراق، وبعد أن أكمل الابتدائية بسنين مارس التجارة في مدينة (الرطبة) بشركة في (دكان وعلوة) مع الشيخ محمود مهاوش الكبيسي، وتعرف بواسطته على سيّدنا النّبهان رضي الله عنه ، كتب إلينا بخط يده يقول: زرته رضي الله عنه في الخمسينيات برفقة الحاج محمود مهاوش، الّذي له فضل التعريف على أكثر الوافدين على سيّدنا من العراق، فوجدناه في سفرة قصيرة خارج حلب، ومذ رأيته أعجبت به، ولا أتمكن والله من وصفه، إذ هو جامع لصفات الكمال، ومع محبتي لخيرة مشايخ العراق كالشيخ قاسم القيسي، والشيخ عبد القادر الخطيب، والشيخ فؤاد الآلوسي، والشيخ أمجد الزهاوي لكن قلبي لم يأخذه شيخ رأيته قبله أو بعده، فهو سيد أهل زمانه في العلوم المنقولة والمعقولة، سألت عنه مفتي العراق الشيخ قاسم القيسي، فقال: يا عبد العزيز، والله إن هذا الشيخ ما سارية الجبل عنه ببعيد: ، لقد أحضرت له ثلاثة عشر سؤالاً كلّها أسئلة عويصة، فأجاب عليها كلّها على=

بخط يده: سألت الشيخ قاسم القيسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا رأيت يا سيدي من زيارتك للشيخ النّبهان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حلب؟. فقال لي: يا عبد العزيز، والله إن هذا الشيخ ما سارية الجبل عنه ببعيد:، لقد أحضرت له ثلاثة عشر سؤالاً كلّها أسئلة عويصة، فأجاب عليها وعلى ترتيبها وتسلسلها عندي دون أن أبدأه بسؤال!!.

وأضاف الحاج عبد العزيز الغرس: وكانت للشيخ قاسم صرخة في الذكر أو غيره، فشكى إليه حالته، فذهبت عنه.

وتعلّق قلبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بشخصية السيّد النّبهان، فكتب إليه رسالة يشرح له فيها مشاعره وأحاسيسه، إلاّ أن سيّدنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لا يذر من يفد عليه دون امتحان، لا سيّما أصحاب النفوس والشخصيات الكبيرة، يمتحنهم ترويضاً لأنفسهم، ليصل بهم إلى تواضع المريدين لأشياخهم، فينقادوا لتوجيهاتهم وينالوا بالتسليم لهم حظهم في السير والسلوك والمعرفة الإلهية والوصول إلى الله تعالى؛ ولأجل ذلك لم يردّ الجواب، فانفلت زمام الصبر من الشيخ المفتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بعد أن يئس من الإجابة عن رسالته، وباشر بثانية محمّلة بفنون التلهف والعتاب.

= ترتيبها وتسلسلها عندي دون أن أبدأه بسؤال!!. ثمّ أكرمني الله تعالى بزيارة ثانية، وتشرفت بمرافقته إلى بيروت ورجعت معه إلى دمشق والحمّة خلّصها الله من الصهاينة! ودعانا الشيخ أحمد الحارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فرحب به أعظم ترحيب وقبّل يده وقال: والله يا أهل حلب لو سمح لي لقبّلت رجله وأظهر له احتراماً لا نظير له، والشيخ الحارون وما أدراك ما الحارون الولي الكبير الّذي تشهد له بلاد الشام كلّها ومعرفتي بالحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس أنه كان من أهل رؤية سيّدنا رسول الله ﷺ ورؤية وارثه سيّدنا محمّد النّبهان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في اليقظة حيث فتح عليه في السنوات الأخيرة من حياته وكانت وفاته سنة ٢٠٠٦م في بغداد ودُفن بجوار سيّدنا معروف الكرخي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

حدّثنا الشيخ محمود مهاوش الكبيسي رحمه الله تعالى وسمعت ما حدّثني به يخاطب به سيّدنا رضي الله عنه في درس مسجّل قال الشيخ محمود: ذهبت يوماً كعادتي إلى الشيخ قاسم القيسي لآخذه بسيارتي إلى كلية الشريعة يلقي دروسه على طلبتها فإذا به في أضنك حال، قلت: ما بك يا أفندي[١]؟ قال: أنا هذا اليوم ما صلّيت الصبح جماعة، ولا أفطرت، ولن أذهب إلى الكلّية! قلت: لماذا يا أفندي؟ لعلك قد عملت (مكسورة)[٢]؟ قال: ويلك يا محمود! من أعلمك بهذا؟ والله أنت (عنتيكا)[٣]! قلت: حالك تدلّ على ذلك. قال: أنا كنت الليلة الماضية قد كتبت إلى الشيخ النّبهان رسالة عتاب، لأنه لم يردّ عليّ الجواب:

إذا كتب الخليل إلى خليلٍ
فحقٌّ واجبٌ ردُّ الجواب

أنا الشيخ قاسم مفتي العراق، أكتب له رسالة ولا يردّ عليّ الجواب!!...ثم إنني نمت يا حاج محمود.. فرأيت سيّدنا الخضر عليه السلام، وكنا ثلاثة، فأما الاثنان معي فرحّب بهما، سلّما عليه وقبّلا يديه، وأما أنا فقال لي: رُحْ، أنت مطرود، كيف تكتب رسالة هكذا إلى الشيخ محمّد النّبهان!؟

أنا ما لي وعتاب الشيخ محمّد النّبهان يا حاج محمود؟ ما الّذي

(١) عادة أهل بغداد في مخاطبة أكابر علمائهم يطلقون عليهم لقب: (الأفندي) وهي كلمة تركية معناها: السيّد.
(٢) لعلك عملت مكسورة (باللهجة الدارجة): لعلك أتيت مخالفة كبيرة.
(٣) عنتيكا: بطل حاذق.

ألجأني لهذه الورطة يا حاج محمود؟ لعله مدلل عند الله مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني!!! ثمّ مزّق الرسالة.

قلت: ما هو رأيك يا أفندي نذهب ثانيةً إلى حلب؟

قال: نعم، نذهب إلى حلب، فسافرنا سويةً. وصلنا إلى جامع الكلتاوية، والشيخ قاسم ينقل خطواته على الدرج الصاعد ويقول: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

والتقينا بسيّدنا النّبهان ﷺ فرحّب بنا أجمل ترحيب، وأمضى الشيخ قاسم ليله يبكي إلى مطلع الفجر، ويقول لي: يا حاج محمود، والله أنا أعتقد بالسادات الصوفية وأحبهم، ولكن لماذا لا يذوقوني شيئاً من كراماتهم ومن معارفهم؟.

فذلك الشيخ قاسم مفتي العراق، الذي جاء في السفرة الأولى شيخاً ورجع شيخاً، أما في هذه السفرة فيستأذن بالدخول على سيّدنا ويقول: قويسم بالباب، فإذا دخل خاطبه: يا حبيبي.

حدّثنا الحاج محمّد بشير سروجي رَحِمَهُ اللَّهُ أحد أصحاب سيّدنا ﷺ قال: كان عمري يوم قدوم الشيخ قاسم المرّة الثانية ستة عشر عاماً، فقال له سيّدنا ﷺ : تحدّث لإخواني يا شيخ قاسم، فألقى موعظةً حفظت منها: يا أولادي، كلكم مؤاخذون عند الله تعالى مسؤولون يوم القيامة عن هذه الشخصية التي لم تعطوها حقها، والله يا أولادي نحن من بغداد نستمد نور الإلٰه من هنا.

حدّثنا الحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس الكبيسي وكتب إلينا بخط يده: سأل الشيخ قاسم سيّدنا النّبهان ﷺ في سفرته الثانية إلى حلب فقال:

يا سيدي، لماذا لم أصل إلى درجة الأولياء ولي حوالي ثمانين سنة وأنا أخدم العلم والعلماء؟

فقال ﷺ: (يا شيخ قاسم، أنت تحب اثنين، ومن يحب غير الله لا يصل إلى الله بالسهولة التي تطلبها، أنت تحب أن يقال لك: مدرّس القادرية ومفتي بغداد، وتحب (الحاجّة) زوجتك! ولن تصل ما دمت على هذه الحال:

وقاطع لمن واصلت أيام غفلةٍ فما واصل الأحباب من لا يقاطع

وجانب جناب الأجنبي لو انه لقرب انتساب في الفراش مضاجعُ[1]

نعود إلى الحاج محمود مهاوش رحمه الله ليكمل حديثه قال: وفي تلك السفرة قال لي الشيخ قاسم: ادنُ مني، أنت موطن سرّي، اكتب عني يا حاج محمود، اكتب: (المجموعة العلمية التي في صدري ما عاصرني فيها أحد، لا في الشاميّين ولا في العراقيين، ولا في المصريين، وجدت من يفوقني في فن من الفنون، إلا إنني مثل الشيخ محمّد النّبهان ما رأيت)، وبعد ثلاثة أيام أذن له سيّدنا ﷺ بالعودة إلى بغداد، فودّعه الشيخ قاسم وتأخرتُ قليلاً، فقال لي ﷺ: إلحقْ بالشيخ قاسم وبشّرْهُ بالمرتبة. فلحقت به وأبلغته البشرى.

---

(١) البيتان من عينية الإمام عبد الكريم الجيلي، وكان سيّدنا ﷺ يكررهما في كثير من مجالسه.

ثمّ رجعنا إلى بغداد، فجئته مرّة في الليل بصحبة الحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس وقد منع الأطباء دخول أحد عليه لإصابته بشريان في جسمه فدخلنا عليه فصرخ بقوّة: يا حاج محمود، يا حاج محمود، أبشرك، أنا قاسم أنا قاسم، مفتي العراق، صرت ولياً يا حاج محمود، أنا لست مريضاً، وقد سخّر الله تعالى لي الأطباء يمنعون الناس عني لتكون لي خلوة أرادها الله تعالى لي، لقد جاءني الأربعون الأبدال يا حاج محمود وقالوا لي: نحن لسنا بخْلانين عليك بالولاية، ولكن إذا أعطيناك الولاية فمن يبقى للإفتاء؟ وشيخنا النّبهان قاعد على هذا التخت يقظة يا حاج محمود لا يفارقني ليلاً ولا نهاراً!..

وحدَّثني بمثل هذه الرواية طرفها الثاني الحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس فقال: مرض الشيخ قاسم في الظاهر، ومَنع الأطباء من زيارته، وذهبت أنا، والحاج محمود مهاوش رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأذنوا لنا بالدخول إلى غرفته الخاصة، فقال: لست مريضاً، وأنا جالس مع الشيخ النّبهان في الفرشة، وأعطوني الولاية والحمد لله، فلا تقولا بحياتي هذا الخبر، وقد سألتني أم عبد الوهاب عن رؤيةٍ: رأت فيها دخول جماعة ملابسهم بيض دخلوا عليّ أي على الشيخ قاسم. فقلت لها: يا أم عبد الوهاب، لا تأمني امرأة على سرّكِ فتوفيت قبله رحمها الله، ثمّ أعقبها تقديم استقالته من منصب الإفتاء.
وحدّثنا الشيخ طراد عبطان محمّد ياسين الشامي الكبيسي من الرطبة في العراق قال سمعت سيّدنا النّبهان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: إن الفتح الذي حصل للشيخ قاسم القيسي كان قبل وفاته بأربعين يوماً فقط، ونال فيه مرتبة الأبدال.

رسالة أخيرة:

وآخر رسالة بعث بها الشيخ قاسم إلى سيّدنا النّبهان بعد أن نال المرتبة وفتح عليه بفتوح الأولياء إلا أنه رَحِمَهُ اللهُ لم يرسلها مباشرة، بل دفع بها إلى أحد أصحاب سيّدنا الحاج فوزي شمسي رئيس جمعية النهضة الإسلامية بحلب وقال له: لا أتمكن من مباشرة شيخي بخطاب، وألتمسك تقديم رسالتي إليه، مقترنة ببطاقة تهنئة بالعيد، متمثّلاً ببيتين من الشعر، ومختومة بتوقيعه على كلمات (عُبَيدكم قاسم):

يا ماجداً جلّ قدراً أن نهنئه لنا
الهناء بظل منك ممدودِ
الدهر أنت ويوم العيد منك وما
في العرف أنّا نهنّي الدهر بالعيد[(١)]

(١) البيتان لأبي الفرج الشيباني كتبهما إلى الخليفة المستنجد بالله العباسي، فتمثّل بهما الشيخ قاسم القيسي رَحِمَهُ اللهُ مخاطباً السيّد النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. راجع كتاب (في التراث العربي) تأليف الدكتور مصطفى جواد ٢/ ٢٠٦ جمعه بعد وفاته الأستاذ عبد الحميد العلوجي، والأستاذ محمّد جميل شلش.
وقد خمّسهما الشيخ مصعب العزّاوي البغدادي فقال:
قدرٌ تعالى فلا مدحٌ يكافئه — فرقٌ ألمّ بقلبي فهو يملؤه
لقد ذهلت فمدحي كيف أبدؤه — يا ماجداً جلّ قدراً أن نهنئه
لنا الهناء بظل منك ممدود
إن أذكر الفضل فالإفضال منك هما — يا عارفاً جال في أفق العلا وسما
أنواركم ضاء منها الكون وابتسما — الدهر أنت ويوم العيد منك وما
في العرف أنّا نهني الدهر بالعيد
والمقصود بالدهر هنا: الزمن.

تلك هي حالة واحد من أعلم أهل الأرض آنذاك، كيف سلّم لشيخه المربي، فنال ما نال ولمثل هذا فليعمل العاملون.

وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي صبيحة السابع والعشرين من المحرم لسنة ١٣٧٥هـ الحادي عشر من أيلول ١٩٥٥م أيقظت إذاعة بغداد الناس على نبأ مؤلم ومصاب جلل، وابتدأت الجموع تتوافد على الأعظمية من كل فج، في وقت قصرت الإذاعة برامجها على القرآن الكريم والمدائح النبوية والمواعظ، حتى إذا كانت الساعة الخامسة عصراً غصّت الشوارع بالجماهير المنتحبة، ثمّ صُلي عليه في جامع سيّدنا أبي حنيفة النعمان، وأمّهم الشيخ نجم الدين الواعظ، وزحفت مئات الآلاف تحمل عزيزها على الأعناق، يتصدرهم العلماء والوجهاء والأمراء، وتعتليهم الرايات واللافتات والأعلام، وأهل التكايا يضربون بالدفوف ويرتجزون المدائح(١) التي اعتاد أهل بغداد تشييع أكابرهم بها، وقد أغلقت الأسواق والمقاهي وتوقفت حركة السيارات والعمل لأكثر من ثلاث ساعات، وهكذا ودّعتْ العاصمة العراقية فقيدها ومفتيها، رغم الحر الشديد ومسافة لا تقل عن خمسة أميال إلى أن وصل الموكب إلى الحضرة القادرية، ليقضي الشيخ قاسم القيسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حياته البرزخية في أكنافها، فاللهمّ اجعل كتابه في عليّين، وألحقه بالنبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. ترك رحمه الله تعالى

(١) شال بحر العلم شال، شال شيخ للشريعة، شال بحر العلم شال، شال أبو عيون الوسيعة، شال بحر العلم شال.

آثاراً جليلة قاربت الأربعين مؤلفاً في شتى العلوم والفنون، لم يُكتَب لأكثرها أن يرى نور الشمس، فبقيت مخطوطات، وحين وافاه الأجل كان خطيب الحضرة القادرية، ورئيس جمعية الهداية الإسلامية.

وبعد رحيله بثلاث عشرة سنة كانت زيارة سيّدنا النّبهان رضي الله عنه الثانية إلى العراق، فسمعته يذكر الشيخ قاسم القيسي رحمه الله بقوله: الشيخ قاسم القيسي، والشيخ أمجد الزهاوي، والشيخ فؤاد الآلوسي لهم مجلس معنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون(١).

(١) المصادر: مقدّمة اللواء الركن محمود شيت خطاب على تأريخ التفسير للشيخ قاسم القيسي رحمهما الله تعالى، ص/ ١٢-١٣-١٤ جريدة الرأي: العدد ٤٨ السنة الأولى: الأحد ٢٩/ ذو القعدة/ ١٤٢٠هـ - ١٥/ آذار/ ٢٠٠٠م، موضوع بعنوان: أعلام: الشيخ العلاّمة قاسم القيسي، للسيد صادق الجميلي بغداد، معلومات.

مع الشيخ محمّد الفيّاض الكبيسي رحمه الله تعالى ١٣٢٠ - ١٣٩١هـ

ولد الشيخ محمّد بن عبد الله بن فياض بن مرعي بن عبيد بن حديد بن خليف بن فليح بن حيدر الكبيسي في ناحية كبيسة بمحافظة الأنبار في العراق سنة ١٣٢٠هـ، وينتسب إلى عشيرة آل حيدر، إحدى عشائر كبيسة المعروفة بأصالتها العربية، أرسله والده إلى سبعة من الملالي ليتعلم القرآن الكريم، فلم يجد له نسبةً مع واحد! فبقي أميّاً، لكنه من صغره سليم الفطرة، سليم الاعتقاد، يحب الأولياء، صادق لا يكذب، أمين لا يخون، لا يتنزل للدنايا، ولا يألف أقران السوء، ملتزم بالصلاة، يحضر دواوين الوجهاء فيسمع ويعتبر، لا ينمّ ولا يغتاب، ولا يتدخل فيما لا يعنيه، وعلى هذه الصفات نشأ، وفي أسرة آل الفيّاض الشهيرة بالغنى والكرم ترعرع، وهو ما يوحي للنفس أنه ابن عناية، حتى إذا جاوز الحلم مارس التجارة مرتين أو ثلاثة فخسرت، إذ لم تكن له معرفة بها ولا هدف له في جمع المال، وأدرك بعض أقاربه أنه سيتلف تركة والده، فأشاروا على إخوانه حمدان وحمد ورحيم أن يقسموا له حقه لئلا يتأثر الباقون بسببه، إلاّ أن الإخوة الثلاثة يشتركون بالصفة نفسها: الدنيا تحت أقدامهم، والمال للكفاف والفضل للصدقة، فجاء ردُّ أخيه الحاج حمد: والله لا نقسم له، وأخي هذا محمّد لو وضع في رقبتي حبلاً واقتادني إلى السوق للبيع لما ترددت!!..

تزوّج رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، ورزقه الله بأبناء صالحين وهم: جاسم وإبراهيم وخليل وإسماعيل وأيوب ويعقوب، وحجّ وهو في كبيسة مرتين على الإبل، إحداهما في عقد الثلاثينيات، والثانية سنة ١٩٤١م. وكان لديه حمار يركبه من كبيسة إلى هيت مسافة ثمانية عشر كيلومتراً ليحضر مجالس العلماء هناك.

في سنة ١٩٤٤م حدثت مشاجرة بين أعمامه آل حيدر وأخواله آل حمد، بسبب التناوب على ماء سقي البساتين التابعة للعشيرتين، وقتل في المعركة أحد عشر رجلاً من الطرفين، فلم يشترك في تلك المأساة، ولم يسمح لأحد من إخوته بالتدخّل، فهو يصلي على من قتل في الجهتين ويتبع جنائزهم فأثار حفيظة أعمامه، ولمزوه وإخوانه بالجبن والخوف، وهو يحتجّ عليهم بحديث المصطفى ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»(١).

وعشيرة أخواله تجلّه وتحترمه أكثر من عشيرة أعمامه، وفراراً من العصبية الجاهلية نوى رَحِمَهُ ٱللَّهُ الهجرة إلى مدينة رسول الله ﷺ ثمّ تراجع إلى هيت، وبقي يتردد في قراره حتى ألهمه الله تعالى الرحيل إلى الفلوجة سنة ١٩٤٤م وهي سنة ولادة ولده الشيخ أيوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأصرّ أن لا يسكن في بيت إلاّ ملكاً لئلاّ يتضرر المؤجِّر بتلف أو كسر شيء بسبب أحد أبنائه، فكان له ما أراد، وفي الفلوجة كان رحمه الله تعالى يتطلّع إلى صحبة رجل من أهل الله تعالى، وبقي اثنتي عشرة سنة يتجوّل ويبحث وفي سنة ١٩٥٧م وأثناء زيارة لسيّدنا الشيخ معروف الكرخي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حظي بزائر من سوريّة إنه

(١) صحيح البخاري: (١/ ٢٠) برقم: (٣١).

الشيخ محمّد جبريني من علماء حلب وأعلامها، فسأله الحاج محمّد: من عندكم في حلب؟ قال: عندنا ثلاثة: الشيخ نجيب سراج، والشيخ سعيد إدلبي، وقد ظهر الآن رجل كراماته ظاهرة وباطنة، لم يقف على قراره أحد حتى الآن، هو الشيخ محمّد النّبهان!!...

وبينما كان رَحِمَهُ اللَّهُ يمشي على جسر الشهداء ببغداد: التقى بمجذوب لم يره من قبل، فسلّم عليه وقال له: غرّبْ غرّبْ.. ففهم من كلامه التوجه غرباً إلى حلب.

يرى رؤيتين ويسمع هاتفاً:

رأى في الأولى قافلة على الإبل فسأل: إلى أين وجهتكم؟ قالوا: إلى حلب إلى الشيخ محمّد النّبهان.. فأوّلها: أن الرجل ممّن تُشد إليه الرحال.

ورأى في الثانية بحراً عظيماً واسعاً وقد انتصب وسطه رجل لم يتجاوز ماء البحر ركبتيه، ورأسه في عنان السماء، ويحيط به جيش، فإذا به الشيخ النّبهاني.. فأوّلها: أن العلم مهما وصل لا يصل ركبتيه، وأنه ذو مرتبة عالية جداً محفوظ فيها من الرؤساء والملوك، وأنه يستمد علومه من الحضرة الإلهية.. ثمّ سمع هاتفاً يقول: كلام الشيخ فيه ثمر....فسافر إلى حلب في السنة نفسها ١٩٥٧م بعد أن جمع مبلغاً من المال، واتّجه صوب القدس، وتمكن من التعرّف إلى مجموعة من المجاهدين، فدفع إليهم المال لمقاتلة اليهود، ثمّ رجع إلى دمشق، ومنها إلى حلب.

وفي حلب:

كان بيت سيّدنا رضي الله عنه في محلة بانقوسا المجاورة للكلتاوية، فطرق الباب، فخرج إليه رضي الله عنه مرحّباً: أهلين وسهلين يا حاج محمّد. يقول الحاج محمّد رحمه الله: فإذا به كالأسد، لم أرَ مثله من قبل أو بعد، فما إن عرف شيخه حتى ألقى رحله عنده ووطّد نفسه لتوجيهاته وإرشاده.

والشيخ الفيّاض مهاب ومحبوب، إذا رؤي ذُكر الله تعالى، لا يحب أن تطلق عليه كلمة الشيخ، شديد التمسك بالشريعة والسنّة، صبور على البلاء، كثير البكاء، يحسن لمن أساء، حاله وقوله وفعله كلّه مواعظ.

وعُرف عنه عبدية لله تعالى، وأخلاق محمّدية، أعظمها عدم رؤيته لنفسه، مع كونه فيض جود وكرم ونصح وتذكير، وهو ما جعله موئلاً للعلماء والطلبة والصالحين والفقراء والتائبين.

وهيّأ الله تعالى له أبناء بررة وعلى الأخص ولده الشيخ خليل الّذي تفرغ لخدمته وملازمته[(١)].

أما ولده إبراهيم فهو الآخر يأتيه بوارد المحلات المستأجرة وبعض ما يتيسر لديه من تجارة ليضعه بين يديه، يهدي لمن يشاء، ويتصدق بما يشاء.

وكان لشخصية الفيّاض وللمعاني التي تتفجر من قلبه على لسانه الأثر البالغ في توجيه أفواج المسترشدين إلى حلب. قال سيّدنا النّبهان رضي الله عنه: الحاج محمّد الفيّاض دلاّل ناصح.. قلبه فوق قلوب العلماء. وهاتان الكلمتان يحبهما ويكررهما على الأسماع كثيراً: أنا دلاّل ناصح، الشيخ النّبهاني وارث الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أخذت أكثر هذه الروايات عن ولده الشيخ خليل، إضافةً لما عاينته بنفسي.

وقد نال الشيخ الفيّاض بسر صحبته لسيّدنا النّبهان ﷺ مراتب قلما تجتمع إلا في أفراد الأولياء، قال سيّدنا النّبهان ﷺ: الحاج محمّد صادق، نزيه، ذاتي، متبرئ، عين القلادة وبركة العراق في الظاهر، عنده نُفيسة لكن سترحل.

واشتهر رحمه الله بتفقّده للمعوزين وذوي الفاقة ولم تعرف الفلوجة سابقاً أو لاحقاً رجلاً مثله يعترض الناس في الطرق يعظهم ويتفقّد أحوالهم، ويوزّع عليهم المناديل والحلوى والنقود، ذلك شأنه كل يوم. دعوته رحمه الله في الشارع والبيت والجامع، يأخذ العهد على من يراه بالصلاة وطاعة الوالدين وتقبيل أيديهما، وتزكية النفس، والاتباع لرسول الله ﷺ، وصحبة أهل الله، وربّما أمر منصوحه أن يؤدّي تحيتين كما يؤدّيهما العسكريون، يقول له: واحدة للأمر والأخرى للنهي الإلٰهي.

والحاج محمّد الفيّاض جدّي لا يمزح، حدّي لا يتنزل لمخالفة، ولا يجامل على حساب الحق، ذاتي لا يعمل خوفاً من نار ولا طمعاً في جنة، بل لأجله تعالى وتنفيذاً لأمره عزّ وجل، يستشير شيخه النّبهاني ﷺ في الصغيرة والكبيرة، ولم نرَ فيمن رأينا مثله في العراقيين حرصاً على تلك الصحبة والمتابعة، يحتفظ بدفتر مدوّن فيه بخط ولده الشيخ خليل توجيهات شيخه له وبياناته عنه، ولا يخلو له يوم من مراجعتها والاستماع لما فيها، وهو مولع ببردة المديح للإمام البوصيري، وقصائد الشيخ عبد الرحيم البرعي، ومن حوله ثلّة من المنشدين والمداحين. تجده رحمه الله تعالى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. رأيته مرّة والناس

حوله إثر وفاة أخيه الحاج حمدان الفيّاض رَحِمَهُ اللَّهُ فجاءه أحدهم ليعزّيَه.. فقال له معتذراً: لا أحد يعزّيني، العبد عبده، والأمانة أمانته، وأنا لست من الصابرين، وإنما من الشاكرين!. فمثل هذه الكلمات لا يمكن أن تصدر إلا ممن ملأ اليقين وعاءه، واطمأنّ قلبه إلى قدر الله وقضائه، فلا يجلس للتعزية، ولا يسمح للنساء بدخول بيته أيام المصيبة، ولا يقبل هدية الفضل التي تعارف الناس على تداولها في المناسبات؛ ظناً منه أنّ أكثر الّذين يأتون بها ينتظرون خيراً منها، فأشبهت دَيْناً جرّ نفعاً واشتبهت بالربا.

وللشيخ الفيّاض مبرّات كثيرة منها: أنه حمل سجّاد بيته الّذي جاء به ولده إبراهيم للبيت، فجعله في جامعي الفلوجة الكبير والصدّيق، لا يزال مفروشاً فيهما، ومنها أنه امتهن تربية الأغنام والأبقار، ليوزّع ما نتج من حليب على الفقراء والجيران، ومنها أنه يعقد شركة في بقرة مع فلاّح فقير، حتى إذا أوفى شريكه ما بذمّته أهداه كامل البقرة.

والحاج محمّد الفيّاض مضياف لا يتكلف، وضع أبناؤه ما يؤول إليهم من إيجارات بيده، يهب ويتصدّق، ولقد سمعته مرّة يقول: الدرهم الّذي أنفقه لي، والدرهم الّذي يبقى عندي ليس لي، ووصيتي بعد موتي: أن يتصدّقوا حتى بهذه العصا!. فلم تعرف الفلوجة مثل زهده رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكان في بعض أسفاره إلى سورية يسأل نفسه: لو دخلت المطعم فكم سيكون مصروف وجبتي؟ فيكتفي بالضرورة، وجبة أو وجبتين من خبز وعنب ونحو ذلك، ويحتسب الفرق ليتصدّق به!.

واستأجر رَحِمَهُ اللَّهُ بستان نخيل فلما حان وقت قطف التمر جاءه رجل يقول: سامحني يا حاج؛ سرقت من بستانك كذا وكذا!. فقال له: ائتني

بكيس، وأمره بملئه وحمله إلى أهله.. وهو يوزّع الصدقات بين الأقارب والأباعد، ويؤثر الأفقر لا الأقرب.

ومجلس الفيّاض لا يتحدث فيه غيره، وفي غرفته لوحات، كثيراً ما تكون كلماتها مفتاحاً لأحاديثه ومذاكراته، منها آية ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وآية ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٧-١٠]، والذِّكر الذي كان يوصي به سيّدنا النبهان رضي الله عنه إخوانه دائماً:

- بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلاّ الله.
- بسم الله ما شاء الله، لا يصرف السوء إلاّ الله.
- بسم الله ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله.
- بسم الله ما شاء الله، لا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

ودعاء: اللهمّ إنا نسألك الصبر والحكمة، والسعة والرحمة، والشفاء من الأمراض، والعفو والعافية وحسن الختام.

ويستمع رحمه الله كثيراً إلى دروس سيّدنا النّبهان رضي الله عنه ويحرص عليها أشدّ الحرص، ولا يسمح لأحد بتسجيلها منه؛ غيرةً منه على تلك الدروس أن تصل إلى من ينكر فيتأذى بسببها!. حدّثنا الشيخ شريف حمد الراوي من الفلوجة قائلاً: رأيته يفتح المسجّل ويستمع، فقال لي مرّة: توجد عوالم تحتاج إلى سماع الدرس وتتغذى به! وهو يعني بذلك عوالم الجنّ والملائكة.

ووضع الله تعالى لمواعظه القبول في قلوب الناس، فلا تجد أحداً يردّ

عليه أو يعترض أو يتردّد في قبول كلماته. رأيت عالم الأنبار الشيخ عبد العزيز السالم السامرائي وهو على ما عليه من علم ومكانة إذا حضر الفيّاض مجلسه توقف عن التدريس مخاطباً من حوله من الطلبة: استمعوا الآن إلى كلام حديث العهد بربّنا من فم الحاج محمّد الفيّاض!، فيستمعون إليه، والشيخ عبد العزيز كأحدهم، وهذا أمر عاينته بنفسي، ومن وصاياه رَحِمَهُ اللهُ للطلبة: خذوا العلم من الشيخ عبد العزيز، وخذوا الأخلاق من الشيخ النّبهاني، الشيخ النّبهاني وارث الرسول ﷺ.

والفيّاض أقرب مَن في الفلوجة إلى قلب الشيخ عبد العزيز رحمهما الله تعالى، فهو الناصح له، والمحذِّر من غلبة النفس وهفواتها، وكثيراً ما يردّد عنده أرجوزة:

«دخيلك يا ربّ دخيلك، من نفسي ونفس غيري دخيلك.

دخيلك يا ربّ دخيلك، من نفسي وشيطاني دخيلك.

دخيلك يا ربّ دخيلك، ما لي غيرك دخيلك».

واجتمع به في جامع الفلوجة الكبير شيخ الأزهر الشيخ محمّد عبد الحليم محمود إبّان زيارة له للعراق، فأعجب بحديثه، فقال له: هذا كلامك كلام العارفين، أنت عارف بالله يا حاج محمّد.. فأجابه: اذهب إلى حلب لكي ترى العارف بالله، أمّا أنا فيا ليتني شعرة في جسده! فلم يكن رَحِمَهُ اللهُ تعالى ليقبل من أحد أن يجعله بمرتبةٍ لم يكن عليها، أو لم يشهد له بها شيخه.

ورأيته مرّة وقد دخل عليه آخر محافظ للأنبار زمن عبد السلام عارف (شاكر السامرائي) فأمره بعد أن وضع الحلوى في فمه أن يأخذ تحيتين للأمر والنهي الإلهي، فاستعدّ وامتثل.

وللشيخ الفيّاض كرامات كثيرة شائعة على ألسنة الناس، أذكر واحدةً منها: كنت عنده ذات يوم، فدخل عليه ولده إبراهيم وقبّل يده، فقال له: أنا أهنّئك يا إبراهيم، ثمّ التفت إليّ وقال: أنا أهنّئ إبراهيم! فخرج إبراهيم وسألته بأيّ شيء تهنّئه؟ قال: لقد رآني مع الشيخ النّبهاني وهو قادم من الموصل، والشيخ النّبهاني هو الّذي أحضرني معه ولولاه لما حضرت! ولذلك أنا أهنئه. وأخذت هذه الرواية من طرفها الثاني الحاج إبراهيم فأفاد قائلاً: كان سيّدنا النّبهان رضي الله عنه عندنا أثناء زيارته الثانية للعراق، فاستأذنته في سفر إلى الموصل لإنجاز بعض أعمالي في التجارة.. وأثناء رجوعنا ليلاً وعلى الطريق المؤدي إلى ناحية الشرقاط بين الموصل وبغداد رأينا ناراً، وفجأةً ظهر لنا رجل على الجانب رافعاً يده طالباً منا أن نتوقّف! إذّاك كنا نسير بسرعة مائة وعشرين كيلو متراً في الساعة، فدارت السيارة بنا ثلاثاً، ثمّ انقلبت يميناً واعتدلت، وانقلبت شمالاً ثمَّ اعتدلت فندبتُ سيّدنا النّبهان رضي الله عنه ووالدي، فرأيتهما يقظةً في دائرة واحدة في البلورة الأمامية للسيارة، فلم نُصَب بأذى.. وركب معنا ذلك الشخص، فأعطيناه فاكهةً، فأخذها ولم يطعمها، ثمّ استوقفنا بعد دقائق ونزل دون أن نتعرّف إلى اسمه وشخصه.. ثمّ تبيّن لنا أنّا كنا نسير على طريق فرعي يذهب بنا إلى وادٍ مليء بحطام السيارات، ولولا رؤيتنا لتلك النار وذلك الشخص وتوقُّف سيارتنا لكنّا في عداد الهالكين!.

وقد ابتلي الشيخ الفيّاض رحمه الله تعالى قبل سنتين من وفاته بمرض شديد، فاعتزل الناس إلاّ من نفر قليل. عاش رحمه الله تعالى اثنتين وسبعين سنة وفارق الحياة مشتاقاً إلى ربّه عزّ وجل، بعد أن كان يتعشّق

الموت لأكثر من سنتين، حدّثنا ولده الشيخ خليل قائلاً: بقي والدي في المستشفى ستاً وثلاثين ساعة، وكنت أسمع (الله، الله) مع أنفاسه.

وصيته كتبها عنه الشيخ خليل: هذه وصيتي لأولادي ولكل من يسمع كلامي في حياتي وبعد مماتي بصحبة الشيخ النّبهاني واتباعه..

وافاه الأجل سنة **١٣٩١** هـ وشُيِّع إلى مقبرة الفلوجة القديمة، ومن فوقه قبة، وجرّبتُ الدعاء عنده فوجدته مستجاباً، وقد جعل أبناؤه البررة البيت الّذي يسكنه مسجداً يُعرف باسمه، وهو من أشهر مساجد الفلوجة وأجملها.

مع الشيخ عبد الستار الملاّ طه الكبيسي رحمه الله تعالى ١٣٥٠ - ١٣٨٥هـ

الشيخ عبد الستار بن الملاّ طه بن ياسين بن عبد العزيز بن عبد الرزاق بن عبد الحافظ من آل السيّد من عشيرة آل حمد العبيدية، ووالدته: عمشة بنت حسون من عشيرة آل حيدر، ولد سنة ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م في مدينة كبيسة[(١)] ونشأ في أسرة عرفت بالتدين والصلاح، فوالده إمام ومعلم للقرآن الكريم في الجامع الغربي، وما إن أكمل دراسته الابتدائية حتى أنهى تلاوة القرآن الكريم وتجويده على يده، ثمّ ارتحل إلى الفلوجة لينهل كأس حظّه من العلوم الشرعية، فتتلمذ على عالمها آنذاك الشيخ عبد العزيز السالم السامرائي رَحِمَهُ اللَّهُ ولم يتجاوز ثلاث عشرة سنة من عمره.

حدّثنا الشيخ يحيى حمد عبد الله الفيّاض الكبيسي أحد أقرانه في المدرسة قال: لَيْسَ كَمِثْلِهِ أحد في الطلبة بعلو الهمة والحزم والمثابرة، ولا صاحب له إلّا الكتاب، يحفظ المتن والشرح! وأذكر أنه حفظ (مغني

(١) كبيسة: واحة عيون ونخيل في محافظة الأنبار في العراق، بينها وبين مدينة هيت على الفرات ثمانية عشر كيلو متراً، وأهلها عريقون بصفات: الكرم والشرف والشجاعة، حتى إنها على سعتها ليس فيها فندق ولا مطعم، فالناس فيها على الفطرة، يستقبلون ويودّعون. وتقطن كبيسة سبع من العشائر العربية هي: آل حيدر، وآل حمد، وآل الوليد، والمحلف، والمثلوثة، والدريعات، والحاج عيسى، ولزيادة المعلومات انظر كتاب: الشيخ عبد الستار الملاّ طه لفضيلة الشيخ حامد عطيوي الكبيسي.

اللبيب) في النحو إضافةً إلى كتب أخرى، حتى أصبح يتواقف مع الشيخ عبد العزيز السالم في مسألة فيظهر الحق إلى جانبه! هذا مع شدّة أدبه ومحبته لشيخه، كما يظهر ذلك في قوله: لو احتاج شيخي عبد العزيز لأن يبيعني في السوق لكنت مستعداً لذلك!

وحدث أن زار الشيخ قاسم القيسي مفتي العراق مدرسة الفلوجة، فاجتمع حوله تلاميذها، فأراد أن يمتحن ذكاءهم وقابليّاتِهم، فبادر الشيخ عبد الستار بسؤال: ما سبب السكون في (ضربْتُ)؟ فأجابه على الفور: كراهة توالي أربع حركات في كلمة واحدة، قال المفتي: وما فرقها عن كلمة (بَقَرَةٌ) وقد توالت فيها الحركات الأربع؟ فأجاب: إن التاء في (بَقَرَةٌ) زائدة، على نية الانفصال، وهي تاء الوحدة الفارقة لها عن اسم الجنس بَقَرٌ. فأعجب المفتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بملَكته العلمية وسرعة بديهته.

وفي العشرين من عمره تماماً سنة ١٩٥٠م حجّ رحمه الله تعالى، وعاد عن طريق الأردن فزار مدينة القدس ثمّ عرّج إلى حلب ليتشرّف بالتعرّف إلى السيّد النّبهان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ويكون في أوائل الوافدين عليه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، حتى إذا وصل (حلب الشهباء) وجد بنفسه حاجة إلى سدِّ الرمق، فدخل مطعماً فلم يأكل فيه لكونه وسخاً، ودخل آخر فوجده بإدارة امرأة، فعزفت نفسه عن الطعام، وطفق يسأل عن دار سيّدنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حتى إذا قيل له: في هذا البيت يقطن السيّد النّبهان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، طرق الباب، ومع سيّدنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في بيته آنذاك الحاج جاسم محمّد عبد الله الفيّاض الكبيسي، ومن عجائب التقدير الإلٰهي أنه يحدّث سيّدنا عن ذلك الشاب العالم عبد الستار الملاّ طه، فما إن طرق الباب حتى قال سيّدنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : قم يا حاج جاسم افتح الباب للشخص الّذي كنت

تحدّثني عنه!. فرحّب به ﵁ ثم بادره بالطعام، فتمنّع خجلاً، فقال له: أين أكلت؟ فأمّا المطعم الأول الّذي دخلته فهو وسخ، وأمّا الثاني فتديره امرأة! تلك بداية علاقته بالسيّد النّبهان ﵁، فرجع إلى العراق مندهشاً مما رأى من عظمة سيّدنا النبهان ﵁ وكماله.

وبعد أن أمضى اثنتي عشرة سنة في الآصفية الشرعية منحه الشيخ عبد العزيز السالم ﵀ الإجازة بعلوم العقل والنقل، وأعقب ذلك تعيينه إماماً وخطيباً في مدينته (كبيسة) ليحمل مشعل النور والهدى لأبنائها، ثمّ تتابعت زياراته إلى حلب الشهباء ثماني مرات.

حدّثنا الحاج أحمد فندي عبيد الكبيسي[١] في الفلوجة بالعراق قال: حدّثنا الشيخ عبد الستار الملّا طه رحمه الله تعالى: أنه سافر إلى حلب ثماني مرات، وفي إحداها وصل بعد المغرب فوجد الطعام مهيأً بأمر من سيّدنا ﵁ قبل قدومه، وبعد أن أكل المقسوم واستمع إلى مذاكرة وأدّى معه صلاة العشاء أخذ ﵁ بيد الشيخ عبد الستار وانفرد به في باحة المسجد، وقال ﵁: (له: ضع يمينك على كتفي، وأغمض عينيك ولا تفتحهما حتى آذن لك قل: بسم الله، وما هي إلّا لحظات حتى قال: افتح عينيك، أتعرف هذه البلاد؟. قال: نعم، إنها القدس وهذا هو المسجد الأقصى، فدخلنا المسجد سويةً، ورحّب بنا شخص مهيب الطلعة ومعه شيخ آخر أقل منه

(١) الحاج أحمد فندي عبيد الكبيسي، الملقب بـ(جربوع) والد كل من: سالم ووفيق وسهيل، وقد صحب الشيخ عبد الستار الملاّ طه في كبيسة، ثمّ ارتحل بأهله إلى مدينة الفلوجة، زرته واستمعت إلى روايته هذه كما سمعها الشيخ أحمد عبد وطبان الجنابي من غيره عن الشيخ عبد الستار رحمه الله تعالى.

على ما يظهر، فبدأهما بسؤال: أين أبو الباكستان؟ أين أبو بغداد؟)، عنى بهما مسؤولي البلدين في دولة أهل الله. فأجابه: لقد اعتذرا عن عدم الحضور بسبب ضيوف عندهما. وبعد أن أكمل حديثه قال: تعال يا شيخ عبد الستار، ضع يمينك على كتفي.. أغمض عينيك ولا تفتحهما حتى آذن لك.. قل: بسم الله.. وما هي إلاّ لحظات حتى قال رضي الله عنه: (افتح عينيك فإذا بنا في المكان الذي عرجنا منه في الكلتاوية)!!.

ولدى زيارة سيّدنا رضي الله عنه العراق أول مرّة، دعاه الشيخ عبد الستار إلى كبيسة، وخرج بأهلها رجالاً ونساءً شبّاناً وأطفالاً، يستقبلونه على مسافة خمسة أميال مهللين مكبّرين مرحّبين بقدومه، وارتجل الشيخ عبد الستار كلمة قال فيها: إن كان الناس في بغداد قد استقبلوك بسيّاراتهم، فنحن الفقراء خرجنا نستقبلك بقلوبنا. وهو ما كان له الأثر الكبير في سرور السيّد النّبهان رضي الله عنه.

ونعود إلى الشيخ عبد الستار في كبيسة لنرى ماذا عمل فيها بعد أن أصبح الإمام والخطيب والمفتي، هل اكتفى بالإمامة والخطابة ودروس الوعظ وبفتح دورة لأصول التجويد والتلاوة؟

لقد انطلق رحمه الله تعالى في شتى الميادين والأصعدة، فشيّد جامعها الكبير، وابتنى المدرسة الدينية، وأصلح الغدران التي اعتادت القبائل المترحلة أن تغشاها بالماشية، وقاد حملة لتعبيد الطريق بين كبيسة وهيت، وعاونه أهل مدينته الأغنياء منهم والفقراء، وشدّوا على سواعده في كل الاتجاهات حتى أصبح الشيخ عبد الستار كبيسة، وكبيسة عبد الستار، يتواضع ويخدم ويتفقّد الفقراء متخفّياً، ولم يشتغل بالزراعة والتجارة على عادة أهل مدينته، وبقي بالكفاف، ولم يتزوّج!.

والشيخ عبد الستار رجل المواقف تعلوه هيبة وجلال، رأيته مرةً واحدة فظننته في الخامسة والستين من العمر مع أنه لم يتجاوز الرابعة والثلاثين، لما عليه من سكينة ووقار، وكأنّه المجذوب في حاله والغريب في هيئته.

عاش رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوياً في دين الله تعالى، ذائداً عن الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأيام حكم عبد الكريم قاسم في العراق بعد ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨م لم يكتف بالخطب والتظاهرات والاحتجاجات ضد الشيوعيين، بل حمل السلاح وشجّع المسلمين على حمله، وعمد إلى زيارة حاكم العراق آنذاك عبد الكريم قاسم في قصره، وقال له: إن خطراً يهدد ديننا وأمتنا، وأنت الّذي فتحت أبواب تسلط للشيوعيين على الرقاب، حتى عمّت الفوضى في البلاد، ونحن نطالبك بإلجام زيغ المفسدين وكبْح كفرهم ومحْو ظلمهم. فاستمع إليه عبد الكريم قاسم ووجدت كلماته في قلبه موقعاً، فاستمهله لأسبوعين ثمّ نفّذ طلبه، واستجاب له بإيصال أنبوب ماء من الفرات إلى مدينة كبيسة.

والشيخ عبد الستار الملّا طه قدوة حسنة ومَثَل يقتدى به في العلم والعمل والسلوك ومحبة سيّدنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفي أحواله جميعها لا ينسب لنفسه شيئاً ولا يشهد لها حظاً. وفي سنة ١٩٦٥م حظي الشيخ عبد الستار بمرافقة سيّدنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حجته الثانية.

وفي الحجاز: سأله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قائلاً: يا شيخ عبد الستار، ما تقول إذا سلّط الله عليك طلاّبك وتلاميذك؟ والشيخ يحب تلاميذه كثيراً فأطرق رأسه ولم يجب، فأوصاه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالصبر وأن يشهد أن المبتلي هو الله تعالى. وبعد أن رجع من الحج مباشرةً كان الأمر كما أخبره سيّدنا النّبهان، فابتلي بجمع

من تلاميذه نابذوه الجفاء والعداء، وتسلّط عليه أصحابه الأقرب فالأقرب[(١)].

ولم تمضِ إلاّ أشهر حتى وافاه الأجل، بحادث انفجار سخّان حمام المدرسة، وفارق إلى الرفيق الأعلى، يوم الخميس الرابع من تشرين الثاني سنة ١٩٦٥م ودفن في غرفته بجامعه في كبيسة رَحِمَهُ ٱللَّهُ آنسه الله.

ولدى زيارة سيّدنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **الثانية إلى العراق** قصد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مدينة كبيسة، وزار الشيخ عبد الستار بمرقده وكلّمه، فطلب من سيّدنا أن يطمئن والدته التي لا زالت تنحب عليه منذ أربع سنوات، فما إن فرغ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من الزيارة حتى قال لمن حوله: خذوني إلى والدته، وذهب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بجمع من أصحابه إلى دارها وأخبرها الخبر ومما قاله لها: بعلامة الرؤيا التي رأيتيها أول أمس كذا وكذا، وأنه يقول لك إنه في جنّة عدن. وهي تقول له: والله صدقت يا شيخي، صدقت والله يا شيخي[(٢)]. ففرحت وانقطع بعد ذلك بكاؤها عليه.

وكان سيّدنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يثني على الشيخ عبد الستار ويقول عنه: نال المحبة وهي مرتبة عظيمة، ويكثر من قراءة الفاتحة على روحه، ويذكره في المجالس والمذاكرات.

حدّثنا الشيخ يحيى حمد الفيّاض الكبيسي قال: رأيت الشيخ عبد الستار الملاّ طه في رؤيا بعد وفاته فقلت له: أنت الشيخ عبد الستار في

---

(١) حدّثنا بهذه الرواية الشيخ يحيى حمد الفياض الكبيسي، والشيخ عبد العزيز محمّد خضر العاني من الفلوجة بالعراق وهما مرافقان لسيّدنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في زيارته هذه.

(٢) حدّثنا بهذه الرواية المنشد الخاص لسيّدنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ محيي الدين الحلبي وكان مرافقاً له في الزيارة.

الدار الآخرة دار الحق؟. فقال: نعم، أنا عبد الستار في الدار الآخرة دار الحق. ثمّ كرّرت السؤال، وكرّر الإجابة نفسها. قلت: ما فعل الله بك؟ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: زادونا معارف إلهية، ورفعونا مكاناً عليّا.

ولقد خلّد بعض آثاره الشيخ حامد عطيوي الكبيسي في كتاب، اعتمدناه في بعض ما ذكرنا، رَحِمَهُ ٱللَّهُ آنسه الله.

مع الشيخ الشهيد عبد العزيز البدري رحمه الله تعالى

قد يخيَّل للقارئ للوهلة الأولى وهو يقرأ العنوان أن الشيخ البدري[١] ممن شهدوا بدراً، وهو بقوّة شخصيته وجهاده كأنّه كذلك!

حدّثنا شقيقه الحاج محمّد وفيق البدري قال: ولد البطل سنة ١٩٣٠م في محلة (سوق المعتصم) بمدينة سامراء في العراق، ووالده رحمه الله تعالى صاحب بساتين في قرى (خرنابات) بمحافظة ديالى وله علوة لبيع الخضر والفواكه في شورجة بغداد تعرف بـ (علوة سويدان) ولفترة طويلة هو مختار منطقة بني سعيد، وحدث مرّة أنّ نوري باشا السعيد رئيس وزراء العهد الملكي قد جمع إليه مختاري العاصمة في قاعة، فقال الوالد لصاحب معه: لماذا دعانا الباشا؟ قال: لتكريمنا بعشرين ديناراً في الشهر، قال: شيء حسن نعطيها للفقراء، فاستاء الباشا لانفرادهما بحديث وتفوَّه بكلمات..

فما كان من الوالد إلّا أن أمسك بحذائه وخاطب الباشا: أنت نوري

(١) الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف بن أحمد بن عبد المولى بن مصطفى بن طاهر بن عثمان بن محمّد بن دولة بن محمّد بن بدري بن حسين بن علي بن سعيد بن بدري بن بدر الدين بن خليل بن عبد الله بن إبراهيم الأواه بن يحيى بن شريف بن بشير بن ماجد بن عطية بن يعلى بن دويد بن ماجد بن عبد الرحمن بن قاسم بن إدريس بن جعفر الزكي بن علي الهادي بن محمّد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين عليه السلام.. أبناؤه: أحمد، ومحمود، وسعد، وعمر. وأشقّاؤه: محمّد توفيق، ومحمّد شفيق، ومحمّد وفيق، وحسان، ووليد.

باشا؟ قال: نعم، قال: خذها إذن، ورماه بها! ولم يتخذ الباشا أي إجراء ضده، حتى إذا انفض الاجتماع نهض صاحبه واسترجع حذاءه!، والشيخ عبد العزيز هو الشبل لذلك الوالد الأسد.

أكمل دراسته الابتدائية في سامراء، وارتحل مع والده إلى بغداد، فأرسله إلى المدرسة الشرعية المرجانية لدى الشيخ فؤاد أحمد شاكر الآلوسي (وكان يلقبه بالحلو) ودرس على الشيخ قاسم القيسي، والشيخ أمجد الزهاوي كما أخذ العلم الشريف من الشيخ محمّد القزلجي، والشيخ عبد العزيز الشواف، والشيخ شاكر البدري، والشيخ كمال الدين الطائي.

وبعد أن أتمّ اثنتي عشرة سنة في طلب العلم وحان وقت منحه الإجازة تردّد الشيخ الآلوسي في منحها إياه، فدخل رجل من أهل الله مجذوب يتردد على الشيخ فؤاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ البدري عنده في حلقة درسه فأشار إلى الشيخ عبد العزيز وقال: هذا يُعطَى الإجازة، ومضى يومان، والشيخ البدري يبكي ويتضرع في خلوته، فأرسل إليه الشيخ فؤاد يقول له: كُتِبَتْ ثمّ وُقِّعَتْ، عنى بذلك سيّدنا رسول الله ﷺ الّذي كتبها ووقّعها في رؤيا رآها رحمه الله تعالى.

ومنذ أن حصل على الإجازة ظل يتنقّل في وظائف الإمامة والخطابة داخل بغداد من جامع إلى آخر، وله من خلالها مواقف جهادية تتطلب لوحدها كتاباً خاصاً.

بدأت علاقته بسيّدنا النّبهان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إبّان زيارته الأولى للعراق سنة ١٩٦٢م، فأحبه كثيراً وتعلق بجنابه، وسافر إليه أول مرّة بصحبة الشيخ ناظم العاصي رحمه الله تعالى.

وأضاف أخوه الحاج محمّد وفيق قال: يوم كان أخي عبد العزيز إماماً وخطيباً في جامع عادلة خاتون ببغداد دخل علينا الشيخ ناظم العاصي رحمه الله تعالى يحمل عمامتين نبهانيتين(١) فقال: هذه لك يا عبد العزيز، وهذه لك يا محمّد وفيق، لفّهما سيّدنا النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على رأسه وأرسلهما لكما. وكانت عمامة أخي عبد العزيز من قبلُ طربوشاً أحمر ولفّة بيضاء.

قال سيّدنا النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الشيخ عبد العزيز البدري أول مجيئه إلى هنا حضر المشايخ ليسلموا عليه، قال لهم: لا.. أنا جئت عند الشيخ النّبهاني، ولا أجتمع مع أحد!

أما سفرته الثانية فبدعوة من سيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حظي فيها بساعات طويلة وحدَهُ، وتشرف بالاستماع إلى مذاكراته وتوجيهاته، فازداد تعلُّقاً بجنابه، وهذه كلمات مسجلة يخاطب سيّدنا فيها تُظهر مدى شغفه به ومحبته لحضرته.. قال الشيخ عبد العزيز البدري: أليس من فضل الله علينا يا سيدي أن نأتي من العراق ونجلس عند قدميك! أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هذه عناية إلٰهية جاءت بك لتأخذ الزبدة بمدّة قليلة، يا شيخ عبد العزيز هذه عناية. قال البدري رَحِمَهُ اللهُ: سيدي، يغضبني في بعض الحالات واحد، فأراك أمامي وأسكت.. والّذي رأيناه فيكم سيدي كلّه جميل، وأجمل ما فيه: تقول وتعمل، علّمتَ الناس بأن الرسول ﷺ يقول: استدن عليّ.. سيدي: الّذي رأيناه منكم ما سمعناه من أحد ولا قرأناه في الكتب.

أما سفرته الثالثة فبصحبة ولده أحمد وأخيه محمّد وفيق سنة ١٩٦٧م حدّثنا أخوه الحاج محمّد وفيق قال: وصلنا إلى الكلتاوية يوم خميس، وفي

(١) العمامة النّبهانية: بيضاء ناصعة، متميزة بعذبتين، كما ورد في السنّة النبوية.

اليوم التالي همّ خطيب المسجد الشيخ منير حداد رحمه الله تعالى لارتقاء المنبر فاستوقفه سيّدنا النّبهان ﷺ وأشار إلى أخي عبد العزيز فجأةً ليخطب الجمعة! فامتثل. وجلس ﷺ مقابلاً له، بدلاً من جلسته المعتادة عند المحراب، وارتجل أخي خطبة موضوعها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] يحثّ الناس ويحضّهم على صحبة السيّد النّبهان والصدق معه. حتى إذا أنهى الجمعة سئل ﷺ: كيف رأيت يا سيدي الشيخ عبد العزيز البدري وهو على المنبر؟ أجاب ﷺ وهو يشير إلى عمامته: رأيته نوراً من فوق رأسه إلى قدمه.

وحين قدم سيّدنا النّبهان ﷺ إلى العراق للمرّة الثانية: كان الشيخ البدري ملازماً له، وعنده جدول تنقُّلاته وزياراته ودعواته. حدّثنا الشيخ يحيى حمد الفيّاض الكبيسي من الفلوجة بالعراق قال: كنا نتهيب أن نسأل سيّدنا ﷺ أثناء مروره على مراقد الأولياء في بغداد، إلّا أن الشيخ البدري يسأله عن مشاهداته، وسيّدنا يجيبه بما شاهد وما جرى بينه وبين من يزوره من أحاديث.

لقد تعلق الشيخ البدري رحمه الله تعالى بسيّدنا ﷺ تعلُّق الرضيع بأمه، فلم يفتر، ولم تكن له صبوة أو جفوة ولم يزدد بقوّة صلته ومحبته إلّا قوّة وصلابة في مواقفه، إذا رأيته جلس أو مشى أو تحدث لا تحسبه إلاّ أميراً أو قائداً، يعرض بعرض صدره الفتوة والرجولة والشجاعة ويجسّد في شخصيته عزّ الإسلام والمسلمين.

وهذا غيض من فيض، أمضى فيه حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واستشهد في ٢٦/٦/١٩٦٩م بعد أن سجن ثمانية عشر يوماً وعُذّب ومُثِّلَ به على أيدي المجرمين

في مديرية الأمن العامة، ودفن مجاوراً للشيخ أمجد الزهاوي رحمه الله تعالى بمقبرة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه ببغداد. وحزن سيّدنا النّبهان رضي الله عنه لمصابه، وشهد له بشهادة سيّدنا حمزة رضي الله عنه وقال عنه: (ما جابته الجائبات أي لم تلده الوالدات في بغداد).

وللشيخ البدري رحمه الله تعالى مؤلفات، منها ما هو مطبوع ومنها ما لم يطبع[1]:

١ - الإسلام بين العلماء والحكام.

٢ - حكم الإسلام في الاشتراكية.

٣ - الإسلام ضامن للحاجات الأساسية، لكل فرد يعمل لرفاهيته.

٤ - الإسلام حرب على الاشتراكية والرأسمالية، لم يطبع.

القرآن كتاب الله الخالد، لم يطبع.

عاش رحمه الله تعالى أربعين سنة، وأمضى حياته في الكفاف براتب الأوقاف، ورعاً عفيفاً كلّه لله بالله، وقد عُرِفت له كرامات في حياته وبعد مماته، منها: أنه في كانون الثاني من سنة ٢٠٠١م أي بعد وفاته رحمه الله تعالى باثنتين وثلاثين سنة توفي أحد القادة العسكريين المتقين، فحفر له إلى جنب الشيخ البدري رحمه الله فأصابت الفأس لحده فانفجر الدم منه!! وفي هذا القدر كفاية، رحمه الله آنسه الله.

(١) وإن عناوين كتاباته تنبئ عن مدى تأملاته وتطلّعاته.

مع الشيـخ محمود مهاوش الكبيسي رحمه الله تعالى

هو الشيخ محمود بن مهاوش بن منصور بن حسوني الكبيسي، من عشيرة الدريعات، ولد في ناحية كبيسة سنة ١٩١٠م، وفي أسرة متدينة نما غصنه وأورق، وتلقى مبادئ الكتابة والخط وتلاوة القرآن الكريم في الكتاتيب، ودرس علوم الشريعة والعربية على يد مفتي الدليم(١) الشيخ محمّد سعيد التكريتي، وتخرّج في المدرسة العلمية الدينية في الرمادي سنة ١٩٤٧م، واشتغل في التجارة، وكان موفَّقاً فيها أيّما توفيق، ولم يشغل أيّ وظيفة حكومية.

سافر إلى دمشق وسلك طريق القوم أهل الله على يد الشيخ محمّد الهاشمي الشاذلي، وأجازه بالطريقة الشاذلية، وسافر إلى المدينة المنورة فأخذ الطريقتين النقشبندية والقادرية عن الشيخ عبد الغفور العباسي، ثمّ حطّ رحله في حلب عند سيّدنا النّبهان رضي الله عنه سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م، وقد دوّن رحمه الله تعالى علاقته به في رسالة جمع فيها كثيراً من كلام سيّدنا رضي الله عنه سمّاها «تحفة الإخوان، من فيوضات الشيخ نبهان» قال فيها(٢):

(١) الدليم: يشمل محافظة الأنبار حالياً، ومركزها مدينة الرمادي.

(٢) رسالة: تحفة الإخوان، من فيوضات الشيخ نبهان رضي الله عنه. وقد أفادتني كثيراً، واعتمدتها في الكتاب، فجزاه الله بما يجزي أحبابه وأولياءه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الّذي فتح لأوليائه طرق الهدى، وأجرى على أيديهم الكريمة أنواع الفضائل؛ فمن اقتدى بهم رشد واهتدى، ومن تمسك بأذيالهم فاز وأفلح، ومن قابلهم بالاعتراض نال الطرد وأقبح، أحمده حمد من علم أن لا ملجأ منه إلّا إليه، وأشكره شكر من تحقق أن الخير كلّه بيديه، وأصلي وأسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى، ومصابيح الدجى، عدد من صلى عليه، وبعد:

فيقول العبد الفقير، المعترف بالذنب والتقصير، المفتقر إلى الله الغني، محمود بن مهاوش الكبيسي، غفر الله ذُنوبه، وملأ من الخيرات ذَنوبه:

لمّا منّ الله عليّ وله الحمد والشكر بمعرفة المرشد الكامل، الوارث المحمّدي، صاحب الهمة العرشية، والأنوار المحمّدية، والأسرار الربانية، قطب المحبين، وحامل لواء العارفين، محقق العرفان، سيدي وشيخي وقدوتي إلى ربي الشيخ محمّد النّبهان، أطال الله في حياته، ونفعني والمسلمين بمعارفه ونفحاته، فقد لازمته مدّة إقامتي في حلب حماها الله، وسمعت منه ﵁ ما لم يطرق سمعي منذ نشأت من إنسان، ولا رأيته مسطوراً في ديوان، من المعرفة بالله تعالى ورفع الهمم، والعروج بالأرواح إلى بارئ النسم، فشاهدت من علومه ومعارفه وعلوّ همته وكرمه وعفّته ونزاهته وشمائله ولطائفه ورحمته وعطفه ما غمرني وبهرني وقادني وسرّني وأسرني بحيث إنّ من رآه من أهل البصيرة تحقق أنه غوث زمانه ومجدد عصره وأوانه، بل هو سيد العارفين، وإمام أهل زمانه أجمعين.

لذا فقد انتسبت لجنابه لله، وقلت: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا

لنهتدي لولا أن هدانا الله، وكان اجتماعي به ولله الحمد عام ١٣٦٧ هجرية، فبقيت أتردد في خدمته بضع سنين، أسمع من معارفه التي لا تعد ولا تحصى، ولم أوفق لحفظ كلامه إلا النزر القليل فكنت أسمعه ولا أعقله لضعف جَناني، وانشغالي بأموالي وعيالي وكثرة نسياني، وكنت أذكر لبعض أصحابي وأحبابي لا سيّما عند سفري إلى العراق أذكر لهم من كلامه على حسب غفلتي وعصياني، إذ ينكسف نور كلامه حين يجري على لساني، فيعجبون منه ويقولون: ما سمعنا بمثل هذا العارف في زماننا، وكل من سمع منهم شيئاً يبقى متلذذاً اليوم واليومين والشهر والشهرين، ويقول: كرّرْ علينا ما سمعته من الشيخ، فأذكر لهم ما تيسّر، فيزيدهم ذلك حباً وتعجباً، ومن هؤلاء الأفاضل مفتي الديار العراقية علاّمة زمانه الشيخ قاسم القيسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ومنهم فقيه الزمان، بَلْ أبو حنيفة النعمان، قطب الاهتمام بأمر المسلمين، ومن لسائر العلوم والفضائل حاوي، فضيلة الشيخ أمجد الزهاوي حفظه الله، ومنهم العالم العامل، والمرشد الكامل خطيب الإمام الأعظم ببغداد تداركه الله بلطفه ربُّ العباد الإمام الصوفي النجيب، الشيخ عبد القادر الخطيب، ومنهم زاهد هذه الأمة بل أويس زماننا، الحاج محمّد الفيّاض، ومنهم من به على الأقران نتباهى، الشيخ عبد الستار الملاّ طه، إمام وخطيب ومدرّس كبيسة، وغيرهم من كبار العلماء والصالحين، ولولا خشية الملل لسمّيت الّذين كانوا يسمعون مني كلامه ويتلذذون به.

فإن من عرف من المذكورين عرف مكانة شيخنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لشهرتهم في الناس بالولاية والتوقير، مع كثرة مخالطتهم للصالحين والأولياء والعارفين.

وبعد ما سمع السادة المذكورون بعض كلامه، شدّوا الرحال إلى

حلب، وقد أمروني جميعاً بالدوام على محبته وخدمته، رزقني الله ذلك بمنّه وكرمه، لذلك فقد رأيت أن أجمع بعض ما سمعت منه ﵁ ، وأنّى لأمثالي أن يحفظ كلام الشيخ أو يتصرف بعباراته، فإنه لا مرقى لكلامه إلاّ من السلّم الّذي صعد منه، وإنما هي قطرة من بحر زاخر، لا قعر له ولا ساحل، ونبذة يسيرة كسّرها عجمي ولوّثها قلمي، أما العلوم التي صدرت منه والمعارف التي أفاض بها، فلا يحصيها إلاّ ربه الّذي خصّه بها.

واللهَ أسأل أن يحفظ لساني وقلبي من الزيغ والزلل عن مراده، وقد سمّيتها: (تحفة الإخوان، من فيوضات الشيخ نبهان)، نفع الله بها مؤلفها وقاريها وسامعها وكاتبها والمسلمين.

واعلم يا أخي - نفعني الله وإيّاك بعلوم أهل الله وأسرارهم - أنّ ما جمعته في هذه الرسالة ليس مرتباً على فصول وأبواب ولا أبحاث جامعة منظمة، وإنما هي رشحات أصابتني منه في بعض الاجتماعات، فكتبت ما وعيته منها، ولست من طلاب النحو والبيان، بل إنني أميّ أعجمي اللسان، فخذ المعنى ولا تنظر إلى المبنى، فو الله لا يقال للعبد: لَمَ لم تكن معرباً؟ وإنما يقال: لَمَ كنت مذنباً؟.. هذا ولمّا كنت مشغولاً بل منهمكاً بجمع الأموال، وكثرة الأهل والعيال، كان نصيبي من حضرة الشيخ قليلاً، فالمرجوّ من إخواننا الّذين أكرمهم الله بخدمته وصحبته أن يراسلوني بما سمعوه منه أو يكتبوا في هذه الرسالة، لكن بلفظ الشيخ، ولا يتصرفوا في عباراته، فإن نور كلامهم بأنفاسهم الطاهرة» اهـ[(١)].

---

(١) انتهت مقدّمة الشيخ محمود مهاوش.

والشيخ محمود رحمه الله تعالى من أول الوافدين أو هو أولهم، أسكنه رضي الله عنه في غرفة في الكلتاوية، فلازم سيّدنا في السفر والحضر، بل هو مفتاح لكثير من مذاكراته وتحقيقاته، هذا مع كونه شخصية محبوبة، يتميز بقوّة فهمه وطلاقة لسانه وجهورية صوته وسعة علمه، وببركة صدقه في صحبته وخدمته لشيخه نال الكثير، فقد حدّثني مرّة عن نفسه قائلاً: بقيت عشرين ليلة وأنا في بغداد لا أنام ولم يفارقني سيّدنا النّبهان رضي الله عنه إلا نصف ساعة، وكان الشيخ عبد القادر الخطيب يسألني فأسأل سيّدنا رضي الله عنه وأعطيه الجواب، وهو لا يسمعه ولا يراه!!.

وحدّثني أيضاً فقال: حضرت مع سيّدنا رضي الله عنه دعوة بحلب فكشف لي عن حقائق الحاضرين، فرأيت من هو كالحمار، وكالذئب، وكالكلب، فعزفت نفسي عن الطعام، إذ كانوا يأكلون فينقلب الطعام في أيديهم قصيلاً أي: حشيشاً تأكله الدواب. أما سيّدنا رضي الله عنه فإن الطعام يسبّح في يديه، وأسمع تسبيحه، فألحّوا عليّ بالأكل، فلم أستطع، فناولني رضي الله عنه كأساً من لبن فشربته واكتفيت، فما أعظم تحمله رضي الله عنه للناس، وما أوسع حلمه ورحمته.

وللشيخ محمود الكبيسي كرامات وأذواق كثيرة أخرى، وله في وجوه البر كثير من الخيرات، فقد ابتنى جامعاً كبيراً في منطقة الداودي بجانب الكرخ من بغداد، وأسهمَ في تشييد جامع ومدرسة كبيسة، وطبع عدداً من الكتب ووزّعها ابتغاء مرضاة الله، وكانت له غرفة في الحضرة القادرية، هي ملتقى أصحابه وتلاميذه من داخل العراق وخارجه، وبقي لأكثر من عشرة أعوام يقيم حلقة ذكر في جامع سيّدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ويلقي الدروس والمذاكرات، والتفّ حوله جمع غفير، فأفادهم بالوعظ

والتوجيهات، ولم يفتر رحمه الله تعالى حتى وافاه الأجل يوم الخميس ٧/ ١/ ١٤٠٤هـ، الموافق لـ ١٣/ ١٠/ ١٩٨٣م. وشيّع تشييعاً مهيباً ودفن في مقبرة الحضرة القادرية ببغداد رحمه الله، آنسه الله، وجزاه بخير ما يجزي أحبابه وأولياءه إنه سميع مجيب.

مع الشيخ عبد العزيز السالم السامرائي رحمه الله تعالى

ركن العلم في العراق، هكذا سمّاه سيّدنا النّبهان ﷺ، وقال عنه أيضاً: (ما رأت عيني مخلصاً مثله بالعلم)، ولد رحمه الله تعالى في مدينة سامراء سنة ١٩١٧م. ولمدرسته الآصفية الشرعية في الفلوجة أكبر الأثر في نشر العلم، وتخريج العلماء، وله - رحمه الله تعالى - من المؤلفات والدروس والمواعظ والمآثر في الحاضر والبادي ما يجعل ذكراه خالدة في قلوب الناس، بدأت علاقته بسيّدنا ﷺ إبان زيارته للعراق سنة ١٩٦٢م ثمّ قصده إلى حلب خمس مرات في خمس سنوات، يرافقه في كل مرّة جمع من تلاميذه وأصحابه.

وكان للشيخ محمّد عبد الله الفيّاض أثر كبير في تقوية رابطته بسيّدنا النّبهان ﷺ، فتعلق به حتى إنه كان كثيراً ما يورد بمواعظه وخطبه نصوصاً من توجيهاته، مبتدئاً بحديث: «**إن الله ليبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها**»[(١)]. وإن هذا الوارث المجدد يقول كذا وكذا..

حدّثنا الشيخ جمال شاكر محمود قائلاً: حضرت مجلساً لسيّدنا النّبهان ﷺ في زيارته الأولى للعراق فيه: الشيخ عبد العزيز السالم السامرائي، والحاج محمّد عبد الله الفيّاض، والشيخ محمود مهاوش الكبيسي، والشيخ حامد الملّا حويش، والشيخ عبد الودود رشيد، فقال

(١) أخرجه أبو داود في سننه: (٤/١٠٩) برقم: (٤٢٩١).

الشيخ عبد العزيز السالم مخاطباً سيّدنا ﵁ : إذا واحد سألني عن رسول الله ﷺ أتكلّم له عنه، وعندي أيضاً رسالة عن سيرة رسول الله ﷺ ولكن لمّا أرجع إلى نفسي: أرى نفسي لا أعرف رسول الله ﷺ!! فقال ﵁ : (صدقتَ يا شيخ عبد العزيز لأنه لا نسبة بينك وبين رسول الله ﷺ ولا يمكن أن تعرف الرسول ﷺ حتى تفنى في العارف، فإذا فنيت في العارف - وأشار إلى صدره الشريف - العارف ينقلك إلى رسول الله ﷺ ومدّ كلتا يديه، فإذا فنيت في رسول الله ﷺ ينقلك إلى الحضرة الإلٰهية)!

ومنع سيّدنا ﵁ الشيخَ عبدَ العزيز من إسقاط الصلاة عن المتوفى بطريقة الشيخ محمّد بن الحسن الشيباني ﵀ صاحب سيّدنا أبي حنيفة ﵁ التي فعلها عن جدّته.. فترك العمل بها الشيخ عبد العزيز بعد ذلك.

حدّثنا الشيخ حمزة عباس مهنا من الفلوجة بالعراق قال: سافرنا وكنّا أحدَ عشرَ شخصاً بمعيَّة الشيخ عبد العزيز السالم السامرائي إلى حلب قاصدين شيخنا النّبهان ﵁ ، فلما وصلنا ضمّنا مجلس واحد بحضرة سيّدنا النّبهان ﵁ فدار بينه وبين الشيخ عبد العزيز الحديث التالي: قال سيّدنا النّبهان ﵁ : يا شيخ عبد العزيز، أنت جئت سالكاً أم متبركاً؟. فأجاب رحمه الله تعالى: جئت إليك ولا أدري! ولكنني أرى طريق أهل الله لا يوجد أحسن منه. قال ﵁ : (لا تقل: لا يوجد أحسن منه، بل لا يوجد غيره! وإذا جئت سالكاً وتسلّم لي، أوصلك إلى الله تعالى بخمس دقائق)! قال رحمه الله تعالى: وكيف أسلّم لك؟. قال ﵁ : (إذا أقول لك: طلق زوجتك، تطلقها! ولكني لن أقول لك ذلك وإذا قلت لك: اترك التدريس

تتركه. قال رَحِمَهُ اللهُ: إذا أرى فيها مصلحة، فأرجع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كرسيه وهو يقول: أها رجعنا للمصلحة).؟!

حدثني الشيخ محمّد مطلق عبيد من الفلوجة بالعراق قال: لمّا زار سيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ العراق المرّة الثانية سنة **١٩٦٩**م كان الشيخ عبد العزيز السالم رحمه الله تعالى يرقد في مستشفى ببغداد بسبب مرض أصاب قدمه، وكنا نتناوب على خدمته أنا والشيخ أيوب محمّد الفيّاض فجلس عنده نصف ساعة وحدّثه فقال: يا شيخ عبد العزيز.

وقاطع لمن واصلت أيام غفلة

فما واصل الأحباب من لا يقاطع

فلمّا خرج رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال لي الشيخ عبد العزيز: يا محمّد أتدري كم سنة عمري؟ قلت: لا.. قال: ليس لي عمر غير نصف ساعة هذه التي زارني بها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ!!. عاش تقياً ورعاً غيوراً على الدين، قوياً في الذبِّ عنه، مصلحاً بين الناس، أوذي في سبيل الله فصبر وعانى من بلاء في جسمه فشكر، وارتحل إلى مدينة سامراء وتوفي هناك في **٣/ ١٢/ ١٩٧٣**م.

مع الشيخ عبد الكريم عبد الوهاب الآلوسي

هو والدي السيّد عبد الكريم بن عبد الوهاب بن عبد الغني بن عبد اللطيف بن الشيخ عبد الواحد بن محمّد بن أحمد بن علي بن الشيخ عبد القادر الطيار الحموي، من ذرّية الشيخ عبد الرزاق بن سيّدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، ووالدته حبيبة بنت عبد المطّلب بن الشيخ عبد الواحد، وبه يلتقي نسب أمه بأبيه، فهو حسني الأبوين.

ولد في آلوس بالعراق، وآلوس هذه جزيرة في أعالي الفرات، بين مدينتي هيت وحديثة، وللثانية أقرب، ويرجع تاريخها إلى أربعة آلاف سنة قبل الإسلام، وهي بالفارسية: (كمين السلاح) طولها ميل وعرضها بنصفه، يلحظها الناظر جنة خضراء، يحتضنها الماء، وهي بمظهرها الخلاب، ومنظرها الجذاب، قد اتّسقت كالهلال، سفينةٌ ومسجدها كالصواري، ملجأ للزهّاد، وخلوة للعبّاد، ونزهة للقلوب والأرواح، يقصدها السوّاح من كل فج، ويرتادها المكروبون والمرضى، لعل همومهم تذهب وعناءهم يُمحى ببركة من فيها من أولياء، كالشيخ عبد القادر الطيار، والشيخ عبد الواحد آل الطيار، والشيخ الحاج مصطفى الجيلاني، وغير هؤلاء.

أدخله والده رحمه الله تعالى في زمرة المتعلمين للقرآن الكريم، فتلقى التجويد والتلاوة في مدرسة الملّا محمّد عيسى الحسيني المشهداني، ثمّ تابع دراسته في العلوم الشرعية والعربية فدرس على الشيخ التقي الورع محمّد سعيد بن ملّا علي الخطيب الآلوسي، الّذي أخذ عنه أكثر من في

تلك الناحية علومهم وقتئذٍ، فنال حظه وقسطه لا سيّما في القرآن الكريم والحديث والنحو والفقه الشافعي والمواريث والسيرة النبوية، وأكمل دراسته في دواوين آلوس. فقويت علميته وتنوعت، حتى أصبح رحمه الله تعالى موسوعة علوم ومواعظ وسير وأمثال وأشعار، مع كونه أحد المراجع المهمّة في أنساب آل البيت الأطهار خاصة والناس عامة، يقصده الناس للفتوى والتبرُّك والرقية وحل الخصومات.

وللوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ شخصية متميزة، ووجاهة، حباه الله تعالى حسن الخَلق والخُلق، وسلامة الصدر، وقوّة المنطق، وصلابة الوقوف مع الحق، كما وهبه الله تعالى فراسةً صادقةً، وميزاناً في تقويم الرجال، ولباسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ الجبة والعمامة الخضراء شعار آل بيت النبيّ ﷺ.

كان رحمه الله تعالى مزارعاً، له بساتين هنا وهناك، إلّا أنّ بعض الأخيار حبّب إليه الوظيفة ليخدم دين الله تعالى في إحدى الجهات، وعيّن في ٥/ ٧/ ١٩٥٨م واعظاً سيّاراً في الرحالية، ثمّ مرّت بضع سنوات فارتحل بأهله إلى مدينة الفلوجة في ٣/ ١٢/ ١٩٦٢م وانتقلت وظيفته في عشائرها.

وفي الفلوجة هو أحد جلساء الولي الشيخ محمّد عبد الله الفيّاض، والشيخ عبد العزيز السالم السامرائي، والعبد الصالح الحاج عبيد عبد الله دريع الكبيسي، وهم خيرة أهل المدينة، فتأثّر بمجالسهم، وأرشده الشيخ الفيّاض إلى سيّدنا النّبهان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فعقد نيته للسفر إلى حلب ليحظى برؤيته ويتشرّف بالانتساب إلى طريقته.

رافقته في السيارة من الفلوجة إلى بغداد في ١/ ٥/ ١٩٦٧م ليبدأ سفره من هناك بحافلة تابعة لشركة الاقتصاد، وفي ساحة المتحف وقبل أن تتحرك الحافلة ولعلمي بأن سيّدنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قلّما يدع وافداً عليه دون امتحان

ألهمني الله تعالى تذكيره، فقلت له: يا والدي، ربّما تُمتَحَن فكن على حذر! وأرجو أن ترجع وأنت ناجح، فقال رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ: يا ولدي، إن شاء الله سأنجح في الامتحان.

حدّثني رحمه الله تعالى قائلاً: وصلنا إلى مدينة دمشق، وركبنا في سيارة ثانية إلى حلب، ورافقنا مطر غزير حتى إذا وصلنا حماة سلكنا طريق (أريحة - حلب) ووصلنا جبل الأربعين وكان المطر على أشدّه، ونزلنا في وادٍ عميق أعاق سيرنا وانطفأ محرّك سيارتنا التي تحمل خمسة أشخاص، وخشية أن يجرفنا السيل العرم الّذي كاد أن يقتلع السيارة، خرجت مع اثنين معي، أما أنا فقد تمسّكت بأحد أعمدة الهاتف، في وقت بدأ (الحالوب)[١] يتساقط كأنّه البيض ما عهدت له مثيلاً في حياتي! وبلغ الماء منتصف صدري، وكانت معي أمانة كادت أن تضيع لولا كونها في محفظة (بلاستك) ودبّ إليّ اليأس وأيقنت بالهلاك وصرت أصرخ وأنا بوحشة الخوف والظلام والغربة: يا غوث، يا غوث، أنا قاصد رجلاً من الصالحين، وأنشدت باضطرار:

أيدركني ضيم وأنت ذخيرتي
وأظلم في الدنيا وأنت نصيري
وعارٌ على راعي الحمى وهو في الحمى
إذا ضاع في البيدا عقال بعيري[٢]

فحفظت العمامة رأسي، ومضت ساعة أو أكثر.. فخفّ المطر ثمّ

(١) الحالوب: هو البَرَد.
(٢) البيتان لسيّدنا عبد القادر الجيلاني رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهُ.

توقف، فخطوتُ صوب السيارة وفقدت مداسي، وإذا بسائق السيارة يقول: أخونا العراقي حي؟! وتناولت حقيبتي فأخرجت بعض ملابسي واستترت، وفقدنا اثنين ممّن معنا قد جرفهما السيل، ثمَّ وصلتنا عربة إنقاذ حكومية فأخذتنا إلى حلب، وكانت الساعة الواحدة ليلاً، فلجأت إلى أحد الفنادق، وأسلمت للعاملين ملابسي فتعهّدوا تنشيفها وكيّها، حتى إذا أصبح الصباح أوصلتني سيارة إلى باب الحديد فمقدّمة الدرج الصاعد إلى الكلتاوية، فاستقبلني شخص قال: أنت ضيف سيّدنا؟ قلت: نعم، فحمل أمتعتي حتى أدخلني المسجد، ومع أنّها زيارة لأول مرّة فقد عرفني خادم سيّدنا الحاج مصطفى سروجي رَحِمَهُ اللهُ وقال لي: أنت أبو هشام؟ قلت: نعم، ثمّ رحّب بي وقدّم لي طعام الإفطار، فأكلت وتضلّعت ثمّ رجوته أن يعرّفني إلى سيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فدخلت عليه وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مجلس مذاكرته، فإذا به رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كالشمس لا يخفى على أحد، ونهض يستقبلني ويقول: أهلين وسهلين، أهلين وسهلين ثمّ شبكني وقال: أحبّك حبين: حب الإسلام وحب آل البيت، أآذاك المطر؟ أين بتّ البارحة؟ أنت كثيراً كنت تصيح: يا غوث يا غوث أغثني يا غوث، أنا قاصد رجلاً من الصالحين وكلمات معها، قلها قلها، أيدركني ضيمٌ... فذكرت له قصتي وهو عالم بها وكرّرت البيتين اللّذين كنت أردّدهما، فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لا يرتضون العار، ولا تكن حبّاباً للدنيا، لأن حبّاب الدنيا لا يغيثه الله كل يوم، وأثناء جلستي قلت في نفسي مستذكراً الإفطار الشهي الذي قدمه لي خادمه: سيدي أنا ما جئت للأواني بل للمعاني، فكاشفني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بها وقال لي: مرحباً بك للمعاني والأواني).

تلك الحادثة صنعت من الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنساناً جديداً، بعد أن نجح في الامتحان، وبقي هناك أياماً عدة، شهد فيها جوانب أخرى تعرّضت لبعضها في بحث (رجل المواقف).

ودعاه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لجلسة خاصة في بيته بعد الفجر، فلمّا نزل من المسجد إلى باب الدار انفتح الباب أمامه! فخرج رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من داخل البيت قائلاً: أهلين وسهلين، من فتح لكم الباب من فتح لكم الباب؟ قال: سيدي لم يفتحه أحد، بل فتحته بركاتُكم!. ورجع من حلب بالدهشة، بعد أن أجازه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بإقامة حلقة للذكر، والرقية بالفاتحة على كل مصاب وفي جعبته أجوبة عن أسئلة منها:

س١: ما هو علاج حب الدنيا؟

أجابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حب الصالحين، وصحبة الصادقين.

س٢: هل الهدية على الرقية حلال أم حرام؟

أجابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حلال.

س٣: لديّ بنات في المدارس هل أبقيهنّ في المدرسة؟

أجابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالموافقة على بقائهنّ واشترط حجاب الوجه والتهجّد.

س٤: ما علاج الغيبة؟

أجابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أكل الحلال، فالّذي يتغذّى من الحلال لا يغتاب الناس.

س٥: أرجو أن تجعلوا لنا رابطة بكم في الفلوجة، نتلقى فيها نصيحتكم وتوجيهاتكم؟

أجابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: في الأمور الروحية الحاج محمّد الفيّاض.

قال والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي الجلسة الخاصّة قام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقمت، فقال لي: أحبك يا سيد واحدة حب الإسلام، والثانية لنسبك.

ولمَّا رجع رحمه الله تعالى من حلب صار يحدّث البادي والحاضر بما رأى وما سمع من وارث رسول الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وبقي يحفظ الود والعهد لسيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ويتذكّر شمائله ويبكي.

وأثناء زيارة سيّدنا الثانية للعراق مكث رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الفلوجة أياماً، وتشرّفنا بزيارته لبيتنا، وقصّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ للحاضرين ما جرى في سفرته إلى حلب وسيّدنا يستمع لحديثه.

توفي رحمه الله تعالى بعد المغرب من يوم ٢٧/ ٢/ ١٩٨٠م. وكانت الإمامة في جامع أبي عبيدة في الفلوجة آخر محطّات وظائفه، وكان يكره الإحالة إلى التقاعد، فأحيل إليه في اليوم الّذي توفي فيه!

وإنّه ليوم مشهود خرجت فيه الفلوجة بالأعلام والدفوف لتوديعه، وقد اعتلت النعش عمامة خضراء، ودفن في مقبرة الفلوجة محاذياً للولي الشيخ محمّد الفيّاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وترك وصيةً جاء فيها: هذا آخر عهدي من الدنيا، أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، وأنا لا طالب ولا مطلوب.. وتركتُ لك يا ولدي وصية بثلث أموالي تنفقها على روحي في الصدقات الخيرية، ومائتي دينار ملفوفة في كيس (نايلون) لمجلس الفاتحة..

رحمه الله.. آنسه الله..

مع الشيخ إبراهيم ارحيّم الهيتي رحمه الله تعالى

هو الشيخ إبراهيم بن رحيّم بن جدّي بن جاسم بن حديد، من عشيرة العفاريت من (شمّر) ولد في مدينة هيت سنة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م ونشأ في أسرة فقيرة، إذ كان والده نسّاجاً لا يجاوز كسبه قوت يومه، إلّا أنه تقي، ورع، محب للعلماء والأولياء، فدفع بولده إبراهيم إلى المدرسة الشرعية، وعمره خمس عشرة سنة، وخصّ الله تعالى إبراهيمَ في صغره بمزايا حميدة، وفطرة سليمة، مع كونه مجدّاً سريع الحفظ قويّ الذاكرة، حتى إذا أمضى أربع سنوات عند الشيخ طه علوان السامرائي شدّ رحله إلى الفلوجة ليكمل دراسته في الآصفية الشرعية على يد الشيخ عبد العزيز السالم السامرائي، وعرف عنه همّته العالية وحرصه على الوقت، حتى إنه بقي تسعين يوماً لم تصل قدمه عتبة باب المدرسة مشتغلاً بالتلقي والمراجعة، وبعد أربع سنوات أخرى منحه شيخه إجازة علمية بما أخذ واستفاد من علوم الشريعة والعربية، إضافة إلى المنطق والحكمة وأدب البحث والمناظرة، أعقب ذلك انتقاله إلى بغداد ليشغل الإمامة والخطابة في جامع (خضر إلياس) بجانب الكرخ منها، وبقي سنةً، توطّدت فيها علاقته بعلماء بغداد، فاستزاد من حلقات الشيخ أمجد الزهاوي، والشيخ نجم الدين الواعظ، ثمّ رجع إلى الفلوجة واعظاً ومرشداً لعشائرها، فدفع به الحنان إلى مراتع صباه، ليخدم بثمرة جهده وحصيلة علمه في هيت، ووفّقه الله تعالى إلى تشييد جامع كبير فيها باسم سيّدنا عثمان بن عفان ﷺ سنة

١٣٨٠هـ. تعرَّف إلى سيّدنا النّبهان ﷺ لدى تشريفه للعراق سنة ١٩٦٢م فما إن رآه حتى أخذ بلباب قلبه، وقصده في حلب مرات عدة، أُثِر عنه شدّة الالتزام بتوجيهاته، وكثرة الحفظ لعباراته، حتى كادت تكون أكثر مواعظه ومذاكراته شرحاً لنصوص كلام سيّدنا النّبهان ﷺ وإرشاداته.

وجد الشيخ إبراهيم رحمه الله تعالى ضالّته بشيخه المربي ورأى فيه غاية مناه، فمدحه بقصائد عديدة، ولم يلتفت إلى سواه، وأثنى عليه سيّدنا النّبهان ﷺ قائلاً: (الشيخ إبراهيم كنيّف، ملئ علماً، الشيخ إبراهيم رجل، لا يتنازل، نزيه لا يرتشي).

وتلك هي صفاته رحمه الله تعالى غيور على دين الله تعالى، إذا عزم على أمر لا يتراجع عنه، لا تأخذه في الله لومة لائم، أمره ﷺ أن يفتح مدرسة دينية في هيت، فامتثل، فكانت مدرسة سيّدنا عبد الله بن المبارك، وبقي مديراً لها حتى وقت رحيل الشيخ عبد العزيز السالم السامرائي من الفلوجة فأمره سيّدنا ﷺ بالانتقال إلى الفلوجة ليخلف الشيخ عبد العزيز وقال ﷺ: (إبراهيم إذا كان يريد الدنيا فليبق في هيت، وإذا كان يريد الآخرة فلينتقل إلى الفلوجة)، فامتثل، وقدم إلى الفلوجة سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م وباشر مهامّه إماماً وخطيباً في جامعها الكبير، ومديراً للآصفية الشرعية، ووجّه إليه ﷺ إدارة حلقة الذكر التي كانت تقام ولا تزال.

عرفناه رحمه الله تعالى خطيباً موهوباً بعيداً عن التكلف والتصنع، ذا صوت شجي بالقرآن الكريم إذا قرأ في الصلاة تتمنّى ألاّ يركع، حباه الله تعالى حسناً في الصوت وجمالاً في الترتيل.

ولقد أفاد رحمه الله تعالى في الفلوجة، وترك أثراً طيباً فيها، وهو أول

من ابتنى مسجداً في أريافها، وعلى ما هو عليه من جلالة القدر وسعة العلم لا ينسب لنفسه شيئاً، متواضعٌ لا يحب من أحد أن يمدحه، صاحب أذواق خاصة نالها بسرّ صحبته لشيخه رضي الله عنه وبركة الصحبة وصدقها.

حدّثني رحمه الله تعالى مرات عدّة قال: سافرتُ بصحبة الحاج ارميض شمخي الهيتي إلى حلب، وبينما نحن عند سيّدنا في مجلسه إذا بي أسمع تظاهرة بأصوات متناسقة مثل هبوب الرياح تهتف: (النّبهاني، النّبهاني..) سبع مرات! وما هي إلا لحظات حتى دخلت الغرفة التي نحن فيها فصار كل ما في الغرفة من جمادات يردد هتافها، فدهشت ولا أدري ما جرى أهو من عالم الجنّ أم الملائكة، فسألت سيّدنا رضي الله عنه قلت: سيدي سمعت كذا وكذا، فأجاب: هذا أول الفتح، ولكن ماذا أعمل معكم؟،.. تلك هي أحد أذواقه رحمه الله تعالى.

ومن مجموع قصائد له في مدح سيّدنا رضي الله عنه اقتطفت هذه الأبيات:

يا من يريد سلوك العز والأدبِ	**يا من يروم وصال المنهل العذبِ**
عليك بالعترة الناجين أجمعهم	**أهل الوفاء وأهل الحمل للنوبِ**
قاموا على منهج المختار أحمدنا	**فلم يبالوا بما لاقوا من التعبِ**
فاقصدهمُ واقتفِ يا صاحِ سيرتهم	**والحق بهم بالوفا يا صادق الطلبِ**
هم الرجال أسود في صنائعهم	**تلوي إليهم قلوب العجم والعربِ**
وهم بدورٌ ترقّوا في مطالبهم	**حتى أناخوا بباب الحضرة الرحبِ**
لكنْ أخص كريماً نال مرتبة	**مصونة عن عليل القلب بالحجبِ**
فذلك السيّد النبهان مرشدنا	**لشرعة الحب والعرفان والرتبِ**

حوى الفضائل والأخلاق أجمعها وزين العالم المغمور بالشهبِ
وشرّفت حلب الشهباء حضرته فأصبحت كعبة الراجين للقربِ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في قصيدة ثانية:

سارت إليه جِمال القوم في سحَرٍ تحنو إليه حنوّ الهائم الوجلِ
فأسفرت في ربوع اللطف باركة وأسدلت جيدها تشتاق للنهلِ
لمّا رأى صدقها بالباب باكية وافاها بالسرّ محفوظاً من الخللِ

وأمضى الشيخ إبراهيم بقية حياته في الفلوجة، وتعرّض فيها لمحنة انتصر فيها لدين الله تعالى فأودع السجن سنةً، ثمّ أفرج عنه بعد أن عزل عن وظائفه جميعها، واشتغل آخر أيامه في قوت عياله، حتى وافاه الأجل يوم الجمعة الثامن والعشرين من شوال سنة ١٤٠٤هـ الموافق للسابع والعشرين من تموز سنة ١٩٨٤م، وشيّع إلى مثواه الأخير بجوار والده في هيت، رَحِمَهُ اللَّهُ آنسه الله.

مع الشيخ عواد الزوبع الكربولي رحمه الله تعالى

الشيخ عواد بن زوبع بن خليل بن حسن بن شهاب بن محمّد بن حمد الكربولي، يلقّبه الناس بـ (سيد عوّاد) من ناحية (الكرابلة) التابعة لقضاء (القائم) بمحافظة الأنبار في العراق. ولد سنة ١٨٩٠م وبداية أمره أعرابي متنقل بأهله وغنمه، يأخذ القوت من وارد الغنم، ويتصدّق بالفضل، جذبته العناية الإلٰهية فأقام بماشيته في أرض تقع غرب بغداد على بعد خمسة وعشرين كيلو متراً (تعرف اليوم بحي الرسالة) وظهر عليه الجذب، فوضع عموداً عالياً جنب إقامته يؤذن فيه للصلاة ويقيم، فاتهمه بعض الناس بالجنون!! فهجرهم هائماً في حب الله تعالى، وخلع ما عليه من ملابس وارتدى (الجنفاص)[1]، وأمضى أكثر عمره سياحةً، حافي القدمين، أشعث أغبر، لكنه جلالي المنظر منوّر، أسمر مشرب بحمرة، ذو لحية كثة بيضاء مسترسلة، محبوب عند الناس، يجلّونه ويظنّونه من الأبدال أو الأوتاد، من يراه يهابه ويظنّه ليس من عالم أهل الأرض، ثمّ صار يصوم الدهر ولا يفطر إلاّ خمسة أيام هي أيام الفطر والأضحى. وسبب صيامه ذلك أنّه مرَّ في مدينة أثناء سياحته فعطش عطشاً شديداً، وتوقف عند محل مليء بقناني الشراب، فطلب من صاحب المحل ماءً، فقال له: يا عم، هذه حانة خمر

---

(١) وهي في اللهجة العراقية الدارجة كيس من الجنفاص تجمع فيه المحصولات الزراعية ويعرف في بلاد الشام بالجوال وفي العراق الكونية.

ليس فيها ماء، فحرّم على نفسه وضع قنينة في فمه!! ثمّ جاءه الأمر بصيام الدهر، وكما حدثني عن نفسه: أن شيخه في الباطن هو سيّدنا أويس القرني ﷺ وليس له شيخ في الظاهر، وأنّه التقى بسيّدنا الخضر ﵇ فسأله عن أمور، وحين عرفه صار يصيح ويصرخ!! وأول أمره كان يتعاطى التدخين، قال ﵀: وإذا بشيخي أويس القرني ﷺ في المنام: يعطيني هديةً كنت أظنها صرّةً من تبغ، فلمّا فتحتها وجدتها روث حيوانات!! فتركت التدخين ولم أعد إليه!

ثمّ رجع إلى موطنه الأول في ناحية الكرابلة، وابتنى بيتاً ومسجداً من طين وحجر، فرأى ذات يوم في منامه رجلين يحملانه من إبطيه ويخطّان بأصابع أقدامه الأرض، وأبلغاه بأن هذا مكان خلوته، فلمّا استيقظ وجد الخطوط كما رآها في المنام!! فاستدعى من يثق بهم ولم تغب شمس ذلك اليوم حتى اكتمل بناء الخلوة حتى البياض، أما الرجلان اللّذان حملاه فهما سيّدنا عبد القادر الجيلاني ﷺ وسيّدنا أويس القرني ﷺ.

وقد عُرفت فيه صفاتٌ أهمها شدة تمسُّكه بأمر الله ونهيه، واتباع سنَّة نبيِّه ﷺ، وشغفه بالصلاة والذّكر، حتى أنه علّق فوقه مسبحةً يزيد ارتفاعها على مترين ونصف المتر! هذا مع شدة التزامه بقول الحق: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]. وحث النساء على الستر والحجاب وعدم النياحة على الأموات، وتحذيرهنّ من الخرز والحجر التي ترتجيه بعض الخرِفات من النسوة لجلب النفع ودفع الضرّ، وتوجيههنّ إلى النافع والضارّ الحقيقي هو الله تبارك تعالى، وإذا جاءه من يستشفي لمريضه أجابه بأربع كلمات: «الله هو المشافي والمعافي». وحضر عنده مرّة بدوي، فحان وقت صلاة العشاء

فنادى به وبأولاده ليتهيؤوا، فقال البدوي: أنا لا أصلي! قال: لماذا يا بني؟ وإذا كنت بحاجة إلى غُسُل حتى نهيئ الحمّام ونحضر الماء قال: أنا جئت لأبحث عن علف لأغنامي، فلن أصلي وهي جائعة حتى تشبع! فأجابه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما دام كلامك هكذا اخرج من بيتي! وأنا عوّاد الزوبع قل عني: بخيل ويطرد الضيف!.

وعرفت عنه رحمه الله تعالى كرامات كثيرة، وتاب على يده خلقٌ، منها أنه أقام حلقة ذكر فحضر عنده فيها جمع من الدراويش فتحداه بعضهم، فطلب من أحد الحضور أن يحمل بندقية ويصوب بها إلى بطنه! فانفجرت الطلقة وتناثرتْ عن بطنه دون أن يصاب بأذى!!.

وفي أول السبعينيات دُعي إلى دائرة الأمن في القائم للتعرف إليه، فأرسلوا أشخاصاً، وإذا بالسيارة التي تقلُّهم تتحرك في شتى الاتجاهات إلاّ إلى الجهة التي هو فيها (الكرابلة) فتراجعوا!.

وفي سنة ١٩٨٠م أغلقت الحدود بين سوريّة والعراق، فاتجه من بعد صلاة الفجر مشياً على قدميه فوصل إلى سيطرة الحدود في القائم ضحىً، ووجد الحارس نائماً، فأيقظه وقال له: يا ولدي حافظْ على سلاحك من السرقة! فبهت الجندي، ثمّ غادر الشيخ إلى البوكمال داخل سوريّة ولم يعترضه أحد!.

أما رابطته بسيّدنا النّبهان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكما قصّها عليَّ رحمه الله تعالى قال: كانت لي زيارة في كل عام مرّة لسيّدنا عبد القادر الجيلاني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وبعد عودتي من بغداد أمرّ بمدينة الفلوجة لزيارة العلماء، منهم الشيخ عبد العزيز السالم السامرائي، والرجل الصالح الحاج محمّد عبد الله الفيّاض

الكبيسي، وألبس الكونية (الجنفاص) فاعترضني الشيخ عبد العزيز ثلاث مرات في ثلاث زيارات يأخذ مني (الكونية) ويلبسني (الدشداشة)(١) فجئته مرّة أجمع مالاً لبناء جامع، وأنا ألبس الجنفاص المرقع، فزجرني رَحِمَهُ اللَّهُ لكني رفضتُ خلع (الكونية) وقلت: يا شيخ عبد العزيز، إني أحترمك، وجئت لزيارتك، ولم ألبس هذه (الكونية) باختياري، فأنا عبدٌ مأمورٌ! فأجابني: هذا اللبس لا يوجد في الإسلام! وأسمعني كلاماً فظّاً! فخرجت غضبان، فأخذ بيدي أحد الأشخاص إلى الحاج محمّد الفيّاض الكبيسي، فشكوت ما دار بيني وبين الشيخ عبد العزيز، فقال لي: مشكلتك هذه لا يحلّها إلّا الشيخ النّبهاني، فهاك مبلغاً من المال قسم منه لعيالك وقسم تذهب به إلى الشيخ النّبهاني، وأخبره عن لبس الكونية المرقعة، فإذا قال: ارمها، فارمها، وإذا قال: لا، فلا!!. فسافرتُ إلى حلب، وركبت من سيّارة إلى سيّارة فلم يأخذ مني أحد أجرةً! ولمّا وصلت قيل لي إن الشيخ النّبهاني في الضيعة (قرية تويم التابعة لحلب) فركبت في القطار حتى إذا وصلت الضيعة وجدت في المحطة قوماً كأنّهم من الصحابة!! فاستقبلوني ورحّبوا بي ترحيباً عظيماً، وقالوا: أنت ضيف سيّدنا من العراق؟ قلت: نعم! ومن أخبركم؟ قالوا: لقد أخبرنا سيّدنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل ساعات أنه سيقدم علينا اليوم من العراق مجاهد لنفسه كبير، وأمرنا باستقبالك!! وأخذوا بيدي إلى حيث إقامة الشيخ! فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قبل أن أفاتحه: (يا عبد العزيز ماذا تريد من هذا المسكين!؟ رابعة العدوية ماتت وهي ترتدي الكونية)، فرحّب بي، ولم يسألني عن شيء، ولم أذكر له سبب زيارتي له، ثمّ

---

(١) الدشداشة وهي ثوب يكسو البدن جميعه ويسمى بلهجة بلاد الشام القمباز أو الكلابية.

نهض رضي الله عنه واتجه إلى العراق وأخذ ينادي: يا أبا صالح.. يا أبا صالح، يقصد سيّدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه فصرت أسمع كلامه مع الشيخ النّبهاني ولا أراه، وبعد انتهاء الحديث بينهما قال لي: هذا شيخك أذن لك بنزع الكونية! فخلعتها، فالشيخ النّبهاني رضي الله عنه له فضلٌ عليّ كبير في تخفيف هذا الأمر حيث إن الناس لا يعرفون مظهري وطريقتي، فأصبحت ألبس ما يلبس الناس! توفي رحمه الله تعالى في سنة ١٩٨٣م ودفن في منطقة الكرابلة، رحمه الله آنسه الله[١].

---

(١) أسماء بقية السادة الوافدين على سيدنا النبهان رضي الله عنه من العراق.
العراقيون بعمومهم يحبّون الأولياء وآل بيت رسول الله ﷺ ويعتقدون بهم وبطرقهم، وما إن شاع نبأ ظهور السيّد النّبهان رضي الله عنه حتى توافدوا على حلب الشهباء أفواجاً أفواجاً، لعلّهم يحظون برؤيته أو يكون لهم نصيب في طريقته، وقدم إليه عِلْيَةُ القوم وسادتهم؛ كالشيخ أمجد الزهاوي، والشيخ محمّد محمود الصواف،، وأمير العبيديين الشيخ ناظم العاصي، وأمير قبيلة زوبع الشيخ سليمان الضاري، والشيخ خليل محمد الفيّاض الكبيسي، والشيخ عبد الرزاق محمود حبيب الهيتي،، والشيخ الدكتور عيادة أيوب الكبيسي، والشيخ عبد الله القطان، والشيخ علي مصطفى الكردي، والشيخ حامد علي النوري، والشيخ عبدالله حسين حمدان الكبيسي، والشيخ الدكتور عبد الملك عبد الرحمن السعدي ووالده وإخوانه الأساتذة عبد الحكيم وعبد العليم وعبد الرزاق وعبد الله وعبد القادر، والشيخ عابد صالح الحماشي، والشيخ يحيى حمد عبد الله الفيّاض وإخوانه، والشيخ شريف حمد الراوي، والشيخ محمّد حمادي الراوي، والشيخ عبد القادر سعود خليل العاني، والشيخ ماهر محمود مهاوش، والشيخ الدكتور فاضل الدبو الهيتي، والشيخ إبراهيم فاضل الدبو، والشيخ عبد الودود رشيد المشهداني، والشيخ طارق عبود رشيد السامرائي، والشيخ إسماعيل كاظم العيساوي، والشيخ أحمد خضير عباس الزوبعي، والشيخ محمّد مطلق المحمّدي، والشيخ جمال شاكر نزال التكريتي، والشيخ عبد الجبار قصب الجنديل الجنابي، والدكتور حمد عبيد عبد الله دريع الكبيسي، والشيخ صادق عبد القهار الهيتي، والشيخ عبد اللطيف سالم الكبيسي، والشيخ حامد عطيوي الكبيسي، والشيخ طراد عبطان الكبيسي، والشيخ تقي رحيم الشيخ شاهر، =

. . . .

= والشيخ أيوب محمّد الفيّاض، والشيخ ناظم نجيب الأشعب، والشيخ عبد الله حديد جل، والسيّد شفيق عرميط محمّد الآلوسي، ، والشيخ عبد الوهاب عبد الرزاق السامرائي رئيس جمعية التربية الإسلامية ببغداد، والشيخ عقلة جروان الكبيسي، والشيخ حامد صخي نجم الجنابي وأخوه الشيخ حسين، والشيخ محمّد تفيش العلواني، والشيخ صبحي عبد الحميد الكربولي، والشيخ عبد الكريم حردان حادي العلواني وأخوه الشيخ عبد الستار حردان، والشيخ القارئ الحافظ محمّد عواد العويسي، والشيخ عبد خلف الزوبعي، والشيخ رافع لابد محمد مصطفى الراوي، والشيخ يونس إسماعيل سنبل العاني، والشيخ أحمد عبد وطبان الجنابي، والشيخ كمال شاكر النزال التكريتي، والشيخ إبراهيم عبد الرزاق محمود الهيتي، وأخوه الدكتور إسماعيل عبد الرزاق محمود، والشيخ الواعظ محمّد عبد الستار الجميلي، والشيخ عبد القادر رحيم جدي، والشيخ عبد الرزاق رحيم جدي الهيتي، والشيخ عبد الستار إبراهيم رحيم جدي، والشيخ الواعظ صادق أمين العاني، والشيخ إبراهيم علوان حسين بطي وشقيقه الشيخ حسين علوان حسين، والشيخ حسن فياض شنان، والشيخ عباس خضير عباس الزوبعي، والشيخ فاضل جاسم محمد، والدكتور دحّام مهدي فرحان الصالحي، والحاج محيسن حمدان الكبيسي وولده الدكتور زاهد، والدكتور حمدي فهد الكبيسي، والشيخ توفيق شافي مصطفى الخليل، والشيخ عايش جروان عبد الله، والشيخ عبد الله عبد الحميد القيسي، والدكتور حامد فرحان الفهداوي، والسيّد عبد الله أبو الحنظل، والعميد المهندس تحسين عبد القادر أحمد الفخري، والحاج نضال محمود علي الزبيدي، والحاج محمود السيد كاظم السيد علي، والحاج غسّان محمود حلمي البياتي، والسيد أحمد مهدي النعيمي، والدكتور طارق أمين الساجر، والحاج عبد الرزاق سعيد إبراهيم العاني، والمهندس الحاج عادل سعود خليل العاني، والملا محمود عبد الحمداني "الملقب براعي الغنم"، والحاج عبد المجيد عبد الرزاق الغرس، والحاج خلف محمد النزال التكريتي، والحاج رافع مطني الراوي، والسيد عبد الجبار بركات الراوي، والحاج أسعد شاكر الحلبوس، والدكتور عادل كَعيد العاني، والحاج صباح أحمد النزال الكبيسي، ، والحاج إسماعيل محمّد الفيّاض الكبيسي، والحاج تحسين رزيك الهيتي، والحاج رياض سعود خليل العاني، والحاج عبد الحميد جرذي الكبيسي، والحاج عبد الكريم عبد الرحمن العاني، والحاج مهدي عبد الإله العاني، والحاج سليمان مناجد المحمدي، والحاج محمّد سروان، =

. . . .

. . . .

= والحاج حسين حمدان الكبيسي، والحاج إسماعيل فرج الكبيسي، والحاج عيّاش مطلق الكبيسي، والحاج حمدان رويجع الكبيسي وولده الدكتور عمر حمدان، والحاج إسماعيل السنبل العاني وأبناؤه، والحاج جاسم محمّد الفيّاض وأبناؤه، والأستاذ ماجد حامد فتحي العاني، والحاج قحطان عبد العزيز الدراجي ووالده، والحاج فاضل أبو الخير، والحاج عثمان أحمد عبد الله الفيّاض الكبيسي، والحاج إبراهيم محمّد الفيّاض، والحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس، والحاج ارميض شمخي الهيتي، والحاج محمود رحيم بغزي، والحاج عفر أحمد رحيم المعاضيدي، والحاج هاشم البطي الصالحي، والحاج ياسين عبد الجبار محمد الجبوري، والحاج كبيسي حمد الراوي، والحاج حمود عباس الهيتي الكربولي، والحاج عبد العزيز محمد خضر العاني، والسيد إبراهيم شلال العاني، والحاج طه مصلح جواد، والحاج منصور جاسم الكبيسي، وولده صالح. والله ولي التوفيق.

الفصل الثالث

حوار مع كل الناس

قليل هم الذين يحسنون الحوار مع الآخر، وكثيراً ما يؤدي إلى جدل عقيم؛ لكونه من أصعب الفنون تطبيقاً، وقد اعتمد ﷺ الأسس الكفيلة لتقويمه، كما يلي:

١ - النيّة الصادقة في الوصول إلى الحق بمفهومه الشرعي، والوقوف مع الحق أينما دار.

٢ - الصراحة التامة وموافقة الله تعالى فيما يريد دون مجاملة أو مداهنة على حساب الدين.

٣ - السرعة العجيبة بالكشف عن مراد الطرف الآخر والدقة المتناهية في الإجابة.

٤ - موازنة الأخذ والعطاء مع محاوره وفسحه المجال لجليسه لإبداء رأيه.

٥ - عدم محاولة إلغاء الطرف الآخر في الحوار.

٦ - اعتماد الثوابت الإنسانية الأخلاقية التي لا يختلف فيها اثنان.

٧ - إيجاد قاسم مشترك أساساً للاتفاق.

٨ - الحجة المستندة إلى دليل شرعي أو عقلي.

١٠ - إيصال الطرف الثاني إلى الشعور بالخطأ والاعتراف بالتقصير والرجوع إلى الله تعالى.

وإليك الأمثلة:

١ – مع داعية للإسلام من جزر أميركا:

قدِم من هناك وقد نظم قصيدةً بلغتِهِ يناشد بها الإسلام ويقول: إلى أين ذهب؟ ويسأل عن الإمام، قصيدةٌ تأخذ القلب وتنال الإعجاب، وابتدأ جولته بمصر فألقاها على شيوخ الأزهر فأُعجِبوا بها، لكنْ لم يجدْ بغْيَته عندهم ثم عرّج إلى بغداد والنجف، ورجع آخر مطافه إلى دمشق، دون أن يشفي غليله أو يطفئ أوار رغبته للتعرف إلى حقيقة الإسلام كما يراها هو، واجتمع بدمشق بعالم يحمل الدكتوراه هو الشيخ الدكتور مصطفى حسني السباعي رَحِمَهُ اللهُ فقال الداعية: أنا ما وجدت غايتي وأنا عائد إلى بلدي وأنا متألم، فقال له: هل زرت مدينة حلب؟ فأجابه: زرت البلاد كلّها فماذا تعني حلب؟ قال: أنصحك أن تذهب إليها وتلتقي بالشيخ محمد النبهان، فالإسلام هناك وستجد بغيتك وأرسل معه ترجماناً، فلمّا وصل إلى حلب والتقى بسيّدنا النبهان ألقى قصيدته، وسيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يستمع، فلمّا انتهى لم يجد الإعجاب الذي لقيَه من غيره وقال له سيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هل انتهيت؟ قال: نعم، فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يجب أن تعكس كلامك فأنت تنادي على الإسلام وتقول: أين أنت يا إسلام لأدلّ عليك وأحملكَ وأنصرَك، والإسلام ينادي أصحاب الشخصيات، أين أصحاب الشخصيات؟ أين صاحب الشخصية حتى أحمّلَه كمالاتي ويدلّ عليه بكمالاتي على كمالاتي؟ وإذا بذلك الداعية يقول لسيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: تكلّمت صدْقاً يا شيخي وهو مندهش بشخصيته وإجاباته، ثم نظر إلى طلبة المدرسة الشرعية فقال: أرجو أن تعطيَني من هؤلاء حتى يقوموا بالدعوة للإسلام، فهنا وجدت الإسلام الصحيح ووجدت بغيتي، فأجابه سيّدنا: اذهب إلى بلدك وأرسل لنا خمسة عشر شخصاً من عندكم

واخترْ الشخصيات الذين لا يخافون ولا تغريهم الدنيا ولا المال، أرسلْهم إليّ نعلّمهم ونهذّبهم وبعدها نرسلهم إليك، فشكر سيّدنا ورجع إلى بلده فجاءته المنيّة وهو في الطريق إلى بلاده، لكنه نال ما نال في هذه الساعة من خير وسعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢ – مع بروفيسور أميركي في علم النفس:

تعرّف طالب حلبي يدرس في أميركا إلى بروفيسور فقال الأميركي: أنا أحمل أعلى شهادة عالمية في الولايات المتحدة في علم النفس! فأجابه الحلبي: وأنا أعرف في سوريّة في مدينة (حلب) من هو أعلى منك بكثير! فقال الأميركي: لا أعتقد بوجود أعلى مني في العالم. فأجابه الحلبي: لو رأيته واجتمعت به لأقررت بنفسك أنه أعلى منك.

فقدما إلى حلب ونزلا في ضيافة السيّد النّبهان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فصار الأميركي يسأل، وسيّدنا يجيب... حتى إذا أنهى ما عنده قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (الآن أنا أسألك عن العلم الّذي أنت درسته).. فتوقف عن الإجابة وظهر عجزه، وهنا: فتح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ستائر غرفته ونادى أحَدَ تلاميذه يدعى: الحاج علي المجذوب – ابن عمة سيّدنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – وقال له: تعالَ، كلّمه بما عنده!. قال: أنت تسكن في المكان الفلاني، في عمارة كذا في الطابق الثالث، وعندك زوجة وأولاد، وركبت الطائرة في الساعة.. ووصلت إلى حلب الساعة.. سقط ولدك من العمارة إلى الشارع ونقل إلى المستشفى، ولا تخشَ عليه شيئاً! فدهش الأميركي وتغير لونه.. ثمّ سافر إلى بلده، فوجد الأمر كما

أخبره! وقد عوفي ولده، فرجع بأهله وأولاده إلى حلب وأسلموا جميعاً على يده رضي الله عنه .

٣ – مع الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي رحمه الله تعالى:

قال رضي الله عنه : (جاءني الفيلسوف مالك بن نبي الجزائري المشهور، وأنا أبيّن صفات الرسول ﷺ وهيمنة الرسول ﷺ وأنه لا يحب قتل الكافر، كان يحب قتل كفر الكافر، وإذا به يقول: يا أستاذ! قلت له: نعم، قال: رجّعتني لحقيقتي! يا أستاذ رجّعتني لنفسي! يا أستاذ.. وصار يبكي)!

٤ – مع مستشرق:

قال مخاطباً سيّدنا رضي الله عنه : أنا فيلسوف القرآن، سلني ما شئت! فقال رضي الله عنه : (أأنت متأكد بأنّك فيلسوف القرآن؟). قال: نعم. قال رضي الله عنه : (طيّب، أسألك سؤالاً واحداً فقط: هل (ألم) أول سورة البقرة هي نفس (ألم) أول سورة آل عمران؟). فأجاب: والله لا أعرف، ولا كنت أتصور أحداً يسألني هذا السؤال. فقال رضي الله عنه : (لا تدَّعِ)، ثمّ علّق رضي الله عنه على ذلك في بعض الدروس فقال: (إن هذه الحروف فيها رموز إلى معاني السورة التي تأتي في أولها، فالسورة هي تفسيرها، ألم في سورة البقرة تفسيرها سورة البقرة، وألم في آل عمران تفسيرها سورة آل عمران).

٥ – مع مبشر إنجليزي:

حضر عند سيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فاضطجع على جنبه، وأخذ يقص فقال: لي صاحب مسلم ولكنه لا يصلي! فسألته: لماذا لا تصلي؟ فأجابني: إن الروحانيين كذّابون، عنى بذلك علماء المسلمين والرهبان، فسألته: وكيف عرفت بأنهم كذّابون؟ فأجاب: نحن نعرف الروحانيين كذّابين من مشايخنا، ينزلون إلى المساجد، ويفرشون المناديل لجمع المال عليها! قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (ومقصوده أن يضربني فيها)!. فقال له سيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : يا مسيو: الآن تبين لي أنّك جاهل وصغير وضعيف، لكن الحق معك يا أخي؛ لأنّك صغير وضعيف وتجلس مع الصغار، وتذكر بريطانيا العظمى، ويلك جالس الأكابر، أهل العلم، أهل الفهم، كأمثالنا، حتى يفهموك ويهذّبوك.. فقعد على ركبتيه متأدباً وقال: نعم مولاي صحيح. ثم سأله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : هل جميع العلماء يفرشون المحارم في أبواب المساجد؟ يمكن أن تكون هذه الحالة في واحد أو اثنين أو عشرة ولكن ليس كل العلماء على هذه الحالة التي ذكرتها فليس هذا من المعقول، ولكنك ضعيف صغير ما جالست العلماء والشيوخ الأكابر، أنت جاهل دنيء سكران بكلمة بريطانيا العظمى.

٦ – مع عالم في النفس:

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (جاءني أستاذ هنا ومعه كتاب في علم النفس، سألني وسألته، فما أجابني وأجبته! فلما أجبته ضرب الكتاب على الأرض! قلت

له: لماذا؟ قال: ظننت حالي عالِماً بعلم نفس! قلت: من أين عالمُ نفسٍ؟.. علم النفس هذا لا بدّ للإنسان أن يهذِّبَ نفسه ويحاسبها)...

٧ - مع متشكك بالله تعالى:

قال: إن الله سبحانه خلق الموجودات، فمن خلقه؟ قال ﵁: (عُدّ بعد الواحد). فقال: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧.. فقال ﵁: (عُدّ قبل الواحد، فتوقف وقال: ما قبل الواحد شيء). فقال ﵁: (لا يوجد غير الله، لا قبل ولا بعد.).

٨ - مع أستاذ للتاريخ:

قال: سيدي، الطبيعيون يقولون بوجود قوّة، هي الطبيعة. فقال ﵁: (اسألهم عن هذه الطبيعة التي هي القوّة هل هي عاقلة؟ سميعة؟ بصيرة؟ حكيمة؟ عالمة؟ تضع الأشياء في محلها؟ وإلّا هي همل؟ فإن قالوا: هي همل، قلنا: اذهبوا إلى دويرينة[1]، وإن قالوا: الطبيعة: حكيمة، سميعة، بصيرة، تضع الأشياء في محلها، قل لهم: هذا هو الله، وأنتم سمّيتموه: طبيعة).

(١) قرية دويرينة: تبعد عن حلب عشرة أميال شرقاً، وفيها مستشفى المجانين.

٩ - مع غضبان:

حضر عنده شخص يهمّ بقتل آخر لأنه شتم رسول الله ﷺ. فقال رضي الله عنه: (لماذا تقتله)؟. قال: من أجل عيني أبي القاسم ﷺ. فقال رضي الله عنه: (لو كان ابنك هو الّذي سبّ رسول الله ﷺ هل تقتله من أجل عيني أبي القاسم؟!) فسكت، فألحّ عليه رضي الله عنه، فأجاب: لا! فقال رضي الله عنه: (تبين أن غضبه لم يكن لله تعالى، بل شهوة نفس وعصبية).

١٠ - مع جماعة كانوا في حلقة ذكر:

سألهم رضي الله عنه: أين كنتم؟. قالوا: في الذكر. فقال رضي الله عنه: (الحق يقول: «**أنا جليس من ذكرني**»[1] حدّثوني عن جليسكم).. فسكتوا ولم يجب أحد.

١١ - مع مدّعٍ للتحرر:

قال: أنا أريد أن أبقى حرّاً. فقال رضي الله عنه: (آه يا كذّاب، أنا عبد رقيق إلى الله، متقيد بأوامر الله، متقيد بنواهي الله، أنا العبد الصحيح إلى الله سبحانه لكنني حر بالنسبة لغير الله لا أحد يحكم عليّ، لأني بجانب الشريعة بأيّ شيء أمرني أأتمر، خلقنا الله تعالى للعبدية لا للحرية الفردية).

(١) مسند أحمد (٢/ ٥٤٠) برقم: (١٩٠٨٩).

١٢ – مع مبغض لأهل الله:

قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فأنكر ﷺ عليه، ولمّا أصرّ قال له: قل لنا كيف رأيته؟. قال: رأيته فتكلّم في مسألة فقلت: يا رسول الله: ليست هكذا بل هكذا! فقال ﷺ: (أنت رأيته لتعترض عليه، لا لتأخذ عنه).

١٣ – مع بعض أمراء العشائر:

قال أحدهم: يا شيخ نريد أن نسألك سؤالاً: واحد يصوم ويصلي لكن معاملته غير حسنة، وواحد لا يصوم ولا يصلي ولكن معاملته للناس حسنة فأيهما أحسن؟ فقال ﷺ: (أنت لا تعرف كيف تسأل: واحد خالف الله، وواحد خالف عبد الله: أيهما أخفُّ شراً؟ الاثنان مخالفان، لكن الذي يخالف عبد الله أهون شراً).

١٤ – مع شخص لا يعرف كيف يسأل:

قال: أسألك عن شخص كان مخالفاً فتاب توبة نصوحاً، وشخص آخر ما خالف في حياته فأيّهما أعلى؟ قال ﷺ: (أنت لا تعرف كيف تسأل، أسألك أنا: أيهما أعماله أعلى وأكمل الآن؟ هذه هي النتيجة، وعليه: سيّدنا عمر بن الخطاب ﷺ كان مشركاً يعبد الصنم ويَئِدُ البنات ويقتل ويعمل كل شيء، بعدها أتى الرسول ﷺ فآمن وأسلم، ثمّ صار ثاني خليفة في الإسلام)..

١٥ - مع خطيب مسجد:

قال: سيدي يريدون منا أن نتكلّم على المنبر كذا وكذا.. يقصد الحكّام، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (يا شيخ: هل تقدر أن تشتغل رقاعاً)؟ قال: نعم. قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (اشتغل رقاعاً ولا تتكلّم).

١٦ - مع والد يشكو ولده:

قال: سيدي: إنّ ولدي فلاناً أتعبني. قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (ادع له). وغاب فترة، ثمّ رجع فسأله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن ولده: قال: على ما هو، لم يتغير. قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أما قلت لك: ادع له؟). قال: دعوت له كثيراً، فلم ينفع. قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (متى كنت تدعو)؟. قال: كلّما تذكرته. فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (ليس هكذا، إنّما: تقعد قبل الفجر بساعة أو بنصف ساعة تصلّي ركعتين، تبكي وتنكسر إلى الله تعالى من أجل ولدك، هكذا تفعل). فامتثل للوصية، وفي صباح الليلة التالية: انتفض الابن من عقال، وفجأةً صار يقبّل يدي والده: يا أبي أنا تائب، يا أبي أنا لا أدري أين كنت، فرجع وقصّ حديثه على سيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١٧ - مع شيخ يدعو فلا يستجاب له:

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال بقوّة: يا شيخي. قلت: نعم. قال: صار لي زمان أطلب من الله هذا الطلب، وما يعطيني. قلت: الحق عليك ما على الله. قال: لماذا؟ قلت: تطلب من واحد فقير! قال: آلله فقير؟ قلت: نعم!

قال: لا يجوز. قلت: إذا كان لا يجوز: فهو إذاً غني لكنه بخيل! قال: آلله بخيل؟ قلت: نعم! قال: وهذا لا يجوز. قلت: إذا كان لا يجوز: فهو إذاً كريم ولكنه ليس بقادر على أن يوصل لك طلبك قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أستدرجه حتى أبين له أنه ليس بصادق)، قلت: تطلب من واحد لا يقدر أن يوصل لك طلبك! قال: الله ليس بقادر؟ قلت: نعم! قال: هذا لا يجوز. قلت: إذا كان لا يجوز إذاً فالله قادر، لكن أنت كذّاب وما أنت بصادق. الله ربي، طلبت واحداً[(١)] فسخّر لي ملايين، الله سبحانه وتعالى كريم ومن شأنه الكرم، ولا يغار إلا من الكريم هو أكرم الأكرمين، ربي رب العالمين، وربك أنت نفسك)..

١٨ – مع ثلاثة من علماء الطبيعة:

قالوا: سيدي: يقول الرسول ﷺ: «**سلوني، لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم**»[(٢)] وهذا يعني أنهم لو سألوه في الكيمياء والفيزياء والجغرافية والتاريخ لأجابهم، فما مدى صحة الحديث؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أنا لا أتكلّم لكم عن سند الحديث أو متنه، بل أقول لكم: سلوني لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم). فأيقنوا بالحديث.

(١) أي: طلبت الله عَزَّ وَجَلَّ.
(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٨٣٤) برقم: (٢٣٥٩).

١٩ – مع ماسوني:

قال ﷺ : (يا أستاذ: بلغني أنّك ماسوني). قال: نعم، وأنا أعتقد بأن الّذي ليس ماسونياً: ليس بإنساني. قال ﷺ : (إذا جعلتك الآن تقرّ بلسانك بأن الماسوني حيوان أكفر من الكافر). قال: بيّن لي. قال ﷺ : (أخوك فلان: ليس بماسوني والحق معه فتخاصم مع ماسوني أرمني أو مجوسي أو يهودي فمع من تكون)؟. قال: أكون مع الماسوني. قال ﷺ : (هو من لسانه أقرّ واعترف، ثمّ صار يحلف: والله الّذي لا إله إلّا هو: ما خطر لي هذا الخاطر. وأعقب الحديث توبته وخروجه من الماسونية.

٢٠ – مع حديث عهد بالإسلام:

قال ﷺ : (يا ولدي: أنصحك نصيحة: لابدّ أن تعلم أنّ هناك إسلاماً ومسلماً، فإذا رأيت مسلماً يكذب أو يغتاب.. فافهم أن الإسلام ليس فيه كذب ولا غيبة ولا نميمة ولا خيانة ولا غش، والإسلام كلّه أدب من أوله إلى آخره).

٢١ – مع شيخ علم:

قال ﷺ : (خواص الأولياء أعلى من خواص الملائكة). فقال الشيخ: نحن قرأنا في علم الكلام: أن خواص الملائكة أعلى من خواص الأولياء. قال ﷺ : (علم الكلام: كلام، ونحن كلامنا: تحقيق).

٢٢ – مع الحافظ صلاح الدين رحمه الله تعالى في بغداد:

سأل سيّدنا ﵁ فقال: عندما أتوضأ وأغسل يدي ورجلي يخطر بقلبي أن الماء لم يصل إلى هنا «وأشار إلى مرفقه وإلى رجله» فأحاول تكرار الماء مرّات.. فأجابه ﵁: هذا الّذي يخطر لك هو قول الشيطان، ولا تلتفت إلى قوله؛ إن الله خلق لنا جلوداً ناعمة، ينساب الماء إليها بسهولة والحمد لله، وليس كجلود الخنزير، أنا أتوضأ بماء قليل. ومثّل ذلك بكفّيه كناية عن قلة الماء، الشيطان يريد أن تناقشوه وتتكلّموا معه؛ لأنه كالكلب إن ضربته بالأحجار ينبح، وإن تركته يسكت.

٢٣ – مع سائلين عن المغفرة والرحمة:

اتفق جماعة على سؤاله ﵁، فقال أحدهم: شيخي: أليس الله غفوراً رحيماً؟ مرادهم: ليس شديد العقاب، وقال آخر: لماذا لا يلغي جهنم ويدخل الجميع إلى الجنّة برحمته. فسألهم: يا أولادي: غفور رحيم لكم ولغيركم؟ قال أحدهم: طبعاً. قال ﵁ لرئيسهم: (إذا دخل رجل بيتك، وزنى بابنتك وذبح ابنك وأخذ مالك: فأين غفور رحيم)؟ قال: أين غفور رحيم؟ الله يحرقه في ستين جهنم! قال ﵁: (نحن قلنا جهنم واحدة فما كنتم ترضون! ترك قوله، أي: عدل عن غفور رحيم، يريد شديد العقاب قلنا له: أسماء الله موزعة: غفور رحيم للمظلوم، شديد العقاب على الظالم).

٢٤ - مع الشيخ ياسين سريو المؤقت[(١)]:

قال ﷺ: (أي أسماء الله تحب يا شيخ ياسين؟). قال الشيخ ياسين: أحب الغفور الرحيم. قال ﷺ: (أنا أحب الجبار القهار المنتقم). فبكى الشيخ ياسين رحمه الله تعالى، وقال: يا سيدي أنا عبد الإحسان.

٢٥ - مع بعض رجال الحكومة:

وقد حضروا عنده: فتمتم كبيرهم بكلمات، قال ﷺ: (لا تحكِ، لا تتكلّم ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١] أنتم تقولون: رجعي رجعي، أنا الرجعي حقيقةً، أنا الرجعي في سوريّة أجمع، لكنني أرجع إلى الله، وأتقدم بتنفيذ ما أمرني الله، أما تقدمكم فبالمراقص، تقدّم زوجتك مع رجل وأنت ترقص مع امرأة، التقدم: لا يكون إلّا من الله، التقدم إذا رجعنا إليه تعالى ونفّذنا أوامره).

٢٦ - مع الشيخ عبد القادر الخطيب رئيس رابطة علماء العراق:

قال ﷺ: (وهو معكم أينما كنتم). قال: ولكن بعلمه لا بذاته. قال ﷺ: (بالذات)[(٢)]. قال: بل بالصفات! قال ﷺ: (يا شيخ..

(١) الشيخ ياسين سريو: مؤقّتٌ للأذان في جامع حلب الكبير، مشهور بالولاية والصلاح، كان سيّدنا ﷺ يقول عنه: الشيخ ياسين: ولي أصلي..

(٢) ذلك فهم أهل الشهود وذوقهم، فإذا كان النور والهواء على الأرض مع الإنسان أينما كان وهما مخلوقان لله تعالى، فما بالك بخالقه عزّ وجل وهو نور السمٰوات والأرض؟ بل =

الحق عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، فهل العلم له سمع أو بصر؟). قال: هكذا يقولون! وسكت.. قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (إيه: هكذا يقولون).

٢٧ - مع شيخ علم لا نور فيه ولا جاذبية:

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لو كنت غير مسلم ما دخلت في دينك!). قال: لماذا؟ قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لأن الإسلام كلّه كمالات، كلّه جاذبية، وأنا ما وجدت عندك لا كمالات ولا جاذبية).

٢٨ - مع سكران عند قلعة حلب:

قال: يا شيخي، تعال هنا! هاتِ يدك أقبلها! ادعُ الله لي، أنت فمك طاهر، وأنا فمي نجس، قل له: يكفي تب عليه. قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أنت فمك طاهر، ولكن الخمرة نجّسته)، ودعا له. ثمّ رجع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى البيت وقال لهم: (هذا لا يموت حتى يتوب توبة نصوحاً). فجاءته ابنته تبشر بتوبة أبيها من تلك الليلة!.

= ألطف من النور والهواء ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]. بل قال الإمام البيهقي في كتاب الأسماء والصفات تعليقاً على الحديث: «**اللهمّ أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**»: صحيح مسلم (٨/ ٧٨) رقم: ٧٠٦٤ وإذا لم يكن فوقه شيء، وليس تحته شيء، فليس هو في مكان، ثمّ قال: وإذا لم يكن في مكان كان قربه من جميع الأشياء واحداً.

٢٩ – مع أحد أصحابه الشيخ حسن حاضري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الحاج حسن: ذهبت اليوم يا سيدي أصلح بين اثنين، فلم يرضَ أحدهما أن يصالح، فانزعجت منه وكلّمته كلاماً قوياً. فقال سيّدنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : يا حاج حسن، كانا اثنين متخاصمين فصرتم ثلاثة وكرر ذلك حتى قال الشيخ حسن: دخيلك مولاي، دخيلك مولاي، دخيلك مولاي. قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : (لابد أن تكون جسراً يمر عليك البر والفاجر).

٣٠ – مع صاحب منّان:

قال: أنا تركت الأصحاب والعالم والمخلوقات لأجلك! قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : (الله سبحانه وتعالى قال لحبيبه محمّد ﷺ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] فهل تركتَ الخمرة والرذيلة لأجلي؟ أليس الله تعالى هو الّذي منّ عليك بالصلاة والصلاح، فتركتَ الخمرة والسفالات، أتريد أن تمنّ عليّ بترك كذا وكذا؟ وما عليك إلّا أن تشكر الله تعالى على النعمة ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]).

٣١ – مع منتقد لأهل التكايا والطرق:

قال: سيدي، أهل الطرق ما عندهم غير الضرب بالدف وحلقات الّذكر فقط. قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : (ولماذا تنتقدهم؟ هذا الانتقال من الشقاوة إلى السعادة كافٍ).

٣٢ – مع سائل عن العزّ:

قال: ما هو العزّ؟ قال ﷺ: (أعندنا أم عندكم)؟ فسكت السائل ولم يجب. قال ﷺ: (أمّا عندكم فبالمال والبنين، وأمّا عندنا فبالقرب والشهود).

٣٣ – مع رهبان:

ترك ﷺ مجلسه وخرج حتى إذا دخلوا وجلسوا، دخل عليهم فنهضوا، وقالوا: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

قال ﷺ: (أين المحارم؟)[١] إشارة إلى التكملة في الآية الكريمة التي بعدها حيث يقول الحقّ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]. فسكتوا ولم يجب منهم أحد!

٣٤ – مع متكبر:

يعترض عليه لتقريبه أحد العصاة فقال: فلان يلزم ألّا تقبلوه ولا

(١) المحارم: عنى بها ﷺ المناديل، ليمسحوا بها أعينهم التي تفيض من الدمع، وكان ﷺ يدعى عند رهبان حلب: بـ(القدّيس)، ويزوره بعضهم بين الحين والآخر ليستفيد.

تسمحوا له أن يأتي إلى هنا! قال ﵁: (لماذا؟ وماذا به؟). قال: لأنّ ذنوبه كثيرة كذا، وكذا.. فقال ﵁: (هنا حمّام، والحمّام يدخلها كلّ شخص، وأصل كونها للوسخين، وأيهما أكثر ذنوباً بتخمينك: أنت أم هو؟). قال: لا أعرف، ثمّ راح يحسب ذنوبه بالمسبحة فوجدها أكثر. قال ﵁: (مسكتَ المسبحة فوجدتها أكثر، فلو أخذت ملء يديك سمسماً. فحسب ثانية فوجدها أكثر فأكثر قلت: السمسم يعدّ وذنوبك أكثر بكثير وخصوصاً لمّا تستصغره، إنه رجل تائب والله سبحانه وتعالى يتوب عليه فلماذا تردّه عن التوبة؟، فندم واستغفر الله تعالى).

٣٥ – مع حسود:

قال: سيدي: كل شيء سوَّيته أنتَ فأنا سوَّيته، فلماذا أنت ترقيت وأنا بقيت على الأرض؟ فقال ﵁: (لأنّك ماشٍ مع نفسك لا مع الحق).

٣٦ – مع ضعفاء:

قالوا: سيّدي: إن التيّار جارف. قال ﵁: (ولكن ما رأينا التيّار جرف جبلاً، وإنما يجرف الأوساخ والأقذار ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧]).

٣٧ – مع قروي غضبان:

جاءه قروي يصرخ مظهراً غضبه من آخر، فقال ﷺ : (اشترِ نفسك يا أخي، هذه ست نفّوس). أي إنّ غضبك ليس لله وإنما لنفسك.

٣٨ – مع بعض أصحابه يشتكون من ضحّاك:

عُرِفَ شخص من أتباعه بغلبة ضحك مصحوب بحال! فقالوا: سيدي: إن فلاناً يضحك كثيراً حتى في الصلاة! قال ﷺ : (اضربوه على رأسه). قالوا: أنضربه الآن؟ قال ﷺ : (إذا ضربتموه فقلبي معه! السلف الصالح: يبكون ويضحكون وهم في الصلاة، ولكن ليس ضحك غفلة، وإنما ضحك يقظة وفرح بالله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم: ٤٣]).

٣٩ – مع مطالبين بالثورة:

قالوا: سيدي، أما تتفق معنا على الثورة؟ قال ﷺ : (أنا إذا أقوم لا أقعد، وأنتم يا كذّابون إذا قمتم مائة مرّة ستقعدون، وإذا أردت أن أقوم فأول من أبدأ بذبحه هو أنتم وأجعلكم جسراً أعبر عليه، إلّا أنني لا أذبح أبناء المسلمين).

٤٠ - مع أمير بدو في العراق:

قال: شيخي: (حِنّا)[1] إذا سبّنا الحضري لا نسبّه. قال رضي الله عنه: (لماذا)؟. قال: لا نتنزل. قال رضي الله عنه: (عافيه عليك «كدع»[2] الأمير كلامه كلام أمير)! وأضاف رضي الله عنه: (البدو أكثر من الحضر ذكاءً وصدقاً وكرماً وشجاعةً، الحضري ما له قيمة عندهم، كذلك البدوي عند الحضري، إلّا أن الحق واللهِ مع البدوي، والدليل: رسول الله ﷺ وما كان عليه كفار قريش حينما يولد لهم يأخذ البدو الولد ويربّونه، ترضعه المراضع ثمّ يردونه إلى أهله بعد أن يتعلّم كمالات الرجولة)، وإلى يومنا هذا البدو «العنزة» عندهم الصدق والكرم والشجاعة والذكاء خاصة، هذا مع قلة أكلهم.

٤١ - مع مستخير:

استخار شخص عند أحد الصالحين بمسألة زواج، فرأى فيها شجرة يابسة من جذورها، وقال له: لا أنصحك بهذا الزواج. فأتى سيّدنا رضي الله عنه وسأله، فقال له رضي الله عنه: الاستخارة صحيحة، والرؤيا صحيحة، لكن التفسير خطأ، الشجرة اليابسة، تحتاج إلى رشّة ماء حتى تعود لخضرتها، خذها فإنها متعطشة لك.

---

(١) (حنّا) في لهجة البدو بمعنى: نحن.

(٢) عافيه عليك: بمعنى عفارم عليك، أو عفا الله عنك، وكلمة كَدع: في اللهجة السورية الدارجة بمعنى: رجل بطل، أو صاحب شخصية، ومثلها في الحلبية: قبضاي.

٤٢ – مع شيخة طريق مدّعية في لبنان:

وجد رضي الله عنه شيخة في لبنان تقرأ لمريداتها في الفتوحات المكية بحث: المكر الإلٰهي. قال لها رضي الله عنه: أنتِ أول ممكور فيها.. قال سائل: ما السبب يا سيدي؟ قال رضي الله عنه: (لأنها مدّعية، والمدّعي مفضوح).

٤٣ – مع وزراء:

زاره في المسجد عدد من الوزراء، فتكلّم أحدهم بقوّة، فقال رضي الله عنه: (اسكت، هنا مجلس للرجال لا للنساء)! قال: يا شيخي: أرجو المعذرة فما عندي علم، وقد تكلّمت بقوّة حتى أفهم! فما كان رضي الله عنه يرضى أن يرتفع صوت أحد في مجلسه وزيراً كان أو أميراً أو أجيراً.

٤٤ – مع أمير ليس بأمير:

قال رضي الله عنه: (جاءني أمير، فقلت له: الرسول ﷺ كان يحسن لمن أساء إليه). قال: ماذا؟ وهل يحسن أحد لمن أساء إليه؟ لا بالله هذه لا أقدر عليها.

قلت له: (عين تطقك) ظننتك أميراً من أين لك هذه الإمارة؟ بلغ مرّة الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رضي الله عنه عزم الملك الظاهر (بيبرس) على إعدام رجل عنده، فذهب الشيخ ليتشفع له عند الملك، وحين رآه الملك

قال: أهلاً وسهلاً بمولاي، وكان الشيخ الأكبر محترماً كثيراً. فقال للملك: بلغني أنّك تريد قتل فلان؟. قال: نعم. قال: ولماذا تقتله؟. قال: لقد عمل عملاً لا ينبغي للملوك السكوت عنه. قال: سبحان الله، نحن السوقة لا يقف أمام عفونا شيء. قال الملك: أتوب بين يديك.

يكفيك من ذلك أن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك وهكذا يكون الأكابر.

٤٥ – مع بكّاء:

قال: سيدي: أجلس وحدي فأبكي ذنوبي، ولكنني أجد نفسي على ما أنا عليه؟ قال ﷺ: (لأنّك جعلت إلٰهك هو البكاء).

٤٦ – مع طالب جامعي يريد تأجيل الامتحان:

قال: سيدي، أودّ تأجيل امتحاني في الجامعة، فقالوا: يجب ربط تقرير طبي (كأمور شكلية) للتأجيل، فنهره ﷺ وقال: أتريد أن تجعلني شاهداً على كذبك؟.

٤٧ – مع شيخ علم به وسواس:

قال ﷺ: (يا أستاذ، الوسواس يأتي من أحد شيئين: إما جهل في

الدين، أو خبل في العقل، فمن أين جاءك الوسواس وليس فيك جهل وعقلك سليم)؟. قال: لا أعرف. قال ﷺ: (أنت جاهل في حقيقة الدين).

٤٨ – مع معجب بمدنية أميركا:

قال: الآن يا شيخي في أميركا لا يقتلون القاتل. قال ﷺ: (ولماذا)؟. قال: لأن القاتل لا يقتل إلّا وهو مجنون، وقد قتل واحداً، فإذا اقتصوا منه فقد قتلوا اثنين. قال ﷺ: (وماذا يصنعون معه)؟. قال: يحجرون عليه في حديقة كبيرة واسعة. قال ﷺ: (قل لهم فليوسعوا الحديقة؛ لأنّ الأب إذا قتل أحداً سيقول لابنه: اقتل آخر، لنلتقي غداً في الحديقة، أفهمت الآن لماذا قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩] لأن دين الإسلام مرتبة حافظة لك، وحافظة منك: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: حياة لك، وللموجودين في العالم أجمع، أما المدنية فلا تحفظك ولا تحفظ غيرك).

٤٩ – مع رجلٍ لا يصبر:

قال: كثيراً ما تتحدث عن الصبر يا سيدي.. قال ﷺ: (نعم رأس مالنا: الصبر). قال: وعلى أيّ شيء نصبر؟.. قال ﷺ: (تصبر على الإهانة). قال: أنصبر على الإهانة يا سيدي؟ قال ﷺ: (نعم البقلاوة

حلوة، كل الناس تأكلها)[١]. قال: إذا أهانني أحد: يحترق صدري، وأقلع الأرض من تحته. فابتسم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولم يعقِّبْ.

٥٠ – مع طالب علم يشتكي من والده:

قال: يا سيدي، إن والدي معلم مدرسة وهو مليح جداً، إلا أنه يتساهل في البيع والشراء، ويحلف، ويماطل في الوفاء، فإذا كان عليه حقّ يستحقّ الدفع غداً يؤخره أربعة أشهر أو خمسة! قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (سلِّم على أبيك وقل له: الشيخ يقول لك: لماذا تفعل هكذا)؟ قال: لا يمكنني التحدث معه؛ لأنّ له أولاداً صغاراً. قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (من هنا فقل له: طالما يربيهم على الحرام: لابدّ أن يهينوه). قال: والله قد بدؤوه بالإهانة من الآن، من الآن!

٥١ – مع معترض على الله تعالى:

قال: لماذا جعل الله الشيطان مطروداً، وجعل محمّداً حبيباً له ومقرَّباً؟
قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لصغر عقلك)!

قال: كيف؟ قال: أريد أن أسألك: هل عندك أولاد؟ قال: نعم. قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (إذا كان أحد أولادك لا يخرج من البيت إلّا ويقبّل يدك ورجلك ويد أمّه ورجلها، ويقول لك: ادعُ لي حتى أمشي، والآخر لا يخرج من

(١) وذلك في إشارة منه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى أن الصبر هو على المر، أما الشيء الحلو كالبقلاوة مثلاً فلا يحتاج إلى صبر.

البيت حتى يضربك ويضرب أمّه، ويسبّك ويسبّ أمّه ويأخذ مالك ومال أمّه.. هل تحب هذا مثل ذاك)؟. قال: لا.. قال ﷺ: (هكذا الله سبحانه وتعالى! سيّدنا محمّد عبده، وإبليس عبده! لكن محمّداً (أمره الله تعالى فائتمر ونهاه فانتهى، وإبليس أمره فما ائتمر ونهاه فما انتهى، كيف يكون هذا مثل ذاك)؟. قال: إذا كان الأمر هكذا فلا مانع!

٥٢ – مع أحد علماء حلب:

قال: سيدي يقولون: الحلم سيد الأخلاق. فأجابه ﷺ: سيد الأخلاق: الأدب.

٥٣ – مع أرمني[(١)]:

قال الأرمني: سيدي: خطبت ابنة عمّي وبعد أن أحببتها وأحبتني وتعلق قلبي بها رفض أهلها، فسألت عمن يساعدني.. فقالوا: اذهب إلى الشيخ محمّد النّبهان، فجئت أطلب حلاً لمشكلتي. قال ﷺ: (أخشى أن تكون قد عملت معها شيئاً)؟. قال: لا يا سيدي، هذه ابنة عمي كيف أخطبها وأعمل شيئاً معها؟ قال ﷺ: (يا ابني اشتغل). قال: ليس لي عمل إلا في الحديد، وإنني كلّما حملت المطرقة لأضرب تجسدت لي

(١) كان سيّدنا ﷺ كثير التنبيه إلى أنه يعني بذلك كذّاب الوجهة إلى الله تعالى، لا القول الزور.

صورة عشيقتي فيه! فلا أقدر بعد على الشغل.. قال ﷺ لمن حوله: (أولادي هذه لكم، وإن الله تعالى بعثه لأجلكم كي تعتبروا!)[١]، ثمّ أرسله ﷺ إلى المحامي الأستاذ أحمد مهدي الخضر ليعينه على مشكلته في المحكمة.

٥٤ – مع موسوس كاد أن يجنّ:

قال: شيخي أُجريَت لي عملية، فأعقبها توسع في المحل، وإني لأرى النجاسة. قال ﷺ: (يعفى عنها). قال: يا شيخي: هكذا إشارة منه لحجمها. قال ﷺ: (يعفى عنها كلّها)[٢]. وأضاف ﷺ: وكان من إخواننا الصادقين الصالحين، وبعدها رأيت خللاً بعقله، فقد جنّ أو كاد يجنّ في يومين أو ثلاثة، فقلت له: يا حاج عمر. قال: نعم. قلت له: اترك الصلاة. (لأنّه بحاجة إلى عقل صحيح نوراني ليدرك.. فترك الصلاة يومين فقط، ثمّ شفي، وقضى الفوائت وصار من أحسن ما يكون)[٣].

(١) وموطن الاعتبار أن العاشق قد يصل إلى حالة يرى فيها محبوبه رؤية تقصر عنها العقول ولا تدرك إلّا ذوقاً، وإن سيّدنا لم يكذبه وإنما نبّه ولفت أنظار من حوله إلى صدق ذلك الأرمني في محبته لتكون محبتهم عالية كاملة. كان ﷺ يثني على الأرمن، ويقول: (نحن عندنا الأرمن في حلب صادقون في تعاملهم).

(٢) معلوم أن إزالة النجاسة سنَّة في أحد قولي الإمام مالك وهو قول مشهور.

(٣) لا شك في أن سيّدنا ﷺ حين قال له: اترك الصلاة قد رأى عقله مختلاً، سقط عنه التكليف.

٥٥ – مع رجل كذّاب مع الله تعالى:

قال رضي الله عنه: قال لي رجل: أنت قد اختصك الله من صغرك. قلت له: أنت كذّاب. قال: يا شيخ؟! قلت: أنت كذّاب، وأنا لست بخائف ألّا يمدحني بقدر خوفي من أن يتهم الله سبحانه وتعالى، فقلت له: لا، لا، لا تقل هكذا الله يرضى عليك، قل: إن الحقّ عزّ وجلّ: عالم عليم علّام، ومن عالَم الأزل يعلم أن الشيخ النّبهاني إذا أمره يأتمر، وإذا نهاه ينتهي، أما أنت فبالعكس. قال: نعم. قلت: إذا قلتَ هكذا فلا شيء عليك.

٥٦ – مع شرطي:

جاءه رضي الله عنه شرطيّ محتاج وسأله عن الرشوة. فأجابه رضي الله عنه: الرشوة حرام، ولكن لماذا خلق الله أمثالنا؟. بمعنى نكفيك بالمساعدة عن الرشوة.

٥٧ – مع أخيه الحاج علي النّبهان رحمه الله تعالى(١):

قال الحاج علي: سمعت يا أخي أنّك ترى حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام فهل ذلك في اليقظة أم في المنام؟ قال رضي الله عنه: وماذا ينفعك هذا السؤال؟ ولِمَ لا تسألني في أمور تفيدك في العبادات أو المعاملات؟. فألحّ

(١) حدّثنا بهذه الرواية محمّد بن الحاج علي النّبهان، وكان مقيماً بمدينة الموصل في العراق، قال: حدّثنا والدي رحمه الله.. وذكر بقية الرواية.

عليه الحاج علي، فأجابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: والله لو تركني رسول الله ﷺ لحظة لا أعرف طريقي إلى بيتي.

٥٨ - مع مقامر:

قال لسيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لي شغل عندكم لخمس دقائق. قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أهلاً وسهلاً، وماذا تريد)؟. قال: أنا كنت أصلي من صغري، ثمّ تعلمت القمار وسرقت من شخص ثلاثين ليرة، فلعبت وخسرت ونفسي تحدثني بأني أصبحت سارقاً، ولم يبق لي وجه ولا صلاح! وقد أرسلني إليكم الشيخ فلان. قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (تأتيني عصر غد لأعطيك، فجاء في اليوم الثاني فأعطيته ثلاثين ليرة، فتاب ورجع إلى الصلاة).

٥٩ - مع تاجر مسيحي مُوحِد:

قال: يا شيخ محمّد. قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (نعم). قال: أتمنى كثيراً أن تسمع مني الفاتحة! قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (تفضل). قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ١-٥].

إيّاك نعبد: وحدَك وحدَك ما معك أحد أبداً! لا إله إلّا الله!. وفي هذا إشارة منه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى أن في النصارى موحّدين[(١)].

(١) ولكن توحيدهم لله لا يكفي، ما لم يتبعوه باعترافهم بنبوة رسول الله ﷺ مع الإذعان.

٦٠ – مع مهندس مشفق:

قال ﷺ: جاءني في القرية فقال لي بعد أن بلغه أني مدين بأكثر من مليون ليرة: يا شيخي: ما كلّفك الله بهذا ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. قلت: الآية في حقّك لا في حقّي! وهل من المعقول وأنت صديقي يا مصطفى أن أراك نائماً جائعاً مريضاً فأقول أخرجت زكاتي، أنا عندي إنسانية، وحتى الّذي يؤذيني أعطيه! قال: أنا لا أتكلّم مع حضرتك بهذا الشيء لأنّك في كل مرّة تغلبني! قلت: لتعرف حالك).

٦١ – مع امرأة تشكو ابنها:

قال ﷺ: (دخلتْ عليَّ امرأةٌ مع ابنها قالت: عندنا بنت مقصِّرة في دروسها، قلنا: من أين نأتي لها برجلٍ يعلِّمها؟ نأتي بابن عمِّها أحسن مما نأتي بغريب! فصار يدخل معها يعلِّمها، بعد مدّة ظهر حملها! ثمّ حضر أخوها الآخر الّذي لم يكن ساكناً معنا، فقال: يا أمّي، الأمر وقع، وهناك طبيب في حيّ السبيل نذهب إليه لينزل الحمل ويسترنا! وهو ينوي ذبح أخته بعد ذلك! فماذا أصنع؟؟ قلت: يا خائنة! وأنا أدخل في الموضوع كذلك!؟ أعوذ بالله! فقال ولدها: الأب هو الديّوث..! ثمّ ولّت الأم هاربة، ولا أدري ماذا جرى بعد ذلك!

٦٢ – مع الشيخ عمر النقشبندي مفتي دير الزور:

قال لسيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هل أنت محامٍ عن الله؟ قال له: نعم محامٍ عن الله!.

٦٣ – مع مخالف للسنّة!

حضر عند سيّدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شخص وقال: مساء الخير. فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (قل: السلام عليكم).

٦٤ – مع طارق على الباب بقوّة:

طرق رجل الباب على سيّدنا طرقاً قويّاً. فنهض رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفتح الباب وقال: أهكذا علّمتك السنّة؟.

٦٥ – مع مندهش برؤيته:

قال: أسألك بالله من تكون؟ وكان يظنّه من رجال الغيب! فأجابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عبد من عبيد الله!.

٦٦ – مع بعض أصحابه:

ذُكر عنده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رجل لم تفته صلاة الجماعة في المسجد، فسألهم: هل

يحب هذه؟ وفرك أصابع يده يعني: النقود؟ فقالوا: نعم. قال ﵁: (ضعوا عليه خطين [x]).

٦٧ - مع أحد حلاّقيه ﵁:

بعد أن حلق شعر سيّدنا ﵁، جمع شعره بكلتا يديه، وقال: يا سيدي ادْعُ لي أن يقلب هذا الشعر إلى مال، وكان هذا الرجل فقيراً فدعا له سيّدنا فأصبح فيما بعدُ غنياً ومن تجار البلاد.

٦٨ - مع قارئ عنده في كتاب تصوف:

قرأ عنده رجل في كتاب وهو ﵁ يستمع فقال: العلم الظاهر هو علم الشريعة، قال ﵁: (صحيح). العلم الباطن: علم الطريقة والحقيقة. قال ﵁: (لا: علم الطريقة فقط، علم الحقيقة ينتج عنهما، الشريعة والطريقة: مثل الزوج والزوجة، والحقيقة هي الولد، وليس كل من عمل بالشريعة والطريقة يصل إلى الحقيقة، لا، فالشرط الأساس أن تكون عنده همّة، ومن هو صاحب الهمّة يا شيخ عبد الرحمن؟ صاحب الهمّة الّذي لا يقف مع أرض أو سماء، ولا مع جنة أو نار، هذا هو صاحب الهمة الّذي تظهر عنده الحقيقة، كتب الحقائق لا تؤخذ إلّا ذوقاً عن حال أهل الحقائق، ولا تولد إلّا من أم وأب، الشريعة والطريقة لا تتولد إلّا بمقدار الشخصية والهمّة، يأخذون عن الحضرة الإلٰهية بمقدار وعائهم ﴿فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٢] الشريعة آدابه (والحقيقة أخلاقه ﵁).

٦٩ – مع سائل عن وحدة الوجود:

قال ﷺ : (جاءني شيخ، فقال لي: أحبك! قلت له: صدقت. قال: أعتقد فيك. قلت: صدقت. قال: بيّنْ لي وحدة الوجود! فصرت أضحك، قلت له: أنا وأنت: صرنا اثنين، والشجرة التي نقف إليها: صرنا ثلاثة، فما هي وحدة الوجود)؟.

٧٠ – مع شيخ يحب نفسه:

قال ﷺ : (قلت لأحد المشايخ: «يا ولدي» فغضب! وقال: عندي تلاميذ وأنا شيخهم فكيف تقول لي: يا ولدي؟! فأجبته: سحبت كلامي ياعيني!.

٧١ – مع مدير صحة حلب:

جاءه مريض فقير يقول له: إن مدير مستشفى حلب اعتذر عن إدخالي إلى المشفى لعدم وجود مكان، فأمسك ﷺ بالهاتف، وكلّم مدير الصحة بغضب وقال: ويلك يا مدير الصحة، أنت أجير للشعب: عليك أن تترك السرير الّذي تنام عليه لهذا المريض، قال: أمرك سيدي!

٧٢ – مع الشيخ أديب قسّام:

وفد إلى سيّدنا ﷺ الشيخ أديب قسّام من منطقة (جبلة) في محافظة

اللاذقية، وهو من صلحائها وعلمائها، سالك لطريق الصوفية على يد الشيخ إبراهيم الغلاييني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، فدار بينهما الحديث الآتي: قال الشيخ أديب: سيدي: توفي شيخي إبراهيم الغلاييني وجئت لإكمال سيري عندكم! قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (يا ولدي شيخك شيخ، ارجع إلى شيخك، الشيخ الّذي يحجبه عن تربية مريديه حفنة تراب ليس بشيخ)!![1].

٧٣ – مع مدعٍ:

جاءه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدّعٍ لرؤية الرسول ﷺ في اليقظة. فقال له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كذبت! أنا من الّذين لا يغفلون عن رسول الله، واللهِ لو حُجِب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددتُ نفسي من المسلمين!!.

٧٤ – مع ناقص ذوق!

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (كنت في الخسروية وجاءني رجل – ولم يذكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسمه – قال لي: وصلت معي الحكاية، فصرت أستطعم كل الطعام طعماً واحداً!! قلت له: الخبز والمحشي؟ قال: نعم. قلت له: لا فرق عندك؟ قال: لا فرق!

(١) قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إذا جاءني مريد ووجدت اسمه في ديوان آخر آخذه بيدي وأسلّمه إلى ذلك الشيخ.. نحن الّذي نريده نأتي به بإذن الله تعالى ولو كان في الهند. حدّثنا الشيخ الدكتور عثمان عمر محمّد الويسي قال: سألت الشيخ سليمان الواعظ رَحِمَهُ اللَّهُ في المدينة المنورة فقلت: إذا توفي شيخ السالك هل يفتش عن شيخ بعده؟ فقال: إذا كان ارتباطه بجسم شيخه، فليفتش عن جسم آخر، أما إذا كان ارتباطه بروح شيخه، فإنها باقية، ولا يفتش عن شيخ.

قلت: هذا نقص ذوق! أيصل الإنسان لدرجة: يصير عنده الخبز والمحشي شيئاً واحداً؟ خبز الشعير مثل البقلاوة؟ هذا نقص ذوق! هذا مرض)!.

٧٥ – مع ناقص إيمان لا يعرف جاره:

قال لي واحد: الحمد لله أنا جاري لا أعرفه! قلت له: أنت ناقص الإيمان، ناقص الإسلام، لا بدّ للإنسان أن يعرف جاره كافراً أو يهودياً أو نصرانياً أو مجرماً! أيّاً كان يكون، فقيراً: أعطه أطعمه.

٧٦ – مع قسّيسين:

قال رضي الله عنه: (جاءني إلى البيت قساوسة: فصرت أفسّر لهم سورة الفاتحة تفسيراً عربياً: فوقع والله أحدهم على الأرض! والآخر صار سَبَهْلَلاً)[(١)]!.

٧٧ – مع تاجر من الصالحين:

قال رضي الله عنه: (رحت إلى بيروت فجاء يزورني غني موسر من التجار الكبار، لكنه من الصالحين، فحكى لي حكاية قال لي: إن الشيخ يوسف النّبهاني سألني: هل رأيت الرسول ﷺ يا شيخ توفيق؟ قلت: لا والله! قال: أودّ أن أعطيك صيغة حتى ترى الرسول ﷺ. . قال سيّدنا رضي الله عنه: قلت له:

(١) السبهلل: بمعنى أهبل، أو ما يماثلها في اللهجة الدارجة.

لمّا عملت الصيغة مَن رأيت: الرسول أم صيغة الرسول!؟ فسكت! وصرت أبيِّن له قلت: يا عيني، الّذي يرى الرسول ﷺ ويجالس الرسول (يتأدب بآدابه، فإن كان بخيلاً يصير كريماً، وإذا كان جباناً يصير شجاعاً، وإذا كان ضعيفاً يصير قوياً، والّذي يرى الرسول ﷺ لا يحب الدنيا، الرسول ﷺ يقول: «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**»)![1].

٧٨ – مع مدير أوقاف حلب:

سنة الوحدة بين سورية ومصر فتح علي الهاتف فقلت له: نعم، قال: يا أستاذ يسلِّم عليك الوزير، قلت له: عليك وعليه السلام، قال: يقول: اخطبوا في الوحدة، قلت له: لسنا تحت أمر أحد! نحن عندنا إيمان وصدق، ثمّ وضعت التلفون!!

٧٩ – مع أبي عمر الحاج محمّد الدباغ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال رضي الله عنه: (كان أبو عمر قبل أن يجتمع معنا يقول: والله لو كنت في زمن سيّدنا محمّد (لأسبقنَّ سيّدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه!! ومن كلّ عقله!! فلمّا صحبنا.. قلت له: كيف يا أستاذ؟ قال: لا! والله أنا كذّاب أنا كذّاب أنا كذّاب! أتعرفون العلة؟ العلة: لا أحد عنده نور قوي أكبر منه ليريه صغره، فهو يرى حاله بين صحبه أعلاهم، ولمّا جالس أهل الله أهل النور أهل القوّة: وجد حاله كذّاباً)!!.

(١) شعب الإيمان للبيهقي (١٣/ ١٠٢) رقم: (١٠٠١٩).

٨٠ – مع مندهش بالقنبلة الذرّية:

قال ﷺ : (قال: يا أستاذ! قلت: نعم، قال: الآن اخترعوا القنبلة الذرّية، ثقلها كيلو، تقتل سبعين ألفاً وتعطل الأرض سبعين عاماً! قلت له: كم ثقلها؟ قال: كيلو! قلت له: كم ثقلها؟ قال: كيلو! قلت له: يا لطيف! كيلو؟ قال: نعم، قلت له: العقل الّذي اخترعها كم ثقله؟ كم غرام؟ فلم يعطني الجواب إلى الآن)!

٨١ – مع متحدثين عن الصواريخ:

قال ﷺ : (كان عندي مرّة جماعة يحكون لي في قضية وصرنا نتحدث في الصواريخ، قلت لهم: صواريخكم تكلفكم مليارات لا ملايين، ونتيجتها تميت الحيّ، لكن صواريخنا كيمياء السعادة تحيي الميّت بلا ثمن!! فأي الصواريخ أحسن)؟

٨٢ – مع مدعٍ للولاية:

قال ﷺ : (واحد من أكابر العلماء مشهور بالولاية قال لي وهو يتعرف إلي: إن الله تعالى متجلٍّ الآن بالجلال لا بالجمال!! قلت له: اسحب كلامك اسحب! هذا جهل! متجلٍّ بالجلال؟ وأحبابه كيف يتجلّى عليهم؟ كذلك بالجلال؟ لا أحد يقبلها، كأنّك لا تعرف الله! المخلوق لا يعملها فكيف الخالق؟ أنا لـمّا يأتيني مجرم جانٍ أوَبخّهُ، فإذا أتاني أحبابي: أهلاً وسهلاً،

هاتوا شاي، سلامات.. شيء يدفعني ليس بيدي! شيء رغماً عن أنفي! لأن قلبه معي، فالمخلوق هكذا فكيف الخالق، الخالق تجلّى على العرش باسم الرحمٰن، لا باسم الرحيم ولا باسم القهار، الرحمٰن جمع الصفتين بآن واحد، جمع صفة الجلال والجمال، لمّا يأتيه أحبابه يقابلهم باسم الرؤوف والرحيم، ولمّا يأتيه المجرم الجاني يقابله باسم القهار الجبار).

٨٣ - مع شخص يظنّ بنفسه أنه صار من أصحابه:

قال ﷺ: (البارحة فتح لي واحد تلفوناً قال لي: البارحة كنت تحكي في المذاكرة تقول: ما وجدت صاحباً، ما وجدت أحداً معي، كلّهم أنا معهم! وأنا والله كنت أظن حالي معك؟ قلت له: طم طم! لا أنت ولا الّذي أكبر منك! ولا نفسي، إلّا الله! مثل ما قال سيّدنا محمّد ﷺ: «**اللهمّ أنت الصاحب في السفر، والخليفة في المال والأهل والولد**»)[١].

٨٤ - مع تائب:

كان واحد في معمل عند الحاج وهبي الحريري، فحكى لي وقال: ماذا أقول؟ لقد سرقت شيئاً لا يعد ولا يحصى مئات الألوف من الحاج وهبي، شيئاً كثيراً كثيراً! قلت له: رح سلّم عليه قل له: الشيخ يسلِّم عليك (وأنا ما كنت أعرف الحاج وهبي من قبل ولا يعرفني) وقل له: أنا سارق منك كثيراً

(١) صحيح مسلم (٢/٩٧٨) برقم: (١٣٤٢).

كثيراً، إما أن تقطع من أجرتي كل سنة أو كل شهر ما تريده، أو تسامحني؟ قلت له: سيسامحك في الغالب! فراح.. قال له الحاج وهبي: أي نبي قال لك!؟ عند أي نبي تروح!؟ هكذا من فرحه! قال له: خذ الّذي عندي كلَّه وخذني إلى الدرس!.. وسامحه في كل ما أخذه، هذا لمّا صدق.

٨٥ – مع أحد شيوخه في العلم:

قال ﷺ: (سألني طالِبَا علم في أيام عيد سؤالاً في التوحيد وشيخي الّذي أخذت عنه العلم قاعد إلى جنبي، وأنا أنظر فيهما لأعطيهما الإجابة، مثل الخيّاط.. حتى يخرج (الطقم) الّذي يليق به، أنا أنظر وإذا بشيخي قد أجابهما! فالتفتُّ إلى الشيخ وقلت له: شيخي! قال: نعم، قلت له: أأنت المسؤول؟ قال: لا، قلت له: لماذا أجبت؟ فسكت! قلت لهما: أنتما بالله عليكما هل فهمتما من الشيخ شيئاً؟ قالا: لا!! قلت له: شيخي بالله عليك أأنت تعتقد ما قلت؟ قال: لا!.. قلت للشيخ: يلزم أن لا تجيب لأنّك غير مسؤول، المسؤول هو الفقير. فأعطيتهما جواباً يليق بهما.. الجواب على قدر السائل لا السؤال).

٨٦ – مع سائل عن معرفة الشيخ:

قال ﷺ: (سألني واحد البارحة قال: أيعرف المرجع الباطن!؟ قلت له: أنت لا تعرف كيف تحكي! المرجع يعرف الذات من حيث هي ذات، فيها الباطن وفيها الظاهر! لكن المرجع لا يتكلّم لأنه عبد).

٨٧ – مع مدَّع للكرم:

قال: أسألك: أنا كريم أم بخيل؟ قال ﵁ : فلم أجبه، ولا أريد جرحه لكونه وجيهاً في قومه، فسألني ثانيةً، فلم أجب، فقال في الثالثة: أقسمتُ عليك بالله العظيم إلّا أجبتني: أنا كريم أم بخيل؟ فقلت: أقسمتَ عليّ بعظيم: أنا لا أعتقد أنت بخيل، بل أنت أبخل البخلاء، لأنّك تذبح لغير الله).

وفي رواية ثانية كالتي قبلها قال ﵁ : (سألني سائل من رفقائي الأولين لكن السؤال من قديم لا من جديد قال: يا شيخ محمّد أسألك سؤالاً، قلت تفضل، قال: أنا كريم أم بخيل؟ قلت له: ما هذا السؤال؟ والله هذا سؤال بارد حقيقةً، فأصرّ عليّ! قلت: أنا المسؤول؟ قال: نعم، قلت: أنا المسؤول؟ قال: نعم، قلت: أنا المسؤول؟ قال: نعم، قلت له: أنا لا أعتقدك بخيلاً، بل أعتقدك أبخل البخلاء! قال: أنا؟ وجاءت نفسه! قلت: يا أخي لماذا سألتني هذا السؤال؟.. بعدها قال: اسأل الناس عني! قلت له: لماذا أسأل إذا كنت أنا المسؤول؟ أنا أعرف، تدعو المائة والمائتين والثلاثمائة والأربعمائة.. تدعوهم لأجل أن يقال، قال: والله صدقت! فرجع أخيراً، لكن أول الأمر جاءت نفسه)..!

٨٨ – مع زعيم:

قال ﵁ : (جاء عندي زعيم وأنا أعمل مذاكرة قال: يا شيخي، قلت: نعم، قال: نحن نقْصُنا كثير! قلت له: أبشرك! الله منّ عليك باللطف والنور حتى أدركت نقصك، والآن ناس كثيرون لا يرضون أن تقول لهم ناقص)!.

٨٩ – مع مجالِس لا يفهم معنى استصحاب المرجع:

قال ﷺ: (قال لي واحد منذ زمن: يا شيخي، قلت: نعم، قال: حينَ نأتيك تصير عندنا التقوى، ونفرح كثيراً، وحينَ نروح يتغير حالنا! قلت له: خذني معك! قال لي: إلى أين آخذك إلى الشغل؟.. أقول خذني معك، ليس فاهماً الطبخة) أي بالقلب والفكر.

٩٠ – مع مدير ناحية:

قال ﷺ: (سألني مدير ناحية العام الماضي جاءني إلى الغرفة قال: بلغني أنّك فاتح مدرسة لأولاد الأمراء لا أولاد الفقراء! قلت: نعم، قال: لماذا أولاد الأمراء لا أولاد الفقراء؟ قلت: لأن أولاد الفقراء يكونون شحّاذين! ما المراد من أولاد الأمراء أن يكون أبوه أميراً، لا! فقد يكون أبوه راعياً للإبل لكن الولد صاحب شخصية ونفسيته نفسية أمير! هذا هو المراد.. فانبسط جداً).

٩١ – مع غافل وقح:

قال ﷺ: (أتكلّم في النظر وأن الإنسان لا يجوز له أن ينظر لا كذا ولا.. قال لي أحد الأتراك: ولكن لماذا خلق الله لنا عويناتنا؟ أليس لنبشبش[1] فيها؟! فسكتُّ؛ فهمته وقحاً!.. وبعد مدّة قلت له: أستاذ!

(١) بمعنى نبصبص.

قال: نعم، قلت له: زوجتك إذا جاءت قالت لك عن واحد يبشبش عويناته فيها، وأين ما راحت يلحقها!! قال: والله أضربه (فشكةً)[(١)] وأقتله! قلت له: والله أضربك (فشكتين). قال لي: دخيل الله! هات يدك أقبّلها، والله الحق معك!).

٩٢ - مع طبيب:

قال رضي الله عنه: (قلت لأحد الأطباء: لا بدّ أن تعاينني معاينة العبيد[(٢)]! قال لي: دخيلك! لا تحمّلني هكذا! هذا حمل ثقيل لا أقدر عليه!!. وأضاف رضي الله عنه: مرض العالم بالمئة ٩٥ أو ٩٨: وهمي!!! أكثره وهمي، لابدّ أن يكون الطبيب حاذقاً يعرف كيف يزيل عنه ذاك الوهم، لأن الوهم لا وجود له ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ [الإسراء ٨١]).

٩٣ - مع وفد كويتي:

وفد إليه رضي الله عنه نفر من دولة الكويت، فأدهشتهم مشاريع الخير، ووجوه الصرف الكثيرة، فأشفقوا عليه وقالوا: سيدي ابعث معنا رجلاً نجمع له المال، قال رضي الله عنه: (لا ولكن ابعثوا لنا أولادكم نعلّمهم، ونحن نصرف عليهم).

(١) الفشكة: من اللهجة الحلبية الدارجة معناها: الطلقة النارية.

(٢) قال رضي الله عنه معقباً: (لمّا دخلت فرنسا إلى سورية كان مع الفرنسيين عبيد لا يفهمون العربية! فالطبيب يعاينهم من غير أن يسألهم)!.

٩٤ – مع مريض لا يصلِّي:

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (أمس رحت إلى مريض قلت له: هل تصلّي؟ قال: لا أقدر! قلت له: ليس القيام شرطاً، صلِّ وأنت قاعد، وأنت مستلقٍ، وإذا لم تستطع فأومئ برأسك، يمكنك بالإيماء، ولا تترك الصلاة).

٩٥ – مع مصلٍّ لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر!

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (قلنا لشخص: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال: والله أنا صلاتي لا تنهاني، أأترك الصلاة؟! قلنا: خلِّ صلاتك تكون مقبولة، وأعمالك مقبولة، عندك النيّة الصالحة أحسن من أن تترك الصلاة).

٩٦ – مع قائد كبير:

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (جاءني قائد كبير قال: أريد نصف ساعة أو ربع ساعة، فالتقيت معه فقعد ثلاث ساعات!! الّذين معه يقولون له: بيك بيك، الوقت! أيُّ وقت؟ لا يعرف الوقت، لماذا؟ لأنه رأى غذاء روحه، الكلام الّذي نحكيه ما فيكم واحد إلّا ويتغذى فيه).

٩٧ – مع سائل عن المال الحرام:

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (ناس يسألونني: عن مال حرام ولكن أريد أن أعطيه

للفقراء؟ قلنا له: هذا ليس مالك حتى تعطيه للفقراء! ما حكمت عليه، ما صار رزقك، لا يجوز! هذا ردّه لأهله أحسن الكل).

٩٨ – مع أحد جلسائه يحدّثه عن مخمورَيْن يحبّان الأولياء:

قال: سيدي، رأيت رجلين مخمورَيْن في سيارة، أحدهما ينادي: يا شيخ عبد القادر الجيلاني، والثاني ينادي: يا شيخ أحمد الرفاعي!!
قال ﷺ: (هذان لا يموتان إلّا عن توبة)!!

٩٩ – مع أحد القضاة:

دخل على سيّدنا أحد القضاة فسلَّم وجلس، فسأله السيّد ﷺ: كيف تقضي بين الناس؟ إذا جئتك أنا وشخص آخر مختصمَيْن، فكيف تقضي بيننا؟ فقال القاضي: أقضي بالعدل، ولكني أحب أن يكون الحق معك.
فقال سيّدنا ﷺ: ما قضيت بالعدل، يجب أن تبحث عن الحق أين هو، ولا تتمنى أن يكون مع شخص معين، حتى يعدل قلبك ولسانك.

١٠٠ – مع ذي مال لا يزكّي:

سألني أول البارحة واحد قال: قلت لشخص: زكِّ! قال له: أنا أزكي أكثر من الزكاة!! قال له: كيف؟ قال له: أعطي!.. قلت له: قل

له: لو أعطى ماله كلّه من أوله إلى آخره لا يقوم مقام الزكاة التي هي اثنين ونصف بالمائة! ما لم يبين ويكتب ويحرر ما عنده.. وعلى المائة اثنان ونصف..

١٠١ – مع أحد الوجهاء:

غسل أحد الوجهاء يديه بالصابونة فلم يغسلها، فقال ﷺ: (هل من الإنسانية أنهّا نظفتْ لك يديك وأعدتها وسخة؟ اغسلها)!!.

١٠٢ – مع الحاج سليم التبّان يشكو إليه حالة بعض المريدين:

قال: إن المريدين في مسجد قرية تويم قد تضاربوا بالخيار ولم يدعونا ننام!. قال ﷺ: (احْمدْ ربّك، مليح ما ضربوني)! فخجل وسكت.

١٠٣ – مع رئيس جمعية التربية الإسلامية في بغداد الشيخ عبد الوهاب عبد الرزاق السامرائي رحمه الله تعالى[١]:

زار سيّدنا ﷺ بحلب وكان من أوائل الوافدين عليه، فرآه سيّدنا مهتماً بأمور المسلمين أكثر من اهتمامه بنفسه، فسأله ﷺ: ألست واحداً من المسلمين؟. فقال: نعم. قال ﷺ: (لماذا لا تهتم بنفسك على أنّك واحد

(١) توفي رحمه الله تعالى في ٢٩/٨/٢٠٠٦م.

منهم)؟. فأجاب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: والله لو لم أستفد من مجيئي إلى حلب إلا هذه الكلمات لكفتني.

١٠٤ – مع وفد من منظمة اليونسكو:

زاره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفد من (اليونسكو) مكون من ثلاثة ألمان قدموا إليه من مقرهم في باريس بصحبة منشد سيّدنا الخاص الأستاذ (محيي الدين أحمد) لتسجيل بعض الأناشيد الدينية وحلق الذكر فاستقبلهم بحفاوة محتضناً كلَّ واحد منهم إلى صدره ومقبِّلاً إياهم واستضافهم بأطيب الضيافات وأحسنها، ثمّ بدأت حلقة الذكر التي يديرها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وحين وقفوا إلى ذكر الجلالة فإذا بأحدهم تغلبه الحال ويصرخ (الله الله...) ثم وقع مغشياً عليه. وبعد أن رجعوا راسلَه الذي غلبته الحال قائلاً: يا سيدي أنا أسلمت، وصار عندي نور، إما أن نأتي إليكم أو تأتي إلينا. وقد بلغنا عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: إنَّ أقرب الناس إلى العرب الألمان.

١٠٥ – مع الأستاذ مصطفى علبي الموظف في ديوان محافظ حلب:

قال: يا سيدي أريد أن أترك هذا المنصب، حتى أحفظ نفسي وقلبي من غبر الوظيفة. قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (يا مصطفى إذا جاء أحد من إخواننا من يستقبله ويسهّل له أمره؟ فرْضٌ عليك أن تبقى في مكانك).

١٠٦ - مع شيوخ علم جبناء:

قال ﵁ للمشايخ يوم أصدر رئيس الدولة أديب الشيشكلي أمراً بإلغاء العمائم على الطرابيش فجمعهم ﵁ في داره لاستطلاع آرائهم فقال أحدهم نأخذها بالأكثرية فقال له سيدنا النبهان ﵁ : (أللجبان أكثرية؟!) رافضاً أمر الشيشكلي ثم أضاف ﵁ موجهاً خطابه للمتكلم ومن يوافقه: (أول من أبدأ بذبحه هو أنتم وأجعلكم جسراً أعبر عليه).

١٠٧ - مع زوج يشكو زوجته:

قال: يا شيخي: زوجتي لا تصلّي. قال ﵁ : (انصحها بلطف ولين). قال: لا يفيد اللطف واللين معها. قال ﵁ : (أكرمها بشيء). قال: لا يفيد أيضاً. قال ﵁ : (قل لأهلها يتكلّمون معها بالصلاة). قال: لا يفيد ذلك أيضاً. قال ﵁ : (اهجرها). قال: كذلك لا يفيد. قال ﵁ : (اضربها). قال: ما نفع معها الضرب.. فغضب ﵁ وقال له: فرض الفرض أن تطلقها.

القسم الرابع

نوافذ الدراية

الفصل الأول

أطراف علمه ومعرفته

ويحتوي الفصل على المباحث التالية:

- رؤيته رضي الله عنه في العلوم العصرية.
- نظرته في مستقبل العلوم الكونية.
- معرفته بالله تعالى.
- تعريفه بسيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم.
- فهمه القرآني.
- فهمه في الحديث النبوي الشريف.

رؤيته رضي الله عنه في العلوم العصرية

إن الرجل الّذي أدهش أعيان عصره بشخصيته وسيره وسلوكه وفتوحاته وعبديته؛ مدينةُ علمٍ تتدفق منها ينابيع العلم والمعرفة، لا يفرّق بين شرعية وعصرية، وإنما هي واحدة! وكلّها شرعية، قال رضي الله عنه: (عَلَامة مجدِّد الألف أنّه لا يفرّق بين العلوم الشرعية والعلوم العصرية[(١)] وكل علم من العلوم مَسَكْناه (أي التزمناه) يوصلنا إلى الله بشرط الصدق والإخلاص فيه لله تعالى، هذه العلوم الفيزياء والكيمياء والطبيعيات والرياضيات كلّها آخذها من القرآن الكريم! قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. والدروس الأكاديمية داخلة في كل مكان كلّها قرآنية، لا عصرية ولا مصرية ولا بصرية.. لا تكذبوا بشيء، والحقيقة أن العلم قوّة للإنسان سواء كان شرعياً أو كونياً.

لا أقول علوم العصريين، لا.. بل أقول: علوم القرآن، الفيزياء والكيمياء والطبيعيات والرياضيات من القرآن، كل العلوم من القرآن؛ قال

(١) قال رضي الله عنه: اقرؤوا الإنجليزية كما تقرؤون الفقه. وشكا له رضي الله عنه طالبُ علم عدم ميله إلى الجبر والإنجليزية، وتقصيره فيهما، فأوصاه قائلاً: أما عدم ميلك إليهما فهذا نقص! فنحن نريدهما لنقوى بهما على الخصم الداخلي والخارجي، والحقيقة أن العلم قوّة للإنسان مهما كان العلم سواءٌ كان شرعياً أو كونياً، فيجب على الإنسان أن يتكمل ويضعه في موضعه حيث هو المكلّف وهو الواضع، فلا تفرق بين شرعي وكوني؛ لأنّهما مرادان وحاملهما أقوى من حامل أحد العلْمَين.

الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] كلّها موجودة في القرآن لكن أين السبّاح الماهر الّذي لا يغرق؟! السبّاح بالبركة لا يقدر أن يسبح في البحر؛ يغرق فيأخذه البحر ويغرقه! خضت بحراً محمّدياً بمحمّد وقفت الأنبياء بساحله بمحمّد لا بنفسي، العلوم العصرية الآن تحركت تحرُّكاً بسيطاً، كل أربعين يوماً حركة صغيرة! بعدها يظهر العلم، الرسول ﷺ أخبرنا عنها كلّها: «**علمتُ علم الأولين والآخرين**»(١).

كل العلوم الكونية المربوطة بالكون والمخلوقات علمها الرسول ﷺ كلّها وقال: «**سلوني ما شئتم ما دمت في مقامي هذا**(٢)». ما وُجِد أجمل وأكمل من هذا الكلام، كلام العبديّ، كلام العبد ما نسبه لنفسه، بعدها ربّما يحجبه عنه! لا تقولوا: صاروخ و.. هذا بسيط جداً جداً، العلم لا يزال في بيت الرحم، الآن شمّ التحرك ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] الله لا تعرفونه إلّا من مظاهره، عظمته تعرفونها من المظاهر التي يخلقها، لا تزال إلى الآن علومهم كلّها ظنيّات من أولها إلى آخرها، الصاروخ والقمر الاصطناعي هذا كلّه صحيح لكن لا تزال علومهم ظنيّات، علم النفس عند أهل الله ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. هذه العلوم أسمّيها كلّها علوم قرآن لا علوماً عصرية ولا غيرها).

تلك هي نظرته رضي الله عنه مع كونه صاحب تحقيقات دقيقة وفهوم عميقة في علوم الصوفية وأذواقهم وإشاراتهم، فهو مَعِين لعلوم لا تنضب، ومعارف

---

(١) سنن الترمذي (٣٢٣٤) برقم: (٥/ ٣٦٧).

(٢) صحيح مسلم: (٤/ ١٨٣٢) برقم: (٢٣٥٩).

لا تنفد، ولا عجب في ذلك! فإنّه ينهل من حضرة الإحسان ويتلقى العلم اللّدنّي الّذي تعجز عنه العقول[(١)] وإليه ينتهي العلماء في حل إشكالاتهم كما هو واضح من تعريفاتهم له[(٢)]، ومع كل هذا لا ينسب لنفسه شيئاً مما علّمه الله تعالى، فالعبدية لله تعالى حاله ومرتبته وشعاره، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أنا لا أعتقد أنني عالم، هو الّذي وضع العلم، وإذا شاء يرفعه).

نظرته في مستقبل العلوم الكونية

ربّما تثبت مسألة بالدليل القطعي فيجحدها إنسان لقصوره عن إدراكها ويلجأ إلى تأويل يوقعه في مكائد الشيطان..! يرسم للإسلام خريطة خطأً ويضع لها من عقله حدوداً، فما كان داخلها تلقّاه بالقبول، وما كان خارجها أنكر كونه من الدين! يقيّد الإسلام ويقيم محكمة يكون هو القاضي فيها والشهود! وهل لقاضٍ مقيّد بهوى نفسه وضيق صدره وشدة تعصّبه

(١) كتب الشيخ محيي الدين بن عربي إلى الشيخ فخر الدين الرازي سلطان العلماء المفسرين بيّن له نقص درجته في هذا العلم، هذا والشيخ فخر الدين الرازي من العلماء الّذين انتهت لهم الرياسة في الاطلاع على العلوم. من جملتها: اعلم يا أخي - وفقنا الله وإياك - أن الرجل لا يكمل في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عَزَّ وَجَلَّ بلا واسطة من نقل أو شيخ، ولو أنك سلكت على شيخ من أهل الله عَزَّ وَجَلَّ لأوصلك إلى حضرة شهود الحق تعالى فتأخذ العلم بالأمور من طريق الإلهام الصحيح من غير تعب ولا نصب ولا سهر كما أخذه الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلا علم إلّا ما كان عن كشف وشهود لا عن نظر وفكر وتخمين، وكان الشيخ أبو يزيد البسطامي يقول: أخذتم علمكم من علماء الرسوم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الّذي لا يموت. انظر جواهر المعاني: (١/ ١١).

(٢) انظر تعريفاتهم له في أول الكتاب تحت عنوان: هذه الشخصية.

وقصر إدراكه أن يحكم إلّا ظلماً وتعسّفاً؟ وهل الإسلام عقيدة أو منهج وضعيٌّ ليزيد عليه أو ينقص؟ ولولا أنّه منهج ربّاني تعهّد الله تعالى بحفظه لعبث فيه العابثون، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ولنا من القرآن الكريم أكثر من دليل:

أ - قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

ب - قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمٰن: ٣٣].

ج - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر: ١٤-١٥].

د - قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الانشقاق: ١٦-٢٠].

هـ - قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

ففي الآية الأولى: وعْد من الله تعالى بإطلاع خلقه على الغيب في الآفاق. وهل يتخلف وعد الله؟!.

وفي الآية الثانية: تحريك لعباده لأن ينفذوا إلى الغيب بأقطار السمٰوات والأرض ويطّلعوا على عظمة خلق الله وملكوته، وأرشدهم إلى الطريق الّذي عبَّر عنه بـ«السلطان» الّذي يعني القوّة أو العلم. . لكنه استثنى

من خلقه الجنّ، كما ورد على لسان الجنّ في السورة: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن: ٨-٩]. وأبقى الباب مفتوحاً لبني الإنسان.

وفي الآية الثالثة: أثبت (كارنر) العالم في وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) أن الأشعة الكونية بالغلاف الجوي للأرض هي أخطر بكثير من الأشعة النووية، وأنّه لا يمكن مطلقاً اختراق هذه الأشعة من قبل المركبات الفضائية إلا عن طريق نافذة واحدة في هذا الغلاف لتنطلق منها وتعرج إلى أقطار السماء، وهو لا يدري أن آية في القرآن الكريم تتحدث عمّا توصل إليه قبل أربعة عشر قرناً، وحين اطلع على الآيتين في سورة الحجر أعلن إسلامه! لكن ما توصل إليه (كارنر) قوله: (نافذة) وما أخبر عنه القرآن الكريم قوله عَزَّوَجَلَّ: (باباً، يقول الله تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

وفي الآية الرابعة: أقسم الحق عَزَّوَجَلَّ لمخلوقاته ثلاثاً وأكّد بلام التوكيد ونون التوكيد الثقيلة ليزدادوا إيماناً وتصديقاً وقال: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الانشقاق: ١٩-٢٠].

وفي الآية الخامسة: لو لم يكن الوصول إلى السمٰوات ممكناً ومتحققاً لما قال الله سبحانه: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [يونس: ١٠١]. واقتصر فهم الآية على السماء الدنيا، فهذه الآية وما قبلها جاءت مصداقاً لإخباره ﷺ عن وصول العلماء إلى السمٰوات كلّها حتى السابعة، ينظرون ويتعرفون إلى ما فيها من عوالم وأسرار حتى يتبين لهم أنه الحق.

ولعمرك في أي مختبر وأيّة غرفة عمليات يضع صاحب الخريطة الخطأ هذه الآيات؟ وهل في هذه النصوص ضعف أو شكّ؟ تبارك الله رب العالمين.

إن مقاييس علم الغيب تختلف من يوم إلى يوم بل من نفَس إلى نفَس! لا سيّما ونحن في عصر العلم، فلو تحدّث أحد قبل قرنين من الزمن عن اختراع المركبة الفضائية واختراق عوالم السماء وربّما عن ركوب الطيّارة.. لكانت تلك الأمور فرْيةَ مُدّعٍ كافر يستحق العقاب! هذا مع كونها صريحة في الآيات المتقدمة، فأمّا الّذي (في الآفاق) فقد ظهر وسيزداد كما سيأتي فيما نروي لك من أنباء مستقبل العلوم الكونية والاكتشافات على لسان سيّدنا النّبهان ﵁ وأما الّذي (في أنفسهم) فمنه رؤية الرسول ﷺ في اليقظة). اهـ.

قال سيّدنا النبهان ﵁ : (افهموا أن الغيب له ضوء نور خصوصي، في هذا النور يضيء له الغيب وهو العلم الّذي امتاز به العارفون بالله وأتباعهم ومن جانسهم، مثل سيّدنا أويس القرني، ما جالس رسول الله ﷺ بجسمه الشريف، الّذي جالسه بجسمه هو عبدُ الله بنُ أُبيّ بنُ سلول وما جانسه، كان يراه يتيم أبي طالب، أو محمّد بن عبد الله، والعارف: من يدركه عارفاً؟ والولي: من يدركه وليّاً؟ يدركه إذا أعطاه الحق شيئاً من خصوصيات الولاية، حتى يدرك الإنسان الولاية؛ لأن الولاية لا تُدرَك بعين البصر وإنما تُدرَك بعين البصيرة كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. إذن الولاية من عالم الغيب، وكذلك ليلة القدر من عالم الغيب، وهذه يلزمها نور يكشف

الغيب، لمّا ينذلّ الإنسان أي يذلّ نفسه أمام الله عَزَّوَجَلَّ ذلاًّ مطلقاً تنكشف له الأمور، والنور هو يكشف عن عالم الغيب، فالإيمان كلّه عالم غيب وليس عالم شهود، هنا الشيطان يدخل في الغيبيات، أما بالشهود فلا يمكن أن يدخل، إذنْ على تابع العارف أن يكون صادقاً معه ليرى بنور العارف الأمور على ما هي عليه، كل الأمور، لا يخالف ولا يبالي يشهد: «ابن العشرة لا يموت بالتسعة» والرزق المقدَّر كذلك، يشهد شهوداً سرَّ الغيب شهود العلم الّذي أخذه عن متبوعه سواء كان الرسول ﷺ أو كان عارفاً بالله، هذا يصير قوياً، ومن علاماته أنّه يصير كريماً، ليس للمال قيمة عنده، هو مأمور أن يوزّع المال يضعه في محلّه، لا يبخل خوفاً عليه، جُلّ مراده أن يوافق ربَّه أو مرجعه، الإنسان له بصر وله بصيرة، البصر الّذي هو العين أو الضوء في النهار، إذا واحد أعمى لا يرى إن كان ليلاً أو نهاراً سواء، لا يرى ولا يتعقّل ولا يسمع ولا يتخيّل إلّا المادّيات فقط، أما الغيب فيلزمه بصيرة، بالبصيرة يدرك الأمور الغيبية، الولي أطلعه الله على عالم الغيب على النتائج والثمرات حتى يسير لا لغرض لنفسه، هذه تنفع الإنسان كثيراً، إن هناك نوراً يضيء على المغيّبات فتصير له المغيّبات شهوداً كشهودنا للشجر والحجر والإنسان وغيره، هؤلاء قلبهم فارغ أو خالٍ من الأغيار، من غير الوجهة إلى الله، قلبه خالٍ ما فيه إلّا الله، هذا هو المراد، وجُلُّ مراده أن ينفِّذ أوامر الله سواء فهمها أو لم يفهمْها.

أتكلّم لكم من حيث الذوق لا من حيث العلم الصوري، العلم الصوري يفهمه النصراني واليهودي والمجوسي والفاسق، يحكي بلسانه لكن ما ذاقه، وأهل الله العلم الحقيقي الّذي يتذوقونه يتحدث بنعم ربّه، يحدّث بما عنده في

قلبه ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر: ٢٢]. النور الّذي عنده يكشف له الأشياء ويدركها ويدرك الأسرار ويضعها في محلّها، وعلامة شرح النور: قلبه انشرح للإسلام لا يتوجه إلّا إلى الله، يفهم ذوقاً لأجل ذلك الدنيا لا يبقى لها قيمة عنده ولا الثوابات.

وما حبُّ الديارِ شغفْنَ قلبي
ولكن حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارا

شهود ذوق شهود حقيقة، وهذا الّذي يعرفه في العالم قليل، جعلنا الله منهم! وجعلنا نجتمع مع أهل القليل ونحب أهل القليل! ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبإ ١٣]. (وقليل ما هم) القضية ليست قضيّة صور، كثير من الناس عندهم علمية في المسائل لكن عندهم شكوك، الّذي ﴿شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر: ٢٢] ما عنده شكوك ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. هذه التجارة الرابحة المرادة، توصلكم إلى الله سبحانه وتعالى، إذا واحد مات وما عنده هذا العلم مسكين راحت عبادته وعلومه وطاعاته كلّها أوهام وخيالات، أهل الله على نور بيِّن إذا رؤي ذُكِر الله، يرون النور طافحاً عليه، النور الموجود في قلبه ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر: ٢٢] ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضحى: ١١] يحدّث بالنور من نور ربّه، وهكذا كان هذا هو الإيمان الصحيح الصادق المراد، لا بدّ من قلب تقيّ نقيّ صالح غير نفساني ولا صاحب غرض ولا حاجة.

وإن التحدُّث بهذا الأمر لذو شجون، وليس من السهولة حقاً أن يصرّح إنسان بمثله إلّا أن يكون على علم يقينيٍّ، فليس هو من قبيل تنبؤات الكهنة

والمنجّمين، ولا من تخيُّلات قرّاء الكف والمدّعين، وإنما هي حقائق صدرت عن عارف بالله محقق، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (كلامي مهضوم محقق مدقق لابدّ أن يقع). فإذا أخبر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأمر فبإذن الله لا يتخلّف، وتلك هي تجربتنا معه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لعشرات السنين.

وقد درج العلماء على أمر، وهو أنه كلّما ظهرت حقيقة علمية كونية أو طبيّة أن يعلنوا بعد ظهورها أنّ لهذه الحقيقة أصلاً في القرآن الكريم أو السنّة قبل أربعة عشر قرناً أو أكثر! ويأتون بالدليل، أمّا سيّدنا النّبهان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيعلن عن الحقيقة العلمية قبل أن تظهر! ودون تردُّد أو تشكك، وبما أولاه وأعطاه الله تعالى من كشف وبصيرة، يذكر المسألة بشجاعة المتيقّن، ثمّ يستدلّ عليها بآية من كتاب الله أو سنّة رسول الله ﷺ.

ومن دروسه المسجلة وروايات الثقات تأكّد لدينا أنّه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:

١ - المسجّلة التي عند الملائكة غير المسجّلة الموجودة الآن، مسجّلة الملائكة تسجّل المكان والزمان والحال! الحال التي كنتم فيها، كأنّكم الآن تسمعون الكلام وتتكلّمون الكلام، أمّا المسجّلة التي نستعملها الآن فتسجل الكلام فقط، وسوف يأتي زمان يصنعون مسجّلة تسجّل الكلام والمكان، ويأتي يوم تسجّل الكلام والمكان والزمان والحال، وتسجّل الوحي الّذي كان ينزل على رسول الله ﷺ! لكنّ هذا في آخر الزمان قبل أن تقوم الساعة بمدّة قليلة، العلم الحالي بالنسبة للعلم الّذي سيأتي مثل الجحش الأعرج! يأتي يوم يسافر الواحد فيه من الشرق إلى الغرب بدون زمن ولا ثانية!

قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] وليس حتى يرتدّ وإنما قبل ارتداد الطرف![١].

٢ - بلغني عن أحد المشايخ أنّه يقول: من قال بصعود الإنسان إلى القمر فهو كافر! قولوا له: الشيخ النّبهاني يقول: سيصلون إلى السماء السابعة، صرتُ إذنْ سبعةَ كفّار![٢].

٣ - غداً يجيء زمان لا يذهب الناس فيه إلى لبنان للاصطياف، يصيّفون بآلة في الجو على ارتفاع مائتي متر، خمسمائة متر، ألف متر.. عظمة عظمة، لا بدّ من آلات ستظهر ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] دائماً ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل ٨]. (الكلام مسجَّل بصوته).

٤ - السفر إلى القمر سيكون للنزهة! والراكب في الطائرة كراكب على حمار أعرج بالنسبة للآلة الحديثة[٣].

٥ - الإنسان سيصل بعلمه فيكتشف وسيلة للنقل، الطيّارة النفّاثة بالنسبة لها كالبغلة العرجاء.

٦ - يجمعون الصورة والصوت بالآلة، فيُخرجون فلماً مصوراً عن حياة رسول الله ﷺ منذ ولادته حتى وفاته![٤].

---

(١) أخذتها من درس مسجل بصوته رضي الله عنه.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) مسجل بصوته رضي الله عنه وتأريخ الدرس قبل سبع سنوات من وصولهم القمر.
(٤) حدّثنا بهذه الرواية الشيخ إبراهيم رحيم الهيتي رحمه الله قال: سمعت سيّدنا رضي الله عنه يقول: ...

٧ - سيأتي زمان يسمع فيه القرآن بصوت سيّدنا محمّد ﷺ (الكلام مسجَّل بصوته).

٨ - لا تستغربوا يا أولادي، ربّما يأتي زمان يجمعون الكلام الّذي قيل في زمن الصحابة ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦][(١)].

٩ - صوت سيّدنا عمر رضي الله تعالى عنه «يا ساريةَ الجبلَ الجبلَ» لا يزال يجول في الفضاء، سيأتي يوم يظهر فيه بواسطة الآلة يستجلبون الكلام، حتى الوحي إيحاءً يستجلبونه، كيف كان سيّدنا جبريل يوحي إلى سيّدنا الرسول ﷺ، إيحاء الروح فوق إيحاء اللفظ، إيحاء اللفظ سهل جداً، لكن إيحاء الروح.. لا بدّ وأن تأتي آلة تدرك ذلك، وهذا سيكون. (الكلام مسجَّل بصوته).

١٠ - الإنسان سيرقى إلى السمٰوات السبع، حتى يصل إلى المكان الّذي وصل عنده سيّدنا محمّد ﷺ مع سيّدنا جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ (الكلام مسجَّل بصوته).

١١ - تظنّ (يا حاج حسن) أن الله لمّا يريد أن يقيم القيامة يقيمها على كل الوجود؟.. يقيمها على هذا الإنسان وعلى الموجود مع الإنسان، وفي آخر يطلع عالم غير عالمنا نحن! وهكذا الوجود، هذا شيء لا يؤخذ بالعقل، عقلنا معقول، الله مطلق حتى عن الإطلاق[(٢)].

---

(١) حدثنا الحاج عبد العزيز الغرس الكبيسي قائلاً: كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا ينكر على من وصل إلى القمر، ويقول: وذكر الرواية.

(٢) من مذاكرة مسجلة له رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وخطابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان إلى أحد أصحابه وهو الحاج حسن حاضري رحمه الله تعالى.

١٢ - لا يوجد شيء في الوجود ساكن، بل الكلّ متحرك!.

١٣ - بعض المشايخ يقولون: لن يصلوا إلى القمر! لا، بل سيصلون إلى القمر، وإلى السماء الأولى والثانية والثالثة وحتى السماء السابعة، وهذا بعد مائتي سنة! الآن العلم تحسس في بيت الرحم، التلفزيون أخبرت عنه إخواننا في الخسروية قبل أن يظهر بعشرين سنة، وسيصل العلماء إلى القمر قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] في الآفاق أين؟ في الصاروخ، في القمر الصناعي، في السماء الأولى، في الثانية، في الثالثة، وحتى السماء السابعة، ولكن بالآلة، حتى يكتشفوا روحانية سيّدنا جبريل تنزل القرآن على سيّدنا محمّد ﷺ وهذا في آخر الزمان، إلّا أنّهم لن يتجاوزوا السماء السابعة. (الكلام مسجل بصوته وسمعته منه رضي الله عنه في مذاكرة خاصة للعلماء بحلب سنة ١٩٦٧م قبل وصول العلماء إلى القمر بسنتين).

معرفته بالله تعالى

قال رضي الله عنه: «الله ليس بجسم ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾» [النور: ٣٥] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ولو كان له جسم لاحتاج إلى زمان ومكان، والآن نرى الله بالله. الله أينما تكونوا معكم، ولكن كونوا أنتم معه.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ينزل إلى السماء الدنيا**».[1]. نزولاً

(١) صحيح ابن حبان: (١/ ٤٤٥).

معنوياً، الله ليس بجسم. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] الله ليس بجسم، لو كان جسماً لاحتاج إلى محل، يحتاج لجهة، هو يقول عن نفسه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ المحل من جملة العالمين! ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، متى نراه؟ كن مع الله ترَ الله معك، ولكن متى؟ إذا أمرك فائتمرت ونهاك فانتهيت، نعم، ترى الله لكن بالله لا بالمخلوق..

إذا تجلّى حبيبي بأيِّ عينٍ أراه
بعينه لا بعيني فما يراه سواه

الله تعالى ألطف من النور.

هذه بحاجة إلى صدق، القضيّة لا تحتاج زماناً ولا مكاناً، القضيّة تحتاج إلى صدق؛ لأن الصدق هو اسم الله الأعظم، والصدق حليف النصر.

يظنّ أناس أن الله فوق! لا فوق أفضل من تحت، فوق محل الصفاء ومحل النور ومحل اللطافة.

الله ليس في السماء فقط، الوجود كلّه قائم بالله، الله ليس جسماً حتى تراه بعينيك، نراه بعين البصيرة، الله لا يرى بالعينين؛ لأن الله ليس جسماً ولا مادّة حسيّة؛ لأنّه لو كان مادّة حسيّة لاحتاج إلى مكان يقعد عليه، هو خالق الأشياء كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان[١].

هناك أناس يقولون: الله من فوق. قلنا: لماذا؟ الّذي فوق لا بدّ أن

---

(١) تقدم تخريجه.

يكون جسماً، قبل أن يخلق الفوق أين كان؟ هات حتى أرى! كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان!

الله سبحانه وتعالى لا يتجزّأ! حتى النور المخلوق لا يتجزأ، النور لا يتجزأ، فكيف يتجزأ الله وهو ليس بجسم؟ سمّى نفسه نوراً ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾.

الله هو حاملنا! مَنْ حامل العرش؟ الله حامل الملائكة وحامل العرش.

التوحيد موجود في كل ذرّة من ذرّات الوجود، في الحيوانات، في الجمادات وغير ذلك، فنحن مأمورون بكلمة التوحيد لا بالتوحيد، فالتوحيد موجود فينا.

الله عَزَّوَجَلَّ هو روح الوجود ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾ [الرعد: ٩-١٠]. هو سمى نفسه الظاهر والباطن، بالظاهر موجود، وبالباطن موجود، لا يوجد أنت ولا أنا، أنت جلدة وأنا جلدة.

من أسماء الله الكبير، وتقول في الصلاة: الله أكبر لوجود النفس معه.

الصلاة لا يدخل الإنسان فيها إلّا بعد الطهارة بعد الوضوء، كذلك الله! لا يمكن أن نشهده إلّا أن يكون لساننا طاهراً، وفمنا طاهراً، وبصرنا طاهراً، وسمعنا طاهراً، وهكذا، حتى نرى الله بالله، هناك نشهد: كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان، لا أحد مع الله أبداً، ما غيره، هو الفعّال المطلق، الكبير والصغير والأنبياء والرسل..كلنا عبيد ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٩٣]. الخالق يتجلّى على العرش باسم الرحمٰن، الرحيم رحمة خاصّة للمؤمنين، لا بدّ أن

تعرفوا الله كيف يتجلّى عليكم؟ أنا أعلّمكم: أنتم كيف حالكم؟ مجرمون أم صادقون محبّون؟ فإن كنتم محبين يتجلّى عليكم بأتمّ وأجمل وأكمل ما يكون، الحق عَزَّوَجَلَّ لمّا يأتيه الظالم يتوجه عليه باسم القهار، الجبار، المنتقم، شديد العقاب، ولمَّا يأتيه المظلوم يتوجه إليه باسم الودود، الرؤوف، الرحيم... فأسماء الله كلّها هكذا.

أسماء الله تعالى موزَّعة، وهي في كل لحظة لا تُعدُّ ولا تُحصَى، وكل اسم غير الآخر، المسمّى واحد والأسماء مختلفة، الكريم غير القهّار، والقهار غير الودود، والودود غير الرحمن.

من الأسماء الإلٰهية المعطي والمانع، أي معطٍ للخير ومانع للشر، المانع يمنع الشر، والمعطي يعطي الخير، الله سبحانه وتعالى ما عنده شر، الشر عبارة عن ثمرات المخالفة، لمّا تخالفوه يظهر عنه شر.

ما من اسم من أسماء الله الحسنى إلّا وفوقه اسم «الحكيم» اسم الحكيم حاكم على كل الأسماء الإلٰهية، حاكم كالعقل في الإنسان.

الله فعّال مطلق، لكنّه حكيم عالِم عليم علاّم.

أمورنا ينظّمها الحكيم جلّ جلاله، قال: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨] وما وجد في الوجود صدفة مطلقاً.

الحكيم أعلى المراتب في الوجود البتّة! اسم الحكيم يدخل في كل اسم من أسماء الله، حاكم على كل اسم من أسماء الله، لا رحمٰن ولا رحيم ولا قادر ولا فعّال ولا مطلق ولا منتقم يعمل عملاً إلّا بأمر الحكيم لذلك فالوجود قائم بحكمة منتظمة.

العطاء لا يكون إلّا من عند الله سبحانه وتعالى، لا يكون من المخلوق بل من الخالق جلّ وعلا؛ الرسول ﷺ قاسم والله معطٍ، يقسم ﷺ العطاء حسب الحكمة الإلٰهية، ويعطي كلّ ذي حقّ حقّه. الله سبحانه وتعالى كل المخلوقات على الإطلاق عبيده، أهل الظلمة وأهل النور، لكن الظلمة ليست من عند الله، الله خلقها ونهاكم عنها، لكن إذا عملتم مخالفة جاءت الظلمة، أنتم جئتم بالظلمة ووضعتموها على رأسكم، الله أرادكم أن تكونوا طيّبين طاهرين دالّين.

الله سبحانه وتعالى خلقنا وما تركنا، حاشا لله بل وضع لنا قانوناً، أمرنا بالقانون ونهانا بالقانون، هذا القرآن اسمه: القانون الإلٰهي.

لا تتهموا الله، الله لا يُتَّهم، اتهموا أنفسكم الوسخة، الله فعّال معطٍ، الله سبحانه يمنع الشر ويعطي الخير.

القضاء خيره وشرّه من الله تعالى خلْقاً لا عملاً، الحق عزّ وجلّ خلق الخمرة ونهانا عن شرب الخمر، لماذا خلق الخمر؟ ابتلاءً لنا، حتى يعلّمنا بأننا مع الأشياء ولسنا معه! أعطاك العينين، وقوّة العينين، عندها استعداد لأن تنظر في السماء وتعتبر وتنظر في الموجودات وتعتبر، وعندها استعداد أن تنظر في النساء وفي المردان، أمرنا بالنظر إلى السمٰوات وإلى الأشياء لنعتبر بها، حتى نتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، خلق الظلمة ونهانا عنها، خلق النور وأمرنا به، خلق اللطافة وخلق الكثافة، وخلق كلّ شيء، خلق الشيء وضدّه، لكن أمرنا بالخير الّذي ينفعنا، ونهانا عن الشر الّذي يضرّنا.

القضاء خيره وشرّه من الله خلقاً وعلماً، لا عملاً، اصحوا! الحق لا

يقدّر على فلان أن يزني، كِذبٌ محضٌ! لكن يعلم، لأجل ذلك نهانا أن نجلس مع النساء أو نتساهل مع النساء! الحق يعلم ما يقع ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]. الوجود كلّه مقدَّر عند الله، لكن الله لا يقضي لفلان أن يزني، لا والله! ما وجد في الوجود البتّة؛ لأن الحق يقول: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، فإذا هو قضى علينا الزنى يقال له: كيف تقضي علينا الزنى والحجّة الدامغة لك؟ هذا ليس بصحيح البتّة، لا تفهموا إلّا خلقاً وعلماً، لا عملاً.. الله أرحم منّا ومنكم، والله اسمه أرحم الراحمين، ما من قضيّة إلّا ونقول: بسم الله الرحمٰن الرحيم عندما نقرأ، أو نأكل، أو نشرب، أو نقوم، أو ننام..تحت اسم: الرحمٰن الرحيم.

اعرفوا الله حتى تحبّوه، الله كبير عظيم غني عالم عليم حكيم فعّال مطلق، يضع الأشياء في محلها، رحمٰن رحيم قادر على كل شيء، حتى تحبّوه، يأخذ لبّكم وقلبكم وذرّاتكم، وكل هذا ونحن محتاجون إليه قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ لكل المخلوقات ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. لا يوجد غيره، غني محمود، الله ما عنده إلّا الخير لأنّه حكيم، والحكيم يضع الأشياء في محلّها). اهـ.

تعريفه بسيدِّنا محمّد ﷺ

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

سيّدنا محمّد ﷺ عَظَمة عَظَمة، وشخصية فذّة، سيدنا محمّد ﷺ محمّد، لو تعرفون محمّداً ﷺ، على عيني سيدنا محمّد ﷺ، ما عبّأ دماغي غير حبيبي محمّد ﷺ.

الرسول ﷺ كلّه نور، يرى من أمامه وخلفه، ومن فوقه وتحته، يُرى بالبصيرة.

البشرية هي الكمال..

محمّد بشر وليس كالبشر
بل هو ياقوتة والناس كالحجر

بشر بالصورة، حاكم على البشرية، وحكم على الطبيعة وصار هو المسؤول في الوجود، ولكن متى؟ بعد ما حكم على نفسه.

سيّدنا محمّد ﷺ جسد نوراني ليس له ظل[١].

(١) حدثنا الشيخ رجب الهيب قال: سمعت سيدنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: (المؤمنون هم الذين لا يرون له ظلاً، أما الكافرون فلا يرون ذلك) أي: لا يرون هذه الخصوصية وانما هي للمؤمنين فقط.

سيّدنا محمّد ﷺ الجامع للنبوة والرسالة، وهو نبي الأنبياء، وكلّهم نوّاب عنه، وكتابه الجامع لجميع الكتب، فهو ﷺ المصطفى والمجتبى لكل مجلس، وفي كلّ عالم له مجلس خاص: فمجلس أحمد عالمه عالم السماء، وعالم العرش محمود، وعالم محمّد عالم الأرض.

فهو في السماء أحمد، وفي الأرض محمّد، وفي العرش محمود. وما من عالم إلّا وفيه الحضرة المحمّدية أجمع، ومقام الاصطفاء عند الحضرة الإلٰهية، وهو حبيب الله والمحبوب.

والمحبوب أعلى من الخليل سيّدنا إبراهيم عليه الصلاة السلام، مرتبة الخِلّة تتخلل الذرّات ببعضها! فمقام المحبة أعلى المقامات، فلو أن العرش والكرسي والسمٰوات والأرض كانت في زاوية من قلبه ﷺ لما أحسّ بها؛ لأنّه مع حبيبه مع سيّده الّذي جمع اسمه باسمه، ومنه توزعت الأنوار للأنبياء والعارفين والأولياء.

أخذ النور على استعداد وقوّة، ومنه توزع النور للعالم أجمع.

الحقيقة المحمّدية، لا بدّ أن يكون عندك استعداد لتراها، فالحق وملائكته يصلّون على هذه الحضرة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. فهل يصلّون على غائب أم حاضر؟

كان عليه الصلاة والسلام عقله كاملاً فطلب أن يكون عبداً، وهو أدرى بالعبدية من غيره.

وبُعِثَ رسول الله ﷺ بكل الكمالات، لا، بل عنه تخرج الكمالات، فهنيئاً لمن رآها وميّزها ورأى الولي وميّزه ولياً، يراه بالنور الإلٰهي فيرى

صفة واحدة أو اثنتين أو أكثر لا حسب المنظر بل حسب الناظر فعليه السلام كلّه كمالات إن تكلّم أو سكت ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. كلّ نفَس من أنفاسه ﷺ معجزة، يرى مَنْ وراءَه كما يرى منْ أمامهَ وليس له ظلّ ﷺ كلّه نور.

كمالاته ﷺ لا تتناهى، كما أن معاني القرآن لا تتناهى.

كلامه ﷺ كلّه شريعة، أفعاله كلّها طريقة، وفهمه كلّه حقيقة، سيّدنا محمّد ﷺ أكبر نعمة، سيّدنا محمّد ﷺ زيّن العصر كلّه، حتى الكافر يخضع له، المكانة هي التي تعطي تقديس المكان والزمان.

الرسول يولد معصوماً، الرسول ما عنده استعداد للمخالفة بتاتاً؛ لأنّه ولد مفطوراً على حب الحق وبغض الباطل.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس: ١] عتاب لمن بعده ﷺ.

الرسول ﷺ لا يقول خطأً ولا ينتقم لنفسه.

الرسل تلدهم أمّهاتهم معصومين، أما نحن ففي حفظ الله.

كان عليه الصلاة والسلام يحفظ المجالس، فلا يلتفت أحد إلى أحد، ولكنهم لطيفون فهماء عرفاء.

الخشبة تحنّ إلى رسول الله ﷺ لماذا؟ لمكانته من الله، فأنتم أحق بذلك منها.

حُبُّنا لرسول الله ﷺ ناشئ عن حبِّنا لله سبحانه، كل شخص عنده فطرة يحب سيّدنا محمّداً ﷺ.

كل إنسان عنده إنصاف يحب سيّدنا محمّداً ﷺ مهما كان دينُهُ.

الشريعة آدابه ﷺ، والحقيقة أخلاقه ﷺ، إذا حلّلْتَهُ ﷺ يطلع أدباً.

الأولياء يأخذون من أدب الرسول ﷺ.

الختمية لا توجد في مخلوق غير النبيّ ﷺ، والختم هو الحجر الّذي يمسك قنطرة الباب.

من أنفس آثار الرسول عليه الصلاة والسلام نفسُهُ فيكم التي نشاهدها.

اللطيف الأول سيّدنا محمّد ﷺ، تنام عينه وقلبه لا ينام ولا ينقض وضوؤه إذَّاكَ.

الرسول ﷺ اختار الفقر.

لا أحدَ يبلّغني عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر(١) ليبقى رحيماً بهم.

هو الأول وهو الخاتم عليه الصلاة والسلام.

الله أمرنا باتباع الّذي لا يغضب لنفسه ولا ينتقم لنفسه، سيّدنا محمّد ﷺ لا يريد أن ينتقم من أحد، يريد أن يَردَّ الناس إلى حقائقهم.

السرّ يعود إلى الحضرة الإلٰهية ومظهره هو الرسول ﷺ.

الرسول ﷺ سيره اضطراري ولا يترك عنده طعاماً.

الكرم والشجاعة والرحمة كلّها من شمائله دون تكلف.

لطَّف الله تعالى سيّدنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثمّ رفعه، بينما عرج بالنبيّ ﷺ بجسده الشريف كما هو.

---

(١) تقدم تخريجه.

الحضرة المحمّدية دائماً معنا.

لا يعرف مرتبة رسول الله ﷺ إلّا الله.

إن أعظم شمائله ﷺ عدمُ تكلفه في أخلاقه كلّها.

سيّدنا محمّد ﷺ ما عرف حاله، لا يعرف سيّدنا محمّداً إلّا ربُّ سيِّدنا محمّد ﷺ.

كان عليه الصلاة والسلام يمزح ولا يقول إلّا حقاً..[1].

المزح من الرسول ﷺ عن حكمة، الرسول ﷺ له هيبة عظيمة، من رآه على بُعد يهابه ولو كان قريباً أو غريباً أو عدواً أو صديقاً؛ لأنّه كان على حق، عندما يمزح يتنزل ولا ينزل.

ما أحد رأى ربّه بعينيْ رأسه غير سيّدنا محمّد؛ لأنّه نور وليس له ظل، أما الأنبياء والأولياء فيرونه بالبصيرة.

الأمّة المحمّدية أفضل من الأمة الإبراهيمية، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

اليهود لم يؤمنوا بالنبيّ ﷺ لأنّه عربي لا إسرائيلي! ذكر الله في القرآن أنهم ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] لكنهم لم يؤمنوا به ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

أعلى مرتبة للنبي ﷺ ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

بقي النبيّ ﷺ أربعين سنة ما كذب منذ صغره، فهل يمكن بعد أربعين سنة أن يكذب على الله؟.

---

(١) كشف الخفاء (١/ ٣٢٣).

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] أي كبيرهم وصغيرهم وحتى الحجارة وكل شيء.

نفس النبيّ ﷺ كاملة لا ينطق عن الهوى.

من رأى رسول الله ﷺ على بُعد فقد هابه؛ لأنَّ قلبَه مملوك للحضرة الإلٰهية ونفسه مزكّاة.

الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه لا يُعرَفون من كتب التاريخ، وإنما يُعرفَون بالرجال أي بأخلاقهم وأحوالهم وأعمالهم وصدقهم، تعرف ذلك من نفسك إذا ذقت ما ذاقوا، فهناك تفهم القرآن الكريم من ذاتك، وتعرف مقام الرسول ﷺ وأصحابه من ذاتك، فلا يبقى إشكال، وهذا لا يُنال إلا بالأدب المحمّدي.

الحقيقة المحمّدية واحدة، ولكن في كل زمان تظهر بصورة شخص!

وسيّدنا محمّد الجامع للنبّوة والرسالة، وكتابه الجامع لجميع الكتب، وهنا مسألة يجب أن تعرف أن من الأنبياء والأمم من لم يُذكروا في القرآن، بل يعرفهم الرسول ويعرفهم العارف، قال تعالى: ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ﴾ [غافر: ٧٨] أي في القرآن، ولكن الله أخبره بجميع الأنبياء والأمم.

قالت الملائكة لخالقها: عبدُك آذاه أهل مكة ثمّ أهل الطائف! فقال لهم: انزلوا إليه وانصروه، فنزلوا، وقالوا له: أتريد أن نطبق عليهم الأخشبين؟[١].

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١١٨٠) برقم: (٣٠٥٩).

فقال: «**لا؛ إني لأرجو أن يخرج من أصلابهم من يوحّد الله، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»[(١)]!

وعن هذه الرحمة قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء ١٠٧] كان سيّدنا محمّد ﷺ أعماله كلّها لله وفي الله.

اختار النبيّ ﷺ أن يكون نبيّاً عبداً، دلَّ على كمال عقله ﷺ، فأعطاه الله لتواضعه بأن جعله أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع ومشفع، هو العبد الحقيقي أعطى العبودية حقّها.

النبيّ ﷺ جِدّه جِد، وَهَزْلُهُ جِد، في كبره وصغره، وفي اليقظة والمنام.

ما هُزِم رسول الله ﷺ في معركة قط، كُسرت رباعيته ﷺ وشجّ وجهه، ليعرِّفهم بأنّه عبد الله.

سيّدنا محمّد ﷺ كلّه نور، ومن علامته إذا مشى في الشمس ليس له ظل، ومن مزاياه إذا وقف بجانب آخر رُؤِي أطول.

لقب النبيّ ﷺ قبل النبوّة الصادق الأمين، لمَّا قال: «**أنا رسول الله أنا نبي**»، قالوا: كذّاب، قالوا: شاعر، قالوا: كاهن، قالوا: مجنون، قالوا: ساحر، وآذوه في عائلته.

الرسول ﷺ ما عنده عصبية.

ما جاء يوم حلق فيه الرسول ﷺ لحيته أو نزع عمامته.

الشرط الأساسي في الرسول أن يكون معصوماً.

---

(١) سنن ابن ماجه (١٠/ ١٤) برقم: (٤٠٢٧).

الرسول لمَّا خلقه الله قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [نٓ: ٤].

الرسول وُلِد صادقاً، وُلِد كاملاً، وُلِد يحب الحق ويبغض الباطل.

الله يأمر سيّدنا محمّداً أمراً أن يقول: «**أنا سيّد ولد آدم ولا فخر**»[(١)] لا يقولها افتخاراً، إنَّما أمراً من عند الله.

الرسول دائماً جميل الصورة ملبسه نظيف.

الرسول ﷺ إمامنا وصديقنا، وإذا صدقتم فهو يمشي معكم في الطريق.

الموجودات كلّها أعين وبصرها سيّدنا محمد ﷺ.

شخصية سيّدنا محمّد ﷺ أعلى من رسالته.

ولِد ﷺ في الثامن من ربيع الأول قبل الفجر بشيء قليل، وأمّه حملت فيه عشرة أشهر، لا تسعة. وليلة المولد أفضل من ليلة القدر[(٢)].

ما من شجر ولا حجر إلّا وكان يقول للرسول عليه الصلاة والسلام: السلام عليك يا رسول الله. أفليس عيبٌ علينا أن يكون الشجر والحجر أسبق منا إلى إدراك مقام الرسول عليه الصلاة والسلام؟! ولكن هناك حجاب سميك هو النفس.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وعلّم سيّدنا محمّداً ﷺ المسمّى فوق ذلك.

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٢) برقم: (٢٢٧٨).

(٢) ذكر الشيخ الونشريشي صاحب (المعيار) من السادة المالكية هذه المسألة، وأوصل أوجه التفضيل إلى واحد وعشرين وجهاً.

جعل الله عَزَّوَجَلَّ رسوله ﷺ سيّداً للأنبياء لأنّه تنازل عن حقّه الشخصي عندما آذوه وقال: «**ربِّ اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»[(١)]. ولم يدعُ عليهم.

إذا كان الله سبحانه ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] فكذلك يظهر هذا على سيّدنا محمّد ﷺ مظهر ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾.

سيّدنا موسى عليه الصلاة والسلام لمَّا ﴿تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولكن صاحب الرسالة ﷺ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩﴾ [النجم: ٨-٩] لأن سيّدنا موسى جزء من سيّدنا محمّد عليهما الصلاة والسلام.

الرسول ﷺ لا يطرد ولا يحكم بالإعدام على أحد، بل ينصح ويمنع، والنصيحة والمنع هما من الله سبحانه، كان لا يريد قتل الكافر، بل يريد ردَّه إلى حقيقته، ويقاتل بالأمر الإلٰهي لا بنفسه.

الوحي أصغر من سيّدنا محمّد ﷺ، الّذي يعرف شخصية سيّدنا محمّد ﷺ يعرف سيّدنا محمّداً ﷺ. دينه ورسالته. لا أحد في الوجود لا في السماء ولا في الأرض يقدر أن يحملها؛ لأنّه الأول والآخر، سيّدنا محمّد ﷺ جاء رسولاً للأولين والآخرين كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد[(٢)]! سيّدنا آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ رأى على ساق العرش مكتوباً «محمّد رسول الله» قال: يا رب من هذا؟ قال: هذا ولد من أولادك هو سيّد الوجود! دعا الله به، بمحمّد ﷺ. أعطاه الله ما أراد.

---

(١) سنن ابن ماجه (١٠/ ١٤) برقم: (٤٠٢٧).
(٢) المستدرك على الصحيحين (٢/ ٦٦٥).

سألني واحد قال: أيهما أعلى سيّدنا محمّد أم جبريل!؟ قلت له: (عين تطقك) جبريل خادم عند سيّدنا محمّد ﷺ.

سيّدنا الرسول ﷺ كان مظهر الحكم العدل، يوم أُحُد لمّا كسروا رباعيته ﷺ وشجّوا وجهه الشريف وعملوا ما عملوا.. واحد من ألمه على الرسول ﷺ صار يدعو على قريش الّذين ضربوه، قال: «**قف يا رجل! لا تدعُ على قريش، قريش هم أهل الفضل، وأهل الكرم، وأهل الأمانة، قريش قريش..**» والدم ينزل! فما أعدله ﷺ! فلم يغضبْه كَسْرُ رباعيته..! «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون**»..![1].

لا تعتقدوا عندما تقرؤون (دلائل الخيرات) - وهو كتاب أدعية وأذكار - أو تصلّون على النبيّ سيصل شيء للنبي ﷺ، ولا تعتقدوا أن يصل لله شيء من الصلاة! نحن كنّا صغاراً: نقرأ ونبكي وننوح، نحسب أن الحق يرقّي سيّدنا محمّداً ﷺ لا والله! بعدها فهمنا.. نقرأ حتى ترجع الفائدة إلينا، الله ليس بحاجة لصلاتنا، مثل ما يقول العوام: (آلله بحاجتنا؟) ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ولا شك ولا ريب نحن فقراء ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وحينما نصلّي يعود نفع الصلاة إلينا! نصير مرجعاً حقيقةً، من أهل الفهم، من أهل النور، الصلاة نور، الرسول ﷺ قال: «الصلاة نور»[2].

الرسول ﷺ كامل مكمَّل، وجاء للوجود حتى يكمِّل، لا يمكن

---

(١) سنن ابن ماجه (١٠/ ١٤) برقم: (٤٠٢٧).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٢٠٣) برقم: (٢٢٣).

للرسول ﷺ أن يغلط أو يتيه أو أو.. أمّا بعض القضايا فللتعليم والتعريف، الرسول ﷺ لا يجتهد، بعض الناس يقولون: الرسول ﷺ يجتهد ويخطئ! قاتلهم الله! ما أبعدهم عن الله! ليس هكذا؛ لأنّه على بصيرة، الإنسان إذا أراد أن يصلّي الآن يجتهد بالتوجه إلى الكعبة، أما إذا كان واحد أمام الكعبة فلا يجوز أن يجتهد، بل يصلّي إلى عين الكعبة؛ لأنّه بالبصر يدرك ذلك! فالرسول ﷺ يدرك الأمور كلّها، بل الأمور كلّها ظهرت عنه.

الرسول ﷺ ليس مجتهداً! خسئ الّذين يقولون الرسول ﷺ يجتهد! والأبلغ من هذا فإن الخائنين الخبيثين يقولون اجتهد وأخطأ! العارف بالله أموره ظاهرة فكيف الرسول ﷺ؟ أموره جليّة أمامه كلّها، والرسول ﷺ حينما يتكلّم من مشكاة ربّه، لا من عند نفسه ما له وجود لا هو ولا نفسه أبداً البتّة، يتكلّم بكلام الحق؛ لأجل ذلك كلام الرسول ﷺ كلّه مهضوم ومقبول معقول.

الرسول ﷺ ليس آية ليس معجزة، هو فوق.. بل المعجزات والآيات عنه ظهرت! سيّدنا محمّد ﷺ لا يقع منه شيء أبداً إلّا عن قصد، أما لأجل الصلاة.. فهذه تعليم وتعريف لنا، اسمها تشريع وتعليم وتعريف.

الرسول ﷺ عنده لطف سارٍ في ذرّات الوجود.

الرسول ﷺ حكيم، لا يتكلّم بكلام من قبل عقله ورأيه، بنصّ القرآن ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤] محفوظ لا يمكن أن يدخل عليه شيطان.

أول ما خلق الله نور نبيّك يا جابر[١] يعني الكمالات الموجودة في

(١) قال الإمام العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣١١) برقم: (٨٢٧): رواه عبد الرزاق بسنده =

الوجود كلّها من رسول الله ﷺ ما جمعها، لا لا! بل هي كلّها منه ﷺ! لا أحد عنده لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا إسرافيل ولا موسى ولا عيسى.. كلّهم من نوره ﷺ كلّهم يأخذون منه ﷺ؛ لأجل ذلك تحمّل الختمية، الختمية يجب أن يكون جامعاً مانعاً! هذه لا يقدر عليها غير سيّدنا محمّد ﷺ لذلك كان دينه هو الدين الجامع.

أنا ما رأيت شخصية مثل سيّدنا محمّد ﷺ والّذي يعجبني أكثر أنه لا يتكلف! لا في كرمه، ولا في نزاهته، ولا في شجاعته، لا يتكلف في شيء في الوجود، ويقول: «**أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف**»(١).

الرسول ﷺ لمّا يمشي.. يمشي وراء الصحابة: لماذا؟ حتى يؤدبهم، فإذا عرفوا أن الرسول ﷺ وراءهم يمشون بميزان، لا يلتفتون، مطرقي رؤوسهم، يحاسبون أنفسهم، الرسول وراءهم، يرون الرسول ناظراً إليهم، وهكذا كان ليؤدبهم.

أول ما أظهر الحق من الوجود الحقيقة المحمّدية، اسمها الحقيقة المحمّدية، أقرب ما يكون إليها الأنبياء والرسل والعارفون بالله، هؤلاء قريبون إليها متخلقون بها تابعون لها، وقليل ما هم.

= عن جابر بن عبد الله بلفظ قال: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء. قال: «**يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقُدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جِنِّيٌ ولا إنسي**».. الحديث.

(١) الفردوس بمأثور الخطاب (١/ ٧٦) عن الزبير بن العوام بلفظ آخر مقارب.

يقول الحق للرسول ﷺ: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨] هذه من باب التشريع، الرسول ﷺ يعلم ما من حركة ولا سكون إلّا بحكم الله سبحانه وتعالى، فالرسول ﷺ عارف، هذا تشريع لنا، ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨] الموجودات العلوية والسفلية أعين، وهو بصرها ﷺ هذه أعلى آية نزلت في رسول الله ﷺ.

لمّا خُلق ﷺ فالكمالات موجودة معه.

الرسول الأعظم ﷺ كان بحاله قبل أن يتكلّم الكلام يخرج منه نور إلى قلب السامع ولو كان كافراً إلّا إذا كان كفره قويّاً فهذا شيء آخر يخرج النور من قلبه إلى قلب الجليس يغسل ما تحته.. وينظِّف! فيأتي الكلام ليحتل قلبه بعده! إن كان كافراً يؤمن، وإن كان فاسقاً يتوب، وإن كان صالحاً يترقى وهكذا..

من شرط الرسول والرسالة سلامة الصدر.

قال له سيّدنا جبريل: اقرأ، قال: «**ما أنا بقارئ**»، أخذه وحضنه يعني توسل إلى الله بسيّدنا محمّد! سيّدنا محمّد ما عنده خبر أول الأمر، إلى أن هرب.. هذا أمر عظيم.

سيّدنا محمّد ﷺ من قبل النبوّة يقول لسيّدتنا خديجة: «**الناس والاجتماعات تؤذيني! أنا أودّ أن أعتزل الناس!**».

سيّدنا محمّد قبل النبوّة كاملٌ قلبهُ طاهرٌ، ترك الناس لا يقعد معهم، صار كلّه صفاءً، صار المنام واليقظة عنده مثل بعضهما البعض!.

الإطراء: هو المدح بالباطل وليس بالحق، الرسول ﷺ بيَّن أن الله أمره

أن يقول: «**أنا سيّد ولد آدم ولا فخر**»[(١)] الّذي عنده علم ومعرفة لا يعرف الإطراء أبداً، ولمّا خيَّر اللهُ الرسولَ ﷺ اختار نبيّاً عبداً، وسيّدنا عيسى عليه السلام لِما رأى في رسول الله ﷺ من الكمالات: طلب من الله قبل أن يظهر سيّدنا محمّد ﷺ بستمائة سنة أن يجعله أحد أفراد الأمة المحمّدية، والحق أعطاه، سيّدنا عيسى عرف وعلِم منزلة سيّدنا محمّد؛ لأنّ الرسل والأنبياء بالاتفاق علموا.

(**أول ما خلق الله نور نبيّك يا جابر**)[(٢)]، وكان (خاتم النبيّين).

المدح بحقّه صحيح، فالرسول ﷺ كان سيّداً، لا أقول: محمّد، أقول عنه: سيّد الوجود، يوجد ناس يقولون: محمّد! دلّ هذا على أنهم ما عندهم قلب ولا إنسانية بتاتاً، في سورة الحجرات ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]. لكن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣]. والوحوش ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤] يا محمّد! يا محمّد! اخرج.. نريدك.. حقيقةً لا يعقلون!

أهل الكثافة لا يرون أهل المعنى واللطافة، مَن فقد معنويته يرى نفسه أحسن من غيره ينسب الأشياء إليه، ما بقى عنده معنى فتظهر عليه

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٢) برقم: (٢٢٧٨).
(٢) كشف الخفاء (١/ ٣١١) برقم: (٨٢٧).

الحيوانية! تبين أن السرّ الّذي وُجِد فيه راح منه، السرّ يبين لك أنّك عبد، الله عرفناه من الرسول ﷺ والقرآن عرفناه من الرسول ﷺ والحديث من الرسول ﷺ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧] كلّها من الرسول ﷺ كيف نسبّه؟ إذا ما أحببناه كيف نقدر أن نأخذ عنه؟

السميرة بنت قيس زوجةُ أحد الأنصار قُتل زوجها وأبوها وأخوها في غزوة أحُد فقالت: ورسول الله؟ قالوا: طيّب، قالت: خذوني أنظرْ إليه!.. قالت: يا رسول الله ما دمتَ حيّاً فكل خطْب دونك يا رسول الله جلل، يعني بسيط، تريد رسول الله فقط، الإنسان إذا وجد في قلبه حباً لأهل الله يدخل الجنّة، لا يمكن إلّا أن يتوب قبل أن يموت، الدخول إلى الجنّة بالعقيدة الصحيحة، ومرتبته بالجنّة على مقدار العمل، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

العقيدة لها دخل في دخول الجنّة فقط، والكافر والفاسق في دخول النار، والأعمال بالنيّات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى[1] المراتب على حسب العمل، الإنسان لا بد أن يفهم حتى لا يبقى عنده شك في القرآن والحديث، من يعرف القرآن؟ هم بعيدون عن القرآن، القرآن خُلُق الإنسان الكامل وكان خُلُقه القرآن[2] ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [نٓ: ٤] فالرسول ﷺ هو الّذي أدّبنا وهذّبنا وعلّمنا بعد أن أدّبه الله وهذّبه، قال: «**إنما بعثت**

(١) صحيح البخاري برقم: (١) (١/ ٣).
(٢) مسند أحمد برقم: (٢٥٣٤١) (٦/ ١٦٣).

لأتمّم مكارم الأخلاق»[(١)] فعلينا نحن أن نعزّره وأن نسوّده[(٢)].

يا سيّدي لا يصح أن نقول: (محمّد)[(٣)]، فبمقدار ما عندنا من الاعتبارات والاحترامات والتعظيمات لسيّدنا محمّد ﷺ تصل إلينا الفائدة، أما الفائدة فلا تصل من غير هذه الاعتبارات، بعض الناس قلوبهم جافّة! كان الصحابة عموماً وخصوصاً سيّدنا الصدّيق يقولون: فداك أمّي وأبي يا رسول الله، لأن الرسول ﷺ هو الّذي أتاهم بالخير، وطالما الحق مدح الرسول ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣] فما بقي كلام! الناقص يصير عقله ناقصاً، الرسول ﷺ بيّن لنا كل شيء يقرّبنا إلى الله وأمرنا به، وكل

---

(١) أورده الإمام السيوطي بلفظ: «**إنما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق**» وفي رواية: «**إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**». الجامع الصغير ٢٠٦.

(٢) ذكر الإمام العجلوني في كتابه كشف الخفاء ما نصُّه: «لا تسوّدوني في الصلاة» قال في المقاصد: لا أصل له، وقال الناجي في أوائل مولده المسمى بكنز العفاة: وأما النقل عن سيد الورى «لا تسودوني في الصلاة» فكذب مولّد مفترى!! والعوام مع إيرادهم له يلحنون فيه أيضاً فيقولون لا تسيّدوني بالياء، وإنما اللفظة بالواو. اهـ. ٢/ ٤٧٦.

(٣) ذكر الإمام القرطبي في تفسيره لسورة الأحزاب ٤٥ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩] ما نصُّه: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: أي تعظّموه وتفخّموه، قاله: الحسن والكلبي، والتعزير: التعظيم والتوقير، وقال بعض أهل اللغة: تطيعوه، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: أي تسوّدوه، قاله السدي: وقيل تعظّموه، والتوقير: التعظيم والترزين أيضاً، والهاء فيهما للنبي ﷺ وهنا وقف تام، ثمّ تبتدئ (وتسبّحوه) أي تسبّحوا الله.. وقيل: الضمائر كلّها لله تعالى، فعلى هذا يكون تأويل (تعزروه وتوقروه) أي تثبتوا له صحة الربوبية وتنفوا عنه أن يكون له ولد أو شريك، واختار هذا القول القشيري، والأول قول الضحاك اهـ. الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٦٦).

شيء يبعدنا عن الإنسانية وعن الله والكمالات نهانا عنه، ماذا تريدون أجمل من هذا؟ الرسول ﷺ ما استفاد منه كل واحد! ما استفاد منه إلّا الّذي تأسّى به واتّبعه واقتدى به حقيقةً، بعض الناس يقولون: لماذا تقولون سيّدي؟ لبعض المسؤولين تقولون سيّدي! السيّد يعني الزوج، بنص القرآن الزوج اسمه سيّد ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾ [يوسف: ٢٥]. الرسول ﷺ قال: «**أنا سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ ولا فَخْرَ**»(١) أي لا أقولها من عندي افتخاراً عليكم وإنما أمرني الله بها.

السيرة لا تعرف سيّدنا محمّداً ﷺ. كثير من الأحاديث يضعونها في غير مكانها، نحن نعطي لأهل السيرة كيف يكتبون عن سيّدنا محمّد ﷺ، نحن نأخذ الصفات عن سيّدنا محمّد ﷺ لا من السيرة، الّذي يجالس أهل الله جالس استعداده وما جالس غير وجهته أبداً، أهل الله رائحون في عوالم لا يعلمها إلّا الله، كان الرسول ﷺ يقول: «**لي وقت مع ربي لا يسعني فيه مَلكٌ مقرّب ولا نبي مرسل**»(٢) هذا هو الصحيح، وهكذا العارف بالله المحقق.

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٢) برقم: (٢٢٧٨).
(٢) ينظر كشف الخفاء (٢/ ١٧٣).

فهمه القرآني رضي الله عنه

قال رضي الله عنه: (كل إنسان كامل خُلقه القرآن، المفسِّر لا يفسّر القرآن، وإنما يفسّر الألفاظ العربية؛ لذلك تجد الخلافات قائمة بين المفسّرين: قيل كذا وقيل كذا.. قال رسول الله ﷺ: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصّته**»(١) لا يفهم القرآن ولا يذوق طعم القرآن إلّا من كان متخلّقاً بالقرآن. لابدّ للآية من شارح قال ﷺ: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصّتُه**» ليست قضية تفسير وعربية لا لا! لا بدّ من نور، التأويل دهليز الإلحاد.

القرآن مرتبتان: تشريع وتحقيق، والحديث مرتبتان: تشريع وتحقيق، ما وُجِدت آية تشريع إلّا وتكون آية ثانية بالتحقيق، فإن لم توجد آية فلا بدّ من حديث؛ لأن الحديث شرح الكتاب شرح القرآن. القرآن معنا وهو خُلُقُنا! قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] كان عليه الصلاة والسلام خُلُقُه القرآن(٢). خُلُق الإنسان من حيث هو ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] القرآن خُلُقه ﷺ، والحديث خُلُقه ﷺ. القرآن له وظيفتان في آن واحد: قانون، وتعبُّد به، الحق بيّن لنا كيف نسير وكيف نعيش وكيف ننام وكيف نقوم وكيف نعمل وكيف..، وبآنٍ واحد هو عبادة.

القرآن فيه وجهان: وجه للتعبد نتعبد به، ووجه قانون نسير عليه كيف أمرنا وكيف نهانا.

---

(١) المستدرك (١/ ٧٤٣) برقم: (٢٠٤٦).

(٢) عن السيّدة عائشة رضي الله عنها، مسند أحمد ابن حنبل (٦/ ١٦٣) برقم: (٢٥٣٤١).

الّذي يفهم القرآن فأول مرتبة يجب أن يكون ذاتيّاً، أمَّا إذا لم يكن ذاتيّاً فلا يفهم هذه المفاهيم، ولا تجيئه النزاهة ولا القوّة).

وفيما يلي بعض تفسيراته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في القرآن الكريم:

١ - ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الرحمٰن رحمة عامة، والرحيم رحمة خاصة، أحكام الشريعة كلّها في سورة الفاتحة، وسر الفاتحة في البسملة، وسر البسملة في الباء.

٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (فيها إشارة إلى ذبح النفس الحيوانية الشهوانية)[1].

٣ - قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] هذا اسمه علم الأولياء، يعلِّمك كلَّ شيء؛ لماذا؟ لأن الله ختم قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

٤ - قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] نعم لا يمكن لأحد أن يقدّره حقّ قدره، كلّا ولا الأنبياء ولا الرسل؛ لأنّه جاء بالاسم الّذي لا يحيط به إنسان وهو الله. لم يقل: وما قدروا الرحمٰن الرحيم، بل جاء بالاسم الجامع، فكيف يقدّره حقّ قدره وهو لم يحط به؟ فالّذي لا يحيط بالشيء لا يقدّره حق قدره، ويمكن أن نقول قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الانعام: ٩] بمعرفتهم رسله والعارفين والقيام بحقوق معرفتهم وصحبتهم ومناصرتهم، فمهما أوتي الإنسان من علوم ومعارف لا يمكن أن يقدّره حقّ قدره؛ لأنّه المحيط، والمحيط لا يحاط به، فهو اسم الله

---

(١) أي بمخالفتها وتزكيتها.

الجامع الّذي لا يمكن لإنسان أن يدخل تحته، فأنت: العارف لا تقدّره حق قدره أو تقوم بحقوقه، فكيف تقوم أو تقدّر حق القدر للاسم الأعظم، فمعرفة العارف والاستسلام له والقيام بحقوقه قيام ببعض قدره تعالى، أنت لا تقوم بقدر المراتب الشرعية حقّ قدرها، الرسول الأعظم صلوات الله عليه وسلامه لم يقدّره أحد حقّ قدره، لا سيّدنا أبو بكر ولا سيّدنا عيسى ولا جبريل لم يقدّروا الرسول ﷺ حقّ قدره ولن يستطيعوا ذلك؛ لأن الكبير لا يحيط به إلّا من هو بمنزلته أو أعلى منه!

فماذا يعرف الصغير عمّن هو أكبر منه؟ ألاَ ترى إلى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ حين عرج مع النبيّ ﷺ ووصل السدرة قال: يا محمّد هذا مكاني، فقال الحبيب ﷺ: «**أها هنا يترك الخليل خليله؟**» قال: يا محمّد لو تجاوزتُ قيد شعرة لاحترقت(١). فإذا كان الرسول ﷺ لا يحيط به سيّدنا جبريل ولا سيّدنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما ينزل ويحكم بشريعته، فكيف بالحضرة الإلٰهية؟! أي: من الذي يحيط بالله؟ لا أحد ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج: ٢٠].

٥ - قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] هم الفلاسفة والمشايخ المدّعون لهم قلوب لا يفقهون بها، وآذان لا يسمعون بها، وأعين لا يبصرون بها، أولئك كالأنعام يعني الدواب بل هم أضل أولئك هم الغافلون.

٦ - قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] اليقين هنا

(١) مجمع الزوائد (١/ ٧٩).

الموت، قالوا لواحد: صلِّ، قال: أنا لا أصلّي هنا، أصلّي فوق، وآخر قال: ما بقي عليَّ صلاة! سيّدنا محمّد ﷺ الّذي وصل المراتب العليا صلّى حتى تورمت قدماه.. العبادة لا بدّ للإنسان منها، مهما كمل مهما رقى لا تسقط ولا تنزل البتّة! العبادة غذاء لكل شيء، غذاء للنفس، والجسم، والعقل، والقلب.

٧ - قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] غفلوا عن النور الإلٰهي.

٨ - قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢] رؤية حقيقية ذوقية، وليس تؤمنون، الإيمان مرتبة اعتقادية ذوقية قلبية.

٩ - قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٧] لئن نسبتم النعمة إلى المنعم لأزيدنكم.

١٠ -قوله تعالى: ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] خلّاق دائماً، خلّاق بالليل وبالنهار.

١١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا﴾ [الكهف: ٧] زينة للأرض، أما زينتنا فهي المحبة.

١٢ - قوله تعالى: ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ [الكهف: ١٣] قال ﵁: أهل الكهف الفتية سبعة.
قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ﴾ [الكهف: ٨٢] الجدار تحته كنز حسّي ومعنوي.

١٣ - قوله تعالى: ﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢﴾ [طه: ١-٢] بل لتسعد.

١٤ - قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] الله اسم أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين لمَّا تجلّى على عرش العمل والمعاملة تجلّى باسم الرحمن، ما تجلّى باسم المنتقم ولا القهار، وإلّا لما ترك أحداً على الأرض البتّة.

١٥ - قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا﴾ [طه: ١١٤] لماذا؟ لأنَّ سيّدنا محمداً ﷺ طاهر مطهَّر مطهِّر.

١٦ - قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [الحج: ١١] الحرف هو الغرض.

١٧ - قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحج: ٥١] قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ وأرجعوها إلى شخصية الرسول ﷺ أو العارف، والتحقيق خلاف ذلك: إن الرسول ﷺ إذا تمنى للصحابة إلقاء الإيمان الكامل في قلوبهم يأتي الشيطان للّذي تمنى له الرسول ﷺ فيوسوس له بعدم أخذها، فإمَّا أن ينسخ الله ما يلقي الشيطان ويُحكِم آياته وهي الأمنية، وإمّا أن ينسخ الشيطان في إلقائه بالمتمَنّى له، فيمنعه من أخذها.. كذلك العارف إذا أراد من المريد المراتب العالية أتاه الشيطان ليلقي في قلبه وسواساً وشبهات ليمنعه من الأخذ من العارف، فإمّا أن يكون القلب أقوى بحكم ذلك الأمر من العارف، وإمّا أن يكون أضعف فينسخ الشيطان، وهذا هو معنى الأمنية عند أهل التحقيق.

١٨ - قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩] مقام الحكم ست ساعات.

١٩ - قال ﵁ في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] خلق أمام سليمان خلقاً جديداً، ما أتى به إثباتاً، بل خلقاً جديداً؛ لأنّ الّذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا عارف بالله، فبمجرد ما أراد كان أمام سليمان قبل ارتداد الطرف، وذلك بدون زمن بل بالأمر الإلٰهي، كان خلقه أمراً إلٰهياً بدون زمن.. ليس هناك زمن في انتقال العرش، وإنما هو الله ﷻ في النفَس الأول خلّاق لهذا العرش في اليمن وفي النفَس الآخر خلّاق له في القدس.

٢٠ - قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] ليس لإسراء الرسول ﷺ ولا لمعراجه زمن، فهو من اليوم قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩].

٢١ - قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] أي: وجه الشيء وهو حقيقة الشيء.. لا يبقى إلّا الباقي وعبد الباقي.

٢٢ - قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] العالمون أهل الخشية.

٢٣ - قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] الأمانة بلسان العموم هي التكاليف الشرعية، وأما بلسان الحقيقة فهي الخلافة، وقد حملها الإنسان من ظلمه وجهله، وكان عليه أن

ينتظر الأمر ولا يقبلها بمجرد العرض، وكل من يقبل الخلافة أو الوظيفة والإمارة بالعرض وكَّلَهُ الله إليها فابتُلي بها، وأما من ينتظر ورود الأمر ويمتثل الأمر أعانه الله عليها وكان محفوظاً، فالكامل ينتظر حتى يأتيه الأمر.

٢٤ - قوله تعالى: ﴿صٓ﴾ [صٓ: ١] على عيني ص، الأصح أنَّ قوله تعالى: ﴿صٓ﴾ هو الرسول ﷺ.

٢٥ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] حتى للكافر.. الرزاق هو الحكيم، الرزق الحقيقي هو المعرفة والعبادة.

٢٦ - قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليذِلّون، أما باقي المخلوقات الملائكة والحيوانات والجمادات فقد خُلِقوا ذليلين.

٢٧ - قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] لا بالجسم فقط، وإنما بالعلم، بالمال، بالجاه، بالمعرفة، والمستخلَف يرى حاله خليفة الله ليس له من الأمر شيء البتّة.

٢٨ - قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدّثر: ٤] أي وكلّ صفاتك فطهّر.

٢٩ - قوله تعالى: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] سيّدنا نوح كلّهم متفقون أنه دعا على قومه، أعوذ بالله! دعا لهم أم دعا عليهم؟ بعدما بيَّن له الحق بقوله تعالى: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] دعا على الكفّار أن يموتوا؛ لأن الكافر كلّما يبقى تزداد ذنوبه، هذا دعاء لهم لا عليهم.

٣٠ - قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩] أي: وما تشاؤون مشيئتكم حتى يشاء أن تشاؤوا فتشاؤوا.

٣١ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] قالوا أي المفسرون: كرمه، هذا غلط، بل لؤمك، اتق شرّ من أحسنت إليه إن كان لئيماً.

٣٢ - قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] وليس بنعمتك، فحدّثْ بما أعطاك الله من علم وفهم ومن ومن..

٣٣ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] ليس معناه صوتاً عالياً، بل فارغاً، لا معنى فيه ولا نور.

٣٤ - قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] الحق سبحانه لمّا خلق سيّدنا آدم بقي سنين مخلوقاً، وبعد أن قال: (نفخت) قال: (فقعوا له ساجدين) إذنْ السجود كان لله سبحانه وتعالى! الروح من الحضرة الإلٰهية، فالسجود كان لمن؟ للروح، السجود لسيّدنا آدم سجود احترام وتعظيم، لا سجود عبادة، أمّا إبليس[(١)] فعنده عجب وكبر يرى حاله أحسن من غيره، لمّا أمره الحق عَزَّوَجَلَّ بالسجود لسيّدنا آدم أبى واستكبر وكان من الكافرين! الله سأله يا إبليس يعني يا من تلبس عليه الأمر: ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيديّ؟ أنا الّذي قلت لك اسجد للمعظّم عندي، الّذي هو

(١) قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إبليس: خفيف خفيف! بمجرد أن تنظر إليه تراه أهبل؛ رأسه كبير وجسمه صغير، الخفة ظاهرة عليه.

خليفتي في الأرض، لماذا ما سجدت له ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[1][ص: ٧٥] قال: أنا خير منه! لماذا؟ قال: خلقتني من نار وخلقتَه من طين! قال: أنا خلقتك من نار، وأنا خلقته من طين، وأنا أقول لك اسجد له! فمن الآمر هو أم أنا؟ قال: لا يليق، الحكمة لا تقتضي هكذا ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ٣٤] الكافر يعني المحجوب.. الحق أعطى إبليس العلم وجعله طاووساً على الملائكة! لكن على الملائكة الأرضيين! لا على عموم الملائكة، طاووساً على الملائكة الطبيعيين الأرضيين فقط، لا ملائكة السمٰوات السبع! يعلّمهم أنواع العبادات أنواع الأدب، صار له تسعة آلاف سنة.. إخواننا الجنّ خُلِقوا قبل الإنسان «قبل سيّدنا آدم» بتسعة آلاف سنة، الحق أراد أن يرقِّيه، كفاك يا مهبول! كفاك تسعة آلاف سنة في هذا العالم.

٣٥ - قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] هذه لمن؟ للّذي تزكت نفسه، والّذي ما تزكّت نفسه لا يدخل هذه الآية البتّة.

٣٦ - قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ١ - ٦] الشيطان له مرتبتان: وسواس، لمن يوسوس؟ للغافل، وخنّاس لمن؟ لليقظ! خنّاس يعني يخنس ويهرب! وهذي كلّها واللهِ تركيبات الله، لا

(١) قال رضي الله عنه عن العالين: العالون: طائفة من الملائكة هائمون في الحضرة الإلٰهية، لم يؤمروا بالسجود لسيّدنا آدم..

تخمّنوا من عند غير الله، لا واللهِ! كلّها ليرقينا، ليطهرنا، ونرجع إليه في كل أمورنا، نحن الضعفاء وهو القوي، نحن الأذلّاء وهو العزيز، نحن العُجّز. .نحن الفقراء. . حتى نرجع إليه، هناك نفهم كلام سيّدنا عليّ ﷺ: لا يخافنّ أحدُكم إلّا ذنبَه! الّذي لا يعمل ذنباً أينما وضعتموه لا يخاف.

٣٧ - قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] البعض يقولون: ضالّاً من الضلال، أعوذ بالله من ذلك! ضالٌّ: كان ضالّاً عن الختمية، لمّا كبر أراه الحق ذوقاً أنه هو خاتم النبيّين عليه الصلاة والسلام.

٣٨ - قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمٰن: ١٥] النار ما فيها لطافة، اللطافة تجيء من النور، النار فيها خفّة وطيش! لذلك إخواننا الجنّ عموماً تغلب عليهم الخفّة، مرج: خلط، اختلط الهواء مع النار، حرق الهواء، أصبح طيشاً، لذلك إخواننا الجنّ: الله يساعد الّذي يحبونه؛ إذا أحبّوا امرأة أو ولداً يدخلون فيه يرمونه في الأرض! وأهله يروحون إلى المشايخ والأطباء.

٣٩ - قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢] الأمر هو عالم الأرواح، عالم المعاني، يفصّل الآيات: عالم الجسم.

٤٠ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] كثير من الناس تقع منهم ذنوب، يتوبون، ثمّ تقع منهم ذنوب، فتصل معهم لدرجة لماذا نتوب طالما نرجع؟ هذا من الشيطان! هذه لا بدّ

أن تفهموها تماماً إنه يقول لك: «إذا تبنا الآن عن شرب الخمرة مثلاً ثمّ شربناها بعد ساعة، فما الفائدة من التوبة،هذا الكلام من الشيطان! يا بني، الله يرضى عليك! تب الآن.. وحينما تتوب يأتيك نور اسمه نور التوبة، نور المحبة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] هذا النور يريك الظلمة التي كنت فيها، ما كنت تشعر لأن الظلمة لا تشعر بنفسها! فلمّا يأتيكَ نور التوبة تدرك أين كنت.

٤١ - قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] فخانتاهما بالكفر لا بالزنى!.

٤٢ - قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] الملائكة يحملون العرش، ومن هو حامل الملائكة؟! هذا حمل تشريف! وإلّا فهم محمولون! الله حاملهم وحامل العرش.

٤٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٨٦] أي: المعاصي.

٤٤ - قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥] وكيف نتقي؟ ننظر المحرِّك والمسكِّن هو الله، هو الّذي وفقنا.

٤٥ - قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ﴾ [الأحزاب: ٤] قلب واحد، يتوجّه لجهة واحدة، لذلك لا يقدر الإنسان أن يساوي بين الدنيا والآخرة، لا يمكن! فالّذي يتوجّه إلى الآخرة لا يقدر أن يتوجّه للدنيا، وإذا توجّه للدنيا لا يقدر أن يتوجّه إلى الآخرة، وإذا توجه إلى الله علم الاثنتين؛ لأنّه مأمور.

٤٦ - قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] رحمة للعالمين مطلقاً كبيرهم وصغيرهم حتى الحجارة! الرسول ﷺ رحمة سارية في كل شيء.

٤٧ - قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] هذه المرتبة مرتبة أهل الحُزْن أول أمرهم، لا مرتبة أهل الكمال، مرتبة تشريعية لا تحقيقية! أنا لا أقولها! الرسول ﷺ لمَّا قالها مرتبة تشريعية ما قالها مرتبة تحقيقية.

٤٨ - سيّدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وزليخة:

سيّدنا يوسف نبي ورسول، ما اختلف أحد في رسالته، والعلماء على الإطلاق يقولون: النبيّ معصوم والعارف محفوظ، الفرق بين المعصوم والمحفوظ: المحفوظ عنده استعداد أن يقع لكن الحق يحفظه، أما الرسول فما عنده استعداد للوقوع بتاتاً، ولا يعرف الشيء المخالف البتّة! لماذا؟ لأنّه خُلِق طيباً، طينته طيبة، وبقي طيباً، اسمه معصوم، كل نبي يحب الحق ويبغض الباطل أينما وُجِدَ، الله يقول: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] لا المخلِصين! المخلَص: الله استخلصه من الموجودات.. المخلَصين بفتح اللام أعلى من المخلِصين بكسر اللام، لأن المخلَص لا يشهد له وجوداً مع الله سبحانه، والمخلِص يشهد له وجوداً مع الله، قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠].

سيّدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كان من المحبوبين! وما ابتُلي سيّدنا يعقوب بمثل ما ابتُلي سيّدنا يوسف! فأكثر ما ابتُلي سيّدنا يعقوب بفقد سيّدنا يوسف، لكن سيّدنا يوسف: بالبئر أولاً.. ثمّ بالسجن.. وبقي إلى يومنا هذا ما

خلص من الناس ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤] هذه الآية تبقى إلى يوم القيامة، سيّدنا يعقوب معذور! ما كان إكرامه لابنه سيّدنا يوسف لكون أمّه جديدة أو أجمل! لا لا بل كان سيّدنا يعقوب بمجرد ما ينظر إلى سيّدنا يوسف فالحق يتجلّى عليه التجلّي الأتمّ والأكمل، ولمّا يرى إخوته لا يأتيه إلّا التجلي الكامل والتام! إلّا يوسف، لماذا؟ لأن يوسف محبوب وشخصية بارزة، عالٍ عند الله كثيراً جداً، فسيّدنا يعقوب كان يحب يوسف لا لكونه ابنه!..الأنبياء ليسوا خائنين، حاشاهم! إذا لم يكن الأنبياء أهل العدل فمن هم أهل العدل؟! لمّا فُقد منه يوسف بكي حتى ابيضت عيناه ما بكى على يوسف! وإنّما بكى على المرتبة التي فُقدت منه بفقدان يوسف، حقّهُ أن يبكي! وأنا أبكي على بكائه! دليل ذلك لمّا جاءه قميصه ارتد بصره.. افهموا افهموا القرآن، الأنبياء أعلى وأتمّ، الأنبياء بالشهود دائماً في الشهود الإلٰهي.. إخوة سيّدنا يوسف ما فهموا هكذا! فهموا بأن أباهم يحب أولاد الجديدة يوسف وأخاه بنيامين، لا.. فسيّدنا يعقوب عليه السلام رسول، والرسول معصوم، والمعصوم كامل لا يمكن أن يقع منه شيء مخالف للإنسانية ولا ذرّة.

يا عيني يا مفسرون! ألستم مؤمنين؟ يقولون: نعم، إيمانكم بماذا يوحي إليكم؟ أما يقول لكم: إن الأنبياء معصومون؟ يقولون: نعم! إذاً فكيف تقولون همّ؟ العارف لا يهمّ! فكيف النبيّ يهمّ؟ وكلّه كمال، كلّه طهارة كلّه أدب؟ كيف تقولون هكذا؟ أما عندكم نور؟ أما عندكم تقوى؟ أما بكم حقيقة؟!.

خالفوا عقيدتهم! الّذي يتكلّم على سيّدنا يوسف وسيّدتنا زليخة جاهل!

وحتى الألفاظ العربية اللغوية لا تعطي هذا المعنى أبداً البتّة؛ لأن الهمّ لا يكون إلّا بالضرب أو البطش، هذا هو الهمّ، لا بالسقوط والسفالة! سيّدتنا زليخة كانت شخصيتها أكبر الشخصيات في زمانها، أكبر من شخصية زوجها! زوجها العزيز تحت أمرها! لا يقدر أن يخالفها لأنّها صاحبة شخصية، علم، ومال، وكل شيء فيها، وكانت تهيمن على نساء الوزراء أجمع، ما كان زوجها يعبّئُ دماغها، فلمّا رأت سيّدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ انجذبت إليه، حاشاها تطلب الزنى، طلبته لا للزنى لا واللهِ! لأن صاحب الشخصية لا يعرف السَّقاطة، والرسول ﷺ لمَّا سألته الحرائر: أَوَ تزني الحرة يا رسول الله؟[(١)] ولو كان صحيحاً أنها تريد الزنى، فكيف يتزوجها سيّدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ليس معقولاً أن تطلب الزنى ثمّ يتزوجها! ليس معقولاً البتّة! كانت تحبّ سيّدنا يوسف! رأت نور النبوّة[(٢)] وهي لا تعرف النبوّة، رأت اللطافة، رأت الكمال، هذا الّذي أخذ لبَّها، قهرها رغماً عن أنفها!.

تريده أن يجلس ويحكي معها وتغلق الأبواب، حتى تسأله، لأنّها سيّدته وهو خادمها، إيّاكم أن تسيؤوا الظن بسيّدتنا زليخة إياكم! زليخة لا تعرف الزنى، تريده هو، مع أنها كافرة لا تفهم الحرام والحلال! وسيّدنا يوسف لا يقدر؛ لأنّه يعتقد هذا ظلماً فلا يجوز! الرجل لا يقعد مع المرأة إلّا بمقدار خاص مثل الطبيب مع المريضة، قال لها: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥]، أنا لا أقدر، أبي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، رسول ابن رسول... هذا العمل لا يصير (أي هذا العمل لا يصح ولا

---

(١) مجمع الزوائد: (٦/ ٣٨).

(٢) قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معقباً: سيّدتنا زليخة رأت وما عرفت، وسيّدتنا خديجة رأت وعرفت.

يقع) كيف تطلبين مني أن أجلس معك في بيت وحدنا؟ هذا لا أملكه، هذا لربّ العالمين، وهي لا تعرف الحلال والحرام، وهو صاحب شخصية من عدا الحرام والحلال، الرجل صاحب الشخصية لا يلمس امرأة أبداً، الرسول ﷺ ما لمس امرأة ولا حين المبايعة، بكلامه يبين لهنّ عليه الصلاة والسلام، حتى ملّلها سيّدنا يوسف عليه السلام لا مرّة ولا مرّتين.. لمَّا ملّلها قالت له: أنت غلامي آمرك فلا تأتمر؟ أذهبْتَ لي سيادتي! ورفعت يدها لتضربه! همّت أن تبطش به لأنّها تطالبه فلا يوافقها، رفع يده ليقابلها بالمثل ليضربها لأنّه عزيز لا يعمل مخالفات، شخصية بارزة[1] ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] ولو كانت هي سيّدته. ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ [يوسف: ٣٤] افهموا البرهان، قال الله لسيّدنا يوسف: ما تصنع يا يوسف؟

قال: يا رب، امرأة تريد أن تضربني وأنا رجل!

قال له: لا يا يوسف! هذه مُحبّة لك، وهي معذورة، لا عقل لها البتّة! حب وعقل لا يجتمعان، تريدك أنت وتطلب منك طلباً معقولاً! لكن الحق معك لكونك شرعياً!

قال له: يا رب، فماذا أعمل إذنْ؟

قال له: اهربْ! ما لك إلّا أن تهربَ من وجهها ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ [يوسف: ٢٥] فهرب.. ركض مثل ما قال له الله تعالى! فلحقته، لكن الله سلّمه منها، لقوّة ركضه وقوّة سحبها تمزّق الثوب بيدها! وإذا بالعزيز يفتح

---

(١) قال رضي الله عنه معقباً: يوجد بعض الناس الطيبين الصالحين عندما يضربه أحد على اليمين يعطيه خد اليسار! لا! فالمسلم فوق ذلك، لا أحد يقدر أن يقرب إليه ﴿لَا مِسَاسَۖ﴾ [طه: ٩٧] أبداً البتّة.

الباب! وحين دخل العزيز رأى هذه الحالة!.. والعزيز عنده خبر، لكن العزيز مؤمن بسيّدنا يوسف عليه السلام بصدقه وإخلاصه ونزاهته، ويؤمن بزوجته زليخة مؤمن بإخلاصها ونزاهتها وعفّتها (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلّا أن يسجن أو عذاب أليم؟! ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ [يوسف: ٢٦] فاستبقا الباب هي التي تطالبني ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [يوسف: ٢٩] دخيلك استرنا! لا تفضحنا، لا تحكِ أمام الناس، أنا العزيز عزيز مصر، وهذه زوجتي ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ ثمّ توجه إليها وقال: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩].

وهؤلاء اللاتي قطّعن أيديهن جاءت بهن فتنة حتى تفهمهن من تحبّ!.. جئن خمس دقائق.. وأعطت كل واحدة سكينة وتفاحة لتقشرها: ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣١] فلمّا خرج عليهن ﴿قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ ما بقي عندهنَّ عقل أبداً ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] ما هذا بشراً ما هذا بشراً ما هذا بشراً!..انظروا: ما لاحظن جماله الصوري، بل لاحظن الجمال الإلٰهي، لا لا! ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ هنالك كلّهن وافقنها! وهي صار لها عنده سنوات.. لا قطّعت يدها ولا عملت شيئاً! كل هذا وهي آمرة وناهية، إذن عندها قوّة، عندها شخصية.

سيّدتنا زليخة في آخر عمرها لمَّا كبرت في السن وعميت وأنفقت مالها (كانت غنية كثيراً) تقول لهم: بالله خذوني محل ما يكون يوسف! قال لها سيّدنا يوسف: يا زليخة كيف حالكِ؟ قالت له: أنا على ما أنا عليه! قال لها: أما تتزوجيني!؟ قالت له: لا! أين أنا منك؟ قال: الحق عزّ وجلّ أمرني! قالت: نفّذ أمر ربك!..

قال لي واحد: أنت محامٍ عن يوسف، طيب لا مانع! أَمُحامٍ عن زليخة؟ قلت له: نعم! لماذا؟ لأنّها صارت زوجة لسيّدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا أرضى أن أحداً أن يتكلّم عليها كلاماً واطئاً، لا أرضى أبداً أبداً، لو أنها قد طلبت منه الزنى فحاشاك يا سيّدنا يوسف أن تأخذ واحدة طالبة الزنى، لا.. بل كانت تطلبه لذاته، لا لجماله الصوري، بل لجمال شخصيته، وهذه تأخذ القلب! نحن لمّا كنا بالسير ما الّذي يجذبنا للرسول ﷺ؟ ليس جماله الصوري، بل جماله الّذاتي، قلت لهم: الرسول ﷺ أخذ لبي، ما أخذ قلبي في الوجود غير الرسول ﷺ لا من حيثُ كمالُه، لا من حيثُ شجاعتُه، لا من حيثُ كَرَمُهُ.. لا! كان لا يتكلف بذلك، الشجاعة عادية والكرم عادي.

٤٩ - عصا سيّدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يقول المفسرون: حيّة موسى لقفت الحبال والعصي التي ألقاها السحرة، السحرة ماذا صنعوا؟ خيّلوا في أعين الناس أنّ الحبال والعصي تسعى! قالوا [أي المفسرون]: جاءت عصا سيّدنا موسى لقفت الحبال والعصي، قلنا: هذه كذبة! هذي لا تصير، ليس معقولاً أنَّ عصا سيّدنا موسى تلقف الحبال والعصي! ولا هذه وظيفتها، الحبال صنعها الحبّال، والعصي صنعها النجّار، ما لها سلطة تبلعها.. الحَقُّ لاَ يبْلَعُ حَقّاً! بل تبلع السحر الّذي صار في الحبال والعصي ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[1] [الأعراف: ١١٧] الكذب وهو السحر ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ﴾ [طه: ٦٩] عصا سيّدنا موسى حق، فلقفت الإفك والسحر، فلم يُبْقِ إلّا حبالاً وعصياً مشتتة على الأرض.

---

(١) الإفك: هو الكذب، انظر لسان العرب: مادة أفك يأفك إفكاً وأفوكاً.

لماذا آمن السحرة؟ لأن سيّدنا موسى خاف[(١)] ففهموا أن هذا ليس بساحر، ولو كان ساحراً يعرف، لمَا خاف من عصاه ففهموه ليس سحّاراً، وأسلموا كلّهم، أمّا المفسرون فيقولون: لقفت الحبال والعصي بفمها! قلنا: هذه كذبة، لا صلاح لها، إنما تلقف الكذب وهو السحر ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ﴾ [طه: ٦٩] لم يصنعوا الحبال، لم يصنعوا العصي، فماذا صنعوا؟ صنعوا السحر ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦][(٢)].

(١) قال ﷺ معقباً: خاف أن يخسر المعركة، وكثير من الناس تكفر.

(٢) ولو أننا تتبعنا الآيات القرآنية في هذا الموضوع لوجدنا أن لا يصح ولا يستقيم إلا المعنى الذي ذكره السيّد النّبهان ﷺ.

فهمه في الحديث النبوي الشريف

١ - قال رسول الله ﷺ: «**الجنّة تحت أقدام الأمّهات**»(١). قال رضي الله عنه: وكذلك النار تحت أقدام الأمّهات إذا عملتْ من المخالفات، فإذا خالفت الكتاب والسنَّة يجب أن نردَّها ولا نطيعها في ذلك.

٢ - قال رسول الله ﷺ: «**الجنّة تشتاق إلى سلمان، وإلى عمّار بن ياسر**(٢)**، وإلى بلال، وإلى علي بن أبي طالب**». قال رضي الله عنه: من الّذين تشتاق إليهم الجنّة؟ قبل كل شيء سلمان: من طهّر نفسه وزكّاها ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]، ثمّ بعدها يجيء الإعمار: يعني العمل الصالح، وبعد الصدر السليم والعمل الصالح: ينتج (بلال) وهو الذوق، قال ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله تعالى ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبسيّدنا محمّد ﷺ نبياً رسولاً**»(٣) فإن تحقق بالثلاثة لا يطلب غير الله، لا جِنان ولا غيرها! قالت سيّدتنا رابعة العدوية رضي الله عنها وأرضاها: ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك، إلّا أنك إلٰه تستحق العبودية.

٣ - قال رسول الله ﷺ: «**قلوب الخلائق بين أصبعين من أصابع الرحمن،**

---

(١) مسند الشهاب (١/ ١٠٢)، برقم: (١١٩)، وينظر: كشف الخفاء (١/ ٤٠١).
(٢) مسند أبي يعلى (٥/ ١٦٥).
(٣) صحيح ابن حبان (٤/ ٥٩٢) برقم: (١٦٩٤).

يقلّبها كيف يشاء»[(١)]. قال رضي الله عنه: يعني من رحمة إلى رحمة، ولكن أي قلب؟ قلب الطيب التقي النقي الّذي لا يخطر له سيئات.

٤ - قال رسول الله ﷺ: «**من يُرِد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[(٢)]. قال رضي الله عنه: أكثر ما نفهم الآن أنَّ الفقه في الدين: هو الفروع، لا! هذا غلط، الفقه هو الفهم.

٥ - قال رسول الله ﷺ: «**نُصِرْتُ بالرعب من مسيرة شهر**»[(٣)]. قال رضي الله عنه: إذا خاف الإنسان من الله حق المخافة، وعمل بما أمره الله، لا بدّ أن يهابه الكبار والصغار، حتى الملوك تهابه! وهو لا يهاب إلّا الله سبحانه وتعالى، لكن هذا لا يعمل مخالفة البتّة «لا يخافنّ أحدكم إلّا ذنبه»[(٤)].

٦ - قال رسول الله ﷺ: «**سيّد القوم خادمهم**»[(٥)]. قال رضي الله عنه: يخدم السيّد سيادته، فإذا أردت أن أكون سيّداً، وهذا فقير، فتركته! وذاك جائع أو مريض وتركته! فعلى من أكون سيّداً؟ على الهواء؟ لا! فأنا أحفظ سيادتي، هذا جوعان أطعمه، وهذا عطشان أسقيه، وذاك مريض أداويه وأعطيه.. كلٌّ على حسبه هذا هو السيّد، ولا يرى نفسه سيّداً؛ بل يرى نفسه خادماً كما قال ﷺ: «**سيّد القوم خادمهم**»

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٥) برقم: (٢٦٥٤).
(٢) صحيح مسلم (٢/ ٧١٨) برقم: (١٠٣٧).
(٣) صحيح البخاري (١/ ١٢٨) برقم: (٣٢٨).
(٤) من المأثورات عن سيّدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ينظر: كنز العمال (١٦/ ٢٢٦).
(٥) فيض القدير: (٤/ ١٢٢).

الناس تنام وهو لا ينام! يفكر بزيد وعمرو وبكر أين راحوا؟ يذهب بنفسه إلى البيوت يبحث ليعطيهم هذا هو السيّد.

٧ - قال رسول الله ﷺ: «**كان الله ولا شيء معه**»(١) وهو الآن على ما عليه كان، هذا مُدْرَجٌ في الحديث لسيّدنا الجنيد وهو الآن على ما عليه كان، الحق سبحانه وتعالى من حيث كونه خلّاقاً موجوداً، ما كان يوم لم يكن فيه الله.

٨ - قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيّد ولد آدم ولا فخر**»(٢). أي: لا أقولها افتخاراً بل أمراً، الحق أمرني بها.

٩ - قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علماً يقرّبني إلى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم**»(٣). هنا جملة إنشائية أم خبرية؟ الأوْلى أن تكون خبرية أحسن من أن تكون إنشائية، وإن كنت أخالف العالم كلّه! أنا أقول: خبرية، يعني أن الإنسان إذا جاء يوم ولم يزدد فيه علماً يقرِّبه إلى الله فهذا اليوم ليس مباركاً عنده، ليس لا بارَكَ، لا! هذه واللهِ لا يقولها الرسول ﷺ لكنها إخبار.

١٠ - قال أنس ﷺ: (خدمْتُ النبيّ ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفّ قطّ، ولا قال لشيء صنعتُه لِمَ صنعتَه)(٤).. لا! هذا مدح لسيّدنا أنس ﷺ، ليس مدحاً لسيّدنا محمّد ﷺ، سيّدنا محمّد معلِّم مشرِّع

---

(١) ينظر: كشف الخفاء (٢/ ١٣١).
(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٢) برقم: (٢٢٧٨)
(٣) المعجم الأوسط للطبراني (٦/ ٣٦٧) برقم: (٦٦٣٦).
(٤) صحيح مسلم (٤/ ١٨٠٤) برقم: (٢٣٠٩).

مهذِّب مؤدِّب، لا يمكن أن يرى شيئاً مخالفاً ويسكت عنه أبداً أبداً، كل أهل الكمال هكذا، نعم: الأولى صحيحة، أما الباقون: عبده، زوجته، أخته، أمّه.. إذا عملوا مخالفة فهل يسكت؟ يمكن أن يسكت عن شيء من المباحات؟ اللهم صحيح، ذاتيتهُ شخصيتهُ غير فظّ قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] سيّدنا أنس ليس خادماً مثل الخدّام، وإنما مريد للرسول ﷺ وأي مريد، افهموا! ونساء الرسول ﷺ لسن مثل النساء هذه: لابسة قصيراً.. تضع بوجهها.. وهذه تضع بفمها أحمر..! نساء الرسول ﷺ لا توجد عندهن أبداً مخالفة شرعية؛ لذلك تظهر أخلاقه الكاملة معهن، أما لو يدخل ويجد واحدة لابسة قصيراً أو واضعة على وجهها أحمر ويسكت؟ لا لا.. الرسول ﷺ غير ذلك، الرسول ﷺ ليس خائناً أبداً البتّة، سيّدنا أنس مريد، وأي مريد؟ مريد عند رسول الله ﷺ، لا تظنوا أنه خادم مثل الخدّام، مريد؛ لأنّه ما عمل مخالفة، والمريد الصادق يدخل في قلب الشيخ ويأخذ من قلب الشيخ كل ما بقلبه.

١١ - قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الله وأجملوا في الطلب**»(١). أولادي، إذا أردتم أن تطلبوا من الله لا تطلبوا الشيء المخصص المعيَّن؛ فقد يضرّكم! قد يكون فيه الضرر، اطلبوا (اللّهم إنّا نسألك العفو والعافية) يعْطكم فوق ما تريدون، يعطكم الحفظ الإلٰهي، والستر، والرضا.

---

(١) المستدرك على الصحيحين: (٤/ ٣٦١) برقم: (٥٥٦).

١٢ - قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب أن تُؤتَى رخصُهُ كَمَا يُحبُّ أن تُؤتَى عزائمُهُ**»(١). هذا للضعيف، أنا ما أتيت بالرخص إلّا إذا كنت لا أقدر فهذا بحث آخر؛ صارت بالنسبة لي عزيمة لا رخصة! بعض الناس يتتبعون الرخص، هؤلاء كذّابون! الحق أعطاني القوّة وأمرني.. ففي أوقات أسافر ولا أقصر أبداً، لماذا أقصر؟ وأنا راكب السيّارة أو الطيّارة لا أقصر ولا أفطر، أما إذا كان في السفر مشقّة فأفطر وأقصر في بعض الأوقات.. لا نتبع الرخص، وهكذا لا بدّ أن تكونوا، أنا ما تتبعتُ الرخص، أعمل بالعزائم دائماً، والآن ما أعمل إلّا العزائم لأن الله أعطاني القوّة.. كثير من الناس يتتبعون الرخص، قلنا لهم: يا أخي الرخص وجدت للضعفاء، لا للأقوياء! إذا كنتُ رائحاً إلى الشام، لماذا أفطر؟ وأنا راكب سيّارة أو طيّارة، يجوز الفطر ولكن لماذا أفطر؟ فإذا صرت في ضرورة أقصر وأجمع، الرخصة وجدت للضعفاء ما وجدت للأقوياء.

١٣ - قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنّة**»(٢). من أحصاها: لا من حفظها، أي من عمل بها وتخلق، وتحقق، فصار حقيقة الأسماء الحسنى، يشهد أنه عبد الله، تخلق وتحقق فصار حقيقة الأسماء الحسنى فدخل جنّة الذّات؛ لأن الجنّة جنّتان ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦] جنّة الذّات وجنّة الشهوات، وجنّة الذّات أعلى.

---

(١) صحيح ابن حبان: (٢/ ٦٩) برقم: (٣٥٤).
(٢) صحيح البخاري: (٢/ ٩٨١) برقم: (٢٥٨٥).

١٤ - قال رسول الله ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً»[١]. الفقر الّذي كاد أن يكون كفراً هو الفقر المادّي المصحوب بفقر القلب، أما الفقر المادّي المصحوب بغنى القلب فصاحبه غني من الأغنياء؛ لأنّه غني بالله، وعليه كان صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه وأكابر الصحابة من الّذين لا يملكون مالاً وهم أغنى العالم بقلوبهم.

١٥ - قال رسول الله ﷺ: «**إن لكلِّ آية من كتاب الله ظاهراً وباطناً، وحدًّا ومطلعاً**»[٢] فمثلاً قوله تعالى:

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] هؤلاء رجال الظاهر.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] هؤلاء رجال الباطن.

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧] رجال الحدّ.

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٥] رجال المطلع.

فهذه إذا قلتها للعالِم الظاهر يقول لك: من أين أتيتَ بهذا؟! لا خبر عندهم إلّا في الصورة!

١٦ - قال رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**»[٣]. أهل الاتباع. وقال رسول الله ﷺ: «**يُحشَر المرء مع من أحب**»[٤] أهل المحبة فقط.

(١) مسند الشهاب (١/ ٣٤٢) برقم: (٥٨٦).
(٢) صحيح ابن حبان بلفظ: (أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن) (١/ ٢٧٦) برقم: (٧٥).
(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٤) برقم: (٢٦٤٠).
(٤) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٢) برقم: (٢٦٣٩).

17 - قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه**»(١). كلُّ مولود يولد على فطرة التوحيد، وإنما المأمور به هو كلمة التوحيد، والتوحيد معه، كل مولود يولد على الفطرة مسلماً كان أو كافراً، والمخالفات تحول بين الإنسان وفطرته.

18 - قال رسول الله ﷺ: «**عَلِمْتُ عِلْمَ الأولين والآخرين**»(٢). لماذا؟ لأنّه كلّه نور، ومن أسمائه نور، وكان رسول الله ﷺ إذا مشى ليس له ظل، وكان يرى من أمامه ومن خلفه.

19 - قال رسول الله ﷺ: «**أوَّلُ ما خلق الله نور نبيك يا جابر**». لا توجد في الوجود ذرّة إلّا وأصلها من النبيّ ﷺ.

20 - قال رسول الله ﷺ: «**إني رُزقت حبها**»(٣). أي خديجة حب الشيخ الصادق لمريده.

21 - قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب..**»(٤). من عادى الولي، وهو يعلم أنه ولي فقد كفر! وأما من عاداه، وهو لا يعلم، فقد آذنه الله بالحرب، لماذا؟ أين نور الإيمان؟ كيف لم يعلم أنه ولي؟.

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٤٦٥) برقم: (١٣١٩).
(٢) سنن الترمذي ٣٢٣٤ (٥/ ٣٦٧) بلفظ آخر مقارب.
(٣) صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٨) برقم: (٢٤٣٥).
(٤) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٨٤) برقم: (٦١٣٧).

22 - قال رسول الله ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنيّات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى**»[١]. الحديث مرتبتان: مرتبة عمل، ومرتبة نيّة بلا عمل، (إنّما الأعمال بالنيّات) إنْ كانَ عملٌ، (وإنّما لكلِّ امرئ ما نوى) إن لم يكن عمل، العمل له، والنيّة لك، قال رسول الله ﷺ: «**إنّما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل امرئ ما نوى**» من ينوي النيّة الحسنة؟ الّذي قلبه طاهر.

23- قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلقَ آدمَ على صورته**»[٢]. وفي رواية: على صورة الرحمٰن أي أعطى آدم عليه السلام الصفات السبعة وهي صفات المعاني، وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، لكن صفات الله قديمة أزلية، وصفات آدم وذرّيته حادثة جديدة قابلة للعدم.

٢٤ - الحديث: «**اتقِّ شرَّ من أحسنت إليه**»[٣]. أي إن كان لئيماً، الناس يقولون عن هذا الحديث: ضعيف، وأنا أقول: المعنى صحيح، يكاد يكون آية! لكن الناس لا تفهم، الحديث معناه: أعطِ واتّقِ؛ لأنَّ الكريم إذا أكرمته ملكتَه، واللئيم إذا أكرمته تمرد، وقد تظهر نيّتك في العطاء عند الابتلاء، فيسلَّط عليك فإن كنتَ أعطيتَه لله فلا تخشَ من الابتلاء الّذي سيأتيك، لأنَّك أعطيته لله، لا لغرض، أمّا إذا أعطيتَه لغرض فإنه بمجرد ما ترى منه صدوداً عنك أو كلاماً فيك

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٣) برقم: (١).
(٢) صحيح مسلم (١/ ١٥٩) برقم: (٢٦١٢).
(٣) كشف الخفاء (١/ ٤٣).

فإن النفس هنا تقوم وتتكلّم وتقول: أنا أعطيتك! وتقابلني بالإساءة؟ هذا ليس من الإنصاف!

٢٥ - قال رسول الله ﷺ: «**خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**»(١). قال رضي الله عنه: وهل يفقه إلّا الخيار؟

٢٦ - قال رسول الله ﷺ: «**تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي**»(٢). عندما يعبر المؤمن على الصراط يتأنّى في مشيته ليطفئ لهبها بنوره ورحمته! فتقول له النار: جزْ يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي(٣) وهو لا يسمع شكايتها، بل تأخذه الرحمة، وكلَّما كان المؤمن أكبرَ منزلةً عند الله كانت رحمتُه أوسعَ.

---

(١) صحيح البخاري برقم: (٣١٩٤) (٣/ ١٢٣٥).
(٢) المعجم الكبير للطبراني (٢٢/ ٢٥٨). برقم: (٦٦٨).
(٣) المعجم الكبير للطبراني (٢٢/ ٢٥٨) برقم: (٦٦٧).

الفصل الثاني

الإسلام والصوفي والصوفية

وفيه:

- أولاً: الإسلام ومراتبه.
- ثانياً: الصوفية أهل الله.
- ثالثاً: دولة أهل الله.
- رابعاً: العارف بالله.

الإسلام ومراتبه

قال ﷺ: الإسلام نور إلٰهي جامع الكمالات كلّها، الإسلام كلّه عزّ وهيمنة وكمالات، الدماغ لا يجمع إسلاماً وضعفاً، الإسلام مظهر الإيمان، وإلّا كان إسلام المنافقين ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]. دين الإسلام لا يحمله إلّا ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. الإيمان بمقدار الشخصية، الإيمان هو الاعتقاد، الدافع للعمل يكون اعتقاداً، لا يصح الإسلام قبله، يكون منافقاً، بخلاف بين روايتي البخاري ومسلم.

قال ﷺ: إسلام، إيمان، إحسان، على قول سيّدنا مسلم[(١)]. إيمان، إسلام، إحسان، على قول سيّدنا البخاري[(٢)]. والحق مع سيّدنا البخاري!

الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، هذه مرتبة لغير الكاملين بل للعموم، أما مرتبة الأفراد فإن لم تكن.. تره[(٣)].

إذا أردت أن تعرف الإسلام الصحيح فجالسْ أهل اليقين.

---

(١) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوني». فهابوا أن يسألوه، فجاء رجل: فجلس عند ركبتيه فقال: يا رسول الله، ما الإسلام؟.. إلى أن قال: ما الإيمان؟.. إلى أن قال: يا رسول الله ما الإحسان؟.. الحديث. صحيح مسلم برقم: (٩) (١/ ٣٩).

(٢) عن أبي هريرة ﷺ قال: كان النبيّ ﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟.. إلى أن قال: ما الإسلام؟.. إلى أن قال: ما الإحسان؟.. الحديث، صحيح البخاري برقم: (٤٤٩٩) (٤/ ١٧٩٣).

(٣) (فإن لم تكن) أي: إن لم تكن لك إرادة غير إرادة الله تعالى ولا وجود معه سبحانه وتعالى.

الدين مركوز على ثلاثة أركان: إيمان وإسلام وإحسان، فأكثر الناس لا يعرفون الإحسان! الإحسان مرتبة شهود، وأقلّ درجاته أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، وفي رواية فإنْ لم تكنْ، تره، وهذا هو الأصل؛ لأنّه لا وجود مع الله سبحانه وتعالى، ما في الوجود إلّا واجب الوجود.

الإيمان غير الإسلام، الإسلام عمل ظاهري، الإيمان مرتبة قلبية وهي الاعتقاد في الإنسان.

الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشرّه من الله، خلقاً لا عملاً! وهكذا، فالإيمان مرتبة قلبية.

الإسلام أن تتخلق بما تخلّق به رسول الله ﷺ، ثمّ تعتقد أن الله أمرك بذلك ليس من عند نفسك ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [النساء: ٧٨].

الحق سبحانه وتعالى ما سلّم الأمور لغيره أبداً، لا جبريل ولا ميكائيل ولا إسرافيل ولا لنبي ولا رسول. .كلّهم عبيد، أعطاهم قانوناً إلٰهياً الّذي قال عنه الحق عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]. هذا القانون الباقي، لا تخمنوه - أي لا تظنّوه - قد نقص، الإسلام ما نزل من أوجه ذرّة! لا والله، أنتَ نزلتَ! الإسلام له حَمَلَةٌ يحملونه ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ما سُدنا في الوجود إلّا بالإيمان! وما أعزّنا الله إلّا بالإيمان.

دين الإسلام دين كمال، يجذب القلب، أنا جذب قلبي.

الّذي بمرتبة الإحسان لا يخطر له الحقد والبغض أبداً.

الإسلام لا يحب المسلمين الموجودين الآن على هذه الحالة! ولا يتعرف إليهم يوم القيامة، بل يبرأ منهم إلى الله، حيث إنهم نبذوه وراء ظهورهم.

كما أن العلم لا يحب العلماء الموجودين على هذه الصفة، ويبرأ إلى الله منهم ولا يتعرف إليهم؛ لأنّهم انشغلوا بالشهادات والوظائف والتملُّق للحكّام والخوف منهم، بدل الخشية والعمل بعلمهم، وهو الانصراف لهداية الناس بعد الانصراف لهداية أنفسهم وأهليهم، والعلماء في زماننا أصبحوا حجّةً وعاراً على العلم، تصدر عنهم الرذائل وأولادهم وأهلوهم كسائر الناس بل أشدّ انحرافاً عن الدين، ولا يُرى عليهم أو في بيوتهم أثر للفضيلة، إن الله لا ينظر إلى صوركم(١).

الإسلام لا يحمله إلّا صاحب الشخصية؛ لأن القرآن لم يحمله إلّا سيّدنا محمّد ﷺ حينذاك تعلم أن الخلق عيال الله، وأنَّ الغصن منها وإن مال، فينبغي أن ترحم المخلوقات وتدعو لعدوّك، تأدّبْ حتى تكون مؤدِّباً، أحسن حتى تكون محسناً، النعمة والنقمة رسمها واحد، إذا أعطاك مالاً أو جاهاً أو غير ذلك، فعملت بها في المعاصي كانت نقمة، وبالعكس، حتى الأرض التي تطؤها لا تبرح عنها حتى تصلّي أو تذكر الله فيها، اخدم نفسك بنفسك، تلطفْ بنفسك.

(١) رواه مسلم (٤/ ١٩٨٦) برقم: (٢٥٦٤).

الصوفية أهل الله

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الدين مركوز على ثلاث حقائق: إسلام، إيمان، إحسان، والصوفية لم يزيدوا شيئاً في الدين سوى أنهم طبقوا مراتبه الثلاث، إذ هم في مرتبة الإحسان على الإطلاق، وعالمهم عالم الإحسان، وهم أهل الصفاء الّذين اصطفاهم الله لنفسه.

والصوفي لا يعمل عملاً إلّا لله تعالى، ويشهد أن العامل هو الله، فلا ينسب لنفسه شيئاً بل يقول: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الجمعة: ٤] يدلّ على الله تعالى بالكمالات التي أعطاه الله إياها.

مرتبة الصوفية أهل الزبدة أهل الصفوة الربانيين؛ مرتبة الشهود، يشهدون الله، يشهدون الرسول ﷺ، يشهدون الملائكة، يشهدون الآخرة بعيني القلب.

الصوفية هم أهل الصفاء، الّذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى من خلقه للخالق وللخلق أجمعين.

الصوفي هو الوارث المحمّدي من كل الوجوه، هو الّذي تخلق بأخلاق رسول الله ﷺ وهذا مرتبته الإحسان، لا يعمل مخالفةً ولا خلاف الأولى، والناس حين يتكلّمون على الصوفية معذورون! يظنونّ بأن الصوفية هم هؤلاء المتصوفة الكسولون، لا! فصوفي كسول وصوفي بخيل وصوفي جبان وصوفي وضيع: ما وجد في الوجود(١).

---

(١) المدّعون من المتصوفة: جَهَلَةٌ ثقلاء، وعلى الصوفية دُخَلاء، لا قدم لهم في السلوك ولا مرتبة لهم في الولاية، يخيّل لمن يحسن الظن بهم أول وهلة، أنهم أهل معرفة وتحقيق، =

الصوفي هو الزاهد في الدنيا، وليس عنده كسل.

شيخ الصوفية سيّدنا محمّد ﷺ أهل الصفّة موجودون، وأهل الصفّة هم الصوفية حقّاً، الصادقون حقّاً هم الكرماء هم الشجعان هم هم..

الصوفية بمرتبة الإحسان، آيتهم في القرآن ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٢] أنت آيتك في القرآن ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

الصوفي وارث المصطفى ﷺ، الصوفي لا يحب الدنيا ولا يحب الآخرة، لا يحب إلّا المولى جلّ جلاله، لكنه يعمل، أمره أن يعمل بالدنيا

= حتى إذا انجلت حقيقتهم وظهرت الزخرفة والتلفيق؛ وجدهم سراباً في سراب، لا همّ لهم إلّا ملء بطونهم وإشباع رغباتهم، يتفنّنون بالسحر والشعوذة واستخدام الشياطين ومخالطة النساء، أقاموا على أتباعهم مشيخات، وألجؤوا تلاميذهم إلى تسليم مطلق وطاعة عمياء واعتقادات، يخوّفون بها من خالفهم بالقطيعة والوقيعة، ويسبغون المراتب والدرجات لكل مطيع لهم ومطيعة، وبينهم وبين علماء الشريعة عداء، لبعدهم عن الاتّباع كبعد الأرض عن السماء، يتحدثون بحقائق ما ذاقوا لها طعماً ولا عرفوا لها معنىً، جُلُّ اهتمامهم بالرؤى المصطنعة وخوارق العادات المتنوعة، بينهم وبين الولاية والمعرفة ما بين الفجر الكاذب والصادق، إذا عاشرهم محب لأهل الله انتحب أسفاً، وإذا عاينهم مبغض أنفذ سهامه إلى الصوفية تعسفاً، والصوفية منهم براء، فهم فراعنة في ادّعائهم، وقطّاع طرق في براقعهم، وهم أخطر على أهل الله من الأعداء. المدّعي: ينفي الكل ليثبت نفسه، ويجمع حوله المريدين ليتزعم عليهم، وشتان ما بينه وبين المرشدين الصادقين المنصفين الذين يعطون كل ذي حق حقه، ويجمعون المريدين لتعريفهم على الله تعالى، بالقول والفعل والحال والخُلُق، ومنهم من أخذها وراثة عن أبيه أو جدّه! وهو لا يستحقها، والمريدون يتعصبون له ولو كان فاسقاً أو فاجراً بحجة احترام الطريقة أو السلسلة، ولو سألت أحدهم: ما هي مرتكزات طريقتك؟ لم يجبك إلّا ببعض الخوارق أو الرؤى! وربّما يكون المدّعي ذا صلة بالجنّ! وإنك لتدخل أحياناً زاوية تظنّها لمجالس ذكر فإذا وقفت وحققت وجدتها للفرعنة أو لعمل السحر والشعوذة، لكن حبل أولئك قصير فالمدّعي مفضوح ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢]. المؤلف.

وأمَرَهُ أن يعمل للآخرة، يعمل كما أُمر، صوفي وكسول ما وُجد، صوفي وشارب سيكارة ما وُجد! صوفي وينتقم لنفسه ما وجد.. واللهِ ما عرفوا الصوفية ولا يفهمونهم، حكى لي واحد: أن فلاناً يحكي على الصوفية، فردّ عليه، قلت له: رح وقل له: الشيخ صار عنده خبر أنت تحكي على الصوفية.. قال: أنا لا أحكي على الشيخ النّبهاني، الشيخ النّبهاني صادق في الأرض وفي السماء، أنا أحكي على الشيخ الفلاني!! قلنا له: رح قل له: طهّر لسانك من كلمة الصوفية أما على المتصوفة فلا يوجد مانع!.. الصوفي الحقيقي متخلق بأخلاق رسول الله ﷺ ولا يقع منه مخالفة! ولا يمكن أن يعمل خلاف الأولى أبداً، الصوفية أهل الكمال، هؤلاء يدلّوننا على الله بكمالاتهم، يدلّون على الكمالات التي أعطاهم إياها الله جلّ جلاله؛ لأن قلوبهم طاهرة ونفوسهم مزكّاة، الكمال يحملونه ويضعونه في محله، والناس لمّا تراهم تنجذب إليهم، شاؤوا أو أبوا يأتون إلى الإسلام.. واحد من إخواني عالم كبير، قبل سنتين جاءَني وقال لي: يا أخي عندما وضعت رجليّ على درج الكلتاوية وجدت عالم صفاء، قلت له: صدقت يا أخي، الكلتاوية صفاء، حقيقةً بقعة من بقع الحضرة الإلٰهية، هذا السبب، فقط تريد أهلها تريد أربابها، كثير من الناس يروحون إلى الرسول ﷺ والكعبة ولا يعطونها حقّها، القضيّة ليست بالصورة، لا تغتابوا أحداً، ولا تنمّوا على أحدٍ، ولا تنتقموا من أحد، ولا تحكوا على أحد، ولا تكذبوا.. ما أجمل هذا! هذا دين الإسلام، الدين الّذي أتى به سيّدنا محمّد ﷺ هذا هو بعينه لا غيره، غيره ليس دين الإسلام.

الولي مؤمن، مستقيم، نفسه مطمئنة، والأولياء ما وصلوا إلى الله تعالى بالعمل، بل بالاختصاص والأدب!

وهم على قسمين: ذاتيون وصفاتيون.

فالذاتيّون: كالشيخ عبد القادر الجيلاني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والشيخ أحمد الرفاعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [(١)].

من الأولياء شمّام: يشمّ الرائحة من مسافة بعيدة، ومنهم سمّاع: يسمع الكلام من مسافة بعيدة، ومنهم بصّار: يبصر ولو من وراء جبل قاف، ومنهم: من لا يتكلّم أبداً، ومنهم: من يتكلّم في الليل ويسكت في النهار، وبالعكس، ومنهم: من إذا ذكر الولي أو الصحابي يمرّون عليه فيراهم، ومنهم: العارف، وتجتمع فيه هذه المراتب ولكنه يلجأ إلى المرتبة العليا، التي هي العبدية، فيكون ظاهره الشريعة، ولا يُرى عليه أثر الكشف.

من الأولياء قوم اختصهم الله تعالى لخدمته، وقوم اختصهم لمحبته، والعارف المحقق: ظاهره الخدمة، وباطنه المحبة.

الولي الكبير لا يقدر أن يرفع يده عن رجله إلّا بإذن الله.

أهل الله قلوبهم مربوطة بالحضرة الإلٰهية، معلّقون بالقديم لا بالفاني، فهم أهل صفاء ونور وتحقيق وشوق وحب وعرفان، وهم يشهدون الحضرة الإلٰهية، الحضرة المطلقة، ويعتقدون بوجود الناس، أما الناس فيعتقدون بوجود الحضرة الإلٰهية ويشهدون أنفسهم!

أهل الله باطنهم فيه الرحمة، وهم الوارثون لآية ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

---

(١) ولم يمثل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للصفاتيين.

والدليل الكامل عندهم: تخلّقهم بالأخلاق وتحكُّمهم بأنفسهم وطبائعهم.

أهل الله لهم رائحة مسكية، ودائماً رائحتهم طيبة، وحياتهم طيّبة.

أهل الله عندهم الصوم والإفطار والقيام والنوم شيء واحد، أمرهم الله بالصوم فصاموا، وبالإفطار فأفطروا، وأمرهم بالقيام فقاموا، وبالنوم فناموا.

أهل الله الكمّل لا يعملون على الناس مشيخةً، بل يكونون ناصحين مبينين، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

أهل الله يلقّحون بنظرهم وبصورهم وبأحوالهم من كان عنده طلب أو وجهة.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] لا يخافون على أحبائهم، ولا يحزنون على أصحابهم الّذين يعتقدون بهم، أي من كان على حبهم وعقيدتهم.

كل الناس خيال، إلّا أهل الله!

الكامل في الوجود قليل جداً.

الّذي يصحب أهل الله يتنقى ويتلطَّف.

الأولياء منهم رجال، ومنهم نساء.

الصالحون: محفوظون عند الله.

أهل الله يُميَّزون عن غيرهم بالرضا.

أهل الله يشهدون الأمور كما هي عليها، أهل الله كلّهم رحمة.

شأن الكمّل من أهل الله أن لا يدعون، إلّا إذا طلب منهم أحد أو ذكرهم.

أهل الله قلوبهم مربوطة بالحضرة الإلٰهية، كالعربة المربوطة بالقطار.

الأولياء يأخذون من أدب الرسول ﷺ.

الولي: رحمة ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥].

من أراد أن يصير ولياً فسيبتليه الباري.

علامة الولي: إذا رؤي ذكر الله، وهو قوي لا تأخذه في الله لومة لائم.

أهل الله باطنهم فيه الرحمة.

لا يذوق أسماء الله إلّا أهل الله.

الكامل لا يعمل للثواب.

الدليل الكامل عند أهل الله تخلّقهم، وتحكُّمهم في الأخلاق وتحكُّمهم بأنفسهم.

أهل الله يقلبون العادات إلى عبادات بالنيّة.

أهل الله لا يشهدون العمل؛ لأن الله خلقهم وما يعملون، لكن الله سبحانه أدّبهم فأحسن تأديبهم.

عند أهل الله: الّذي يبوح بالسرّ يُباح دمه.

إذا لم تصحب أهل الله، لو أوتيت علوم الأولين والآخرين وعبادة الأولين والآخرين، لا تفيدك شيئاً، بل تعطيك عُجْباً، تعطيك كِبْراً، ترى حالك مليحاً، ترى حالك أحسن من غيرك.

من أراد الخير كلّه فليجتمع مع أهل الله الصادقين.

الأولياء أقسام: منهم من يعرف نفسه، ومنهم من لا يعرف نفسه بأنه ولي، وقسم منهم موظف، وقسم منهم غير موظف، وأنا والحمد لله مطلق.

أهل الله عندهم الكبير هو خادم الصغير، لا الصغير هو خادم الكبير، الصغير لا يقدر أن يخدم الكبير، الكبير يخدم، ما وجدت عالماً يوماً من الأيام خدم عارفاً، أما العارف فيخدم العالم.

أهل الله كلّهم عندهم الرحمة والعبدية، هم أرحم الناس بالناس.

المعدة المريضة لا يمكن أن تقبل الأكلات الغليظة، كذلك كلام أهل الله لا تحمله القلوب المحشوة بحب الدنيا والأولاد والزوجات والزعامات والوظائف؛ لأنّها مملوءة بالأغراض.

أهل الله دوماً حياتهم طيبة ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [النحل: ٩٧]؛ لأنّهم متعلقون بالباقي لا بالفاني، فإذا تعلق بابنه فإنه يموت، وإذا تعلق بزوجته فإنها تموت، وإذا تعلق بدراهمه فإنها تذهب وتفنى. أهل الله يفرحون بالباقي لا بالفاني.

دولة أهل الله

الأصل الحقيقي عددهم سبعة، أحد السبعة اسمه الغوث، هؤلاء موجودون الآن، والّذي عنده قلب طيب طاهر يجتمع بهم، لهم اجتماعات خاصة، هم يديرون المملكة وليس غيرهم، تحت يد الغوث اثنان اسمهما:

الإمامان (يعني وزيرَيه) لكن الغريب فيهم أن وزير الميسرة أعلى من وزير الميمنة، نحن عندنا بالعكس الميمنة أعلى من الميسرة؛ لأنّهما إذا وقفا أمامنا: اليمين يصير مقابل اليسار واليسار مقابل اليمين.. الوزراء اثنان، والأربعة منهم أوتاد، كل واحد منهم ماسكٌ ربع العالم، هؤلاء الأوتاد أعلى من الأبدال، الأوتاد أربعة، والإمامان اثنان، والغوث واحد لا يوجد غيره، الأبدال قسمان: قسم منهم تتغير صفاتهم وهذا عندنا الأثبت وقسم آخر موظفون أهل وظيفة، الّذي يهمنا الإنسان تتغير صفاته ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ والحق يقول لسيّد الوجود ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤] فالإنسان لا يمكن أن يزداد علماً إذا بقي على ما هو عليه، لا بدّ من التطهير، والتطهير هو بالابتلاءات وهذه تخافون منها وتنهزمون!.الابتلاءات لا يوجد أجمل ولا أكمل منها للسالك إلى الله سبحانه وتعالى، فالأبدال الّذين نعنيهم الّذين تتغير صفاتهم، والسالك ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [يونس: ٦٤]. البشرى من نفسه لا من غيره، البشرى هي الرؤيا يراها المسلم أو تُرى له، يراها المسلم أي يذوقها بذاته.

البدل قبل أن يصير بدلاً لا بدّ أن تتغير أخلاقه، لا بدّ من هذا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: ٧٠] بعدها يصير سيّدهم، سيّد الأبدال: الغوث، موظف مثل رئيس الجمهورية.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «**بدلاء أمتي أربعون، اثنان وعشرون في الشام، وثمانية عشر في العراق**» - هذه بعض الروايات - «**كلما مات واحد أبدل الله مكانه آخر، فإذا جاء الأمر يوم القيامة قُبضوا**»(١) يُقبضون

(١) كنز العمال (١٢/ ٣٤٥) برقم: (٣٤٦١٠).

قبل يوم القيامة بشيء قليل حتى يمسكها المجاذيب وتصير فوضى حتى تقوم الساعة!

وعن عبد الله بن مسعود ﵁: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تعالى في الأرض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم، وله أربعون قلوبهم على قلب موسى، وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم، وله خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل، وله واحد قلبه على قلب إسرافيل، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة، وإذا مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة، وإذا مات واحد من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة، وإذا مات واحد من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين، وإذا مات واحد من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة، وإذا مات واحد من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامّة، يدفع الله بهم البلاء عن هذه الأمّة**»(١) هذه رواية، وروي عن أبي الزناد ﵁ أنه قال لما ذهبت النبوة وكانوا أوتاد الأرض أخلف الله مكانهم أربعين رجلاً من أمّة محمد ﷺ يقال لهم الابدال لا يموت الرجل منهم حتى ينشىء الله عز وجل مكانه آخر يخلفه وهم أوتاد الأرض قلوب ثلاثين منهم على مثل يقين إبراهيم لم يفضلوا الناس بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام ولا بحسن التخشع ولا بحسن الجبلة ولكن بصدق الورع وحسن النيه وسلامة القلوب والنصيحة لجميع المسلمين ابتغاء مرضاة الله بصبر وخير ولب حليم وتواضع في غير مذلة وأعلم أنهم لا يلعنون شيئاً ولا يؤذون أحداً ولا يتطاولون على أحد تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون احداً فوقهم ليسوا متخشعين ولا متماوتين

(١) حلية الأولياء (١/ ٩) وينظر: كتاب الفردوس بمأثور الخطاب برقم: (٧٠٣) (١/ ١٨٧).

ولا معجبين ولا يحبون الدنيا ولا يحبون للدنيا ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة(١)، حتى تفهموا إذا ادّعى أحد أنه ولي، واعلموا أنهم لا يسبّون شيئاً ولا يلعنونه، ولا يؤذون من يخونهم ولا يحقرونه، ولا يحسدون من فوقهم، هم أطيب الناس خيراً، وألينهم عريكة، وأسخاهم نفساً، لا تدركهم الخيل الجريُّ ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربّهم، إنما قلوبهم تصعد في السقوف العليا (السمٰوات) ارتياحاً إلى الله في استباق الخيرات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الشورى: ٢٢].

روى أبو الدرداء ﷺ قال: كنت مع رسول الله ﷺ، فقال: «**يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنّة**»، فقام رسول الله ﷺ إلى الصلاة قال أبو الدرداء ﷺ: فخرجت من ذلك الباب، فمضيت فنظرت هل أرى أحداً فلم أرَ أحداً، فدخلت فيه فقعدت إلى رسول الله ﷺ فقال: «**أما أنك لست به يا أبا الدرداء**»، ثم جاء رجل حبشي، فدخل من ذلك الباب وعليه جبة صوف فيها رقاع من أدَم رامٍ بطرفه إلى السماء، حتى قام على رسول الله ﷺ فسلّم عليه فقال: «كيف أنت يا هلال؟» فقال: بخير يا رسول الله جعلك الله بخير، فقال ﷺ: «**ادع لنا يا هلال واستغفر لنا**»، فقال: رضي الله عنك يا رسول الله وغفر لك، فقال أبو الدرداء: فقلت له استغفر لي يا هلال، فأعرض عني ثم عاودته الثانية، فأقبل على رسول الله ﷺ، ثم قال: أراض أنت عنه يا رسول الله؟ قال: «**نعم**»، قال: رضي الله عنك وغفر لك، ثم خرج وهو رامٍ بطرفه إلى السماء فقال أبو الدرداء: لقد رأيت عجباً يا رسول الله، لقد أقبل وهو رامٍ بطرفه إلى السماء وما يقلع، ثم خرج وهو

(١) كتاب الأولياء لابن أبي الدنيا برقم: (٥٧) (١/ ٢٧).

على ذلك، فقال ﷺ: «**لئن قلت ذاك إن قلبه لمعلق بالعرش، أما إنه لم يبق فيكم أكثر من ثلاثة أيام فأحصيت الأيام**»، فلما كان اليوم الثالث وصلّى رسول الله ﷺ الفجر خرج من المسجد، ونحن معه فخرج يؤم دار المغيرة ابن شعبة فلقي المغيرة خارجاً من داره فقال له: «**آجرك الله يا مغيرة**» قال: يا رسول الله، ما مات في دارنا الليلة أحد، قال: «**بلى، توفي هلال**»، فالتمسه رسول الله ﷺ فوجده في ناحية الدار في إصطبل له.. ساجداً ميْتاً، فأمر أصحابه فاحتملوه، فولي أمره رسول الله ﷺ بنفسه حتى دفن، ثم أقبل على أبي الدرداء فقال: «**يا أبا الدرداء، أما إنه أحد السبعة الذين بهم كانت تقوم الأرض وبهم كنتم تستقون المطر بل هو خيرهم**»[(١)].

وقال الحسن البصري رضي الله عنه: (لو لا الأبدال لخسفت الأرض بمن فيها! ولولا الصالحون لفسدت الأرض، ولولا العلماء لصار الناس مثل البهائم، ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضاً، ولولا الحمقى لخربت الأرض، ولولا الريح لأنتن ما بين السماء والأرض، الريح يأخذ من البحر المالح ويمر على أجسام الأرض حتى لا تتعفّن)، والبدل قبل أن يصير بدلاً لا بدّ أن تتبدل أخلاقه، لا بدّ منها ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]. الغوث موظف مثل رئيس الجمهورية، الفرد الذاتي لا يحكم عليه أحد، سيّدنا الشيخ عبدالقادر الكيلاني يقول:

ما زلتُ أرتع في ميادين الرضا
حتى بلغتُ مكانةً لا توهَبُ

---

(١) ينظر: نوادر الأصول في أحاديث الرسول: للحكيم الترمذي (٢/ ٩٧ - ٩٨).

هذه هي العبدية، وصلها سيّدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه في آخر عمره قبل ثلاثة أيام من وفاته، أما سيّدنا أحمد الرفاعي فمن أول قدم في السير، العبدية لا يوجد أعلى منها، وهي مرتبة الرسول ﷺ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] وليس الرضا أعلى المراتب، جرت عادة الله أن يزور الغوث وغيره هذا الشخص وهو لا يزور أحداً، يزورونه بالجسم والجسد، يزوره الأحياء والأموات.

العارف بالله تعالى

قال رضي الله عنه: المعرفة بالله هي التحقق بصدق العبودية.

المعرفة الإلٰهية لا لون لها، واللون للعارف[(١)]، وكذا الماء والقوّة الكهربائية.

ما وجد أحد في الوجود عرف ربّه إلّا بمعرفة نفسه، من عرف نفسه فقد عرف به[(٢)].

اعلم أن المعرفة قبلها محبة وبعدها محبة، فالمحبة التي قبلها تأتي من كثرة النوافل والتقوى والذكر والعبادة ومحبة الرسول ﷺ والاتباع، ورد في الحديث: «**وما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به وبصره الّذي يبصر به**»[(٣)].

---

(١) كأن يكون العارف بالله ذاتياً أو صفاتياً محققاً أو غير محقق.

(٢) كشف الخفاء (٢/ ١٥٢٩).

(٣) صحيح البخاري: (٥/ ٢٣٤٨) برقم: (٦١٣٧).

وهذه المحبة توصل صاحبها إلى المعرفة، وتسمى المحبة الأولى. والمعرفة توصل صاحبها إلى المحبة الثانية، بل تتولد منها، وتلك محبة الذات، التي ينال صاحبها بعدها مقام العبدية. ولا يوجد عارف غير محب، وقبل الحب لا يمكن أن توجد المعرفة، فالمعرفة إذاً بين حبين حب أول، وحب ثانٍ كما ذكرناه. والصدق مهيِّئ للمحبة الأولى، كما أن محبة المرشد توصل لها، وصاحب المحبة الأولى على خطر، فكثير ممّن وصل إليها، ثمّ رجع، ظنّ أنه وصل، وهو على خطر!.

والمعرفة قسمان: معرفة أولى يقال لصاحبها: عارف، ومعرفة ثانية محقق، ويقال لصاحبها: عارف محقق.

المعرفة في هذه الدنيا معرفة كاملة.

لا يمكن معرفة شيء إلّا بالنور الإلٰهي.

نحن خُلقنا للمعرفة الإلٰهية ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليعرفون، كما قال سيّدنا عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

إذا منّ الله عليه بالمرجع واعتقد بأنه مرجع: نجا وأخذ الأولى في العالم! نجح ولو كانت أعماله قليلة لأن أصل العمل الذي يعمله يقول: هذا من فضل الله عليّ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الجمعة: ٤] شاءني الله وجعلني أعمل.

ما في العلم ولا في المعرفة وقوف مهما رقى؛ لأن الله يقول: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

سبب المعرفة الإلٰهية التقوى، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

الله ينادي يوم القيامة يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]. أما العارف فيسمعها في كل نفس من أنفاسه!.

العارفون بالله يشهدون القرآن بلا زمان ولا مكان ولا جهة البتّة.

العارف ميزته لا يحكم عليه زمان ولا مكان ولا قبلية ولا بعدية، دائماً يشهد نفسه بالاضطرار، الحق ينادي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

العارف بالله لا يَبلى هذا باقٍ، لا حاجة أن يَبلى؛ لأنّه عرف الله سبحانه وتعالى، لا حاجة أن يَبلى حتى يتجدد من جديد.

العارف أول كل شيء زكّى نفسه، والأشياء الكمالية ينسبها إلى الله.

السعادة غير مربوطة بالمادّة والمال واللبس والمأكل والمشرب، لا لا! هناك سعادة مربوطة بالمعرفة بين العبد وربه، هذه معرفة ذوقية لا معرفة علمية جزئية، لا يعرفها إلّا الّذي ذاقها، من ذاق عرف..

الّذي له مرجع لا يخاف لو انطبقت عليه السمٰوات والأرضون كلّها بالابتلاءات لا يبالي؛ لها مصارف، مهما جاءه من أمطار تتصرف، لكن المصيبة كل المصيبة إذا كان يريد أن يسير لحاله، يعمل مجاهدة ورياضة، وبالنهاية إما أن يجنّ أو يذهب عقله أو يُصاب بشيء! وهذا أكيد أكيد، إياكم أن يعمل أحد بدون مرجع صادق أمين نزيه عفيف قوي تهابه الشياطين، وإذا كانت الشياطين لا تهابه يأخذونه ومرجعه!. أهل الله يكون الشيطان عندهم مثل البهلول المجنون الّذي يطقطَق له بالتنكات! الشيطان كيده ضعيف ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] يشهدون الشيطان

كالحرامي. المرجع لا يقف عند جهة؛ لأنّه روحاني، عالمه عالم الأمر، لا عالم الخلق عالم الكثافة، عالمه عالم اللطافة.

الإنسان الّذي عنده شيء من المعرفة حين يعطي المال للفقير يفرح أكثر من فرح الفقير؛ لأن الله أوجب عليه وأدّاه، حمل ثقيل كان يحمله فأنزله، وقبله منّا الآخر، يشهدون المعطي هو الله.

العارف عندما تأتي إليه يعرف حقيقتك من أولها لآخرها مكشوفة له!.

الإنسان لمَّا يصل لمرتبة المعرفة الإلٰهية لا يبقى بينه وبين الحضرة الإلٰهية لا موت ولا حياة ولا قبل ولا بعد، كل شيء ظاهر بلا تكلف.

العارف لا يرضى إلّا بالشريعة المنسوبة إلى الله، ولسانه لسان الشريعة، يعرف الحقيقة لكن لا يتكلّم إلّا بالشريعة.

لقاء الرب لا يكون في الدنيا إلّا للعارف فقط! غير العارف لا يكون إلّا بعد الموت، وبعد أن يموت الموت الطبيعي هناك يصل للحضرة الإلٰهية، أما العارف فلم يمت الموت الطبيعي الّذي تموته الدواب! وإنما الموت الإرادي وهذا هو المعتبر عند أهل الله، الموت الإرادي لا الموت الطبيعي، يموت هنا أربع موتات: الموت الأبيض: الجوع، الموت الأخضر: لبس المرقع، الموت الأحمر: مخالفة النفس، الموت الأسود: تَحمّلُ الأذى من الناس.

العالم بالنسبة للعارف كالطفل، والعارف بالنسبة للعارف المحقق كالطفل.

العارف مهما تكلّم فحاله أكبر من ذلك؛ لأجل ذلك صفاته كلّها كاملة ومهيمنة على العالم الأرضي وغير الأرضي.

الإنسان فيه الجسم والروح والسرّ، مرتبة السرّ هي الإحسان، ومقامه مقام الشهود، الإنسان عندما يتخلق بمراتب الإيمان والإسلام والإحسان يشهد الحضرة الإلٰهية، ويشهد كل شيء غيبي.

الولي رحمة ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] لا للدنيا لا للشمس لا للقمر، للعالمين مطلقاً، كذلك الأولياء! أمّا إذا سمعتم بولي يدعو على أحد فلا تصدقوه أبداً.

الفصل الثالث

شذرات من تحقيقاته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

ويحتوي على:

١. الوارد والخاطر.
٢. الحُزن والحزَن.
٣. خضت بحراً محمّدياً.
٤. محل الجنّة والنار.
٥. النيّة.
٦. الطلب من الله.
٧. السعادة والشقاوة.
٨. الإيمان يزيد وينقص.
٩. العبادة.
١٠. الروح.
١١. التجسد الروحي.
١٢. سيّدنا الخضر وسيّدنا إلياس عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
١٣. ليلة القدر.

١ - الوارد والخاطر

قال رَضِيَ الله عنه : الوارد والخاطر شيء واحد، إلّا أن الوارد يأتي من الورد، والخاطر يأتي بعد التفكر وغيره، السالك الفطري إذا كان غير متفقه وليس له مرجع فإنه ينسب جميع الواردات إلى الله تعالى، مع كون الوارد ينقسم إلى أربعة أقسام:

١. ملكي ٢. رحماني ٣. نفساني ٤. شيطاني.

معرفتها وتمييزها:

الوارد الّذي يدعو إلى الحرام والمكروه وخلاف الأولى فهو من الشيطان.

والوارد الّذي يدعو إلى أداء فريضة أو سنّة أو نفل فهو ملكي.

أما النفساني فيأمر بالمباحات والملذّات والشهوات ولو كانت مباحة، فهذا نفسي.

أما الوارد الرحماني فغير ذلك كلّه، بل يدلّكَ على العلم بالأشياء كما أنزلها الله تعالى.

وللشيطان طرق دقيقة، لا يعرفها إلّا العارف بالله، فإنه قد يأمر بورع أو زهد أو فرض أو سنّة، يريد بذلك أن يلبس عليك، فكن فطناً، ربّما جاءك خاطر ملكي وأمرك بفرض أو سنّة ثمّ يأتيك الشيطان بخاطر لغرض

يزعمه أعلى، ومراده أن تتغافل العهد مع الله في الخاطر الأول، فتتبع الثاني، ثمّ يذكّرك بثالث قبل تنفيذ الثاني، وهكذا حتى يحرمك من الجميع!

الوارد يأتي لأهل الأحوال، فينزل على القلب، فإما أن يكون الوارد أقوى من القلب،فهناك تكون الصعقة والفتل والرقص!

وإما أن يكون القلب أقوى من الوارد فيسكن صاحبُه، يأخذ وارداً أكبر ثمّ أكبر إلى ما لا نهاية!

علامة الوارد الّذي يأتي لصاحب الورد إن ترك الوارد علماً وبرودةً ونشاطاً فهو وارد ملكي روحاني نوراني، وإن ترك الوارد جهلاً وحرارةً وكسلاً فهو وارد شيطاني.

٢ - الحُزْن والحزَن

قال رضي الله عنه: كنت (أي في السير) متواصل الأحزان لا أشتهي أن أحكي أو أضحك! بقيت مدّة على هذه الحالة، مسروراً مرتاحاً!. فقال أحد الجالسين[(١)]: سيّدي، كيف حزين ومسرور في الوقت نفسه؟!

فأجاب رضي الله عنه: الحُزْنُ لا على ما فات! ذاك للمبتدئ! حزين مع الحضرة الإلٰهية.

وكيف يا سيّدي؟

قال رضي الله عنه: الحَزين عبد بين يدي الحضرة الإلٰهية، ويرى حاله غير قائم

(١) هو الشيخ محمود مهاوش الكبيسي رحمه الله تعالى، وقد تعرفتُ إلى صوته في المذاكرة المسجلة.

بحقوق العبدية مع الحضرة الإلٰهية، متذللاً منكسراً للحضرة على الدوام، أما ذرّاته فراضية، الحُزْن لا ينافي الرضا! الغضب ينافي الرضا والصبر والتسليم، أمّا الحُزْن والرضا فلا يتنافيان يعني يجتمعان مع بعضهما، قلبهُ كل ذرّة من ذرّاته راضية، لكنه يرى حاله مقصّراً مع الحضرة الإلٰهية، ليس مقصّراً تقصير صوم وصلاة وحج وزكاة، الحزين: ليس خائفاً، ليست قضية خوف، الخوف مرتبة أخرى، متواصل الأحزان مع الحضرة الإلٰهية، والحضرة متجلية بكمالاتها على هذا العبد، يأخذ ما شاء الله كان، لكنه يرى حاله مقصّراً بعبديته.

سيّدي: أكان رسول الله ﷺ دائم البِشر متوالي الأحزان!؟

قال رضي الله عنه: البِشْر للآخر وليس له، والحُزْنُ له، هذا هو الفرق، البِشر للآخر والحُزْن له، أفهمت؟ أنا الآن يبش وجهي فيكم، هذا لكم، البِشر للآخر، البِشر من نتائج الحُزْن، الحُزْن ليس مربوطاً بأحد من المخلوقات مطلقاً، بل هو مربوط بالّذات الإلٰهية.

سيّدي، إذن أصبح الحُزْنُ جميلاً!

قال رضي الله عنه: هذا الحُزْنُ لا يصير لكل أحد، الحُزْنُ لا يناله إلّا الأكابر، الحُزْن وصف الأكابر! أنتم لا تفرّقون بين الحُزْن والحَزَن والغضب! هذا عالم وهذا عالم.. المحب يخلص الحُب حتى يدخل في الحُزن، نتيجة الحب يأتيه الحُزن!

سيّدي يعني الحُزْنُ أعلى من الحب؟

قال رضي الله عنه: أعلى بالتأكيد! لأن الحب مرتبة جمالية، أما تلك فمرتبة كمالية، أثر الحُزْن في القلب: الطمأنينة والسكون.

فيه سرور سيّدي؟

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: آه.. كل ذرّة من ذرّاته مسرورة، أمَا قلنا لا يناقض الرضا، الحُزْن لا يناقض الرضا، كل ذرّة من ذرّاتك فيها سرور، والسرّور لا ينفك عنك، لم يبق عندك أحد! ما في الوجود شيء اسمه شيء يُفقد وبقي عندك بمخيلتك، لا يوجد إلّا الحضرة الإلٰهية، الحب له مرتبتان: مرتبة يحب أول الأمر شيخه أو مرجعه هذا غير معتبر عند أهل الله أبداً! أما الحب الّذي يخرج عن الاتباع فهذا هو الركن الركين، لا يعرف غير اتباع الرسول ﷺ نهاية الاتباع نَتَجَ حبٌّ، هذا الحب يوصله إلى المعرفة، المعرفة ترجعه إلى الحب الأصلي، وهذا صاحب الحُزْن.

يعني سيدي فراق المحبوب يورث الحُزن كما حدث لسيّدنا يعقوب مع سيّدنا يوسف؟

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا! تلك بمرتبة المحبة بالشوق والاشتياق! سيّدنا يعقوب حُزنه غير الحُزْن الّذي نعنيه، ذاك تولّد من شيء أصلي حسن جميل، سيّدنا يوسف كان شَيخ سيّدنا يعقوب! سيّدنا يوسف كانت مرتبته أعلى من مرتبة سيّدنا يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ! وسيّدنا يعقوب بمجرد ما ينظر إلى سيّدنا يوسف: الحق يتجلّى عليه التجلي الأتمّ والأكمل، وحين لا يرى يوسف لا يأتيه إلّا التجلي الكامل والتام.. لمَّا راح سيّدنا يوسف ذهبت منه (أي من سيّدنا يعقوب) هذه المرتبة مرتبة الأتمّ والأكمل، كان حُزنه على هذه لا على يوسف، بل على المرتبة التي راحت مع يوسف، وإلّا حاشاه حاشاه حاشاه..

سيّدي ما كُنّا نفرق بين الحُزْن والحَزَن!

قال رضي الله عنه : الحَزَنُ فيه نَصبٌ فيه تعبٌ، وفي الحُزْنِ سكون واطمئنان[١] .

٣ - خضتُ بحراً محمّدياً وقفت الأنبياء بساحله

هذا القول منسوب للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رضي الله عنه ، وقيل: لسيّدنا أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه . قال سيّدنا النّبهان رضي الله عنه في هذه الكلمة: نعم ينال الوارث المحمّدي بمحمّد ﷺ ما لم تنله الأنبياء، وهذه المرتبة أنكرها كثير من العلماء، خضتُ بحراً محمّدياً وقفت الأنبياء بساحله، فأقاموا الدنيا وأقعدوها من الإنكار والنكير عليه، ولم يعرفوا مراده رضي الله عنه .

الذي عليه أكثر أهل العلم: أن معنى قوله: وقفوا بساحله، أي: قطعوه، وهذا غلط، إذ إن كلامه يفيد التبجُّح وقوّة المنطق، والصحيح أنه قالها متبجّحاً[٢] .

مراده خضت بحراً محمّدياً بمحمّد وقفت الأنبياء بساحله ولم يخوضوه ولم يقطعوه بل وقفوا بساحله، وهذا هو البحر المحمّدي، أي لم يخوضوه وهو بحر محمّد ﷺ، والعارف يخوض بمحمّد ما لا يخوضه الأنبياء.

خضتُ بحراً محمّدياً بمحمّد لا بنفسي، من بحر محمّد لا بنفسي، نحن نتكلّم بكلام سيّدنا محمّد ﷺ من بحر محمّدي، البحر يعني العرفان وما شابه ذلك، لو كان بنفسي لغرقت.

---

(١) وهذا الفرق بين الحُزن والحَزن غير معروف في قواميس اللغة، ورأيت قريباً منه في الفتوحات المكية، للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رضي الله عنه .

(٢) أي قالها: معتزاً متفاخراً.

مثاله: ملك له وزراء وله نديم، فإن النديم يدخل محلاتٍ مع الملك لا يدخلها الوزراء، وهكذا العارف الوارث المحمّدي، مع العلم أنّ أعلى مراتب العارفين لا تصل لأدنى مراتب الأنبياء والمرسلين؛ لأن الأنبياء نورهم أصلي، والعارف نوره تبعي.

وقال ﷺ أيضاً: النبيّ مهما صغر أكبر من أكبر ولي؛ لأن النبيّ نوره أصلي والعارف نوره فرعي، نوره من نور رسول الله ﷺ قال: خضت بحراً محمّدياً وقفت الأنبياء بساحله، كل من دخلها يقولها: خضت بحراً محمّدياً بمحمّد لا بنفسي (لا والله) نخوض بحراً ونتكلّم بالعرفان والحقائق بمحمّد وليس من عندنا، مثال: ملك عنده نديم ورئيس وزراء، رئيس الوزراء أعلى من النديم بما لا يقاس، لكن النديم يدخل مداخل مع الملك لا يدخلها رئيس الوزراء، الأنبياء والرسل لا يعرفونها بتاتاً بل يغرقون إذا دخلوها!! نحن نتكلّم بكلام سيّدنا محمّد ﷺ وليس بكلامنا، خضتُ بحراً محمّدياً، هذا البحر هو العرفان وما شابه ذلك؛ لأن سيّدنا محمّداً ﷺ كان جامعاً، كل الأنبياء والرسل من أولهم إلى آخرهم أجزاء من سيّدنا محمّد ﷺ ليسوا هم بجهة خمسة بالمائة ومحمّد بجهة خمسة وتسعين بالمئة لا هذا خطأ! الّذي قال: هذه الخمسة بالمائة جزء من مائة بالمائة، سيّدنا محمّد ﷺ هو المائة هو جامع، لذلك كتابه اسمه القرآن، وخُلُقه القرآن، فنحن نتكلّم من البحر المحمّدي، وهذه تحتاج إلى صفاء، هذه لا يتوصل إليها الإنسان لا بعلم ولا بعمل ولا بطاعة ولا بعبادة.

٤ - محل الجنّة والنار

قال رضي الله عنه : إن السمٰوات السبع والأرضين سوف تستحيل وتبدَّل، فيكون محلُّهما محلاً للنار!

أما الجنّة فإن سقف السماء السابعة أرض لها، وأما سقفها فعرش الرحمٰن، ولذلك قال تعالى: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]. والطول أكبر من العرض بالطبع، وإن ذلك العالم أكبر من السمٰوات والأرضين بكثير.

جنّة الشهوات ما فيها إلّا الأكلات واللبسات والحور العين والمساكن وما شابه ذلك.

أما جنّة الذّات فهي النظر إلى وجه الله، متى ما طاب في الدنيا يدخلها ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وإذا سألنا أحدٌ: هل الجنّة والنار موجودتان أم لا؟.

علماء الظاهر منهم من يقول: موجودتان، وآخرون يقولون: لا.

أهل الله يقولون: موجودتان لا موجودتان! فكيف؟

موجودتان لا موجودتان يعني: إذا اشترى أحد أرضاً ليعمّرها داراً، ووضع لها قواعد فمتى تتعمّر؟ تتعمّر بعملنا، الإنسان يعمّر جنّته، ويعمّر ناره بنفسه! يعمل الخير يعمّر الجنّة، ويعمل الشر يعمّر النار.

موجودتان من حيث التقدير، لا موجودتان من حيث العمل، حتى الآن ما وصلنا الجنّة ولا النار، باقيتان بقاعاً! لكن عملنا هو الّذي يعمّر النار

وهو يعمّر الجنان، العمل الصالح الحسن هو عمارة الجنان، وعمل الشر هو الّذي يعمّر النار.

وهذا هو الحق والحقيقة، فنحن العُمّار، لأجل ذلك الحجّةُ قامت علينا، قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] أنت بعملك عمّرت نارك، وبعملك عمّرت جنّتك.

هناك شيء جميل جداً ونعمة كبرى: إنسان عمّر ناره كبيرة، كان يقطع الطريق، يقتل ويسرق ويعمل.. ثمّ تاب بعدها التوبة النصوح وأقبل على الله سبحانه وتعالى، الحق بدّل سيئاته كلّها بحسنات، النار كلّها صارت جناناً! انقلبت! ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الفرقان: ٧٠]. واللهِ هذا الإلٰه يُحَبُّ حقيقةً ونحن بحاجة إليه، وهو الغني عنّا ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

٥ - النيّة

قال ﷺ: إذا نويت أيها المكلَّفُ وعمِلت عملاً خالصاً لله يضاعف إلى عشرة إلى سبعين إلى أكثر، أمّا النيّة فلا تُضاعَف.

وآخر نوى صالحاً خالصاً ولم يعمل كُتِبتْ به حسنة واحدة، وأمّا الّذي عمل ونيّته رياء فليس له من الأجر شيء.

اثنان تصدّقا، أحدهما يريد بصدقته الثواب والجنّة، والآخر يريد وجه الله فالأول يعطيه الثواب والجنّة ويبقى دون مرتبته، والثاني يرقّيه من مرتبته إلى مرتبة أخرى مع الثواب، وكلاهما مخلصان.

النيّة تأتي من القلب اللطيف من النفس المزكّاة، «**وإنما الأعمال بالنيّات**»[(١)] أي الأعمال تكون بالنيّات، النيّة هي المراد من العمل، نحن ما لنا من العمل إلّا النيّة إنما الأعمال بالنيّات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى.

لكل عمل ثمرة من خير أو شر، مراد الله من خلقه ما هم عليه من أوامر، ثمرة المخالفة هكذا، وثمرة الطاعة هكذا.

العمل دون نيّة لا قيمة له.

٦ - الطلب من الله تعالى

قال رضي الله عنه : إذا وضع الله تعالى الطلب في قلب العبد معناه: أن الله تعالى يريد أن يعطي هذا العبد؛ لأنّه لو لم يرد أن يعطيه سبحانه ما جعل الطلب في قلبه، نسأل الله أن لا يعطينا مراداتنا قبل أن يكمّلنا.

وأنواع الطلب: منهم من يطلب بلسانه، ومنهم من يطلب بقلبه، ومنهم من يطلب بإرادته، ومنهم من لم يطلب، سيّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام لمّا وضعوه في النار قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي[(٢)]، أنا لا أطلب من غير الله أبداً ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، والّذي يطلب من الله وقلبه غافل لا يعطيه شيئاً، والّذي يطلب وهو حاضر القلب يعطيه الله مثل

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٣) برقم: (١).

(٢) جزء من حديث، وتمامه: .. عارضه جبريل وهو في الهوي ابتلاء من الله عز وجل فقال: هل من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، حسبي من سؤالي علمه بحالي فتولى الله نصرته بنفسه ولم يكلْه إلى أحد من خلْقه. فيض القدير: (٢/ ٢٩٢).

ما يريد الله لا مثل ما يريد هو بل أكثر! والّذي يكون مضطَّراً يعطيه في الحال، لا تستعجلوا من الله الإجابة.

المطالب ثلاثة: طلب اللسان: لا يعطيك ولو تبقى مائة سنة، وطلب القلب: يعطيك في الوقت الّذي يريده الله جلّ جلاله، وطلب الاضطرار: يعطيك ما تريد وفي الوقت الّذي تريد. هذا هو الله جلّ جلاله أرحم الراحمين، إذا تقول له: يا رب، أنا لست بحاجتك ولا أريد منك! يقول لك: أنا رب، أعطيك، تريد أو ما تريد، وغداً يوم القيامة أحاسبك على كلامك. الّذي عنده معرفة يصبر، لكن الّذي ما عنده معرفة لا يصبر ولا يعرف، العارف بالله أموره مبنيّة عن علم وحق وحقيقة.

الدعاء ثلاث مراتب:

دعاء باللسان لا يرد عليه أبداً.

دعاء بالقلب يعطيه الله ما يريد الله وفي الوقت الّذي يريد الله.

طلب من ذاته يعطيه ما يريد وفي الوقت الّذي يريد أي الدّاعي.

وفي نص آخر:

١. دعاء الغافل: يدعو بلسانه وقلبه غافل، فالله سبحانه لا يجيب دعاءه ولو دعاه ستين سنة أو أكثر.

٢. دعاء المتيقظ: يدعو الله بلسانه وقلبُه متيقظ، فالله سبحانه يجيب دعوته، ويعطيه ما يريده سبحانه وفي الوقت الّذي يريده سبحانه.

٣. دعاء المضطر: يدعو الله بذاته أي بكل ذرّاته ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] فالله سبحانه يجيبه ويعطيه أي ما يريده الدّاعي وفي الوقت الّذي يريده.

أنتم اعملوا مع الله، افزعوا إلى الصلاة، الإنسان إذا أصابه شيء يفزع إلى الصلاة، مثل ما كان الرسول ﷺ يفعل، يفزع إلى الصلاة ويبكي ويطلب من الله فالحق يعطيه ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

الدّاعي هو، لا نحن، هو قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾.

إذا أردت أن تطلب من الله فلا بدّ أن تكون عندك نيّة، وقلب، وقشعريرة، وخضوع، وذل، وانكسار، إذا طلبت من الله بقلب خاشع حقيقي ذاتي يعطيك ما تريد وفي الوقت الّذي تريد، هذا دعاء المضطر ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

دعاء تدعونه بلسانكم والقلب غافل، اللسان يكذب، لن يعطيكم ولو بقيتم تدعونه مائة سنة؛ لأنّكم لم تدعوه؛ لأن القلب هو المركز وما له خبر.

٧ - السعادة والشقاوة

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما جئنا إلى هذه الأرض إلّا للسعادة.. سعادتنا باتباع الشريعة.

الشقاوة ليست أصلية والحمد لله رب العالمين، الشقاوة عرَضية، ما رأت عيني شقاوة أصلية أبداً، سيّدنا عمر كان كافراً ومشركاً وأد بنته وهي حيَّة، يعبد الصنم، يعمل صنماً من عجوة وإذا جاع يأْكُلُهُ! وحمل سيفه وجاء ليقتل الرسول ﷺ فلمّا أسلم وعمل بالإسلام صار ثاني خليفة في الوجود، فلا تقولوا: فلان شقي محكوم عليه بالإعدام! هذه لا نعرفها أبداً، مهما عمل! بشرط أن يتوجه إلى الله، وله علامات: توجّهه بالصدق

يصدق بكل أعماله بأقواله بأفعاله بأحواله كلّها صدق، هذا يختاره الحق عَزَّوَجَلَّ مهما عمل أول الأمر.

٨ - الإيمان يزيد وينقص

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : الإيمان يزيد وينقص في مرتبة العوام، وأما الخواص فإن إيمانهم يزيد ولا ينقص؛ لأن أهل الشهود في رقيٍّ دائم، العوام والسالكون قبل النفس الرابعة المطمئنة، إيمانهم يزيد وينقص، وبعدها كلّه رقي، وأما الأنبياء والعارفون أهل الشهود فهم دائماً في التجليات الإلٰهية وترقيها، أما صاحب النفس الكاملة فإيمانه يثبت... ولا ينقص.

٩ - العبـادة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أي ليعرفون ويذلّون، العبادة تعطي المعرفة الإلٰهية، والمعرفة تعطي الذّل الحقيقي لله ورسوله وللمؤمنين، لكنَّ الذّل الّذي ينشأ عن العبادة عرضي لا حقيقي؛ لأن النفس باقية حيّة من الداخل.

المراد ليس كثرة العبادة، بل تحقيقها، وأن توصلنا إلى المعبود، وكذا الذكر يوصلنا إلى المذكور، ومهما رقى الإنسان لا تسقط عنه التكاليف.

العبادة غذاء للذات، غذاء للروح والجسم والنفس في آن واحد.

الصلاة الحقيقية هي الصلة الحقيقية بين العبد وربّه.

الخشية أعلى من الخشوع بما لا يقاس، الخشوع من العبادة، الخشية مرتبة العلماء، وهي السرّ الموجود في العلم الحقيقي، عالم المعاش لا يفهم ولا يدرك ذلك، الإنسان لا بدّ أن يعرف نفسه دائماً أنه عبد ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

١٠ - الروح

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: في الكتب يذكرون وكثير من الناس يقولون: نحن لا نتكلّم في الروح لأن الرسول ﷺ لم يتكلّم فيها.

الواسطة بيننا وبين الحق هي الروح لا الجسم ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] يعني الروح من عالم الأمر، وليس من عالم الخلق، عالم الخلق عالم الأجسام، الروح عالمها عالم الأمر.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] نفسكم موجودة فيها بآن واحد الروح وموجود فيها الجسم، نفسك جسمك مَن قائم به؟ الروح قائمة به.

الروح لا تموت، يموت الجسم ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] أي شخص تريد ولو من ألف سنة يكون معك الآن!

الأرواح لا تتعدد، التعدُّد للأجسام.

الروح من عالم الغيب، من عالم الأمر، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ

ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ الجسم من عالم الخلق، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف ٥٤].

الروح من عالم النور، عالم الروح قبل عالم الخلق بألفي سنة.

الله تعالى قال له: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ والجواب عن ذلك: أن الروح من عالم الأمر لا من عالم الخلق، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف ٥٤]. فعالم الخلق هو عالم الأجسام، وعالم الأمر هو عالم الروح ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾، ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ لا من عالم الخلق، هذا هو الجواب!

الروح مربوطة باللطف واللطافة، الروح عالمها عالم اللطافة لأنّها ليست بجسم، فالجسم عندما يأكل يملّ، والروح عندما تأكل تتغذّى، التعارف الحقيقي للأرواح لا للأجسام، الفرح الحقيقي فرح الروح، فإذا فرحت الروحُ يَخفُّ الجسم، بل لا يبقى جسم، الروح تحنّ إلى الرقي، أينما سمعت بروح عالية انجذبت إليها لتتحقق بتلك المرتبة.

روح الوجود كلّها واحدة! مثل القوّة الكهربائية، لا تنفك ولا تتجزّأ، ضربنا لكم مثلاً بالقوّة، فالقوّة الكهربائية في بلد واحدة، القوّة فيكم واحدة، تُظهر استعداد الإناء، القوّة التي وضعها فينا مثل القوّة التي تعطيكم الكهرباء. كنتُ سمعه.. كنتُ بصره..[(١)].

العين لنا، لكن البصر له، الأذن لنا، لكن السمع له، القلب لنا، لكن السرّ الإلٰهي له ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة: ١٦٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٥/٢٣٤٨) برقم: (٦١٣٧).

القوّة الكهربائية تسري في السخّان فتُظهِر استعداده للتسخين، وتسري في البرّاد فتُظهِر استعداده للتبريد، وهكذا، مع أنها واحدة، الروح في الإنسان تُظهِر استعداد الأذن للسمع، واللسان للنطق، والعين للبصر.. مع كونها واحدة.

الروح الموجودة في العالم واحدة، ليست متعدّدة، التعدُّد في الإناءات في الضوئيات، هذه نمرة خمسة، وهذه نمرة مائة، وهذه النمرة محددة للإناء المادي لا للمعاني، النور والروح والمعاني لا تتجزّأ، والروح لا تنفصل ولا تتجزّأ، مثل الشمس إذا فتحتَ الشباك تدخل الشمس، وإذا أنزلتَ الستارة لم تبق شمس.

الروح مدبّرة لهذا الجسم فقط هذه وظيفتها، وبدونها يقع الجسم ميّتاً، تناديه فلا يردّ، وبعد يوم أو يومين تنتن رائحته، فالإنسان بروحه، بهذه الروح، المراد هناك روح الأشياء هو الفهم هو النور الإلٰهي، الروح حاملة للجسم وحاميته، ومجمّلته.

عالم الأرواح غير عالم الأجسام، فعالم الأرواح يمكن أن يكون في حلقة خاتم أو (كشتبان)[1].

قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] كلنا من روح الله! أنت من روح الله، وأنا من روح الله، وكل إنسان من روح الله، وحين يموت الإنسان فالروح لا تروح عنه مثل ما كنا نفهمها تدخل الجسم

(١) الكشتبان: غطاء معدني صغير، يضعه الخياط في إصبعه حمايةً له من إبرة الخياطة عند استعمالها.

وتفارق محلّها، فهي ما دخلت لكي تخرج! لأن الداخل لا بدّ أن يكون جزءاً، وروح الوجود كلّها واحدة لا تتجزّأ، والروح الموجودة في جسم الإنسان لم تنزل من عالمها ليقال خرجت منه، هذا غلط! وهذا خلْط!

الروح من حيث القوّة لها من الجسم ثلاث حالات مع كونها باقية في عالمها:

نظر قوي عندما نكون أحياء، نظر ضعيف عندما ننام، نظر أضعف عندما نكون أمواتاً.

الجسم عبارة عن جلدة! والروح هي الحاملة وليست محمولة، الروح حاملة للجسم وحاميته، والموت ليس ضد الحياة، بل هو عزل الروح عن تدبير الجسم، وهي باقية في عالمها، والجسم آلة للروح، والحق لمَّا يريد أن يميت العبد يأمر الروح أن تترك تدبير الجسم، الروح لا تفنى ولا تموت، الروح هي القائمة بالجسم، والجسم مثل الثوب، والحق عَزَّوَجَلَّ لمَّا يأمر الروح يعزلها عن تدبير الجسم.

الموت: عبارة عن انتقال من عالم الظلمة إلى عالم النور، الموت ليس ضد الحياة، وإنما هو مرتبة من مراتب الحياة.

الموت جسر بينك وبين الحق جلّ وعلا، الموت لا بدّ منه، وهذا كمال.

الموت عبارة عن مرور من مكان ضيق أو ظلماني أو كثيف إلى مكان عالٍ لطيف، الموت الحقيقي هو الجسر، الموت عبارة عن مرور من عالم كثيف ظلماني إلى عالم عالٍ لطيف نوراني.

الموت انتقال من الجهل إلى العلم، من الكثافة إلى اللطافة، من الموت إلى الحياة بالله.

الروح لا تتكلّم إلّا بالسِريانية، الأرواح في الدنيا والآخرة لا تتكلّم إلّا بالسِريانية، العجمي روحه سريانية، التركي روحه سريانية، العربي روحه سريانية، الإنكليزي روحه سريانية.

الروح لطيفة، عالمها دائماً بين الملائكة، الروح ليست جزءاً جاءت علينا، لا! لكن لشدة اتصالها بالجسم تحصل بصورة هذا الجسم الموجود ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] هل أن الله جسم حتى يتجزأ؟ من يقدر أن يقول لي: إنّ الأنوار تتجزأ؟...

الروح لها مراتب: القلب، العقل، النفس؛ السرّ كلّه واحد، نور غير متعدد في الإنسان، كلّه نور واحد، لكن هذا النور نزل في متعلقه، إذا كان متعلقاً بالأكلات والشهوات نسمّيه نفساً، وإذا كان متعلّقاً بالتقلبات نسمّيه قلباً، وإذا كان متعلّقاً بالميزان نسمّيه عقلاً.. وهكذا حسب المتعلّق لأنّه واحد.

نحن أول شيء لنا نفس، ثمّ نترقى إلى عالم العقل، ثمّ نترقى من عالم العقل إلى عالم الروح، ثمّ نترقى من عالم الروح إلى عالم الذات الأعلى.

الروح ليست جسماً لتمسكها، السرّ الإلٰهي وهو الإرادة، الحق متوجّه لأن يحمل هذا الجسم! إذا راحت الإرادة: لم يبق واقفاً بل يقع على الأرض ميّتاً! الروح حاملة الجسم، الروح من حاملها؟ الله حاملها.

لا أموات عند الله، الحكم في الإنسان للروح لا للجسم، الجسم

حكمه حكم الثوب، الحياة غير الروح، والحياة سارية في كل ذرّة من ذرّات الوجود.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] الروح عالمها لا من هذا العالم! لأجل ذلك لا تموت، عالمها عالم النور عالم اللطافة.

القرب بيننا وبين الله هو الأرواح، قال ﷺ: «**الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[(١)]. ما تعارف منها في الأزل ائتلف في الدنيا، وما تناكر منها في الأزل اختلف في الدنيا، الأرواح تعرف بعضها بعضاً، شمّامة تشمّ بعضها بعضاً.

الآن الروح واحدة، العوالم كلّها روحها واحدة ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] لكن الجسم الإنساني فيه كل الكمالات، برهن أنه أجمل وأكمل كل المخلوقات، لأجل ذلك صلح لأن يكون خليفة لله سبحانه وتعالى، نضرب مثالاً: الضوء الموجود الآن هنا في الغرفة كم عندنا؟ كم بلّورة؟ مائة، مائتين خمسمائة، حلب كم فيها؟ آلاف، ملايين هذه كلّها قوّة واحدة، أطفئ القوّة من هناك تنطفئ كل الأنوار.. فالروح ما نزلت على الجسم، ولا حلّت في الجسم ولا دخلت الجسم، ولا طلعت من الجسم، الروح في عالمها تنظر في هذا الجسم، لها ثلاث نظرات نظرة قويّة كما هو الآن نحن، نقوم ونقعد ونأكل ونشرب وغيره.. النظرة الضعيفة لمّا نكون نائمين، النظرة الأضعف لمّا نكون أمواتاً، فالموت ليس ضد الحياة، لا! بل هو مرتبة من مراتب الحياة، أكثر الناس يفهمون

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢١٣) برقم: (٣١٥٨).

الموت ضد الحياة، لا! بل مرتبة من مراتب الحياة، الحياة صفة من صفات الذات الإلٰهية، وصفات الذات الإلٰهية لا تموت، الموت عبارة عن عزل الروح عن تدبير هذا الجسم الإنساني.

١١ - التجسد الروحي

نكشف لكم سرَّ بعض القضايا التي تقع كثيراً في العالم، كأنْ مرَّ شخص على آخر، فلحقه فما وجده.. هؤلاء حينما يأتون لا يأتون بأجسامهم وإنَّما يأتون بأجسادهم، لمَّا تقفون أمام المرآة ترون واحداً مثلكم تماماً هذا اسمه جسد، الجسم يحتاج إلى منفذ حتى يعبر أو يمرّ منه دخولاً أو خروجاً ويأكل ويشرب.. أما الجسد فلا يأكل ولا يشرب أبداً، هاتوا أربعين مرآة في البيت ترون أربعين جسداً للجسم الواحد.

التجسُّد يحصل كثيراً حسب قوّة المتجسّد حسب القوّة الروحانية التي تتجسَّد، أغرب من ذلك أن يبعث واحداً للعراق وواحداً للهند وآخرَ إلى مصر ولأيّ مكان.. لمحلّ أو محلين أو أكثر وهو بين الناس يتكلّم ويقعد ويقوم! كلّما كانت روحه أقوى يتجسَّد أكثر، سيّدنا رسول الله ﷺ روحه معبئة الوجودَ مستعدّة لأن تتجسَّد بعدد أفراد العالم!

التجسُّد أشكال عند الناس! يدقّ الباب عليهم فيخرج صاحب البيت، يطلب منه شيئاً، يأتي الشخص.. كأن يكون سيّدنا الخضر أو سيّدنا إلياس أو (أهل الخطوة) هؤلاء كثيرون موجودون (حتى نكون أديبين مع كل أحد) هذه يعملها كثيراً سيّدنا الخضر وسيّدنا إلياس عليهما السلام، هؤلاء بين أظهرنا

دائماً، يضع قدماً هنا وقدماً في أي مكان يريد!.. أهل الخطوة يضع رِجلاً هنا ورِجلاً بالهند أو ببلاد المغرب.. يراهم أهل القلوب والحمد لله، ثمَّ يتبعونهم فلا يرونهم! يسألون عنهم: مرَّ من هنا؟ جاء من هنا؟ لا مرَّ من هنا ولا جاء من هنا! لا يراهم إلّا صاحب عين القلب، الّذي عنده عين القلب، التي ترى المغيبات والمعاني، فإذا رأيتم واحداً ثمَّ فقدتموه فهذا ليس جسماً بل جسداً، الجسد شيء والجسم شيء، الجسد ما عنده بُعْدٌ ولا قُرْبٌ البتّةَ، (الروح هي التي تتجسد وليس الجسم، وإنما الروح تتجسد بصورة الجسم) بعضهم أموات فيأتوننا بصورة واحدة، وهي التي مات عليها، ما عنده إلّا هذه الصورة، أما الأحياء فيتبدّلون، يحلقون شعرهم أو لا يحلقون، وقد يطول.. يمكن أن يأتوا بأيّ صورة، ولا يأتي أحدهم بصورة مخالفة للشريعة البتّة، إذا خالف الشريعة خالف الحقيقة، وإلّا فيكون هذا مكراً إلٰهياً، إذا كان واحد عنده فهم يعني عنده حقيقة.

الولي لمَّا يريد أن يأتي، لا يأتيكم بجسمه، وإنَّما يأتيكم بجسده، يعني بروحه، أي تجسّدت روحه بصورة جسمه، وجاء إلى محلّ أو محلّين أو أكثر.. حسب ما تكون قوّة روحه، إذا كان واحد من أهل الولاية يعرفه، ينظر إليه يستمر ينظر إليه حتى لا يتغيّب ولا يتغيَّر، هذه علامة أهل الله إذا أرادوا أن يمسكوه يقيِّدونه ببصرهم يستمرون ناظرين إليه حتى يأتوا عنده فلا يقدر أن يفرَّ منهم أبداً، إلّا إذا انصرف النظر عنه قليلاً لا يراه بعد ذلك! أمّا الجسم فلا، يقولون: فلان دخل عليَّ من غير أن أفتح الباب! هذا جسد وليس جسماً، روحه تجسَّدت ودخلت، أو يراه بين السماء والأرض أو في محلاّت عديدة.. هذا كلّه صحيح، حتى تعرفوا أن ﴿ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ١٤٨] ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة: ١٦٥].

القوّة والعمل له ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، كل شيء لله، نحن لنا النيّة فقط، والنيّة نكتسبها من شيئين:

أولاً: إذا حاسبنا أنفسنا وطهّرْناها لا يبقى عندنا إلّا الكمالات، والحق يقول: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩].

ثانياً: وهو من جملة العناية الإلٰهية أن يجالس أهل الله لا المدَّعين (المعبئين الأرض) أي الذين ملؤوا الأرض لا يوجد أكثر منهم! إيّاكم أن تقربوا منهم انتبهوا! ما رأينا أحداً استفاد من الآخر إلّا من نفسه، إذا ما حاسب نفسه بالصغيرة والكبيرة لا يصير منه خير البتّة، والأدب الأدب حتى يصير وَصْفَكُم.

الأسرار لا تُعد ولا تحصى، وتريد قوّة قلبية نورانية، كلَّما تسكت ولا تتكلّم ولا تبيّن يعطيك الله سرّاً، وتسكت يعطيك سرّاً ثانياً، وثالثاً.. لا تُظهِروا شيئاً، لو تفهمون الموجود في الوجود لطاش عقلكم!! بعدها ترى الوجود كلّه أسراراً، يرى الأسرار صاحب النور واللطافة، هذا يميّز، أما واحد منهمك باللبس والأكل والمال والروحات والرسميّات والبيع والشراء.. هؤلاء لا يتحمّلون أمانةً أساساً هؤلاء أمامهم نفوسهم وزوجاتهم.

١١ - سيّدنا الخضر وسيّدنا إلياس عليهما السلام

من جملة الأسرار: وجود سيّدنا الخضر وسيّدنا إلياس عليهما السلام، يأتون يخالطونكم، يأتون بصورة امرأة أو فلاّح أو (خواجة لابس برنيطة).. لكن لا يحلقون لحاهم، سيّدنا الخضر حيّ، وسيّدنا إلياس حيّ كذلك،

واجتمعا مع رسول الله ﷺ؛ واحد مسؤول على البحر والآخر على البَرِّ، سيّدنا الخضر كان حضوره مع سيّدنا الرسول ﷺ مريداً، سيّدنا محمّد ﷺ في الحقائق قطبها، وفي الشريعة قطبها؛ لأنّه جمع ما قبله «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر»[١]. وفي رواية: «أول ما خلق الله القلم الأعلى»[٢]. وفي رواية: «أول ما خلق الله العقل الأول»[٣]. وهذا هو في الحقيقة سيّدنا محمّد ﷺ! إذا قلنا: لا تَثبُت الرواية الأولى تُثبِته الرواية الثانية أو الثالثة، هذه ثلاثتها واحد «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» ليس جسمه، الجسم من أمّ وأب، وله شيء خصوصي ومكان وبلد.. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧] كلّها بالروح، سيّدنا الخضر يجتمع مع أهل الله وأحباب الله، قالوا: هل يوجد حديث بهذا؟ قلنا لهم: هذا من الأسرار الإلٰهية، يخصُّها الرسول ﷺ لجماعات أمينة لا يتكلّمون بالسرّ، السرّ لا يُفشى، الّذي يفشيه يُقتَل! الأسرار تريد قلوباً طيّبة نيِّرة ليس لها مَيل إلى دنيا أو مالٍ أو موضاتٍ وعادات.

وسبب تلقُّبه بالخضر: أنه جلس على فروة بيضاء (وجه الأرض) فصارت خضراء[٤]، واسمه: بلْيا بن ملكان، وهو حيٌّ ويدور بين أظهرنا، ويتلوّن لبسه، ولا يحلق لحيته، ووظيفته الآن على المياه، ولا شغل له في مسألة الأرض، الأرض واجب سيّدنا إلياس، سيّدنا إلياس نائب سيّدنا

---

(١) كشف الخفاء (١/ ٣١١) برقم: (٨٢٧).

(٢) رواه الترمذي: «**ولفظه أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد**». (٤/ ٤٥٧) برقم: (٢١٥٥).

(٣) كشف الخفاء (١/ ٣٠٩).

(٤) صحيح البخاري (٣/ ١٢٤٨) برقم: (٣٢٢١).

الخضر، وسيّدنا إلياس حيٌّ ويدور بين أظهرنا، ويجتمع مع أهل الله وأحباب الله مع الكمّل لا مع المجاذيب، المجاذيب يخربون الدنيا! المجاذيب لا يتحمّلون السرّ، يبيعونه بفرنك أو أكثر أو أقلّ، أما الأكابر فلا.. كنَّا نسمع ونحن صغار وأظن إلى الآن أنَّه إذا واحد صار عنده شيء أو وقع في ضيق ويريد مخرجاً ومَخْلصاً ينادي الخضر، والصحيح أن ينادي إلياس لأنّه مسؤول اليابسة، وتحت يده جنود، وهناك أسرار أُخَرُ موجودة، وكذلك الأنبياء لهم أوصياء، والرسول ﷺ أخبر عنهم، لكنَّ محل السمع ومحل البصر عندنا غير طاهر لنبصر ونسمع الأمر على ما هو عليه، حتى إذا سُئلْنا لا نقدر أن نجيب؛ ليس أهلاً للجواب ولا أميناً، لو كان سمعه أو بصره أو لسانه محفوظاً يمكن للإنسان إذا سُئل أن يجيب، كثيراً ما نُسأل ولا نجيب نخشى عليه أن يعطي أو يفشي السرّ لزيد، لعمرو، لبكر.. خصوصاً للمنكرين، هذا لا يجوز أبداً، كم وكم نكون في مجلس من المجالس لا نتكلّم شيئاً لوجود شقيّ إذا ما قلنا أشقياء! وأهل الله: ليس لسانهم أو قلبهم أو جسمهم فقط.. بل كل شيء بيد الله، لا يقدرون أن يتكلّموا. جاءني واحد شبه أمير، أحببت أن أتكلّم معه فما قدرتُ أن أتكلّم (لا زينة ولا شينة) ما وُجِدَ معي فتح جديد، والقديم نسيته! أردت أن أقول كلمة أو كلمتين (صم صميمة على العتيمة)[(١)]! وبقيت ساكتاً حتى انصرف! وهناك إنسان قد تكون صورته غير مستقيم، صورة مخالف لكنّ قلبه منكسر إلى الله، قلبه يبكي عند الوقوع بالمخالفة، من أجله تأتينا أجوبة كثيرة.

---

(١) من الأمثال الحلبية الشائعة، معناه: بقيتُ ساكتاً لم أنطق بكلمة.

سيّدنا الخضر وسيّدنا إلياس عليهما السلام كلاهما حيٌّ، ويجتمعان مراراً متعددة، أمّا في الكتب[١] فيذكرون أنهما يجتمعان في موسم الحج بمنى، ويحلق أحدهما للآخر، ويفترقان على أربع كلمات يقولها كلٌّ منهما، وهذه إذا واظب عليها الإنسان يحفظه الله من الغرق والحرق ومن الحية.. ويُكتَب من الأبدال، يقولها عند المساء وعند الصباح ثلاث مرات:

بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلّا الله.

بسم الله ما شاء الله، لا يصرف السوء إلّا الله.

بسم الله ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله.

بسم الله ما شاء الله، لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

واختلف العلماء في سيّدنا الخضر هل هو حيٌّ أو ميّت؟ هل هو ولي أو نبي؟ وصحح أبو عمرو بن الصلاح والنووي[٢]: أنه حي.. الرسل الأحياء أربعة: سيّدنا الخضر وسيّدنا إلياس على الأرض،؛ الخضر على المياه وإلياس على اليابسة، واثنان في السماء: سيّدنا إدريس في السماء الرابعة وهو قطبهم لا ينزل أبداً، وسيّدنا عيسى في السماء الثانية لكنه ينزل، أمّا سيّدنا محمّد فهو مُمِدُّ العموم، والرسول ﷺ يعرف الكل، وكلّهم اجتمعوا معه في اليقظة لا في المنام، كلّهم اجتمعوا معه ﷺ في الإسراء، أمّا في المعراج فما عدا سيّدنا الخضر وسيّدنا إلياس لأنّهما في الأرض،

---

(١) ينظر: الدارقطني في الأفراد، وأبو إسحاق الذكي في فوائده، والعقيلي، وابن عدي، وابن عساكر وينظر: الفردوس بمأثور الخطاب (٥/ ٥٠٤).

(٢) قال رضي الله عنه عن أبي عمرو بن الصلاح والنووي: منسوبان لأهل الله.

وكانا يجتمعان مع رسول الله كثيراً، والقطب من الإنس وكيل عن سيّدنا الخضر.

سيّدنا موسى كان أعلى من سيّدنا الخضر بكثير، سيّدنا موسى كان مظهر العلم، مظهر الشريعة، وسيّدنا الخضر مظهر الحقيقة، نحن نأخذ الشريعة والحقيقة بآن واحد، الشريعة ثوب، والحقيقة باطن، سيّدنا موسى كان مظهر العلم، وسيّدنا الخضر كان سر العلم، من القصّة في القرآن الكريم تعلمنا علمين: علم شريعة، وعلم حقيقة، نحن مكلّفون بالشريعة، مثل الجسم والروح ولكننا لا نرى غير الجسم مع أن الروح حاملته وحاميته.

١٢ - ليلة القدر

ليلة القدر: يظنونّ أنهم يرونها بالعين! هذه العين ترى الماديّات والحسيّات لا ترى المعنويات، لا ترى ليلة القدر.. واحد بالشتاء قاعد في بيته ويرى ليلة القدر، ويرى الوجود كلّه ساجداً لله، والآخرون بالطيارات، بالسيارات بالسفن، وعلى الجمال، ما رأوا شيئاً! بالعادة لو كانت بالعين لرأوا كلّهم، الّذي يرى عين القلب، عين البصيرة، لكن خرجت هكذا على عين البصر، يظنونّ أنها عين البصر، واحد يجتمع ويرى أهل الله أو الرسول ﷺ والآخرون لا يرون! إذن بعين البصيرة، إذا دخل واحد ونحن قاعدون هنا فكلنا نراه لأن الرؤية بعين البصر، سيّدنا جبريل عندما جاء إلى رسول الله ﷺ بصورة دحية الكلبي كلُّ الحاضرين رأوا.

ليلة القدر ليست بجهة خاصة، الّذي يراها يشعر بالوجود كلّه ساجداً

لله تعالى، هذه الرؤية بصيرية وليست بصرية؛ البصر يرى الماديَّات فقط، أمّا البصيرة فمعنوية وهي التي تدرك، الملائكة أو الجنّ أو تجسُّد الإنس، لا يراها إلّا صاحب البصيرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] سُمِّيت ليلة القدر بذلك لأنّها ليلة تقدير الأمور والأحكام، قيل للحسين بن الفضل: أليس قد قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السمٰوات والأرض؟ قال: نعم، قيل: فما معنى ليلة القدر؟ قال: سَوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدور، وروي عن رسول الله ﷺ أن رجلاً من بني إسرائيل حمل السلاح في سبيل الله ألف شهر، فتمنّى سيّدنا محمّد ﷺ ذلك لأمَّته، فأعطاه الله ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٢] حُمِلَ فيها السلاح، قال المفسرون: معناه: عملٌ صالح في ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، المهم أن يعمل فيها وليس شرطاً أن يراها، وليلة القدر غير مقيَّدة في شهر من الأشهر، وغير مقيَّدة في رمضان أو شعبان أو شوَّال، تدور في كل الليالي، تكون في سنة، تكون في شهر، أو في جمعة، أو ليلة من الليالي لعلَّها تكون ليلة القدر، هو ما رآها لكن عمل في ليلة القدر، عمله هذا خير من عمل ألف شهر، ألف شهر لا فيها غيبة ولا نميمة ولا قيل ولا قال ولا محرَّمات.. وحاملُ السلاحَ ألفَ شهر وهو يقاتل ويجاهد في سبيل الله! وليس ليلة عبادة وهو يغتاب وينمّ في الليل والنهار، ليلة القدر: الموفَّق يراها دائماً لوجود نسبة بينه وبينها، صار هو أفضل من ليلة القدر! سألني أحد العلماء: أيُّهما أفضل ليلة القدر أم ليلة ولادة رسول الله ﷺ؟ قلت له: ليلة القدر وجدت لرسول الله ﷺ. كل نفَس

من أنفاس الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ أعلى من الدنيا والآخرة(١)؛ لأنّه هو الّذي أخرجنا من الظلمات إلى النور، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩].

الرسول ﷺ كانت عنده الأسرار عادية؛ لأنّه طاهر كامل نزيه صافٍ يشعر بالأمور كلّها، يعمل بيده حركةً على صدر أبي هريرة يضع له أسراراً علوماً عرفانية حقائقَ أنواراً.. من يراها؟ لو كان عندكم علم.. عندكم نور؛ لأدركتم، كل حركة يقوم بها الرسول ﷺ يضع فيها شيئاً من أمثال ذلك.

---

(١) ذكر الشيخ الونشريشبي صاحب (المعيار) من السادة المالكية هذه المسألة، وأوصل أوجه التفضيل إلى واحد وعشرين وجهاً.

الفصل الرابع

مراتب وموازين ثلاثية

مراتب وموازين ثلاثية

قال ﷺ:

١ - الصراط ثلاثة:

صراطٌ مستقيمٌ، صِراطُ مغضوبٍ عَلَيهم، صِراطُ الضَّالِيّنَ، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

٢ - المخلوقات ثلاثة أنواع:

شهوة بدون عقل، وشهوة وعقل، وعقل بدون شهوة، الحيوانات: شهوة بدون عقل المهم أن يأكل، حلالاً أو حراماً.. والإنسان: فيه الشهوة والعقل، فمن غلبت شهوته عقله كان أضلَّ من الحيوانات، ومن غلب عقله شهوته كان أعلى من الملائكة، والملائكة: عقل بدون شهوة ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] العقل هو الحاكم، فنحن أمامنا القانون وهو القرآن أمرنا ونهانا.

٣ - الحُجّاج ثلاثة:

حاجّ رب البيت مخلصاً لله تعالى.

حاجّ حجّ الحجر والبيت.

حاجّ حجّ الدينار والدرهم.

٤ - أصحابي ثلاثة:

المرتبة الأولى: لا يذنب أبداً، وهذا موجود والحمد لله.

والأدنى منه: يذنب ويتوب.

والمرتبة الثالثة: يذنب ولا يتوب لكنه يعلم أنه مذنب، ولا بدّ أن يأتي اليوم الّذي يتوب فيه.

وما عدا هذا فليس بصاحبي، ولا أريد أن أرى وجهه، وهو الّذي يذنب ويقول: كلّ الناس هكذا.

٥ - الأيادي في الوجود ثلاثة:

اليد الكلبية: الكلب لمّا يضربه أحد بحجر يلحق الحجر.

يد الإنسان: الإنسان لا يلحق الحجر، بل يلحق الضارب.

يد العارف: العارف بالله تعالى لا يلحق الضارب ولا الحجر! يلحق يد الله الّذي حرّك.

٦ - الطيور ثلاثة:

طير: لا يكسب غيره، وإنمّا يأخذه غيره.

طير: يحافظ على نفسه ولا يقدر أن يكسب غيره.

طير نرسله: يحافظ على نفسه ويكسب غيره، وهذا هو القوي، وهذا الّذي يهمنا ونريده.

٧ – ثلاثة تضعف العقل:

الغضب، والخمر، والحب لغير الله تعالى.

٨ – الناس في الآداب على ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: لأهل الدنيا آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب.

الطبقة الثانية: لأهل التقوى في تأديب الجوارح بالعهود، وتأديب النفوس بالرياضة والمجاهدة.

الطبقة الثالثة: أهل الخصوصية فهؤلاء المرتبة الأعلى، وأكثر آدابهم في طهارة القلب، ومراعاة الأسرار الإلٰهية بحفظها.

٩ – العوالم ثلاثة:

عالم الملك، عالم الملكوت، عالم الجبروت، عالم الملك: يعني عالم الشهادة جزء بسيط بالنسبة لعالم الملكوت، عالم الملكوت: عالم

الأرواح اسمه عالم الأمر.. ويوجد شيء أعلى: عالم الجبروت، هذا عالم السرّ، من يدركه؟ الصادق الأمين النزيه العفيف..

١٠ – الشياطين ثلاثة أقسام إجمالاً:

المطرود: عزازيل أبو مُرّة (إبليس).

الأبيض: وهو للرسل والعارفين.

النمنوم الصغير: الّذي تولّد بين شيطان الإنس والجنّ، وهو أخبث الشياطين.

١١ – علامات ثبات المرء ثلاثة رجلاً كان أو امرأة:

يُمْتَحنُ بالمال فإن أحبه فهو كلب دنيا.

يمتحن بالنساء فإن مال إليهن فهو خائن، ويمتحن النساء بالرجال أيضاً.

يمتحن بالحق فإن مال عنه فهو متعصب.

١٢ – أوصيكم بثلاثة أمور:

الّذي يحب الدنيا الدرهم والدينار ليس على شيء.

الّذي ينظر إلى النساء ليس على شيء.

الّذي يظهر له الحق ويقف مع نفسه والباطل ليس على شيء.

امش مع الحق، واتبع الحق، ولا تخش إلّا الحق، فالحق أحق أن يُتَّبع، وما في الوجود إلّا الحق.

١٣ – الشيطان لا يقدر أن يدخل إلاّ على ثلاثة أصناف:

الّذي نفسه غير مطهرة.

الّذي عقله صغير.

الّذي يأتيك لغرض من الأغراض.

١٤ – اللين ثلاثة أقسام:

لين طبيعة: كلين الوالدة لولدها، وهو مذموم إذا لم يكن بحكمة.

لين خوف: كلين الضعيف للقوي، وهو مذموم.

لين رحمة: كلين المصطفى ﷺ لأمّته، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

١٥ – القلوب ثلاثة أقسام:

قلب منكوس: وهو قلب الكافر، لا يسمع الخير.

قلب مبعوج: قلب المنافق، كلّما سمع الخير خرج منه.

قلب مفتوح: وهو قلب المؤمن.

١٦ – للقلوب ثلاث حالات:

موت وحياة.

صحة ومرض.

يقظة ونوم.

فموتها: الكفر، وحياتها: الإيمان، وصحتها: الطاعة، ومرضها: الوقوع في المعصية، ويقظتها: الذكر، ونومها: الغفلة.

١٧ – المتصدّق ثلاثة أقسام:

شخص يدفع الصدقة خوفاً من العقاب.

شخص يدفعها طمعاً في الثواب.

شخص يدفعها لله، وهو الذّاتي.

١٨ – الرجل خيّال ثلاث:

نفسه، فرسه، زوجته!.

١٩ – المراتب ثلاثة:

ما منه إلى الله، وهذا مرتبته الخوف والحزن.

ما من الله إليه، مرتبة المحبة والعناية.

ما من الله إلى الله، هذا هو العارف.

٢٠ – مراتب الكمال ثلاثة:

الرسالة، والنبوّة، والعبدية.

فمرتبة النبوّة بين العبد وربه، ومرتبة الرسالة مرتبة الدلالة على الله، أهل الدلالة[١] هم أهل الرياضة والمجاهدة، أما أهل العبدية فهم أهل العناية، وهذا مقام العارفين، وكان سيّدي عبد القادر الجيلاني ﷺ من أهل الدلالة؛ لذلك كان أكثر المشايخ أتباعاً ومريدين؛ لأن صاحب الدلالة يربي المريد بكراماته ومكاشفاته، وصاحب العبدية يكون جذّاباً، وقد وصل سيّدنا عبد القادر في آخر زمانه ﷺ إلى مقام العبدية، وقال:

ما زلتُ أرتع في ميادين الرضا
حتى بلغت مكانةً لا تُوهب

المرتبة الثالثة: مرتبة العبدية، وصاحبها لا يعلن عن مرتبته إلّا بالأمر الإلٰهي، ودلالته بينه وبين المدلول مع الستر والحكمة، وهذا مقام العبدية.

ومن أهل العبدية رابعة العدوية، كان حبها نزيهاً؛ لأنّها لم تعبد الله خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته.

وكان سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول لأصحابه: هلّموا بنا إلى هذه المربية

(١) الدلالة: هي الإرشاد.

التي لا أجد قلبي إلّا عندها! فتقول له: ما أراك إلّا رجلاً تحبّ الدنيا! وسفيان وما أدراكم من سفيان؟!

المراتب الموجودة في زمن رسول الله ﷺ جميعها موجودة في زماننا هذا وفي كل الأزمنة، ولكنها في زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام من اسم الله الظاهر، وفي زماننا من اسم الله الباطن! رحمةً بنا حتى لا ننكر عليهم، وكل ولي على قدم صحابي، منهم من هو على قدم أبي بكر ومنهم من هو على قدم عمر ومنهم ومنهم.

٢١ - أهل العناية:

منهم من هو مربوط قبل أن تلده أمّه!

منهم من هو مربوط بعد الولادة.

منهم من هو مربوط بعد أن تقع المخالفات ويتوب التوبة النصوح، مثل: سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه [(١)].

٢٢ - المعتني:

الأول: يكون معتنياً بنفسه وبغيره، وهو المرشد الكامل.

---

(١) المقصود بكلمة مربوط أي مربوط القلب بالله تعالى، قال سبحانه في سورة الكهف: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: ١٤].

الثاني: يكون معتنياً بغيره لا بنفسه: وهو المغرور الطالب للمشيخة.

الثالث: لا معتنياً بنفسه ولا بغيره: وهو البطّال.

٢٣ – الأشخاص ثلاثة:

واحد: لا يذهب إلى المدرسة إلّا بقتلةٍ (أي بضرب).

وواحد: لا يذهب إلّا بربع ليرة (أي بشيء من المال).

وواحد: يذهب دون أن يحثّه أحد أو يشعر بكلفة ذهابه، بل الكلفة في عدم ذهابه، وهؤلاء هم الذّاتيون المقصودون، وهم مراد الله تعالى.

الفصل الخامس

نوافذ لمن يصغي

- وصايا وفوائد وحِكَم.
- للسَّائلين.
- للنساء.
- للتجّار.

نافذة الوصايا والفوائد وحِكَم

• فمن الوصايا:

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

١ - لا تقف مع النور بل اِرْقَ لصاحب النور، ها أنت وربُّك.

٢ - الاعتقاد مركوب الشخص، لا تعتقدوا بالحجر بل بالسرّ الّذي وُضع في الحجر(١).

٣ - إذا خالفتم فإنما تخالفون حقيقتكم، ولن تدركوا الأمر على ما هو عليه.

٤ - لا تخمِّنوا النصر بكثرة العَدد والعُدد، هذا غلط، النصر من عند الله ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

٥ - الكدر من حجابك، والحجاب يأتي من الوهم، والمحجوب يتكلّم كل ما يخطر له، ما وجد أحد من أهل الخصوصية كثير الكلام.

٦ - وضع الله فينا القوّة لماذا لا نستعملها؟.

٧ - السلف الصالح إذا أعطى أحدهم الصدقة يضع يده تحت، ويَدُ الفقير فوقَ يده! ويقول للفقير: خذ يا أخي، يدك العليا ويدي السفلى؛ لأنك لك الفضل بالأخذ منّي!.

---

(١) الحجر الأسود الذي في الكعبة.

٨ - أبشع كلمة سمعتها أذني قول بعض العوام: كلُّ الناسِ (هيك) - أي بمعنى (هكذا) -.

٩ - الّذين تفرق بينهم المادة هل يقال لهم محبين؟ كلَّا.

١٠ - لا تسجِّلوا كلام المحب؛ لأنَّ كلامه يتلون على حسب حاله، سجِّلوا كلام العارف.

١١ - ولدي إذا دققت على الحائط مسماراً ليس بالمضبوط، فإنه يناديك ارجع دقني بالمضبوط - أي بشكل صحيح -.

١٢ - يا معلّمون، علموا الأولاد الأخلاق بأخلاقكم، والشجاعة بشجاعتكم، والأمانة بأمانتكم، والصدق بصدقكم لا بأقوالكم.

١٣ - أهل اليقظة لا يعملون مخالفة.

١٤ - المطلوب منكم الأخذ بالسبب الصحيح الشرعي، ولا تسألوا عن شيء سواه.

١٥ - إيّاك أن تخالف شيخك أو والديك فيسلط الله نفسك عليك.

١٦ - إيّاكم ثمّ إيّاكم أن تروا أنفسكم أحسن من غيركم، ما أعطاكم السرّ إلّا لأن قلبكم طيب، فإذا رأيتم أنفسكم أحسن من غيركم أو رأيتم أنفسكم مليحين يسحب السرّ منكم ويعطيه لشخص حتى لو كان كافراً يرزقه الإسلام ثمّ يعطيه السرّ الّذي كان معكم.

١٧ - في الاستئذان: إيّاك أن تنقر الباب بأصابعك! بل بالأظافر.

١٨ - إذا لقيت شيئاً على الأرض فلا تتصرف به، خصوصاً إذا كان شيئاً بحرز (أي مُهمّاً) تبعث خبراً لتلك الجهة، تحفظه عندك سنة.. فإذا

ظهر أهله فأعطهم إياه، وإن لم يظهروا فإن كنت غنياً تفرّقه أنت على روح أهله، وإذا ظهر أهله فأعطهم إياه وينتقل الثواب إليك! إلّا إذا كنت فقيراً فيجوز أن تأخذه دَيْناً عليك، إلى أن يظهر صاحب اللقطة فتعطيه إياها، وإذا لم يظهر تكون صدقة لصاحبها، أفهمتم!؟.

١٩ - أولادي، إيّاكم إيّاكم أن تذكروا كلامنا في كل مجلس؛ لأن كلامنا مسألة ذوقية، وقد يكون في المجلس من ينكر، فيتأذى القائل والسامع!

٢٠ - إيّاكم أن يخالف أحد أباه إلّا بشيء مخالف للشريعة، «فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» إذا خالفتَ شيخك أو أباك والله يسلّط نفسك عليك، نعوذ بالله من ذلك! أولادي، الطاعة الطاعة.

٢١ - نقّصوا من طعامكم ولو لقمة واحدة لا أكثر! لقمة لا لقمتين، يبقى الطعام بنفسك، دائماً خفيفاً لطيفاً، الشبع يتبعه شؤم، كنت لا أعرف الشبع، وأنا مبسوط جداً، أنقص ولو لقمة واحدة، أوصيكم بالمضغ لئلاّ يوجعكم (أي يؤلمكم) الطحال أو الكبد أو المرارة.. أنا لا أرضى لأحد أن يأكل أكثر من وجبتين.

٢٢ - لا أقدر أن أمشي من غير وضوء، من الصعب جداً أن يمشي إنسان من غير وضوء، الوضوء سلاح المؤمن، يعني لا يجيئه شيطان ولا وحش! الوضوء يعطي إضاءة، على الحيوان وعلى الشيطان يحرقه! على أن يكون الوضوء بالنيّة الحقيقية، ينوي الوضوء لأن الله أمرنا بالوضوء؛ لأنّه لا يمكن للإنسان أن يدخل الصلاة بدون وضوء أبداً.

٢٣ - لا تخافوا الموت! إلى أين نروح؟ إلى أرحم الراحمين، ترون ما لا عين رأت ولا أذُن سمعت، ولكن لا تعملوا ذنباً، وإذا وقعت منكم ذنوب توبوا، ارجعوا إلى الله، توبوا التوبة النصوح الحقيقية، وارجعوا إلى الله، ماذا عندكم هنا غير الأكدار! هناك لا أكدار أبداً، الكدر بالنسبة للجسم والطبيعة، هناك لا طبيعة، لا يوجد غير الأرواح، عالم اسمه الأمر، هنا عالم الخلق ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٢٤ - إذا أردتم أن تكونوا مليحين (أي طيبين) فثلاث مسائل: احفظوا ألسنتكم وأبصاركم وأسماعكم! وإذا بكم قد صرتم أولياء! يتولد من حفظ هذه الثلاثة نور، اسمه نور اللطافة، فإذا حفظتم ألسنتكم وأبصاركم وأسماعكم نجحتم!.

٢٥ - إيّاك إيّاك في يوم من الأيام تكون صحيح الجسم عندك مال وعندك علم فيجيئك إبليس يتلاعب عليك! واللهِ يطيرِّك الله تعالى مثلما طيّره! ارجع قل ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

٢٦ - الخلّاطون يخلطون الحقيقة بالشريعة، نحن لسنا مكلَّفين بالحقيقة أبداً، فإن رأيتم أحداً يتكلّم بالحقيقة ضعوا عليه خطين (x) وأنا المسؤول، كذّاب كذّاب! ما فهم ولا ذاق، نحن لا نعلم ولا نفهم إلّا أمَرنا ونهانا لا نطّلع على اللوح المحفوظ نرى فلاناً شقياً أو فلاناً سعيداً. . ! لماذا؟ لأنّه قال ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] بعد لحظة محاه! نحن لا نعرف غير أمَرنا نأتمر، نهانا ننتهي!.

٢٧ - كان عليه الصلاة والسلام يعود المرضى، وإذا كان المريض فقيراً يعطيه شيئاً، والآن عادتهم أن يأخذوا تفاحاً! يأخذوا فواكه! لا.. هذا غير صحيح؛ لأنّه لا يريد الفواكه! ربّما كان عنده أولاد جياع وهو لا يشتغل، فأعطه، ورقة - أي ليرة سورية - وكانت آنذاك تُعدُّ مبلغاً لا بأس به - ورقتين، خمس ورقات، أحسن من أن تأخذ له تفاحات! إلّا إذا تجتمع كلّها فعلى رأسي على عيني، تفاحات ونقود هذا شيء جميل جداً، أمّا أن تأخذ فواكه؟ فما نفع الفواكه مع الأولاد الجائعين والعراة؟!.

٢٨ - يا غني لا ترى نفسك أعلى من الفقير، أنت جُعِلت خادماً للفقير، عليك أن تبحث عن الفقير لا الفقير هو يبحث عنك، لا!.

٢٩ - رجل طيب صالح لمّا يزرع فلا يجيئه الزرع، أو يتاجر فيخسر يا لطيف يغضب..! هذا كذّاب! لا تقتدوا به، الغضب وضعه له الشيطان أبو مرّة! قلت: يا أخي بالله عليكم! غضبكم لمّا تغضبون هل يردّ لكم مالكم؟ قال: لا! إذاً فماذا يعطيكم الغضب؟ الغضب: غلبة من الشيطان عليهم. أمّا الغضبان فيريد أن يسيِّر الوجود مثلما يريد، إذا ما صار مثلما يريد يغضب، هذا مقطوع، لا فَهِم ولا عَرَف كلمة واحدة، لا يعرف غير نفسه وهو معرض عن ربه! الّذي يغضب فعلى نفسه، وغضبه ليس بصحيح، العاقل لا يجتمع مع الناس إلّا بساعة الاستفادة، سواء كان قريباً أو بعيداً؛ لأنّه ترقى وتلطّف وعرف، الّذي يغضب لا تزال نفسُه خبيثةً جاهلةً مريضةً، حَضْرَتهُ يريد أن يسيِّر الناس مثلما يريد هو! هذا خطأ، أولاً لا بدّ أن يتوب ويرجع إلى الله، وإلّا خسر وذهب مع الذاهبين.

٣٠ - لا تستعجلوا إذا جاءكم أحد بخبر مهما كان يكون.

٣١ - احترم العالِم الفاسق؛ للعلم الّذي يحمله، ولو أنه لم يحترم العلم، ما عنده استعداد لأن يحترم العلم، فدلَّ على أنه دنيء النفس سافل خسيس وما قدّر العلم، فأنت قدّر العلم، افهم!.

٣٢ - القعود قبل الفجر لا بدّ منه، لا يجوز أن يؤذّن الفجر والمؤمن نائم.

٣٣ - نفْسٌ لا تأخذ عن نفْس! وإذا أردتم أن تنصحوا أحداً ويعرض عنكم اتركوه، لا يجوز أن تزيدوا عليه، ربّما تجعلونه يكفر! لأنّه ما آمن بكم ولا صدَّق، اتركوه حتى يعطيه الحق سبحانه وتعالى شيئاً من النور ليدرك!.

٣٤ - كثير من الناس يقصّ رؤيا، مراده من قصّ الرؤيا أن يصير له كيان عند الناس! واللهِ ما رأيت ناساً، ما في الوجود غير الله، والله اسمه عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال.

٣٥ - إذا أردت أن تحجّ، وأنت حاجّ سبع حجّات أو ثماني! أعط المال للفقراء والله أحسن لك! يقول لك الكذّاب: لا، أنا مشتاق! أَتُقَدِّم المادّة على المعاني يا أخي، لماذا أنت رايح (أي ذاهب)؟ لأجل أن ترى الرسول ﷺ؟ الرسول يرضى عليك إذا أعطيت للفقراء، خاصّةً إذا كانوا طيّبين أتقياء، الرسول يفرح لذلك، وأنت تفرح وهم يفرحون، والله يفرح، فأي شيء تريد أكثر من هذا؟!

٣٦ - الإنسان عندما يغضب يكون قائده إبليس! وإذا قلت له: صلِّ على النبيّ؛ ربّما يسبُّ النبيّ! إيّاكم وكم مرّة قلنا لكم الغضبان لا تقولوا له: صلِّ على النبيّ ولا تعظوه وقتئذٍ، فإنْ صحا فلا مانع!.

٣٧ - كن مع الله بالصدق، ومع الناس بالإنصاف، ومع النفس بالقهر، ومع العلماء بالتواضع، ومع الفقراء بالإيثار، ومع الشيخ بالخدمة، ومع الأطفال بالشفقة، ومع الجاهل بالسكوت، ومع الأعداء بالحلم، ومع الأحباب بالنصيحة.

٣٨ - عليك بهذه الصفات العشر: وهي صفات الأبدال.

أ - سلامة الصدر: لا يشكّ بأحد في العالم البتّة.

ب - السخاوة في المال: سخيّ إلى آخر حدّ.

ت - صدق اللسان: لا يكذب أبداً.

ث - تواضع النفس: لا يرى نفسه أحسن من غيره، يشهد نفسه خادماً للعالم.

ج - الصبر في الشدّة: عندما يُبتلى ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [فصلت: ٣٥].

ح - البكاء في الخلوة: عندما يكون وحده يبكي بخشوع، لا بكاء قتل وضرب وهو ليس بسارق ولا سارقة، وإنما بكاء المحبة والمعرفة للحضرة الإلٰهية، مسرور بربِّه.

خ - النصيحة للخلق: ديدنه النصيحة للخلق كباراً وصغاراً علماء وغير علماء.

د - الرحمة للمؤمنين: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨] لا يذمّ أحداً وإنَّما يدعو لهم.

ذ - التفكّر في الأشياء: يتفكر في الأشياء والمخلوقات حتى يتوصّل إلى الله.

ر - العبرة بالأشياء: البصر وُجِدَ للعبرة، النظر الحرام خيانة، كل شيء في الوجود فيه اعتبار.

٣٩ - لا تسترخص المرأة، والفرس، والدار، الفرس تعين الخيّال، والخيّال يعين الفرس، فرسك الحقيقية هي نفسك.

٤٠ - لا تمزح، فإن المولع بالمزح لا يذوق الكمالات الإلٰهية، إلّا إذا كان المزح لأمر وبقدر الملح للطعام، والكامل لا يكون مزّاحاً.

٤١ - والله إذا تنتقد من كل عقلك تُطرَد.

٤٢ - إذا صعب عليك أمر فاقرأ الفاتحة بنَفَس واحد، ثلاثاً، أي كلَّ فاتحة بنَفَس.

٤٣ - إيّاك والغفلة، أعلى شيء عند الإنسان الكامل عدم الغفلة، إذا كنت غافلاً عن نفسك فعن غيرك من باب أولى.

٤٤ - يا منصف أنصف! الصابونة نظّفتك فنظّفها! أي أحسنتْ إليك فأحسن استعمالها.

٤٥ - ولدي، إذا كنت راكباً الفرسَ ووقعت عصاك فلا تقل لأحد: ناولني إيّاها، انزل بنفسك وخذها.

٤٦ - إذا رأيت قشةً أزلْها من أمامك، لئلاّ تقف في طريقك.

٤٧ - ولدي، إيّاك أن تبصر عورتك إذا أمكنك، ولا البصاق الّذي تبصقه، ولا الأقذار؛ لأن النظر إلى الأقذار مكروه شرعاً، ولا تنظر إلى المحرَّمات، ولا تستمع إلى محرم ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

٤٨ - العاقل يعمل عملاً له، لا عليه.

٤٩ - إذا رأيت رجلاً من أهل الله مشغولاً بالله لا تأتِ إليه لئلا تعطِّلَ صفاء وقته بالله.

٥٠ - إذا رأيت شخصاً يشرب الخمرة فعليك أن تنكر عليه بالظاهر، وتدعو له بقلبك، ظاهرُك الشريعة وقلبك الحقيقة، تنكسر إلى الله: يا رب هذا عبدك يا رب ارحمه يا رب يا رب، حتى يتوب ويكون في صحيفتك، الراحمون يرحمهم الرحمن، «**ارحموا من في الأرض يرْحمكمْ من في السماء**»[(١)].

٥١ - يجب عليك أن تكون حارساً أميناً على سمعك وبصرك ولسانك...

٥٢ - لا تغتر بمالك أيها الإنسان، مالك كلّه عبارة عن دخول وخروج كأس أو نصفه، فلو أنّ إنساناً يملك مليون ليرةٍ ثمّ ظمئ حتى كاد أن يهلك، وجاءه رجل فقال له: أعطيك كأس ماء ولكن بنصف مالك، فأظنّه يعطيها، ثمّ إذا صار معه حصر بول قال له: لا أُخرِج منك هذه الكأس التي شربتَها إلّا بالنصف المتبقي، فأظنّهُ يعطي ما بقي من ماله، والأغرب من الماء: النفَس، إذا ضاق نفَس أحد قليلاً فإنّه يموت، فالنفس الّذي نحتاجه كثيراً جعله الحق سبحانه وتعالى رخيصاً بلا ثمن، بدون مادّة، ثمّ أعطاك حافظة ومخيّلة ومفكّرة تفكّر في الأمور هذا حسن وهذا غير حسن ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٣٢٣) برقم: (١٩٢٤).

٥٣ - إذا خطر لك خاطر لا تقل: الله يلعن الشيطان، ولكن قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، مثل الكلب إذا ضربته يعوّي، وكلَّما تضربه أكثر يعوي أكثر، وكذلك إذا قلت: الله يلعن الشيطان يزيد أكثر.

٥٤ - أريدكم مثل أصحاب رسول الله ﷺ، مثل الأُسُود، أنا لا أحبّ الهزلي ولا الضعيف.

٥٥ - عاملوا الناس بما تحبّون أن يعاملوكم به، اعملوا ميزان المعاكيس.

٥٦ - اللحية لا تزيّن الإنسان، حسن المعاملة هو الّذي يزيّن اللحية.

٥٧ - لا تظنّوا صحبة أهل الله تكفي، قد تكون حجّةً عليك.

٥٨ - لا تخالفوا الله تعالى، فإنّكم تخالفون حقيقتكم، وإذا خالفتم حقيقتكم لن تدركوا الأمر على ما هو عليه.

٥٩ - ما جرت عادة الله أن يكون بخيلٌ سيّداً، «**سيّد القوم خادمهم**»[(١)]، فالسيّد الّذي لا يخدم بماله ونفسه ليس بسيّد البتّة.

٦٠ - لا يحفظكم إلّا اتِّباعكم للرسول ﷺ، الحفظ فوق الستر.

٦١ - أولادي، تفاءلوا ولا تتشاءموا، والله كما تتفاءلون يكون، الرسول ﷺ ما تشاءم قط، بقدر إمكانكم تفاءلوا مع الله تعالى.

٦٢ - «**أعطوا السائل ولو جاءكم على فرس**»[(٢)] كذّاباً أو صادقاً.

٦٣ - أول شيء أرضوا ضميركم، ضميرُكم هذا خليفة الله في الإنسان.

---

(١) فيض القدير: (٤/ ١٢٢).

(٢) موطأ مالك (٢/ ٩٩٦) برقم: (١٨٠٨).

٦٤ – لقمة الحلال هي تدلُّكم على أهل الله، اللقمة لا بدّ أن تكون حلالاً، المراقبة تأتي من أكل الحلال.

٦٥ – جرت عادة الله أن الرجل إذا كان الله يحبُّه وهو يحب الله فلا يُدخل أحداً في قلبه، فإن دخل أحدٌ في قلبه إمّا أن يبتليه الله بمن أدخله، أو يأخذه منه.

٦٦ – التقوى هي الوقاية، انظر عمّن تأخذ دينك، وعمّن تأخذ علمك، إنَّ هذا العلم دين، «**فانظروا عمّن تأخذون دينكم**»[(١)].

٦٧ – الّذي يبقى جباناً ما دخل في قلبه الإيمان.

٦٨ – قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. روح الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن كلٌّ بمقداره.

٦٩ – لا تتهموا الله، إيّاكم أن تخلطوا فتقولوا: كل شيء من الله لتتهموا الله، الله ربّنا لا يُتهم ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] خلْقاً لا تقديراً، وليس من عند الله شرّ، فمن أسمائه عزوجل المعطي والمانع، معطي الخير ومانع الشر، ولا يظهر عنه الشر إلّا بعد أن تخالفوه، فالشر عبارة عن ثمرات المخالفة، ويخطئ من يظنّ أن الآثام والشرور مكتوبة على جبين الإنسان؛ لأن الله تعالى ما خلق إنساناً على الشقاوة أبداً، قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على**

(١) صحيح مسلم: (١/ ١٤).

الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه»[(١)]. والفطرة هي التوحيد والإسلام، وليست هناك شقاوة أصلية، بل الشقاوة عارضة، وما خُلِقنا إلّا للسعادة، كيف ينهانا عن الزنى ويوقعنا فيه ثمّ يحاسبنا عليه؟ حاشا لله! ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. ولكن نفس الإنسان ارتضت ذلك فاكتسبت خلْقَ الشرّ، الشرّ لا أصل له، إنما هو ثمرة المخالفة، المانع يمنع الشر، المعطي يعطي الخير، أسماؤه كلّها مركّزة.

٧٠ - إيّاكم أن تستصغروا أحداً، لا صغيرَ إلّا نفسُك، قال أحد المريدين لشيخه: يا شيخي أعطني السرّ! قال له: يا بني لم تبلغ المكانة بعد! قال: يا شيخي، واللهِ لقد صرتُ مليحاً (أي صالحاً)! قال: إذا أردتَ فلا بدّ أن تقبّل يد أذل إنسان على وجه الأرض! فخطر للمريد أن ليس أذلَّ من يهودي يعمل في تنظيف القاذورات! فجاء إليه وقال: خواجه! قال: نعم، قال: أعطني يدك أقبّلها! قال: ولماذا؟ أما وجدتَ أذل منّي في العالم؟ اذهب وقبّل يد نفسك!. وهذه لا تفهموها ولاية من يهودي، لا! وإنما شيخه هو الّذي تلبس باليهودي!.

٧١ - يا أولادي لا تستصغروا أحداً في الوجود، فقد يكون ذا مرتبة عالية عند الله! تضحك عليه وتسخر منه، وقلبه بارد ورحمته سارية عنده من السعة يضحك لك ولا ينتقم لنفسه!.

(١) صحيح البخاري (١/ ٤٦٥) برقم: (١٣١٩).

٧٢ - وصية لطالب في المدرسة:

قال ﵁: بني، لا تصحب أحداً، ابْقَ في المدرسة وحدك، وإن كان ولا بدّ فجالس من هو أعلى منك، أعلى منك خُلقاً لا علماً فيعلمك الشيطنة بعدها؛ لأن الحقّ ﷷ لمّا مدح سيّدنا محمّداً ﷺ مدحه بالخلق لا بالعلم قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [ن: ٤] نحن نعرف الإنسان يزيد على الإنسان بأخلاقه لا بعلمه.

٧٣ - يجب أن نعلّم الناس الزهد بزهدنا، والصدق بصدقنا، والأمانة بأمانتنا، والشجاعة بشجاعتنا، والفهم بفهمنا.. رغماً عن العدو، إذّاك يخضع العدو شاء أو أبى، هكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ.

٧٤ - نأخذ الإسلام من الإسلام لا من المسلم.

٧٥ - لا يكونن في قلبكم حرارة على أمر، فإنَّ الحق يغار، ليكن قلبكم بارداً على كل شيء، فيكون فيه الخير والربح.

٧٦ - «**إنَّ لربِّكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرّضوا لها**»(١) نتعرض.. فبمقدار تعرّضنا تدخل الشمس، كمثل الستارة والشبّاك والشمس، الله تعالى أينما تكونوا معكم، ولكن كونوا أنتم معه.

٧٧ - الله تعالى أخذ لبي، أريدكم أن تحبّوا الله ﷷ، لا يليق بنا أن نحب غيره، لا أرضى أن يراك الحق وأنت تطلب غيره أو يكون في قلبك غيره، لا تجعلوا لكم غاية عند الله إلّا تنفيذ أوامر الله تعالى.

٧٨ - لا نمدح ولا نذم البتّة، نتكلّم بالحقيقة وننصح نصيحة.

(١) المعجم الأوسط (٣/ ١٨٠). برقم: (٢٨٥٦).

٧٩ - الّذي يقوّي الرابطة هو الصدق، أي صدق الطلب.

٨٠ - انسبوا النعمة إلى المنعم، واشهدوا النعمة منه ليرقيكم ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

٨١ - أولادي، دائماً كونوا في ازدياد، رأس المال هنا في الدنيا لا في البرزخ ولا في الآخرة.

٨٢ - الخطيب قبل أن يصعد على المنبر: يحاسب نفسه قبل كل شيء، ويقرأ الفاتحة لسيّدنا رسول الله ﷺ، ويتوب التوبة النصوح، ثمّ يصعد، والخطبة: قال الله.. وقال الرسول...

٨٣ - إذا عمل ولدكم مخالفةً وأردتم تأديبه فإيّاكم أن تؤدبوه عن طريق النفس والانتقام، فإنه لا يقبل بل يغضب، أما إذا كان التأديب عن طريق التقوى فيقبل ويفرح، وإيّاكم أن تضربوه عن انتقام، واللهِ يزداد عليكم، سواء كان ابنك، أو امرأتك، أو خادمك.. كلّهم سواء. وقبل أن تضرب لا بدّ أن تنذلّ إليه تعالى وتنكسر وتتوكل على الله ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمّل: ٩]، فإذا بذاك قد انكسر ورجع إليك واحترمك وعظّمك وقبّل يديك، لماذا؟ ليست من عندك ولا من عنده بل من عند الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن لمّا انكسرت وتذللتَ إليه وجعلته وكيلك ووكيله، وهذا أمر لا يتخلف رأيناه بأعيننا، لا تضربوا أولادكم عن انتقام، بل انكسروا وتوكلوا قبل ذلك، ثمّ اضربوهم، النفس إذا كانت حيّة غير منكسرة تكون أفعى، تقتل..

٨٤ - أولادي، إيّاكم ثمّ إيّاكم أن تدعوا على أولادكم، إذا دعوتم عليهم يشقون، إيّاكم مهما عمل ساعِدوه على نفسه، ادعوا له، لا تساعدوا

شيطانه ونفسه الأمّارة بالسوء. إذا دعوتم له أسعده الله تعالى، وإذا أسعده الله يعاملكم معاملة السعادة، أمّا إذا دعوتم عليه فقد يستجيب الحق ويشقيه، وإذا شقي يعاملكم معاملة الشقاوة.

٨٥ - الأم مسؤولة أكثر من الأب؛ لأنّها مباشرة للولد أكثر من الأب.

٨٦ - الولد يطلع حسب المرضع أو الحامل، فإن كانت محاسبة لنفسها صالحة كان الولد مؤدّباً مثلها.

٨٧ - إذا أراد الإنسان أن يعرف، كيف يحاسبه الله يوم القيامة؟ فلينظر لنفسه كيف يحاسب الناس! طبق الأصل تماماً، إذا كان يتساهل يتساهل الله معه، أمّا إذا كان لا يتساهل إلّا أن يأخذ حقّه فالله سبحانه وتعالى يعامله معاملة العدل! هذي قاعدة مطّردة ما فيها شك البتّة، إذا أراد الإنسان أن يعرف كيف الحق سبحانه وتعالى يحاسبه يوم القيامة؟ ينظر لنفسه كيف يعامل الناس.

٨٨ - كتب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأحد الطلبة المحبين له في أوروبا، جواباً عن رسالته:

حافظْ ما استطعت على روحانيتك ومعنويتك أن تمسّها بشيء من العبث أو المجون، ولا تصاحب من صحبته تؤثر بأخلاقك، وحاذر أن يتخطفك تيّار الشهوات ومتطلبات البطن والفرج، وكن حكيماً بنفسك، وتعقّلْ في كلّ أمر أي خالف هواك وشهواتك، فإن رؤياك تدل على أنك تطيح بنفسك شرّ إطاحة! فكن راعياً لنفسك، ولا تَرِدْ إلّا أعذب الموارد وأطيب المغارس، ويجب أن تكون في كنف أمّك وأبيك ومن أنت في حكمهم.

٨٩ - لا أريد أحداً يخبرني عن نفسه بسوء، ولا أريد أحداً منكم يخبرني

عن أحد بسوء أبداً، إذا نقل لك أحد حكاية والله ما غاظك إلّا الّذي بلّغك، إذا واحد صادق وصافٍ يستفيد مني كثيراً وأنا أستفيد منه أكثر بكثير! لا أريد واحداً يشقى بسببي، أنا الابتلاءات وحّدتني، وليس الولائم والأكلات وما شابه ذلك، هذه لا توحّد، الله يريد إذا يطّلع عليك لا يرى في قلبك غيره، لا أرضى أن يراك الحق تطلب غيره، هذه لا أرضاها، إذا واحد يصدق معي ويتبعني لا يجرؤ الشيطان أن يأتي إليه، صادق الوجهة لا يعرف الكسل أبداً، وإذا واحد يقول إنه صادق ويأتيه الشيطان نقول له: تكذب أنت كذّاب!

٩٠ - أولادي، إيّاكم أن تطلبوا من الله شيئاً يضرّكم، هذا عبارة عن عقل صغير، أنتم اعملوا مثلما أقول لكم، نحن: أمر ونهي، نحن أولاد شريعة فقط، مرادنا الله، ونحب الله.

٩١ - الإنسان لا يقدر أن يذوق الأحاديث والآيات إلّا بعد التقوى ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٩٢ - يجب أن يعزل طالب الاستخارة نفسه عن إرادته ويسلِّم لما يكون فيها، ولا يخالف النتيجة فيقع في المخالفة وسوء المنقلب.

٩٣ - إيّاكم أن تجعلوا حالكم محل الإفادة، بل على الدوام استفيدوا، أولادي، دائماً كونوا في ازدياد، دائماً كونوا في ازدياد، رأس المال هنا في الدنيا، لا في البرزخ ولا في الآخرة.

٩٤ - ناموا بعد العشاء: أولاً بركة للجسم، ورحمة لروحكم ومعانيكم، هكذا قام الوجود، ناموا أول المساء إلّا إذا عندكم ضرورات فهذا

بحث آخر، اقعدوا قبل الفجر بساعة أو ساعتين، التجلّي الإلٰهي بالرحمة، البركة باسم الوهاب ينزل ربّنا إلى السماء الدنيا ويقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟... العاقل ينام أول الليل ويقوم آخر الليل، هذا تقسيم الحكم العدل، تقسيم الّذي تجلّى على العرش باسم الرحمٰن ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] مثلما أنّ الله رب العالمين فإن سيّدنا محمّداً رسوله رحمة للعالمين، والأولياء: اختصاص الرحمة في العالمين ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] فالوجود كلّه قائم بالرحمة الإلٰهية.

٩٥ - حين تجتمعون مع بعضكم لا تتكلّموا بالسياسة إيّاكم(١)! صاحب السياسة يؤذي! ، السياسة من نفسك ومن عقلك ومن عصبيتك، أما الحكمة فظهرت عن الإخلاص لله، من تعليم الله، صاحب الحكمة لا يؤذي.

---

(١) وتوصيته هذه ﷺ لعموم المنتسبين الذين يخشى عليهم من الاشتغال بالسياسة غير الشرعية، فتضعف وجهتهم إلى الله تعالى وينقطعوا في الطريق؛ لاشتغالهم بالأدنى دون الأعلى، حتى يكتمل حالهم.
سأله مرّة الشهيد البطل الشيخ عبد العزيز عبد اللطيف البدري في بغداد قائلاً: سيّدي، كل الجهات السياسية تعمل ونحن نعمل أو لا نعمل؟ فأجاب ﷺ: وأنتم أيضاً اعملوا، فكانت هذه العبارة منطلقاً له ﷺ في دخوله في السياسة الشرعية من أجل إقامة دولة الحق والعدل، وقد بلغنا عنه ﷺ إجازته بعض الخطباء بالتحدث بالسياسة الشرعية وإنكاره على آخرين، وحسب حال الخطيب وعلو همته وحكمته، بل هو مرجع لكثير من الساسة في مجال تخصصهم في مشوراتهم كما هو مرجعهم في الأمور الروحية ومشاكلهم الدنيوية.

٩٦ - لمّا تجتمعون مع بعضكم تكلّموا بأهل الله؛ حتى تنزل عليكم الرحمة، أبواب السماء تنفتح، ويصير كلامكم كلّه مقبولاً عند الله سبحانه وتعالى ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] البيت له باب، لا تأتوها من ظهورها، الباب هو رسول الله ﷺ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٠٧] الّذي يأتي من ظهر البيت لص! والّذي يأتي من الباب ضيف، وإذا أتى لا يدخل مثل الحيوانات، لا.. فالمسلم المؤمن يطرق الباب أوّل مرّة: فإن أُذن له يدخل، وإن لم يؤذَن ينتظر دقائق ثمّ يطرق مرّة ثانية: فإن أُذن يدخل، وإن لم يؤذَن فينتظر دقائق.. ثمّ يطرق مرّة ثالثة: فإن أُذن يدخل، وإن لم يؤذن له يرجع، يُفتح له باب الرحمة وباب الأدب، يرجع من حيث أتى، ينسرّ أي يكون مسروراً والشيء الّذي جاءه يلاقيه بالرجوع! أما الّذي يريد أن يدخل، أبو النفس، أبو الغضب، أعوذ بالله!.. يُدخِل معه شياطين كثيرة، يدخل هو ونفسه وشياطين كثيرة معه، افهموا ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]. الباب الحقيقي هو الأدب، فإذا الإنسان ما تأدّب: احذف الألف بقي (دبّ)!!

٩٧ - إذا اجتمعتم اذكروا الله، اذكروا رسول الله، اذكروا أهل الله، تنزل الرحمات عليكم.

٩٨ - أولادي: لا تبقوا بالعوالم الكثيفة العوالم الحيوانية، هناك عوالم لا يعلمها إلّا الله، يجب أن تحصل نسبةٌ بينك وبينها، وإذا لم تحصل فلا تعرفهم ولا يعرفونك ولا يأتون إليك، الّذي يجيء بهم النِسب أي وجود النسبة بينك وبينهم فإذا وقعت النسبة فهم عندك، اُخرجوا

عن الحيوانية، كونوا إنسانيين ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٧٩] تخلَّقوا بأخلاق الله، تأدبوا بآداب الرسول ﷺ تعطِكم سروراً وصدقاً وشجاعةً وكرماً.. يتزيّن المجلس والزمان والمكان بك، عليكم أن تحاسبوا أنفسكم الحساب العسير لا الحساب اليسير، إذا تركتموها وشأنَها تصير مثل الكلب العقور نعوذ بالله منها! إذا أحب الله عبداً بصّره بعيوب نفسه ليتطهّر منها، يبصّره بالخصوصيات، إيّاك أن تطلب الصفات الإلٰهية إلّا عن طريق الاتباع، تخلقٌ، ثمّ تحقّقٌ، ثمّ حقيقة، (بعدها) تشهد أنَّك عبد، والفعّال المطلق هو الله، تشهدونها شهوداً ذوقياً، الله جلّ جلاله وضع للإنسان مرتبة الخلافة، «**إن الله خلق آدم على صورته**»[(١)] الله ليس جسماً، صورته: صفات المعاني السبعة (حيّ، عالم، قادر، سميع، بصير، مريد، متكلّم) لكنّكَ خليفة غير أصلي، إيّاك أن تدّعيها يوماً من الأيام، بل قل: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

٩٩ - إيّاكم أن يشهد الحق في قلوبكم مخالفة إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى ملابسكم، لكن ينظر في قلوبكم فإذا وجد فيه غيره مقته ووكّله إلى نفسه[(٢)] يا ربّ، لا تَكِلْنا إلى أَنْفُسِنا طرفةَ عَيْنٍ،

(١) متفق عليه، وتمامه: «خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ آدَمَ على صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً، فَلَمَّا خَلَقَهُ قال: اذْهَبْ فَسَلِّمْ على أُولَئِكَ: نَفَرٍ مِنَ المَلائِكَةِ جُلُوسٍ فاسْتَمِعْ ما يُحَيُّونَكَ فإنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرّيَّتِكَ، فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَقالُوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهُ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ». وزاد البخاري: «**فكل من يدخل الجنّة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن**». صحيح البخاري (٥/ ٢٢٩٩) برقم: (٥٨٧٣) وصحيح مسلم (٤/ ٢٠١٧) برقم: (٢٦١٢).

(٢) مأخوذ من حديث شريف أخرجه الإمام مسلم (٤/ ١٩٨٧) برقم: (٢٥٦٤) عن أبي =

ليس لنا وجود لا نحن ولا أنفسنا، الوجود لك يا الله ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

• ومن الفوائد:

قال ﷺ:

١ - رمضان اسم من أسماء الله، الصيام عن غير الله، والإفطار بالله سبحانه وتعالى، الصوم فيه معنى: صوموا عن السوى يصح لكم الحبيب. «صوموا تصحوا»[(١)] من صام لله، صح لله، كان عبداً لله سبحانه.

٢ - الوقت الممتد بين العصر والمغرب وقت عظيم، ولو كان بيدي لما خرجت فيه ولما خالطت الناس فيه.

٣ - الشعوري إذا أجاد فإنه يجود بعاطفة، ولكنه لا يُولَّى ولا يُؤمَّر.

٤ - التلقيح في الكون دائم! اليقظة تعمل نوراً، والغفلة تعمل ظلمة.

٥ - تقبيل الأصابع ووضعها على الجفون عند قول المؤذن أشهد أن محمّداً رسول الله، بعض الفقهاء يقولون: تقي العيون من العمى، وأنا أقول: تعين على فتح البصيرة، ألاَ وهي القلب.

٦ - ولاية الأب على ابنته باقية بعد زواجها.

٧ - البرد سبب كل علة!.

= هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**». وفي رواية لمسلم أيضاً: «**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأشار بأصابعه إلى صدره**».

(١) الفردوس بمأثور الخطاب عن علي بن أبي طالب (٢/ ٣٩٣) برقم: (٣٧٤٥).

٨ - سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، تقوم مقام تحية المسجد إذا كان هناك درس.

٩ - لدفع العين: بسم الله ما شاء الله، لا قوّة إلّا بالله.

١٠ - النسيان إمّا نسيان يأتي من الذنوب، أو نسيان يأتي من الاشتغال بالأعلى فينسى الأدنى.

١١ - لأهل الذنوب مطهّرات أولُها الموت، ثمّ القبر، ثمّ البرزخ، والقيامة ومواقفها، ثمّ الحشر والنشر، فإمّا أن ينتهي عذابه بهذه الأهوال، وإمّا أن يصل إلى النار.

١٢ - الوجود كلّه ماء زمزم، قال ﷺ: «**ماء زمزم لما شُرِب له**»[(١)].

١٣ - الكريم إذا أعطى لا يرى لنفسه ميزة على من أعطى (أي من أخذ).

١٤ - الزمان وتقلباته وأحكامه تسري على صاحب الغفلة، يسري عليه الحكم.

وأمّا أهل الشهود فلا يحكم عليهم الزمان ولا المكان، بل لم يبق عندهم زمان ولا ومكان «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**»[(٢)].

١٥ - الكعبة خُلِقت لنا، ونحن خُلِقنا له.

١٦ - لا يوجد تقدُّمي دون أن يكون رجعياً إلى الله وأوامره التي نزلت مع رسله صلوات الله عليهم.

(١) المستدرك على الصحيحين (١/ ٦٤٦) برقم: (١٧٣٩).
(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ٣٢٣) برقم: (١٠٤٥٨)

١٧ - الرزق لا يزيد ولا ينقص، وزيادته بركة وعدم بركة.

١٨ - الذئب جبان؛ لأنّه يأكل من الغنم القاصية.

١٩ - إبراهام أعلى من إبراهيم، إبراهام: تبرأ وهام.

٢٠ - النيّة خلاصة تزكية النفس، «**نيّة المرء خير من عمله**»(١).

٢١ - الزمان والمكان ليس لهما عند الله تعالى وجود.

٢٢ - سبحان ربي الأعلى: علو مكانة لا علو مكان.

٢٣ - المؤمن الكامل يشهد فضل الله عليه على الدوام، وأموره كلّها مسدَّدة، له ملائكة خاصة تسدده.

٢٤ - إذا قال أحدكم: اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد، مرَّةً واحدة مع الاحترام والتعظيم خير له من مليون مرّة بدونها!.

٢٥ - كل من سار على الدرب وصل، ولكن حسب الوجهة، يصل إلى المكانة لا المكان، وهو سبحانه حكيم.

٢٦ - أشدّكم حجاباً عن الله تعالى العبّاد والزهّاد، هؤلاء يكثرون العمل ويقللون الأدب، وعلامة المحجوب منهم بزهده وعبادته أن الزاهد يحتقر غيره من الراغبين.

٢٧ - كل شيء بالقرآن ينطق ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [فصلت: ٢١].

٢٨ - لا أكبر من الإنسان في الوجود إلّا الله.

---

(١) شعب الإيمان (٥/ ٣٤٣). برقم: (٦٨٦٠).

٢٩ - لا مثلية في الوجود، حتى لا تجد حبّةً مماثلةً للأخرى.

٣٠ - الفرق بين الوسواس والورع أنَّ الوسواس يحكم عليك غصْباً عنك، والورع تقدر أن تمشي بدونه.

٣١ - الّذي ليس عنده كمال لا يحب الكمال.

٣٢ - مرتبة من مراتب أهل الله لا يمكن أن يموت إلّا وهو مَدين.

٣٣ - الإنسان تتبدل أوصافه بالتربية المحمّدية مثل الصحابة ﷺ كانت أخلاقهم قبل الإسلام غير مرضية، فلمّا جاء سيّدنا محمّد ﷺ وأخذ يربّيهم صاروا سادة العالم بالأخلاق والعلم والكمال.

٣٤ - الإنسان معه صفتان: إيمان وكفر، فلا بدّ أن يؤمن بالله ويكفر بالطاغوت، فإذا عكس الأمر خالف وعصى.

٣٥ - مرض الرمل والحصَى ينشأ من الغضب.

٣٦ - كلُّ من يهيمن على نفسه يهيمن على غيره.

٣٧ - الوجود قائم بالأمر والنهي، وكذلك الإنسان؛ لأنّه جامع ومأمور بالخلافة على ما هو جامع له.

٣٨ - الشهوة والغضب من أكمل الكمالات إذا كانا بعد تطهير النفس وتزكيتها.

٣٩ - الأمراض لها آجال مثل آجالكم.

٤٠ - لا يوجد شيء في الدنيا صدفة أو عبثاً ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يسٓ ٣٨].

٤١ - يظنّ الناس أن زماننا غير الزمان الأول! لماذا يا أخي؟ الزمان الّذي كان فيه الصحابة وكان المؤمنون والطيّبون والأولياء والصالحون،

والآن أين ذهبوا!؟ ما زالوا على ما هم عليه! ولكن ما عندك استعداد؛ لأنك آخذ بأسباب الشقاوة، ومحجوب عنهم، وإلّا فهم موجودون، ما نقص منهم ولا شخص البتّة! لا يقدرون أن يظهروا لزيد وعمرو، يراهم الطيبون الصالحون الأولياء يرونهم كلّهم، ما نقص منهم واحد!.

٤٢ - ما وجد بخيل دخل الجنّة أبداً أبداً، ولا وجد كريم يدخل النار أبداً أبداً، بشرط الاعتقاد.

٤٣ - البخيل عادته يقول: واحد + واحد؛ اثنان، اثنان + اثنان؛ أربعة! حتى يسوّي بناية على قلبه! أمّا ذاك فلا يقول: واحد + واحد يقول: أحسب أنه ما جاءني، يعطي الواحد للفقراء، هذا هو القريب.

٤٤ - الإنسان عند موته لا يأخذ معه شيئاً أبداً لا زراعة ولا تجارة ولا ليرات ولا أراضي ولا دوراً، يأخذ معه نتائج ثمرات العمل الّذي عمله مع الفقراء وما شابه.

٤٥ - لا يوجد واحد مثل واحد.

٤٦ - آكل الربا، ومصاحب الجنّ لا بدّ أن يفقره الله تعالى.

٤٧ - لا يمكن لصالح أن يحب فاسقاً أبداً، ولكن الفاسق يمكن أن يحب الصالح.

• ومن الحكم:

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

١ - أربع من الشقاوة: جمود العين، وقساوة القلب، والحرص، وطول الأمل، وأربع ضدّهنّ من السعادة.

٢ - لو لم تكن من أهل الفضيلة ما رجعت عن الخطيئة.

٣ - وَضْعُ الأمور في محلِّها بالأمر والنهي الإلٰهي هو الحكمة، والدار والمملكة التي ليس فيها بيت ماء ناقصة.

٤ - الشَّكْوة[1] شكوتان: إما ماء وإما لبن، شكوة الماء تنتج زَبَداً، وشكوة اللبن تنتج زُبدة ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧].

٥ - نعيم الدنيا تنفيس عن ألم، أما نعيم الآخرة فهو النعيم الحقيقي.

٦ - الغنى ابتلاء، والفقر ابتلاء، فمرجع الغنى الشكرُ؛ يا شكور، ومرجع الفقر الصبرُ؛ يا صبور، والوجود قسمان: نصف شكر، ونصف صبر.

٧ - جرت عادة الله أن الغيب لا يُرى إلّا بالغيب، والمعنى لا يُرى إلّا بالمعنى، والحسّ لا يُدرك إلّا بالحسِّ.

٨ - الغافل لا ميزان له لا لنفسه ولا لغيره.

٩ - الوهم من الداخل.

١٠ - إذا عرفتم أمر الحكيم تسهل عليكم الأوامر.

---

(١) الشَّكْوة: بفتح الشين وسكون الكاف: وعاء كالدلْو والقربة الصغيرة، جمعها شُكى، وقيل: جلد السخلة ما دامت ترضع شكوة، فإذا فطمت فهو البدرة، فإذا أجدعت فهو السقاء.. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/١٢٠٦)، وبالمفهوم الدارج هي إهاب الغنم الذي يجمع فيه الحليب ويُحرَّكُ ليكون لبناً ثم يستخرج منه الزبدة والسمن.

نافذة للسَّائلين

١ - سئل رضي الله عنه كيف حمل البراق رسول الله ﷺ؟

فأجاب رضي الله عنه: حملَه شوقُه، لا البراق.

٢ - سئل رضي الله عنه عن قول صاحب الهمزية في المديح النبوي:

خُلِقت مبرأً من كل عيبٍ كأنك قد خُلِقت كما تشاءُ

أيهما أعلى كما تشاء، أو كما يشاء؟

فأجاب رضي الله عنه: كما يشاءُ؛ لأن الله سبحانه وتعالى أعلم من الرسول رضي الله عنه، وهي أصلُها كما يشاء، أخطأ الّذي قال: كما تشاء.

٣ - سئل رضي الله عنه عن سيّدنا محمّد عليه الصلاة والسلام حين رأى ربه هل رآه بعين البصر، أم بعين البصيرة؟

فأجاب رضي الله عنه: الرسول ﷺ كلّه بصيرة، حتى جسمه ما له ظِلّ!.

٤ - سئل رضي الله عنه عن اليوم الّذي ولد فيه عليه الصلاة والسلام؟

فقال رضي الله عنه وكتب بخط يده: ولد ﷺ يوم ٨/ربيع الأول، يوم ٨/ربيع الأول![١]

---

(١) سئل سيّدنا رسول الله ﷺ عن صوم يوم الاثنين، قال: «**ذلك يوم ولدت فيه**» صحيح مسلم (٢/٨١٨) رقم: (١١٦٢). فلا خلاف بين العلماء في مولده يوم الاثنين لكن الخلاف بتاريخ الولادة هل هو السابع أو الثامن أو الثاني عشر المشهور بين الناس، وقد ثبت =

٥ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنهُ عن الأكل بالقدر هل يطيل العمر؟ والأكل بالتخمة هل ينقص العمر؟

فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ: الحق عَزَّوَجَلَّ علِم أن هذه النفس تأكل كثيراً فينقص أجلها بإدخال الطعام على الطعام، والأخرى ضدّها.

إن المعدة المريضة لا يمكن أن تقبل الأكلات الغليظة، كذلك كلام أهل الله لا تحمله القلوب المملوءة بحب الدنيا والأولاد والزوجات والزعامات.

٦ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنهُ هل نسمّي من يضرب بالشيش(١) أو يدخل النار ولا يحترق أو يشرب السمّ ولا يتأذّى؛ ولياً وفعله كرامة؟

فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ: هذا قبل أن يكون كرامةً يسمى خرق عادة، فإن كان صاحبه صائماً مصلياً مستقيماً نسمّيه كرامة، أمّا إذا كان غير ذلك فلو كانت كرامة لأكرمه الله بالصلاة، بل نسمّيه مكراً واستدراجاً، لا نسمّيه كرامة، الكرامة لشيخه.

فإن قيل لنا: لماذا لم يتأذَّ؟

قلنا: بالسرّ الّذي أخذه عن شيخه، وشيخه عن شيخه.. إلى سيّدنا أحمد الرفاعي رَضِيَ اللهُ عَنهُ، والسرّ الّذي أخذه من شيخه المراد منه بقاء الكرامة لإثبات صدق المعجزة، يعني كانت معجزة في الوجود وهذه كرامة ليست له وإنما لشيخه.

= بالحساب أن يوم الثامن من ربيع الأول هو وحده يوافق يوم الاثنين لا غيره، وهذا ما ذكره وأكّد عليه سيّدنا النبهان رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

(١) وليس في طريقته رَضِيَ اللهُ عَنهُ ضرب بالشيش وما شابه ذلك.

يصوم، يصلي، تقي، نقي، صالح: تكون له كرامة.

الّذين يضربون بالشيش ولا يصلّون، ربّما لا يعرفون الوضوء، ذاك لا نطمئن إليه، ضربَ نفسه بالشيش، شرب سمّاً، ودخل بالنار لكنه يكذب، هؤلاء ممكور بهم.

أكبر شيء الاستقامة ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٣].

مطلوب من أهل الكرامة أن لا يعملوا كرامة، وإذا وقعت منهم أن يستروها، فالمطلوب سَتر الكرامة بعكس المعجزة.

الكرامة والاستدراج بالنسبة للعامل لا بالنسبة للعمل.

العمل اسمه خرق عادة، عادةً أنه إذا شرب السم يموت، فلا يموت، إذا دخل النار يحترق، فلم يحترق، إذا ضرب بالشيش يموت، فلم يصبه شيء.

العامل هل هو مستقيم يصوم ويصلي وما يكذب..؟

فإن قالوا: لا، قلنا لهم: هذا كذّاب، اسمه استدراج، والكرامة لشيخه.

٧ - سئل رضي الله عنه هل السؤال والعذاب في القبر على الروح أم على الجسم؟

فأجاب رضي الله عنه: ليس السؤال على الروح ولا على الجسم! فتعجب السائل وقال: فعلى من يكون إذن؟

قال رضي الله عنه: السؤال على النفس المكلّفة ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] هي أمّ الشهوات، هي أمّ المخالفات؛ لذلك يجب عليكم أن تجاهدوا أنفسكم.

٨ - سئل رضي الله عنه عمّن يموت قبل البلوغ أهو في الجنّة أم في النار؟

فأجاب رضي الله عنه: الّذي يموت قبل البلوغ في الجنّة وإن كان ابن يهودي أو ابن مجوسي...؛ لأن القلم ما كتب عليه شيئاً.

الّذي يموت قبل البلوغ للجنّةِ فوراً، سواء كان ابن يهودي أو ابن مجوسي، أو ابن أيٍّ كان؛ لأن القلم ما كتب عليه شيئاً.

٩ - سئل رضي الله عنه هل صحيح أن ابن الزنى في النار؟

فأجاب رضي الله عنه: اللهم صحيح إذا أمره الله تعالى وما ائتمر، ونهاه وما انتهى فللّه الحجّة البالغة، أمّا إذا أمره الله تعالى وائتمر ونهاه فانتهى يقول: يا رب، أين حجّتك البالغة؟ أنا أي شيء فعلتُ؟ أمرتني فائتمرتُ، ونهيتني فانتهيتُ، فهل أؤاخَذ بذنب أمّي؟.

١٠ - سئل رضي الله عنه عن السيّدة مريم أهي نبيّة أم وليّة؟

فأجاب رضي الله عنه: وليّة من أولياء الله.

١١ - سئل رضي الله عنه عن قول القائل:

ظاهر أنت، ولكن لا تُرى لعيون حجبتها النقطُ

ماذا يعني بالنقط؟

فأجاب رضي الله عنه: الأغيار، صاحب العين لا يرى أغياراً أي إنه لا يرى مع الله تعالى أحداً!

١٢ - سئل رضي الله عنه عن قول سيّدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: إيّاك والظهور، فإن الظهور يقصم الظهور؟

فأجاب رضي الله عنه: لا تطلب الظهور ولا الخفاء، كن مع الله فإن شاء

أخفاك، وإن شاء أظهرك، لكن جرت عادة الله أن من يطلب الخفاء يظهره، ومن يطلب الظهور يُخْفِه.

١٣ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **: الرسول ﷺ له الشفاعة العظمى فهل للوارث نصيب منها؟**

فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: نعم، وأودّ أن أتشفع فيكم.

١٤ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **: نحن نفهم أن قول النبيّ ﷺ** ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠] **يعني لا توجل.**

فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا! لماذا هكذا؟ سيّدنا الصدِّيق أعلى من ذلك، سيّدنا الصديق عالِم بذرّاته أن الحق حافظٌ سيّدنا محمّداً ﷺ لكن لم يبق له صبر، فقال له: (لا تحزن..) أرجعَه لمرتبته التي كان عليها بكلمة (لا تحزن إن الله معنا).

١٥ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **: هل الكرم اكتساب في الإنسان؟**

فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الكرم أصلي فطري لا مكتسَب؛، لأن كل شيء في الوجود أصلي، «**كل مولود يولد على الفطرة..**»(١). ما ولد أحد في الوجود غير كريم أبداً، لكنه عندما يجالس الأشحّاء ولا أدب عنده يكتسب منهم البخل، أمّا الكمالات فكلّها أصلية فطرية موجودة في الإنسان، ولذلك يقول الحق: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] الحجة قائمة على أفراد الوجود، ما وجد في المخلوق نقص أبداً.

---

(١) صحيح البخاري: (١/ ٤٦٥) برقم: (١٣١٩).

١٦ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أيهما أضرُّ الجاهلية الآن أم الجاهلية الأولى؟

فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الجاهلية الآن أضرّ بكثير؛ لأن الجاهلية الأولى كان عندهم شرف! والآن يأخذ امرأته للمراقص، لترقص امرأته مع رجل، وهو يرقص مع امرأة! حيث لا شرف، وعمود الإنسان قبل كل شيء الشرف، وهذا من خصوصيات العروبة(١).

العروبة لها ثلاث خصوصيات: الأولى شرفه، الثانية كرمه، الثالثة شجاعته، هذا هو العربي، العربي المحض، العربي لمّا يجتمع مع غير عربي فالعربي أعلى، لو فرضنا أنّ العربي والعجمي بمرتبة واحدة صلاح أو غير صلاح تجد العربي أقوى؛ لأن العربي من ذاته عنده شرف، من ذاته عنده كرم، من ذاته عنده شجاعة، هذا هو العربي المسلم، فإذا كان عربي مسلم وعجمي مسلم بدرجة واحدة فالعربي المسلم أعلى بكثير بما لا يقاس(٢). أمّا إذا كان العربي إيمانه بمقداره والعجمي إيمانه أكبر قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحُجُرات: ١٣].

---

(١) لم يكن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بحديثه عن العروبة قومياً متعصباً للعرب على غيرهم.

(٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وخلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم**». المستدرك: (٤/ ٨٣) برقم: (٦٩٥٣).

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله الخلق اختار العرب، ثمّ اختار من العرب قريشاً، ثمّ اختار من قريش بني هاشم، ثمّ اختارني من بني هاشم، فأنا خيرة من خيرة**». المستدرك: (٤/ ٩٧) برقم: (٦٩٩٦).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين: فقسم العرب قسماً، وقسم العجم قسماً، وكانت خيرة** =

إذا وجد فتحٌ لوليّ عربي وفتحٌ لوليّ من غير العرب: يكون فتح العربي أقوى!.

١٧ - سئل رضي الله عنه: لماذا لم يتدخّل الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي في إخماد الفتن التي عاصرته؟

فأجاب رضي الله عنه: لأنّه كان مشغولاً بإعداد نفسه.

= **الله في العرب، ثمّ قسم العرب قسمين: فقسم اليمن قسماً، وقسم مضر قسماً، وقريش قسماً، وكانت خيرة الله في قريش، ثمّ أخرجني من خير من أنا منه**». المعجم الأوسط للطبراني: (٤/ ١٣٥) برقم: (٣٨٠٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حب قريش إيمان، وحب العرب إيمان، وبغضهم كفر، فمن أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغض العرب فقد أبغضني**». المعجم الأوسط: (٣/ ٧٦) برقم: (٢٥٣٧).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنّة عربي**» أخرجه الحاكم في المستدرك: ٤/ ٩٧.

وعن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا سلمان، لا تبغضني فتفارق دينك**»! قلت: يا رسول الله، كيف أبغضك وبك هداني الله؟ قال: «**تبغض العرب فتبغضني**»» رواه الترمذي: (٥/ ٧٢٣) برقم: (٣٩٢٧).

وعن أنس بن مالك الأنصاري: عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من سب العرب فأولئك هم المشركون**». شعب الإيمان للبيهقي: (٢/ ٢٣١) برقم: (١٦١٢).

عن أبي الصهباء النمري عن سلمان الفارسي وكانا يسكنان المدائن قال أبو الصهباء: كنا عند سلمان بالمدائن فقال لنا: قال رسول الله ﷺ: «**أتحبّني؟**» قلت: إي والذي لا إله غيره، قال: «**فلا تبغضني**» قلت: ومن يبغضك يا رسول الله؟ قال: «**من أبغض العرب فقد أبغضني**» رواه الخطيب البغدادي: (١٤/ ٣٦٦).

وقوله ﷺ: «**حب العرب إيمان وبغضهم نفاق**». كنز العمال: (١٢/ ٨٢) برقم: (٣٣٩٢٤). وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا ذلت العرب ذل الإسلام**» مجمع الزوائد: (١٠/ ٢٦).

١٨ - سئل رضي الله عنه عن دعاء للشيخ عبد السلام بن مشيش: اللهم إني أسألك اعوجاج الخلق عليّ، حتى لا يركن قلبي إلى أحد سواك؟

فأجاب رضي الله عنه: قالها قبل الكمال، أمّا بعد الكمال فلا.

١٩ - سئل رضي الله عنه عن نزول الملَك على الولي؟

فأجاب رضي الله عنه: القرآن الكريم صريح بنزول الملَك على الإنسان غير النبيّ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠].

قال السائل: كيف قال الإمام الغزالي بنزوله على النبيّ دون الولي؟

قال رضي الله عنه: هذا أول أمره، أي: إن الإمام الغزالي قال ذلك في بداية أمره.

٢٠ - سئل رضي الله عنه عن الشهيد هل يأكل جسمه الدود؟

فأجاب رضي الله عنه: وخصوصاً شهيد المحبة، أعلى شهادة هي شهادة المحبة.

وذُكرت له امرأة وجدت بعد موتها بفترة طويلة لم تبلَ جثّتها، فقال رضي الله عنه: إنها شهيدة المحبة، قتلها الحب، أي: محبة الله ورسوله.

٢١ - سئل رضي الله عنه عن حديث رسول الله ﷺ: «اللهم أعطِ منفقاً خلفاً، وأعطِ ممسكاً تلفاً»[(١)] هل أنه عليه الصلاة والسلام دعا على من يمسك ماله عن الإنفاق؟

فأجاب رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ ما دعا عليه، وإنما دعا للممسك أن يتلف أمواله في مراضيه بقوله ﷺ: «**وأعطِ ممسكاً تلفاً**»...

(١) صحيح مسلم (٢/ ٧٠٠) برقم: (١٠١٠).

٢٢ - سئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «صلوا خلف كل بَرٍّ وفاجر»[١] سيّدي، نصلّي خلف البِّر فكيف نصلّي خلف الفاجر؟

فأجاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إمّا أن ينال منهم أو أن ينالوا منه[٢].

٢٣ - سئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن قول سيّدتنا عائشة ليلة الإسراء إن فراشه ﷺ لا زال حارّاً؟

فأجاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذا خطأ، خَلَطَ فِعلٌ ماضٍ؛ ما كان قد تزوجها بعدُ[٣]، هذا الحديث مردود؛ لأن الزواج كان في المدينة وإسراء الرسول ﷺ ومعراجه في مكة.

٢٤ - سئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة؟

فأجاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: آخر ساعة من نهار الجمعة.

٢٥ - سئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن قوله عليه الصلاة والسلام قبيل وفاته: «ائتوني بقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا من بعدي»[٤] ماذا أراد أن يكتب ﷺ؟

أجاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان يريد أن يكتب في التوحيد هو علم الصوفية «**تعالوا أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده**» فقال سيّدنا عمر: كفانا كتاب الله!.

٢٦ - قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سألني واحد قال: أصحيح أنّ الرسول كان يبيع ويشتري

(١) سنن الدارقطني بلفظ: «من أصل الدين الصلاة خلف كل بر وفاجر» (٢/ ٥٧) برقم: (٧).
(٢) يُفهَم من إجابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن الرحمة عندما تنزل عليهم: تنزل على الإمام وتوزّع عليهم إن كان بَرّاً، وإن كان فاجراً أصابت المصلين خلفه أولاً ثمّ تعمّه منهم، والله تعالى أعلم.
(٣) كان عمرها سنة الإسراء والمعراج حوالي أربع سنوات أو خمس.
(٤) صحيح مسلم (٢/ ١٢٥٩) برقم: (١٦٣٧).

حتى يعرق الجبينان؟ قلت له: مع أن الرسول قالها لكن ما فعلها! إلّا أنه قالَها للبخلاء، واللهِ أنا لا أقدر أن أفعلها، إذا جاءني واحد مثلاً ليجمع أجور الكهرباء أو الماء أحتال له حتى أعطيه فرنكاً، أو فرنكين، أو ثلاثة، أو أربعة. . زيادةً[١].

٢٧ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنهُ عن قوله عليه الصلاة والسلام: «فِرَّ من المجذوم فرارَك من الأسد»[٢]، ورسول الله ﷺ قد أكل مع المجذوم! فكيف يكون ذلك؟

فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ: الإيمان إيمان اعتقادي، وإيمان ذوقي، الرسول ﷺ كان إيمانه ذوقياً، لا يعتقد فحسب، بل يشهد أن لا فاعل ولا محرِّك ولا مسكِّن إلّا الله، قال ﷺ: «فِرَّ من المجذوم فِرارَك من الأسد» لمن يخاف، يدخل سريان العدوى مع الخوف، فالّذي إيمانه ضعيف يسري إليه، أنا لا أخاف، وأكلت مع مسلول من الدرجة الثالثة، العدوى لا تدخل إلّا على الضعيف الّذي إيمانه اعتقادي وهذا الطريق طريق ذوق.

وفي رواية ثانية سئل رَضِيَ اللهُ عَنهُ: كيف ينهانا النبيّ ﷺ أن نَفِرَّ من المجذوم بقوله: «**فِرّ من المجذوم فِرارَك من الأسد**» وهو ﷺ أكل مع المجذوم، فهل نأخذ بكلامه أم بفعله؟ فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ: النبيّ ﷺ قال: **فِرّ من المجذوم** لأصحاب الإيمان الاعتقادي، أمّا صاحب الإيمان الذوقي فيأكل كما أكل النبيّ ﷺ بحديثه: «**لا عدوى في الاسلام**».

---

(١) هذا الكلام حين كان للفرنك قيمة معتبرة في العملة السورية.

(٢) مسند أحمد ابن حنبل (٢/ ٤٤٣) برقم: (٩٧٢٠)، وأخرجه البخاري بلفظ: «فر من المجذوم كما تفر من الأسد» (٥/ ٢١٥٨) برقم: (٥٣٨٠).

٢٨ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن أفضل فرد في الأمة المحمّدية بعد سيّدنا محمّد ﷺ؟

فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الّذي لا علم عنده يقول: سيّدنا أبو بكر الصدّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومن كان ذا علم يقول: سيّدنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنّه طلب من الله تعالى أن يكون فرداً من الأمة المحمّدية، والحق أعطاه، وله محشران: الأول: يُحشَر رسولاً في بني إسرائيل، الثاني: يُحشَر على أنه فرد من الأمّة المحمّدية.

وهو خاتم الأولياء العامّة لا الخاصّة، ولا هو بخاتم النبوّة؛ لأن خاتم النبوّة واحد هو سيّدنا محمّد عليه الصلاة والسلام، وخاتم الولاية يعني قطبها أو خاتمها وهو شيء واحد، خاتم الولاية العامة هو سيّدنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. طلب سيّدنا عيسى قبل ستمائة عام أن يجعله الله من الأمّة المحمّدية.

٢٩ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن تلبُّس الجنّ بالإنس هل يقع؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: نعم[(١)].

٣٠ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لماذا لا تأتينا الوساوس إلّا في الصلاة؟

فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لأن رسول الله ﷺ قال: «**الصلاة نور**»[(٢)] فالوساوس تأتي في الصلاة لا في الحج ولا في الزكاة، الصلاة نور وشأن النور لا يأخذ ولا يعطي، ولكنه يكشف؛ لذلك يلزمك أن تتوب التوبة النصوح قبل

(١) قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

(٢) صحيح مسلم (١/ ٢٠٣) برقم: (٢٢٣).

أن تدخل في الصلاة، وهكذا المرّة على المرّة حتى تتطهر وما ترى بعدها إلّا الكمالات.

في كلّ الحالات يدخل الشيطان إلّا في السجود؛ لأنّه أُمِر بالسجود وما سجد، أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد(١).

٣١ - سئل ﷺ عن النطفة البشرية إذا وُضعت في جوّ ملائم للحياة كالرحم؟

فأجاب ﷺ: لكن الروح لا تنفخ فيها ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

٣٢ - سئل ﷺ عن المؤمن يكون في الجنّة وزوجته من أهل المراتب العالية في الجنّة، وهو من حشو الجنّة، فكيف يجتمعان مع تفاوت المرتبتين؟

فأجاب ﷺ: إن الله تعالى يكرمها بأن يعطي زوجها رتبتها إكراماً لها، وكذلك الزوج إن كان من أهل المراتب في الجنّة وزوجته أدنى منه مرتبةً فإن الله يكرمها به فيرقّيها إلى مرتبته.

أمّا البنت التي لم تتزوج في الدنيا فبحسب مرتبتها هناك، ربّما يزوِّجها الحق من نبي أو رسول أو صدّيق أو عارف بحسب مرتبتها.

أمّا المرأة من أهل الجنّة وزوجها من أهل النار، فإن كان من الخالدين فيزوّجها الحق بحسب مرتبتها من أهل الجنّة، وأمّا إن كان موحّداً فتنتظره حتى يخرج طيباً فيتزوجها، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٥٠) برقم: (٤٨٢).

٣٣ - سئل ﵁ عن الصوفية لماذا سُمّوا صوفية؟

فأجاب ﵁: لكونهم ورثوا المصطفى ﵌، الصوفية أهل الصفاء.

٣٤ - سئل ﵁ عن قوله ﷺ: «اتقوا الله وأجملوا بالطلب»[(١)]؟

فأجاب ﵁: قل: اللهم إنّا نسألك العفو والعافية، هذا إجمال في الطلب، أجملوا في الطلب قولوا: اللهم إنّا نسألك العفو والعافية وحسن الختام.

٣٥ - سئل ﵁ عن التقوى؟

أجاب ﵁: التقوى هي الاتباع.

٣٦ - سئل ﵁: أيهما قَبْلُ؛ الصدق أم التوبة؟

أجاب ﵁: التوبة قبل الصدق.

٣٧ - سئل ﵁: سيّدي، كيف أحصل على الصفاء؟

أجاب ﵁: أن تنظر إلى نفسك، لا تنظر إلى الناس.

٣٨ - سئل ﵁: ما هو أقوى علاج لتطهير النفس وتزكيتها؟

أجاب ﵁: المحاسبة.

٣٩ - سأل ﵁ من حوله: ما هي أفضل الأعمال؟ فلم يجب أحد، فقال ﵁: صحبة أهل الله أفضل الأعمال عند الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

---

(١) المستدرك (٤/ ٣٦١) برقم: (٧٩٢٤).

٤٠ - سئل رضي الله عنه: هل الامتثال خير أم الأدب؟ كما لو أمر الشيخ تلميذه بالأكل معه أو غير ذلك.

فأجاب رضي الله عنه: الامتثال خيرٌ من الأدب أي هو من الأدب، وبتعبير آخر: الامتثال خير من خيرات الأدب!

٤١ - سئل رضي الله عنه عن الغضب؟

فأجاب رضي الله عنه: الغضب كمال عندما يكون غضبك لله تعالى لا لنفسك.

٤٢ - سئل رضي الله عنه: عن أقرب المذاهب إلى الله تعالى، وعن أسباب الاختلاف؟

فأجاب رضي الله عنه: أقرب المذاهب إلى الله سبحانه وتعالى مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة.

قال السائل: سيّدي، ولكن مذهبكم شافعي؟

قال رضي الله عنه: أنا ما عندي عصبية، أقرب المذاهب إلى الله تعالى مذهب الإمام الأعظم، إلّا أنّ عادة أهل البيت يربّون أولادهم على مذهب الإمام الشافعي.

الإمام أبو حنيفة (كان يأخذ بروح النص، وكان عارفاً بالله)، والإمام الشافعي (كان يأخذ بالنص، وكان من الأوتاد)، والإمام مالك (إمام)[1]، والإمام أحمد (صدّيق).

اختلاف المذاهب من اختلاف أحواله صلى الله عليه وسلم: «**صلّوا كما رأيتموني أصلّي**»[2]. ومن هنا نشأت المذاهب لاختلاف رؤيتهم له صلى الله عليه وسلم.

(١) للوارث المحمدي وزيران يطلق على كل منهما إمام.
(٢) أخرجه البخاري (١/٢٢٦) برقم: (٦٠٥).

صحابي لا يقلّد صحابياً، بل يتّبع الرسول عليه الصلاة والسلام.

الدين كلّه سعة، رحمة، واختلاف المذاهب رحمة، وكل المذاهب بأجمعهم من رسول الله ﷺ، وكلّها فعلها رسول الله، هذا رآه ساجداً وهذا وهذا.. قال ﷺ: «**صلّوا كما رأيتموني أصلّي**».

المجتهد لا يصح أن يقلّد مجتهداً، والصحابة رضوان الله عليهم كذلك لا يعملون إلّا كما يرون.

إذا أردنا أن نقلّد مذهباً فعلينا أن نأخذ بالعزائم لا بالرخص وهو الأحوط لدينا.

المذاهب عندنا كلّها محبوبة، وأي مذهب من المذاهب مسكناه (أي التزمناه) يوصلنا إلى الله، وكل طريق من الطرق موصلة إلى الله، بشرط أن تعمل بها على مراد الله لا على مرادك.

٤٣ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هل الابتلاء له نهاية؟

فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هل الترقي له نهاية؟ طالما الترقّي ما له نهاية أو حدّ، فالابتلاء ما له حدّ.

٤٤ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن سيّدنا لقمان؟

فقال: أنا عندي: لقمان نبي.

وعن سيّدنا ذي القرنين؟ فقال: ذو القرنين نبي ورسول.

٤٥ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن قول سيّدنا أويس القرني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: والله ما غزا رسول الله ﷺ غزوة قطّ إلّا وغزوت معه، ولا شُجّ وجهه الشريف إلّا وشُجّ وجهي، وما كسرت رباعيته إلّا وكسرت رباعيتي كيف يكون هذا؟

فأجاب ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب»[(١)].

٤٦ - سئل ﷺ عن قول سيّدنا عبد العزيز الدباغ ﷺ في الإبريز: أنّه شاهد أنوار أزواج رسول الله ﷺ، وأن نور السيّدة عائشة كان أعلى الأنوار؛ لماذا كان نورها أعلى أنوار أمّهات المؤمنين؟

فأجاب ﷺ: إن سبب هذا النور هو الابتلاء الّذي صُبَّ عليها صبّاً.

٤٧ - سئل ﷺ: أليس الصحابي من رأى رسول الله ﷺ وآمن به، وهم أفضل القرون، فما بال الأقطاب الأربعة وأهل الله الكبار هل أنهم لم يبلغوا مرتبة الصحبة؟

قال ﷺ: أنتم تقولون: الصحابي من رأى رسول الله ﷺ، فهل أهل الله الكبار لم يروه وواحدهم يقول: لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين؟

٤٨ - سئل ﷺ: من أفضل: سيّدتنا عائشة أم سيّدتنا خديجة ﷺ؟

أجاب ﷺ: إذا كان قبل حادثة الإفك فخديجة، أما بعد حادثة الإفك فعائشة ﷺ.

٤٩ - سئل ﷺ: لماذا لـمّا دخل النبيّ ﷺ الغار وسيّدنا أبو بكر دخل معه شقَّ من ثيابه ووضعه في الجحور إلّا جحراً وضع رجله عليها، فلدغه الثعبان؟

أجاب ﷺ: من جهلك، حتى تظهر مزية سيّدنا أبي بكر ﷺ وأنه محب صادق، وعند موت سيّدنا أبي بكر رجع الألم، حتى مات شهيداً.

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٨٣) برقم: (٥٨١٦).

٥٠ - سئل رضي الله عنه: كيف ينسى سيّدنا آدم وهو معصوم؟

فأجاب رضي الله عنه: الكمّل يشتغلون بالأعلى فينسون الأدنى، سيّدنا آدم عليه السلام أكل من الشجرة لأنّه أول مخلوق من الإنسان؛ لأنّه لا يعرف في الدنيا أحداً يكذب، يدور في فكره: أن الله نهاه كيف يأمره إبليس هكذا؟ ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] سيّدنا آدم أكل من الشجرة ليكون بجوار ربِّه من الخالدين، رأيته في اليقظة لا في المنام فوجدته فطرة خالصة، سيّدنا آدم اعترف وأقرّ بأنه عصى، رجع إلى الله تعالى وبكى وانكسر، لم يقل: أنا ما عصيت، مع أن الحق عز وجل يشهد له في القرآن الكريم بقوله ﴿فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ [طه: ١١٥] ما عزم على المخالفة أبداً؛ لأنّه معصوم، المحب الطبيعي يا شيخ لا يمكن أن يخالف محبوبه، فكيف بالمحب الروحاني؟ فكيف بالمعصوم ولكن قضاء الله تعالى جرى عليه تعليماً لأولاده، إذا وقع منهم ما وقع فهكذا يعملون بالتوبة، بالذلّ، بالانكسار، بالاعتراف، والحق عز وجل قَبِل توبته، وجعله خليفة في الأرض، وهكذا يكون القوي، فليس القوي الّذي لا تقع منه المخالفة، وإنما القوي الّذي لا يصرّ على المخالفة، فيعترف أنه كان مخطئاً، ويتبين بأن عنده نوراً قوياً أدرك به سرّ ذلك، سيّدنا آدم المذكور في القرآن الكريم من سبعة آلاف سنة، وقبل آدم أو آدم! وبعد آدم أوادم! ولا يوجد بشر إلا على هذه الأرض.

٥١ - وسئل رضي الله عنه: عن الجنّة التي كان فيها سيّدنا آدم وسيّدتنا حواء أهي في الأرض أو في غير مكان؟

فأجاب رضي الله عنه: خلقه هنا، والجنّة فوق، وأخذه مع حواء إلى هناك إلى

الجنّة، ثمّ هبطوا إلى الأرض جميعاً، أي: سيّدنا آدم وسيّدتنا حواء والشيطان.

٥٢ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن سيّدنا الخضر هل يجتمع مع سيّدنا الرسول ﷺ؟

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يجتمع مع أحباب الله فكيف لا يجتمع مع الرسول ﷺ؟.

قال السائل: لا يوجد حديث بذلك؟

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هذه من الأسرار الإلٰهية، عند أهل الله من يُفْشِ بالسرّ يقتل!.

٥٣ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن الغوث؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: موظف رئيس حكومة مُقيَّد، أما الفرد الذّاتي فمطلق، وهو الّذي ربّاه رسول الله ﷺ وهو الوارث الكامل، الّذي يرث كل ما مع رسول الله ﷺ أي يرثه وراثة كاملة إلّا النبوّة ورسالة التشريع.

٥٤ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لماذا قُتل الغلام الوارد ذكره في سورة الكهف؟

فأجابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن سيّدنا الخضر أخبر والديه: أن الغلام سيكون شقيّاً، وإذا أذنتم لي بقتله سوف يرزقكم الله بنتاً تتزوج ويأتي منها ولد يكون نبيّاً، فوافق والدا الغلام، فقتله سيّدنا الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ. **وعاد السائل فقال: ما هو الجرم الّذي قام به الغلام؟**

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن هذا الغلام بعلم الله سيكون شقياً (لو عاش) وخلّصه من الشقاوة، وخلّص والديه من تبعتها، وإنه سيبدلهم ببنت فيأتي منها ولد يكون نبياً، وهذه الحالة لا تتكرر ثانية.

٥٥ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سيّدي هل أمنع الناس من تقبيل اليد؟

فأجابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هذا الّذي يقبّلون يده إذا زنى هل يقبّلون يده؟ قال: لا!

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فينبغي أن يعلم أنهم يقبّلون يد الشريعة، فحينئذ لا يمنعهم.

٥٦ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هل أن كل النساء ناقصات عقل ودين؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا والله! بل هناك نساء واحدتهنّ تساوي مائة ألف رجل، لا ألفاً! قال عليه الصلاة والسلام: «**كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يَكْمُل من النساء إلّا أربع: آسية ومريم وخديجة وفاطمة**»[1].

٥٧ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن خواطر السوء؟

فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هذه من الطعام، الخواطر لها طعوم في الفم مثل الأكل!.

الأولياء أو الصوفية يحاسبون أنفسهم على الخاطر، فإن كان الخاطر جميلاً حمدوا الله على هذه النعمة، وإن كان الخاطر غير جميل استغفروا الله وتابوا إليه.

٥٨ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن صاحب الأسباب في الدنيا: إمّا أن يتوجه لعمله بجد ونشاط وقوّة وحزم ومثابرة وتنظيم وسهر، فيعطيها كلّه لتعطيه بعضها، لكنه ينصرف عن الآخرة فيتعب في الدنيا وينهمك فيها، مكاثراً، فتركبه الهموم والأحزان، متعباً مهموماً ليس له راحة ولا يجد في العبادة طعماً وليس في وجهه نور فضلاً عن قلبه، وإمّا أن ينصرف بقلبه إلى الأخرى فيذوق بعض حلاوة العبادة ويلوح له نور الإقبال على الله، فيعرض عن العمل الدنيوي ولا يهتم به، فيزهد في أسبابه ودنياه فينقص نشاطه ويختل عمله وتهرب منه زبائنه، ويفارقه شريكه فتكون

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢٥٢) برقم: (٣٢٣٠).

أعماله مختلّة بعد أن كانت منظّمة، فيأتيه الخاطر ويقول له: «كفى بالمرء إثماً أن يضيّع من يعول»(١) فيتّهم حاله وإقباله على الآخرة وربّما رجع عن طريق الآخرة وتمسّك بالدنيا تمسُّك الأعمى ويهلك، فكيف الطريق؟

فقال ﷺ: أمّا المشغول بدنياه المنهمك فيها مكاثراً متكالباً عليها معرضاً عن ربه، فذاك كلب في صورة إنسان؛ لأنّه حكم على نفسه بالشقاء في محبّتها والتكالب عليها، وهي جيفة وطلّابها كلاب، وهي عدوّة له عدوّة لربه عدوّة لدينه، فصحبها بقلبه حتى جعلت قلبه في ظلام، وحجبتْه عن النور وأهل النور، وجعلته يتقرب من أهل الفجور حتى صار منهم؛ لأن معشوقته معهم، فهذا محكوم عليه بالإعدام.

وأمّا الآخر الّذي أقبل على الآخرة بقلبه وجسمه حتى زهد في العمل خوفاً من الدنيا فدخل على أعماله الخلل فهذا جاهل ضعيف، ومن ضعفه أنه انهزم من العمل ورضي بالكسل، فتعطلت أعماله وساءت أحواله.

أمّا المؤمن العارف بالله وبأحكام الله، أو المؤمن الّذي له مرجع من المرشدين فهو يعطي الدنيا حقّها والآخرة حقّها، يعطي الدنيا عملاً منظّماً متقناً من كل جوانبه، قد أعطى ذلك العمل حقّه فقال العمل لخالقه: اللَّهم إنّه أعطاني حقّي، فاجزْه عنّي، فقال الخالق: إني أعطيته المحبة منّي ومن خلقي، أمّا أنا فأحب العبد المتقن عمله، وأمّا عبادي فقد جعلت في قلوبهم محبة للمتقن عمله بشرط أن يكون ذلك المتقن قد أتقن عمله امتثالاً

(١) المستدرك على الصحيحين (٤/ ٥٤٥) برقم: (٨٥٢٦).

لأمري، «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**»[(١)] وبشرط أن يكون أتقن عمله بجسمه، وأمّا قلبه فهو معلّق بالحضرة الإلٰهية، وأمّا روحه فتحن إلى خالقها، فهو كائن بائن، قلبه مع الله وجسمه في العمل، روحه في العرش وجسمه في الفرش، بل إنه يرى سيّده في عمله، لا يتحرك حركة ولا يعمل عملاً، لا يأكل طعاماً ولا يشرب شراباً ولا يدرس درساً إلّا ويرى سيّده في ذلك العمل، فهذا خليفة الله في الأرض، وقد جعل الله آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خليفةً في الأرض، فعلّمه الأسماء كلّها فجعله خليفة فوق الملائكة، فمن كان من ذرّيته على سنّتِهِ فهو أفضل من الملائكة؛ لأنّه جمع بين صفة الملائكة وهم أجساد نورانية، وبين صفة البشر يأكل ويشرب وينكح وينام ويبيع ويشتري، فمن غلب إيمانُه شهوتَه فهو أفضل من الملائكة، الزهد زهد القلب لا زهد اليد، الزهد مرتبة قلبية.

٥٩ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨] **هل هو خاص بالرسول ﷺ أم عام؟**

فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كل خطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ المراد به نحن.

٦٠ - سُئِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن قوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يسٓ: ٣٠]؟

فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كلُّ نفَس رسول.

٦١ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما قولكم سيّدي في الذكر عند الصوفية بلفظ الجلالة

---

(١) مجمع الزوائد: (٤/ ٩٨).

(الله) مع أن النبيّ ﷺ يقول: «خير ما قلته أنا والنبيّون من قبلي لا إله إلا الله»[١] فكيف يذكر أكثرهم بلفظ الجلالة؟

فأجاب رضي الله عنه: إن الحديث المذكور «**أفضل ما قلته أنا والنبيّون من قبلي لا إلٰه إلا الله**» للتشريع ولدلالة الناس على التوحيد، وهذا ما أُرسِل المرسلون به.

والذكر بـ«لا إلٰه إلا الله»، فيه النفي والإثبات وهذا ذكر العوام الذين ينفون به خواطرهم ووساوسهم، وأمّا الخصوص الذين لا يملكون ما يحتاج للنفي (أي ليس عندهم ما يحتاج للنفي) أهل الحضور بل دوام الحضور فهم مع الحضرة الإلٰهية فإنَّ ذكْرَهم بما أخذَ مخيّلتَهم وهو الله، فالموضوع فيه عموم وخصوص، فذكر العموم هو لسان التشريع للنفي والإثبات، وذكر الخصوص هو ذكر محبوبهم وهذا أعلى وأهله خواص.

٦٢ - سئل رضي الله عنه: عن الحديث القدسي: «أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرتُه في ملأ خير منه»[٢]. فإذا ذكر اللهَ تعالى الصحابةُ في مجلس رسول الله ﷺ ففي أي ملأ أعلى من هذا الملأ يذكرهم؟

أجاب رضي الله عنه: العوالم ثلاثة: عالم محمّدي: عالم أهل الأرض، وعالم السماء: أحمدي، وعالم العرش: المحمودي، فإذا ذكروه في العالم المحمّدي الأرض ذكرهم في العالم الأحمدي السماء، وإذا ذكروه في العالم الأحمدي ذكرهم في العالم المحمودي العرش.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٧٢) برقم: (٣٥٨٥).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦١) برقم: (٢٦٧٥).

٦٣ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن صفات الله تعالى هل هي عين الذات، أم لا هي عين الذات ولا هي غيرها؟

فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا هي عين الذات ولا هي غيرها.

٦٤ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن التدخين؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عندنا التدخين حرام؛ لأنّه مضرّ، وعند الناس تعتريه الأحكام الخمسة؛ لأن البعض إذا لم يدّخنْ يكفر.

قال السائل: وكذلك شربه في المساجد وحلقات الذكر؟

فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حرام.. الدخان حرام! لأنّه مضرّ، والّذي يقول لا يضر يكون حيواناً! اسألوا الأطباء أجمع: التبغ مضرّ أم لا؟ الدخان أوّل أمره لا يضرّ إذا كان واحد عنده قوّة ومنعة، وجسم قوي لا يظهر عليه، لكن بعد ما يصير بالخمسين، بالستين: أح أح يا من يحمله يا من يقعده!.

ما رأت عيني، ولا سمعت أذني، ولا شمّ أنفي رجلاً من أهل الله يدخن، التدخين عند أهل الله حرام، وعند الناس تجري عليه الأحكام الخمسة.

ثلاثمائة وستون ملكاً عند الإنسان، كل واحد عنده وظيفة، الدخان والبصل والثوم والغيبة تؤذي أولئك الملائكة، ألاَ نتلطف معهم.. لا ينال الرجل الولاية حتى يَمُنّ الله عليه بترك التدخين. **وسئل** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **عن بيع السكاير والتبغ؟** فنهى حتى عن بيع الورق الّذي يلف به التبغ. وسمع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أشخاصاً بمجلسه يتهامسون! فقال: ما بكم قالوا: اختلفنا في التدخين فمنّا من يقول إنه حرام، وآخر يقول مكروه. قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنا أقول:

التدخين واجب، قالوا: كيف؟ قال التدخين واجب بالنسبة للذي إنْ لَمْ يدخنْ يكفرْ، التدخين تجري عليه الأحكام الخمسة.

٦٥ - قال ﷺ: أثناء مجيئي إلى هنا إذا بشيخ معه رَجلٌ بوجهه جروح وعليها لزقات! قال لي: يا شيخي أودّ أن أسألك! قلت له: قبل أن تسألني! الشيخ يقول لك: اغسل الصحيح وامسح الجريح؟ قال: نعم، قلت له: لا تسمع له! (والشيخ جنبه) قلت له: لا تسمع له، تمسح مسحة واحدة فقط، لا تضع عليه ماء لأنّه يوْرم (أي يتورم ويلتهب) ما هكذا ديننا! ديننا: «لا ضرر ولا ضرار»[1] كأنَّي لمَّا قلت له هذا الكلام سبحان الله كأنّه كان محكوماً عليه بالإعدام وجاءه عفو! كأنّه كان في القبر وخرج!

٦٦ - قال ﷺ: أحد إخواننا مصاب بدمامل بيديه ووجهه.. قلت له: إيّاك أن تتوضأ! أنت الآن يحرم عليك الوضوء؛ لأنَّ الماء يزيد مرضك، فيتورم حَبُّه، يطلع زيادة ورم عليه، لا يجوز. ليس ديننا هكذا.

٦٧ - سئل ﷺ عن الذهاب إلى مجالس التعزية؟

أجاب ﷺ: اذهبوا إليها.

قال السائل: سيّدي إذا كان فيها تدخين أو غيبة؟ قال ﷺ: إذا فيها تدخين أو غيبة لا تذهبوا إليها.

(١) المستدرك على الصحيحين (٢/ ٦٦) برقم: (٢٣٤٥)

٦٨ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النظر إلى النساء في المرآة هل يجوز أم لا؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حرام لا يجوز. **قال السائل: كيف نفتي بها الناس مع أنها موجودة في بعض كتب الفقه؟**

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بعضهم يقول: يجوز، ولكن قل لهم: الشيخ يقول لنا: حرام!

٦٩ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن زخرفة المساجد هل هي من علامات الساعة؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: نعم هي من علامات الساعة.

٧٠ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن شراء بعض الحاجات من شركة مؤممة هل يجوز؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يجوز.

٧١ - قال السائل: سيّدي إن الأوقاف جهّزتنا بفراش للمدرسة الشرعية من شركة مؤممة فما هو موقفنا؟.

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هذه على الأوقاف، ولا تخصّكم.

٧٢ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن أكل المعلبات؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كلوا المعلبات كلّها إلّا اللحم(١).

٧٣ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن شرب البيرة حلال أم حرام؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حرام، مسكرة.

---

(١) خشية أن يكون اللحم قد ذبح بطريقة غير إسلامية، أو تكون الذبائح ليست من طعوم أهل الكتاب.

٧٤ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن شراء البيت المرهون في المصرف العقاري؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: جائز، مع الكراهة.

٧٥ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن حلق الشارب؟

فرفع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رأسه وعينيه إلى الأعلى تعبيراً عن عدم محبته للحلق، وقال: قديماً حلقت شاربي مرّة واحدة، فكرهت ذلك، ولم أعد إلى حلقه.

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن حلق شعر العانة والإبط: أقوم بذلك كل جمعة وقال: إن الشيطان يدخل إلى الإنسان عن طريق الوسخ المعنوي أو الوسخ المادّي.. الإسلام ظاهره نظافة، وباطنه لطافة.

٧٦ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن الأرض المغصوبة هل يحرم الأكل منها والصلاة فيها؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الأرض المغصوبة يحرم الأكل منها، والصلاة فيها مكروهة.

٧٧ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن إيجار حاجات الجامع للآخر هل يجوز أم لا؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: نعم يجوز.

٧٨ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن الشركة إذا اشترى شخصان ماكينة حصاد واشتغل أحدهما سائقاً يأخذ الأجرة (بمعنى شريك وأجير)؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: نعم يجوز، كأنّه صار (برّانياً) أي أجنبياً.

٧٩ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن إسقاط الصلاة والصيام والكفّارات والنذور والمظالم عن الميت، فهل تسقط عنه إذا فعلت في الطريقة المعروفة عند الحنفية؟ وهل نفعلها؟

فسكت السيّد الكريم ولم يجب عنها بشيء. ومن المعروف لدينا

أنه ﵁ قد منع الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي في العراق من العمل بها فتركها.

٨٠ - سئل ﵁ عن صلاة الظهر بعد الجمعة؟

فأجاب ﵁: أنا ما أصلِّيها؛ لأن الرسول ﷺ ما صلاّها، ولكنّي آمر العلماء بها؛ لأنّكم مع العلماء، أمّا أنا فمع الرسول ﷺ.

٨١ - سئل ﵁ عن صلاة التراويح هل نصلّيها ثماني ركعات أم عشرين؟

فأجاب ﵁ والسائل كان يكتب: اكتب: عشرين ركعة قطعاً قطعاً وأكّد فقال: أكتبتَ قطعاً؟.

٨٢ - سئل ﵁ عن الكتابة على الكتب الشرعية؟

أجاب ﵁: يجوز، وما فيها شيء (أو) ما عليها شيء.

٨٣ - سئل ﵁ عن المزارعة وما حكمها بأنواعها واختلاف طرقها؟

فقال ﵁: إذا كان منّي الأرض ومنك العمل والزراعة يجوز، وأحسن المزارعة ما اتفق عليه الطرفان.

٨٤ - سأل سائلٌ السيدَ ﵁ عن الوِرد بعد الصلوات الخمس قائلاً: في العراق بعد الصلوات مختلفين، كل واحد متخذٌ طريقة أًو عادة؟

فقال ﵁: كُن مثلي، وكررها مرّتين أو ثلاثة: اعمل بعد الصلوات مثلي.

٨٥ - سئل ﵁ عن بنت تطالبها دائرة العقار بصورتها لغرض تسجيل الأرض باسمها، فهل يجوز أن تأخذ صورة عند امرأة؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما عليه شيء، تأخذ عند امرأة، أنا: أمّ أحمد (أي زوجته) لا أرضى أن تأخذ.

٨٦ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن إدخال الأطفال في الروضة؟

فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كيف حال المدرّسات؟ قال السائل: على خلاف الشريعة فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يجوز.

٨٧ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن الشِّدّة مع الطلاب الصغار، أو اللين، أو تارة وتارة؟

فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أما الشِّدّة فلا، وأما اللين فلا، وأما تارة وتارة فهذه مليحة، نعم تارة وتارة.

٨٨ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن حكم السرقة والغش في الامتحان هل يجوز في الشرع أم لا؟

فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يجوز أبداً، حيث لا يصير عالماً.

٨٩ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن الوضوء على المذهب الحنفي والصلاة على المذهب الشافعي بسبب الحرج الّذي يحدث أحياناً بلمس المرأة؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا كان وضوؤه على المذهب الحنفي صحيحاً يجوز أن يصلّي على المذهب الشافعي؛ لأن الوضوء عندنا عبادة مستقلة، الوضوء رمز بين الحي الّذي لا يموت وبين العبد، يزيد الخشوع بقدر ما تُقلل ماء الوضوء!

٩٠ - سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هل يجوز قطف قشطة الحليب أو الدهن من الحليب قبل بيعه؟

فأجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هذا غش، لا يجوز، لعلك بعته لمن يريد أن يستخرج منه السمن.

٩١ - سئل رضي الله عنه عن صلاة الجنازة على الّذين ماتوا مسلمين ولكنهم لا يصلّون؟

فأجاب رضي الله عنه: صلِّ عليهم ودَعْ ذلك إلى الله.

٩٢ - سئل رضي الله عنه والسائل هو الحاج محمود مهاوش الكبيسي رحمه الله: هل بإمكاني أن أكرم أحد أولادي لأنّه أصلحهم وأكثرهم تديّناً وتعباً في جمع المال؟

فأجابه رضي الله عنه: يا محمود، اترك الأمور لله! ولا تميّز أحداً، ربّما انقلب العابد إلى غير ذلك، وانقلب الفاسق إلى صالح، فماذا تقول لله؟.. أَعْطِ كل ذي حق حقه، ولا تتدخل فيما أراد الله تعالى.اهـ. فحدث أن بعض أولاده رجعوا إلى الله بعد وفاته رحمه الله، وأصبحوا ينفقون على الفقراء ويصلون الأرحام! فانظر إلى كلام العارفين، ولو أن الحاج فرّق بينهم في العطاء لزرع بينهم العداوة والبغضاء.

٩٣ - سئل رضي الله عنه: عن قِبْلة المصلي وهو في القمر؟

فأجاب رضي الله عنه: قِبلته الأرض.

٩٤ - سئل رضي الله عنه: سيّدي، أنتم تقولون إن الدعاء على ثلاثة أقسام: دعاء اللسان، ودعاء الجَنان، ودعاء الاضطرار، وطالما كل أوقات العارف بالله اضطرار ودعاء الاضطرار مستجاب في الوقت الّذي يريد العارف وكما يريد، فلماذا يدعو ولا يستجاب له؟!

قال رضي الله عنه: أعوذ بالله! أعوذ بالله! أنا ما دعوت، ولا أعتقد أن عارفاً بالله تعالى قادر أن يدعو الله! لأنني لا أعتقد أن دعائي أعلى ممّا أنا عليه،

أنت تلقى دعائي أعلى من الحال التي أنت عليها ليرات وما شابه ذلك أمّا أنا فلست هكذا.

السائل: ودعاؤكم سيّدي بعد الصلاة أو في الذكر؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دعاء تعبّدي، أأدعو الله ليعطيني؟ أعوذ بالله! واللهِ لا أعرف، أخذ لبي كماله، وإذا طلبت من الله أخاف أن يعطيني مثل ما أطلب! أأعرف مثل الله أم عندي علم وحكمة مثل الله؟ قل لي: أعندي شيء مثل الله؟ لا كلّها لا! فأنا لماذا أدعو؟ أدعوه حتى أبيّن أني عبدٌ له، لإظهار العبودية فقط، لا أدعوه حتى يعطيني مثل ما أريد، لا سمح الله! هو الغني وأنا الفقير، هو القوي وأنا الضعيف، هو العزيز وأنا الذليل، أدعوه حتى أبيّن وأبرهن أني عبدٌ له عَزَّ وَجَلَّ، أمّا أن يعطيني مثل ما أريد فلا سمح الله! لا سمح الله!

أنا الآن عليّ دَين، وبعض الأوقات أقول: يا ربّ، أوفِ الدَّين، ولكن لا أجرؤ، واللهِ لا أجرؤ! واللهِ أخاف؛ لأنّه أعلم مني، هو الّذي عمل هذه العملية وربطني هذه الربطة، فكيف أطلب؟! أعوذ بالله، الشيء الّذي يعطيني أكثر بما لا أشعر به، فكيف أطلب منه، ذوّقني لا مرّة ولا مرّتين ولا مليوناً ولا مليونين! وهكذا أنا دائماً.. أنا جاهل والله سبحانه عالم حكيم رحمٰن موصوف بالربوبية، هو رب وأنا عبد فكيف أحكي أو أدعوه دعاءً غير التعبُّدي؟ إذا قلت: أوفِ دَيني أو لا تسلّط عليّ.. أأريد أن يجعلني إلٰهاً!! لا يصير لا يصير؛ سيّدنا محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُسِرت رباعيته وشُجَّ وجهه الشريف و.. وقال: «**اللهمّ اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون**»(١) أظهر عبديته لله تعالى.

---

(١) سنن ابن ماجه (١/ ٢٩١). برقم: (٤٠٢٧)

٩٥ - وسئل عن السمٰوات؟

فأجاب رضي الله عنه: السمٰوات بيضاء شفافة مثل البلور (البراني بيشوف الجواني) حسيّة وما هي حسيّة.

٩٦ - وسئل رضي الله عنه: ماذا بين سماء وسماء؟

فقال رضي الله عنه: نور مثل القطن الهش.

نافذة للنساء

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

١ - من جملة الكمالات الجلباب، وهو الغطاء، تتغطى لا أحد يرى وجهها ولا شعرها ولا شيئاً البتّة!.

٢ - بناتي، الله يرضى عليكن! لا تتساهلنَ بالوجه، ولا تكشفنه.

٣ - ما معنى بنت تطلع كاشفة الوجه؟ قالت: غطاء شرعي،كذّابة! غطاء شرعي يعني بالصلاة؛ جمال المرأة في وجهها.

٤ - مطلوب من المرأة في بيتها أن تضع على رأسها غطاءً؛ أدباً لا شرعاً! أدباً مع الملائكة.

٥ - الّذين قالوا: حجاب شرعي! شرعي يعني بالصلاة، ليس خارج الصلاة، خارج الصلاة المرأة لا يجوز أن يظهر منها شيء لا كبير ولا صغير ولا خرم الإبرة أبداً أبداً، خارج الصلاة كلّها عورة أي للأجانب غير المحارم.

٦ - كانت واحدة من أخواتنا في قاعة الامتحان، فدخل المراقب عليها، قال: يا آنسة أتأمرين بشيء؟ فما ردّت عليه! ومرّة ثانية قال لها: يا آنسة.. قالت: نعم أريد أن لا أرى وجهك ثانية! فسكت.!

٧ - أنا أستغرب كيف تدعو المرأة على ابنها أو أخيها أو أقاربها أو عدِّوها! هذا غلط! أنصحكن لله لا تدعون، أولاً: لأن ولدكن إلى الآن ما كُتِبَ

الله عليه شيئاً أبداً، وثانياً: عدوُّك الّذي آذاك هذا ليس من عنده، هذا من الشيطان؛ لأن الشيطان لا يرتاح وأنتنّ يحبكنّ الله!

خذوا عني: أنا لا أسمح لأحد أن يدعو على أحد أبداً أبداً، الرسول ﷺ يوم أحُد ضربوه وكسروا رباعيته وشجّوا وجهه الشريف!. مع أنه عليه الصلاة والسلام جاء ليخرجنا من الظلمات إلى النور، قالوا: يا رسول الله، ادعُ على هؤلاء..! فماذا قال لهم ﷺ؟ قال: «**اللَّهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون**»[1]! هؤلاء الّذين لم يؤذوه.. والّذين آذوه قال: «**اللَّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».

كيف تُلبسين ولدك قصيراً!؟ إذا كبر لا يقدر أن يلبس طويلاً!، بناتي، الله يرضى عليكن! لا تدعون على أولادكن، إياكنّ! إذا ولدُكن الصغير عمل مخالفة لا تدعون عليه، أخشى أن تكون أبواب السماء مفتّحة، فيشقى بدعائك، وإذا شقي كيف يعاملك؟ معاملة السعادة أم معاملة الشقاوة؟ معاملة الشقاوة، فأنت ادعي له، إذا لم تدعي له فاسكتي أقلّ الدرجات، اضربيه ولا تدعي عليه،.. ابنكِ ابنكِ! كيف تسخين فيه؟ جزء من كبدك، جزء من قلبك، كيف تدعين عليه؟ لئلا تكون أبواب السماء مفتّحة! بناتي إياكنّ ثمّ إياكنّ في يوم من الأيام تدعون على أولادكنّ، الولد إذا سعد يعاملكنّ معاملة السعادة، ويحملكنّ إذا كبرتنّ، يخدمكن، ويرى حاله مقصِّراً...

---

(١) سنن ابن ماجه (١٠/ ١٤) برقم: (٤٠٢٧).

إذا أردتنّ أن يكون ابنكنّ معكنّ كما تردْن فلا تطعمْنه إلّا الحلال، ولا تتركن البيت؛ لأنّ الولد الصغير مربوط مع أمّه أكثر من أبيه، أبوه يروح ليشتغل.. أمَّا أمّه فباقية معه طول النهار في البيت، وما زالت في البيت تصوم وتصلي فالولد يتّبعها؛ لأن الولد الصغير ما عنده عقل فيعقل، لا ميزان عنده، لأجل ذلك الحق ما كلّفه حتى يبلغ.

٨ - حينما يطعم الإنسان عائلته حراماً كالربا! سفرت وفجرت وراحت وو.. أمَّا إذا كان الرجل لا يطعمهم إلّا من حلال يعظهم دائماً، ويذكرهم في الله هؤلاء لا يقع منهم مخالفة أبداً.

٩ - إذا أمركنّ الزوج بشيء مخالف لا تسمعْنَ له.

١٠ - الأم هي المسؤولة؛ الولد الصغير لا يعرف ولا يفهم، يشقى فتصير الأم سبب شقاوته! بصحيفة الأم، أولاً: تضعه في محل مَرْضٍ، حتى الرضاع لا ترضعه من أي امرأة، لا يجوز إذا كانت امرأة حمقاء أو صاحب اللبن أحمق(١) لا يجوز؛ لأنّه الولد يطلع أحمق، الحليب فعّال! الحليب يزيل الطباع، طباع الأول كلّها تروح، فتجيء طباع المرضعة أو زوج المرضعة، المسؤول عن هذا هو الأم.

١١ - بناتي، إذا أصابتكن مصيبة بموت ابنكن، لا مانع من البكاء عليه! أمَّا هذا الصياح والولولة فلماذا؟ على من تولولن؟ على الله؟ الله لمَّا

(١) أي زوج المرضعة؛ لأن الحليب للأب.

أعطاكن الولد لماذا زغردتنّ والآن تولولن؟ أذاك الإلٰهُ غير ذلك الإلٰه، فرحتنّ له لكونه أعطاكن مرادكن؟ ولمَّا أخذ مرادكنّ غضبتنّ منه لماذا؟ تبين أنه لا عقل عندكنّ البتّة! ولا إيمان! تكذب التي تقول عندي إيمان! بكاء عينين ما فيه شيء، لكن لمَّا تولول وتحزن، كذّابة ما عندها إيمان بالله أبداً! لأن الله أعطانا الولد ووضعه أمانة، أعطانا الولد نربّيه حتى يبلغ، فإذا بلغ فلسنا مسؤولين عنه أبداً، لكننا قبل بلوغه نهذّبه، نؤدّبه، نعلّمه العلم، نعلّمه الكرم، نضع في قلبه الرحمة...

١٢ - أمركِ الله تعالى بالصلاة لماذا لا تصلّين؟ قالت: صغيرة لحدّ الآن، كم عمرها؟ ثلاث عشرة أو أربع عشرة!.

١٣ - العلم فرض على كل مسلم ومسلمة، الفرض على المسلمة لا علم الكيمياء! لا.. وإنما العلم الخاص بالنساء، علم النساء لأجل الصلاة، الغسل، التيمم..هذا فرض عليها.

١٤ - النساء ناقصات عقل ودين(١) هذا من حيث نساء العموم، أما نساء الخصوص فكثير من النساء خير من كثير من الرجال، كثير كثير ليس بقليل!

١٥ - أنا أعلمكن: الجمال ليس باللبس، الجمال هو الأخلاق، زوجكِ يأمرك ائتمري له، على أن لا يكون مخالفة للشريعة «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

(١) أصله في صحيح البخاري (١/ ١١٦) برقم: (٢٩٨).

١٦ - الزوج إذا يشرب خمرة ادعي له واخدميه، إلى أن يمنّ الحق عليه ويردّه، يتوب التوبة النصوح.

١٧ - الولد يعامل أمّه على حسب مرضعته التي انتقتها له، فإذا كانت حسنة طيبة يكون الولد حسناً طيّباً، يعامل أمّه على حسب ما رضع من الحليب، الحليب الطيّب الحليب النقي كثير من الناس: امرأة أخي، امرأة عمّي، امرأة جدّي! يا أختي لعل أخلاقها سيّئة يظهر بأخلاق الّذي رضع منها.. أو أبوه...؛ لأن الحليب للأب، صاحب الحليب زوج المرضعة، الحليب يغذي مثل اللقمة؛ لأن الحليب فيه لحمة، فيه خبزة، فيه ماء، الحليب فيه الكل.

١٨ - بعض نساء لمَّا يجيء الولد يرضعنه من هذه وهذه.. فتكون أخلاقه أخلاق التي يرضع منها تماماً؛ لأنَّ الحليب أصل الإنسان، فإذا كان يأكل من حرام يربي جسمه على الحرام، يطلع منه غيبة ونميمة وكذب وبهتان وسقوط وسفالة...

١٩ - لا تعلّمي الولد الصغير على كثرة الحليب، كل ما بكى تسقينه تطعمينه! لا، فهذا غلط، علّميه مرّتين، ثلاثة، أربع مرات لا أكثر لئلّا يكون (جوعيّاً) أينما قعد يأكل، لا يفهم حراماً ولا حلالاً، هذا برقبتكن أنتن يا أمّهات، أنتن يا مرضعات.

٢٠ - لا يجوز للأم أن ترضع ولدها إلّا بإذن أبي الولد؛ لأنَّ الحليب لأبي الولد ليس للمرأة، المرأة تروح وتجيء، لكن الحليب لأبي الولد، لا بدّ أن تستأذنه، ويكتب اسمه واسم الّذي رضع منها، والأحسن أن لا ترضعه أبداً، يُرضِعن الآن من حليب البقر، يا لطيف كم هو

مضرّ! البقر لا تعرفونه، إن كان ولا بدّ فأرضعنه من واحدة أحسن منكن، أفهم منكن، أصلح منكن.

٢١ - بناتي، لا يجوز أن ترضعن الولد إلّا بإذن الزوج؛ لأن الزوج هو أبو الولد لا أنتن، حتى يكتبه، الزوج أبو الولد يكتب المرضعة التي ترضعه وزوج المرضعة، الحليب له لأنّه عندما يكبر ربّما لا يعرف أخته أو أمّه من الرضاع.. لا بدّ أن يكون مكتوباً، لا تكثروا، بعض الناس يرضعون من فلانة وفلانة وفلانة..هذا لا يجوز! أخلاق الولد تظهر من أخلاق المرضعة تماماً!.

٢٢ - بناتي، المبتلي واحد هو الله، الحماة ما لها دخل، والله ما لها دخل! السرّ إذا سحبه الله تعالى منها تقع على الأرض ميتة، جلدة قائمة هي وأنا وأنتن..كلنا جلْدات.

٢٣ - بناتي، الله يرضى عليكن! الله يستركن! لا تتكلّمن بشيء لا يعنيكن.

٢٤ - والله لو يكون الأمر بيدي لما أدع الشمس تراكنّ، لا أريد أن يراكنّ أحد.

٢٥ - بناتي، كثيراً ما تترك النساء صلوات طويلة!.. لماذا تركتِ هذه الصلوات؟ قالت: سبعة أيام؟، إيه، لعله انقطع الدم بيوم واحد! لعله بساعتين! لعله قبل يومين، بثلاث أيام، فأنتِ بمجرّد ما ينقطع لا بدّ أن تغتسلي وتصومي وتصلّي.

٢٦ - دم النساء من أضرّ الضروريات، الولد من أين يرضع؟ هذا الدم ينقلب حليباً.

٢٧ - لا يجوز أن يؤذن الفجر والمؤمن نائم! ولو كانت المرأة بالحيض، تقعد وتتوضأ ولا تصلّي! وإنما تقعد بمكانها الّذي تقعده كل يوم ساعة أو نصف ساعة، حتى بعد الشمس، الحق يعطيها الّذي كان يعطيها إياه قبل الحيض!.

٢٨ - لا بدّ أن نعوّد أولادنا ونعلِّمهم على الآداب الشرعية، نعلِّمهم الصلاة، نعلِّمهم الوضوء، نعلِّمهم الصدق، الأمانة، النزاهة، وإذا جاءنا فقير نعطيه، نقول له: رُح أنت أعطه! حتى تصير عنده رقّة على الفقير، لا يرى حاله أحسن من الفقير.

٢٩ - بناتي، إياكنّ أن تقتلن الحيّةَ في البيت، إياكنّ! الحيّة لا تؤذي أبداً، الحيّة في الحقيقة حافظة! الحيّة وما شابه ذلك لا تشغل المنشغل بالله، هذه قاعدة، الحيوانات حتى السبع حتى الضبع.. لا يجرؤ أن يأتي إلى الإنسان يشغله؛ لأن المشغول مع الله لا يُشغَل.

٣٠ - إذا كان زوجك تاجراً علِّميه وفهّميه كيف التجارة وكيف شأنها: اشترى بعشرة، ثمّ صار السوق كلّه بتسعة بِع بتسعة واشترِ وبِع وهكذا.. خسر أو كسب الكلام على الصافي! كثير من الناس يقول: أنا أخذتها بعشرة كيف أبيع بتسعة؟ ينتظر حتى تصير بقرش،.. بعدها يعطي أجرة حتى يتخلّص منه! منذ كم سنة حكوا لنا عن واحد اشترى بصلاً بربع ورقة كيف يبيع بفرنك؟ بعدها.. أعطى أجرة حتى تخلّص منه! أعطى أجرة ليتخلّص منه! فهّموها لأزواجكن التاجر إذا نزل السوق ينزل ولا يمسك.. وهكذا.

نافذة للتجّار

قال ﷺ: كلمة تاجر أربعة أحرف، التاء: تقي، والألف: أمين، والجيم: جسور، والراء: رحيم.

الّذي يربح كثيراً يذهب منه المال بسرعة، لكنه إذا ربح ربحاً محدوداً معقولاً معروفاً عند الناس فإن الله تعالى يباركُ له فيه ويُعْطِيهِ الرضا، ثمّ من الرضا تكون البركة. إذا دلّ أحدكم على بضاعة غيره، فالحق عزّوجلّ يهيئ له من يدلّ على بضاعته.

إذا اشترى منّا أحد شيئاً فإمّا أن يكون غنياً أو فقيراً أو فقيراً جداً، فالغني نربح منه شيئاً معقولاً، والفقير لا نأخذ منه بتاتاً، والفقير جداً نعطيه، فإذا جاءتنا أرملة لا صنعة لها إلا الغزل لا نأخذ منها حق الثوب، وإذا جاءتنا أرملة أم أولاد لكنّ حالها أحسن من الأولى لا نربح عليها، وإذا جاءنا ثالث نربح عليه شيئاً معقولاً، فإذا كان ابن الدنيا يربح عليه خمسة بالمائة نحن نربح عليه اثنين بالمائة، لا نأكل حراماً ولا نكذب ولا نغش ولا نتراجع بعد أن نبيع أو نشتري كما يقول الناس: «مائة قَلْبة ولا غلبة» بل مائة غلبة ولا قَلْبة!

من يربح كثيراً ويأتِ إليه المال بسرعة يذهب بسرعة، ومن يربح قليلاً يبارك الله فيه، والرضا من جملة البركة، فإذا اشتريتُ من هذا الشخص فلن أعود لغيره وكل أصحابي سيشترون منه، كان يبيع كل يوم بألف ليرة، صار

يبيع بعشرين ألف ليرة، وكان الّذين يشترون منه خمسين، صاروا خمسمائة، فأيُّهما أربح؟

المؤمن يزيّن التجارة ويزيّن المال في وضعه بمحلِّه، فهو مهيمن على المال وعلى التجارة وغيرها لا يهيمن عليه شيء، هو يزيّن المال لا المال يزيّنه.

انتهى الجزء الأول بفضل الله تعالى

الفهرس

الموضوع — الصفحة

القسم الثاني: فجر دعوته وطريقته

القسم الثالث إضاءات الولاية

القسم الرابع نوافذ الدراية